al-Muarrikh al-Misr

المؤرخ المصري

دراسات و بحوث في التاريخ والحضارة



يصدرها قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد الثاني والعشرون يوليو ١٩٩٩

جامعة القاهرة – كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكّمة

العدد
الثاني والعشرون
يوليو ١٩٩٩

بحوث ودراسات

جامعة القاهرة – كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكّمة

العدد
الثاني والعشرون
يوليو ١٩٩٩

قواعد النشر

* ترحب المؤرخ المصري بنشر الأبحاث والدراسات الأصلية ذات المستوى الأكاديمي الجاد بعد التحكيم ، فضلاً عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة .

* تقبل المؤرخ المصري للنشر الأبحاث التاريخية والحضارية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية علي ألا يزيد عدد الصفحات عن ٣٠ صفحة مسجلة علي ديسك كمبيوتر وفق برنامج (WORD) مع نسخة مطبوعة علي ورق حجم A4 بما في ذلك الهوامش والجداول وقائمة المراجع ،علي أن تكتب الهوامش في نهاية البحث.

* المؤرخ المصري لا تنشر بحوثاً سبق أن نشرت أو معروضة للنشر في مكان آخر ، وتقوم رئاسة التحرير بإخطار المؤلفين بإجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها علي هيئة التحكيم .

* تحتفظ المؤرخ المصري لنفسها بحق قبول أو رفض الأبحاث أيّاً كان قرار هيئة التحكيم .

* النشر في المؤرخ المصري متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية وسائر المهتمين بالدراسات التاريخية .

* الآراء الواردة بالمؤرخ المصري تعبر عن وجهة نظر أصحابها .

جامعة القاهرة – كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكّمة

العدد
الثاني والعشرون
يوليو ١٩٩٩

محتوي العدد

جامعة القاهرة – كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكّمة

العدد
الثاني والعشرون
يوليو ١٩٩٩

المراسلات : ترسل البحوث والمقالات باسم السيد الأستاذ الدكتور / حامد زيان غانم رئيس التحرير علي العنوان التالي : كلية الآداب – جامعة القاهرة (قسم التاريخ) – بريد الأورمان – محافظة الجيزة .

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

افتتاحية العدد

بحمد الله وتوفيقه تم إصدار هذا العدد من مجلة المــؤرخ المصري والذي يضم بين دفتيه عشر مقــالات فــي التــاريخ والحضارة لمجموعة من خيرة الباحثين والمتخصصين في حقل الدراسات التاريخية من داخل جمهورية مصر العربية وكذلــك من بعض الدول العربية الشقيقة .

وأنني أنتهز هذه الفرصة لأحيي كل من ساهم في إصدار هذا العدد ، وأخص بالذكر الأساتذة الأفاضل الذين قاموا بتحكيم هذا العدد ، وكذلك أصحاب هذه المقالات الذين عملــوا علــي إثراء هذا العدد بفكرهم وخلاصة علمهم .

والمؤرخ المصري ترحب دائماً بكل الأعمــال العلميــة الجادة والجديدة لكافة المتخصصين من داخل الوطن العربــي وخارجه .

والله من وراء القصد

رئيس التحرير

أ.د/ حامد زيان غانم

دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة

مسألة خلافة الحكم في قطر

١٩٥٠-١٩٦٠م

د.إبراهيم محمد شهداد

كلية الإنسانيات - جامعة قطر

توطئة

لعل أكثر المطلعين على تاريخ الخليج العربـــى الحديـث والمعـاصر يلاحظون فى الغالب غياب الدراسات التى تتنـاول مسـائل خلافـة الحكـم والصراعات التى كانت تدور حولها، وتداعياتها على الوضـع الحـالى فـى معظم إمارات الخليج العربى، نظرا لحساسيتها فى اعتقاد بعض الدارسـين، ولكن فى اعتقادنا أنه جاء الوقت الذى لابد فيه أن يبادر الباحثون إلى دراسـة مثل تلك المسائل والتأريخ لها بمنهج أكاديمي رصين مما يضفى على تـاريخ المنطقة بعدا تاريخيا جديدا، وربما حلقة مفقودة يود المتـابعون والمـهتمون بتاريخ المنطقة أن يكونوا على إطلاع عليها وعلى تأثيراتها سواء السـلبية أو الإيجابية.

وتأسيسا على ذلك جاء اهتمامنا للقيام بمثل هـذه الدراسـة، وبحسـب اعتقادنا أن سبب ظهور تلك المسائل فى الخليج العربى بكل تعقيداتها عائد إلى عدم وجود صيغة قانونية حتى وقت قريب يعتمد عليها فى كيفية ملء الفـراغ الذى يحدثه سواء وفاة الحاكم فجاءة أو وصوله إلى مرحلة لا يستطيع فيـها الاستمرار فى الحكم، مع وضعنا فى الاعتبار، وكما هو معروف، أن مرجعية الحكم عائدة للأسر الحاكمة فقط وأن الحكم بحسب قناعات تلك الأسر يجـب أن لا يخرج منها مهما كانت الظروف والمستجدات، وقـد ترسـخت تلـك

القناعات لدى هذه الأسر فى وقت مبكر مع تطور الكيانات السياسية القائمة فى المنطقة.

وحقيقة الأمر أن استمرار هذا النمط من الحكم الأسرى لم يأت من فراغ وإنما هو فى اعتقادنا يعد امتدادا للإرث السياسي العربي، وخاصة بعد نهاية الخلافة الراشدة وظهور دول عربية إسلامية ارتبطت أسمائها بأسماء الأسر التى كانت تحكمها بدءا من الدولة الأموية واستمرارها حتى الوقت الحاضر كالدولة السعودية على سبيل المثال لا الحصر حينما حولت تلك الدول نظام الخلافة الإسلامية من نظام شورى مؤسس على مبادئ فقهية إلى نظام وراثى وأوجدت صيغة جديدة لإضفاء الشرعية على هذا النظام عن طريق أسلوب المبايعة الذى هو فى الواقع العملي ما هو إلا سياسة الخضوع للأمر الواقع بدلا من أخذ راي الأغلبية المتمثلة فى الشورى.

وتأسيسا على ذلك نرى حكام الخليج وأسرهم رأوا فى هذا الأسلوب أحد الأنماط الشرعية التى ينطلقون منها لتعزيز وتبرير استمرارية حكم أسرهم، وجاء الاستعمار ليشد من أزر هذا النوع من الحكم ليس حبا فيه، ولكن حبا فى تثبيت مصالحه بطبيعة الحال، والتى كانت تزداد يوما بعد يوم فى هذه الإمارات خاصة بعد دخول المنطقة عصر النفط وتدفق ثرواته، فوجد فى التعامل مع أشخاص معروفى الهوية والتوجهات السياسية ضمانا لاستمرارية ونمو مصالحه، مع تولد قناعة فى الوقت ذاته فى أواسط بعض الأسر الحاكمة بأن استمرارية وجودها مرتبط بهذه الجهة الاستعمارية التى ستكون بمثابة الدرع الواقي من أية تطورات داخلية مفاجئة قد تطيح بها.

والملاحظ أنه على الرغم من وجود ظاهرة تسيد حكم الأسر فى الخليج العربي وتحولها إلى عرْف، تحول فيما بعد إلى قانون نصت عليه جميع دساتير هذه الإمارات وبالتالي قبلت أغلب شعوب المنطقة بهذا النمط من الحكم كأمر واقع، لإدراكها بحسب تقديرنا بأن هذه الأسر هي الأفضل من غيرها على الأقل فى الوقت الحاضر لإدارة بلدانهم وخاصة بعد معايشتها لتجارب ماضيه وآنية أثبتت لها فشل الحكومات "الثورية" التى تقلدت زمام الحكم فى بعض البلاد العربية، إلى جانب إتباع هذه الأسر الحاكمة التقليدية الأسلوب الأبوي فى التعامل معها وليس الأسلوب العسكري القمعي الذي تبنته هذه الحكومات الثورية، ومع تسليمنا بكل ذلك إلا أن ذلك لا يعنى عدم وقوع صراعات ومنافسات حول الحكم فى الأنظمة التى تحكمها الأسر ذاتها، ذلك أن البعض منها شهد صراعا دمويا أحيانا، ولكن فى أضيق الحدود كما حدث فى الكويت حينما وصل الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت المشهور على جثة أخويه محمد وجراح إلى سدة الحكم فى مايو عام ١٨٩٦، ومع ذلك فإن أغلب التنافس الأسري الذى كان يقع بين الأسر الحاكمة كان يتخذ طابع الأزمات الداخلية داخل إطار الأسر، حيث لم يكن يشعر بها فى الغالب إلا المقربون من الأسر وأصحاب القرار وليس رجل الشارع العادي، اللهم إلا إذا وصلت الأمور إلى مرحلة اللاعودة، وكان أسلوب الحال التوفيقى الطريقة الأكثر شيوعا فى الخروج من الكثير من أزمات الحكم التى كانت تحدث بين فترة وأخرى، فى المنطقة وسنجد فى المثال القطري الذى نحن فى صدد دراسته خير دليل على ذلك.

اولاً: بداية المسألة وجذورها :

منذ نشأة الإمارة القطرية وظهورها ككيان سياسي مستقل فـــى منطقــة الخليج عام ١٨٦٨ كان نظام التعاقب على خلافة الحكم يسير ســيراً طبيعيـاً داخل الأسرة حتى وصول الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني إلى الحكم بمباركــة من والده الشيخ قاسم بن محمد المؤسس الحقيقي للإمارة القطرية، وإن كـــان ذلك قد اثار تحفظات من قبل بعض أفراد الأسرة الذين شكلوا فيما بعد الجناح المعارض لحكم الشيخ عبدالله وكان على راس هؤلاء أخوة الشــيخ وبــالذات الشيخ خليفة اكبر أخوته بالإضافة إلى أبناء عمه الشيخ أحمد بـــن محمــد آل ثاني الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب الحق فى الحكم لكون والدهم كــان يحكم فعلياً مع وجود والده، قبل اغتياله على يد أحد رجال القبائل مـــن بنــي هاجر عام ١٩٠٥، فأصبح هؤلاء بالاشتراك مع أخوة الشيخ عبدالله الآخريــن مع مرور الأيام مصدر إزعاج للشيخ عبدالله ولحكمه، بل أكثر من ذلك فــإن هؤلاء لم يجدوا حرجاً فى الاتفاق مع قوة خارجية كانت لها طموحـــات فــى السيطرة على قطر، من أجل الإطاحة بالشيخ عبدالله ، ولكن مع ذلك لم يوفقوا فى تحقيق ما يصبون إليه وظل الشيخ مستمراً فى الحكم.

ويبدو أن المعارضة السابقة لحكم الشيخ عبدالله النابعة من داخل أســرته جعلته يفكر ملياً فى تعيين أحد أبنائه ولياً للعهد وهو الشـــيخ حمــد لقناعتــه بكفاءته فى إدارة شؤون الحكم والبلاد، لذلك نراه تجنباً لأية مصـــاعب فــى المستقبل ولكي يضمن استمرار الحكم فى أبنائه يطالب السلطات البريطانيــة التي كان قد دخل معها فى مفاوضات معاهدة عام ١٩١٦ بالموافقة على تعيين ابنه حمد كولي للعهد أسوة بموافقة تلك السلطات على طلب حــاكم البحريــن

ولكن مسعاه فى ذلك فشل، لأن السلطات البريطانية خشيت أن يكـــون ذلــك سابقة تحتذى فى باقي إمارات الخليج.

ولكن هذا المسعى من جانب الشيخ عبدالله لم يكن نهاية المطاف فهو لـم يترك فرصة وإلا قام فيها بطرح قضية تعيين ابنه وليا للعهد على الســلطات البريطانية إلى أن سنحت له فرصة دخوله فـــى مفاوضــات مــع الشــركة الإنجليزية الفارسية من أجل الحصول على امتياز للنفط فى بلاده عـام ١٩٣٥ حيث أصر خلال المفاوضات الشاقة ربط موافقته على منح الامتياز للشــركة الإنجليزية بموافقة الحكومة البريطانية على منـــح بــلاده الحمايــة الكاملــة والاعتراف بابنه حمد وليا للعهد، وبالفعل نجح الشيخ عبـــدالله فـــى تحقيــق مطلبه[1]. ولكن الأقدار تشاء أن يتوفى الشيخ حمد أثناء حكـــم والــده عــام ١٩٤٨ مما أدى إلى حدوث أزمة حول من سيخلفه فى ولاية العهد والحكـــم، ونظرا لكبر سن الشيخ عبدالله بن قاسم واعتلال صحته وعدم وجـــود ولـــي للعهد اضطر للتنازل عن الحكم لأبنه الأكبر الشيخ علي فـــى ٢٠ أغســطس ١٩٤٩ آخذا منه عهدا بأن يؤول الحكم من بعده لأحد أبناء الشـــيخ حمــد[2] فسارت الأمور فى الأشهر التالية من تسلم الشيخ السلطة سيرا طبيعيا، وفجـأة ظهر فى عام ١٩٥٠ أبناء الشيخ حمد محاولين إرغام الشيخ على بن عبـــدالله على الموافقة على توليت شقيقهم الشيخ خليفة الحكم من بعده مصرين على أن يوقع الوكيل السياسي البريطاني فى قطر وكذلك المقيم السياسي فى الخليـــج على وثيقة الموافقة مستغلين موجة الانتقادات الموجهة للشيخ علي التى كـانت قد وصلت إلى مرحلة استخدام القوة من قبل أفراد الأسرة الحاكمة من بنـــى قاسم أبناء عمه إلا أن الشيخ لم يعر اهتماما لتلك المحاولة غير أنـــها كــانت البداية لاشتعال الصراع الخفي حول خلافة الحكم بينه وبين آل حمـــد ذلــك

الصراع الذى أخذ يلقي بظلاله ويشكل سلبى على سير الأحداث الداخلية فـــى البلاد بسبب الانقسام الذى أحدثه فى أجنحة الأسرة ما بين مؤيد ومعـــارض، ومحاولة كل جناح توظيف الصراع من أجل كسب المزيد مـــن الامتيـــازات وعلى رأسها المخصصات المالية الشهرية، وكان فى مقدمـــة هـــؤلاء فـــرع الأحمد[٣] وآل قاسم أبناء عم والد الشيخ علي.

وفوق ما سبق فإن بعض أفراد الأسرة بدأوا يزعجون حتى الســـلطات المحلية من خلال بعض تصرفاتهم غير المسؤولة مما كان يؤدي إلى حـــدوث كثير من الاضطرابات الداخلية، الأمر الذى دفع الشيخ علـــي نتيجـــة لتلـــك التصرفات التي كانت تزداد يوما بعد يوم إلى أن يطلب من المقيم السياســـي البريطاني فى البحرين أن يحضر إلى قطر ويتحـــدث مـــع رؤوس الأســـرة ويبلغهم بأن حكومة صاحبة الجلالة مصرة على دعمه ولن تسمح بـــالعنف إذا ما حاول أحد أفراد الأسرة الحصول على مطالبه بـــالقوة، غـــير أن المقيـــم السياسي أبلغه بأنه يجب أن يكون قويا للتعامل مع أسرته وإذا حدثت مشـــاكل فتوجد الشرطة وإذا استخدم الشرطة معهم بطريقة ملائمة وعاقب أحد أفـــراد أسرته بعدالة وحزم فإن الآخرين سوف يرتدعون، فكان رد الشيخ عليه أنـــه سيفعل ذلك فى المستقبل[٤] ويفسر لنا رد الشيخ علي السابق أنه كان لا يريـــد أن تصل علاقاته بأفراد أسرته مرحلة الصراع المباشر ومن ثم تنقطع بينـــه وبينهم قنوات الاتصال مما يؤدى إلى المزيد من الانقســـام والتوتـــر داخـــل الأسرة ويتحول معظم الأسرة إلى معارضين وبالتالي وضـــع المزيـــد مـــن العراقيل أمام سلطاته.

ويبدو أن سياسة التساهل تلك لم تكن ذات جدوى، وبل على العكس فقد زادت بعض فروع الأسرة فى ازعاجها للشيخ علي وخاصة فرع الأحمد الذين كانوا يطالبون باستمرار بزيادة مخصصاتهم المالية على أساس أنهم يعتبرون أنفسهم حكاما لكون جدهم الشيخ أحمد كان الحاكم الفعلي لقطر قبل اغتياله ١٩٠٥ كما مر بنا ونتيجة لذلك تولدت لدى الشيخ على قناعة بأن الطريقة الوحيدة لإسكات أفراد أسرته من مثيري المتاعب من الأحمد وغيرهم هى نفيهم خارج الدوحة سواء إلى أحدى الجزر التابعة لقطر كحالول أو إلى إحدى إمارات الخليج كالبحرين وعمان أو عدن(٥).

ومع وجود هذه القناعة وترحيب السلطات البريطانية بها إلا أنه لم يحدث بشكل عام أن استبعد أحد أفراد الأسرة رغم استمرار البعض منهم فى إثارة المتاعب، وفى اعتقادنا أن استجداد أمور أكثر أهمية على الساحة المحلية جعلت تلك المتاعب من الأمور الهامشية والثانوية إذا ما قورنت بمسألة خلافة الحكم والتنافس حولها وظهورها بشكل أكثر حدة عن ذي قبل إذ بدأت الضغوط تزداد يوما بعد يوم على الشيخ من قبل الطرف الذي كان يعتبر نفسه أنه الأحق في خلافة الحكم عن غيره وخاصة فى ظل توجهات ومحاولات من جانب الشيخ علي أن يكون ابنه الشيخ أحمد هو صاحب هذه الخلافة، بدليل أنه بدأ يكلفه بالقيام ببعض الشؤون الداخلية نيابة عنه ، وبالتالي استحوذ هذا الموضوع على كل تفكير الشيخ علي يضاف إلى ذلك فإن تجدد مسالة الخلافة جعله يعيد حساباته الأسرية لاقتناعه بأن الأسرة وبأجنحتها المختلفة هي المرجعية الأكثر تأثيرا في حسابات حسم الخلافة لصالح تطلعاته أو ضدها وبالتالي غض على مضض الطرف عن عزمه أبعاد البعض من أفراد أسرته من مثيري المشاكل له ولحكمه أو بمعني آخر أنه

وجد أن المشاكل التي يثيرها البعض من أفراد أسرته أهون الشـــرين إذا مـــا قيست بمسالة خلافة الحكم التي باتت تؤرقه ليلا ونهارا.

ثانيا: موقف بريطانيا من مسألة خلافة الحكم :

قبل استجلاء موقف بريطانيا من مسألة الخلافة والمتنافسين حولها لابـد لنا أن نشير هنا أولا إلى إحدى محاور السياسة البريطانية فى منطقة الخليـج بوجه عام والتي صدرت على شكل تعليمـات لموظفيـها السياسـيين بعـدم الاعتراف بأي شخص وليا للعهد أو خليفة للحكم، والحاكم لا يزال على قيـد الحياة فالعرب يعتبرون ذلك فألا سيئا حين يتحدث أحد إلى حاكم عن الشخص الذي يحتمل أن يخلفه، ولذلك فعلى الموظف السياسي عدم مفاتحة الحاكم فـى هذا الموضوع بدون تعليمات من سلطة أعلى ما لم يثر الحاكم هذا الموضـوع بنفسه، وعلى الموظف مع ذلك أن يفكر مليا فى التطورات المحتملة فى حالـة وفاة حاكم ما [٦].

وانسجاما مع تلك السياسة لم تحاول السلطات البريطانية المسؤولة فـي قطر التدخل فى مسألة الخلافة، وكان دورها دور المراقب وتقييم المتنافسـين والاستماع إلى ما كان يطرحه الحاكم عليها ومناقشة ذلك مع جـهات أعلـى منها على اعتبار أن هذه المسألة مسألة أسرية، ومن المفروض أن تحل بيـن أقطاب الأسرة ذاتها اعتقادا منها، بخلاف سياستها المرسومة الآنفة الذكـر، أن تدخلها ربما يسئ إلى أحد الأطراف المتنافسة، وكان من آثار هـذه السياسـة تولد موقف بريطاني مضطرب تجاه مسـألة الخلافـة والمتنافسـين حولـها وتقييمهم، فمثلا كشفت أحدى الرسائل التى أرسلها الوكيل السياسي البريطـاني فى قطر إلى المقيم السياسي فى البحرين فى ١٠ مارس ١٩٥٧ يصف فيـها

أحد المتنافسين وهو الشيخ خليفة بن حمد بقوله : على الرغم من أنـــه لعــب دورا كبيرا فى تطوير إدارة التعليم حينما آلت إليه قيادتها إلا أنه محاط بنخبــة فاسدة من عدد من المصريين الذين يسعون إلى صداقته وأن الشيخ أحمد يبقي صديقنا، وأنه - أي خليفة - إذا أصبح حاكما فسيدعم موقفنا بلاشـــك لأنـــه يدرك أن استقلال قطر فى يدنا، ولكنه فى المدى القصير سيجعل الأمر صعبا بالنسبة للأجانب بما فى ذلك نحن البريطانيين لأننا نحـــن وهـــم يتصرفــون كأسياد لا عبيد بحسب قناعته(٧).

وبالرغم من تلك الأوصاف التى ألصقها الوكيل السياسي بالشيخ خليفـــة إلا أنه فى الوقت ذاته حذر من دعم اقتراح سابق اقترحه الشيخ علي وذلـــك بتعيين ابنه الشيخ أحمد كنائب له لأن ذلك بحسب رأيه قد يدعو الشيخ خليفـــه أولا إلى معارضة الحاكم والمستشار ومعارضة السلطة البريطانية، وقد يضعه ذلك فى أيدى المصريين مما يزيد من صعوباتنا فى الداخل، وثانيـــا إذا تـــم الإعلان عن نائب الحاكم فينظر إلى الشيخ أحمد وكأنـــه مرشـــح بريطانيـــا والشيخ خليفة كأنه مرشح مصر فبدلا من تقوية الشيخ أحمد فـــإن الإعـــلان سيضعفه(٨). وقد نقل المعتمد البريطانى فى البحرين هذا الانطباع إلـــى وزارة خارجية بلده فى رسالة له إليها فى ٢١ مارس ١٩٥٧ ذاكرا فيها إنـــه ضـــد مصالحنا أن يصبح الشيخ أحمد نائبا لأبيه الحاكم، وإذا تجنبنا هذا الخيار فإننـــا بمرور الوقت نستطيع أن نقيم من هو الأفضل لخلافة الحكم(٩).

ويبدو لنا من خلال ما سبق أن الانطباع الذى كان سائدا لدى الســـلطات البريطانية عن الشيخ خليفة هو اعتقادها آنذاك انه كان واقعـــا ولـــو بشـــكل محدود تحت تاثير شعارات الثورة المصرية وزعيمها جمال عبد الناصر التى

بدأت تنتشر فى أوساط أهل الخليج ربما ليس مباشرة ولكن عن طريق أفـــراد من جناح أسرته من آل حمد الذين كانوا متأثرين بشكل كبير بعبـــد النـــاصر ومواقفه العروبية ضد الاستعمار وكان على رأسهم الشيخ سحيم شقيق الشـــيخ خليفة الذى كان يعتبر من أبرز صقور آل حمد، إذ كان الشيخ خليفة يعقد عليه الأمل مع أشقائه الآخرين لترجيح كفته فى خم [illegible]، وبخلاف ذلك يمكـــن تفسير موقف الشيخ خليفة المتعاطف مع مصر بأنه [illegible] لا محاولة منه مـن اجل إبراز صورته فى الأوساط الشعبية وخاصة عمال النفط الذين أظـــهروا تعاطفاً كبيراً تجاه مصر وقيادتها أثناء وبعد العدوان الثلاثـــى علـــى مصـــر ١٩٥٦. ولعل الاتهام الذى جاء فى إحدى الوثائق البريطانية الموجه للشـــيخ خليفة بأنه كان يستخدم موقعه كمسؤول للتعليم فى تعزيز النفوذ المصري فـــى إدارة التعليم يؤكد على ما ذكرناه سابقاً رغم أن الشيخ خليفة فى إحدى لقاءاته مع الوكيل السياسي البريطاني فى الدوحة ذكر أن الهدف من سياســـته فـــى إحضار المدرسين المصريين للقيام بعملية التدريس وليس التدخل فى الأمـــور السياسية مؤكداً فى اللقاء ذاته تعاطفه مع الحكومة البريطانية تجـــاه مصـــر ومنتقداً مواقف الأخيرة، فى إشارة منه لإبعاد الشبهة عنه بأنه متعاطف مـــع توجهات الحكومة الثورية فى مصر(١٠).

وفى المقابل تظهر معظم الوثائق البريطانية الخاصة بمسألة خلافة الحكم أن الشيخ أحمد ابن الحاكم والذى كان ينافس الشيخ خليفة قد أظهر إرادة قوية فى المحافظة على استقرار الأمن والوضع الداخلي وابدى تعاوناً كبـــيراً مـــع السلطات البريطانية خلال أزمة السويس(١١) ولكن على الرغم من ذلك نجـــد فى إحدى الوثائق البريطانية وعلى لسان أحد المســـؤولين البريطـــانيين فـــى الوكالة السياسية البريطانية فى الدوحة أنه من الصعب تقبل الشيخ أحمد فـــى

السلطة وأنه من غير المحتمل العمل معه[١٢]، ويمكننا تفسير هــذا الموقــف المتشدد الذى أبداه المسؤول البريطاني إزاء تسلم الشيخ أحمد السلطة فى قطر بأنه كان مبنيا على أساس تعاطف الشيخ أحمد ووقوفه إلى جــانب الأخويــن خليفة وحمد العطية اللذين كانا قد لعبا دوراً كبيراً فى تهييج الشارع القطــرى ضد البريطانيين أثناء العدوان الثلاثي على مصر وأزمة الســويس، واصفــاً إياهم بأنهم يكرهون البريطانيين وأنهم المسؤولين عن توزيع منشورات باســم "صوت الأحرار" فى الدوحة تندد بهم، وتحقيرهم خلالها لأيِ عربي يتعــاون مع العناصر البريطانية[١٣].

وتأسيساً على ما سبق نرى أن المقيم السياسى البريطاني فــى الخليــج يذكر فى رسالة منه إلى وزارة خارجية بلده أنه ضد مصالحنــا أن يصبــح الشيخ أحمد نائبا لأبيه مشيراً بضرورة التريث فى اختيــار الخليفــة القــادم للحكم[١٤].

ومع هذا الموقف المشوب بعدم الثقة وتوجس السلطات البريطانية خيفــة من توجهات وتصرفات المتنافسين الرئيسيين على خلافة الحكم، فقد ظلت هذه السلطات تراقب ما يطرأ على مسألة الخلافة عن كثب محاولة بقدر الإمكــان تجنب إبداء رأيها بشكل قاطع، مستمرة فى سياسة تجنــب الانغمــاس فيــها واضعة فى اعتبارها أن عملية اختيار خليفة للحكم يجب أن تكون مقبولة مــن جميع الأطراف ذات الصلة بالمسألة ولا يجب أن تسبب صراعاً مريراً بيــن أجنحة أسرة آل ثاني كما يجب أيضا التفكير فى مزايــا وعيــوب كــل مــن المرشحين خاصة فيما يتعلق بالتأثيرات البريطانية وغيرها عليهما[١٥].

مما سبق يمكن القول أن الموقف البريطاني لم يكن واضحاً تجاه أي من المتنافسين حيث كانت السلطات البريطانية فى تعاملها مع المسألة تفضل التريث حتى يمكن اختيار الأفضل الذى يمكن بواسطته استمرار المصالح البريطانية وعدم وقوعه تحت تأثيرات خارجية وفى الوقت ذاته يكون مقبولاً لدى أصحاب الشأن الذين هم فى المفهوم البريطاني الأسرة الحاكمة بطبيعة الحال وليس الشعب وهذا هو وجه الغرابة فى سياسة بريطانيا التى كانت فى جل شعاراتها وخطبها السياسية تنادي بالديمقراطية وحق الشعوب فى اختيار حكامها وحكوماتها وتقرير مصيرها بنفسها.

ثالثاً: زيادة حدة مسألة الخلافة والتوصل إلى حل عام ١٩٦٠ :

أدى استمرار الخلاف حول خلافة الحكم وزيادة الشد والجذب بين الطرفين المتنافسين إلى تعقيد الأمور فى البلاد، وأصبح كالسرطان الذي ينخر جسم الدولة ويسمم الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ويؤدي إلى اتخاذ القرارات وفقاً لهذا الخلاف ومصلحة المتنافسين، وكان الخط العام لمواجهة هذا من الحاكم هو اتباع أسلوب المقاومة الخفيفة دون الوصول إلى مرحلة الصدام وإن كان هذا الأسلوب فيه شئ من الحكمة، ولكن تكمن خطورته فى أنه ساهم فى انهيار سلطة الحكومة خلال سنوات الخلاف وهو أمر أصبح واضحاً لكل مراقب، وتداركاً لمزيد من الانهيار وفى محاولة للالتفاف حول المشكلة طرح حل توفيقي فى يناير ١٩٥٨ كانت خطوطه الأساسية تتمثل فى الأتي :

١- أن يتنازل الحاكم ويخلفه أبنه الشيخ أحمد.

٢- أن يتولى الشيخ خليفة الحكم عند وفاة الشيخ أحمد أو تنازله.

٣- نصيب الحاكم من الأموال يتقاسمه الشيخ أحمدوالشيخ خليفة بنسبة ٢:١.

غير أن الحل رفض رفضا باتا من قبل الشيخ خليفه مستندا إلـــى الوثيقة التى تعطيه الحق بأن يؤول الحكم إليه بعد الحاكم الحالى أي بعد عمه الشيخ علي [١٦].

كان من الطبيعى والمنتظر أن يؤدى فشل الحل التوفيقي إلى مزيد من التوتر على الرغم من إظهار المتنافسين شكليا بأنه لا توجد خلافات بينهما، وخاصة الشيخ أحمد، الذى صرح خلال وجود والده الحاكم فــى الخارج وكان مكلفا بإدارة شؤون البلاد من قبله أنه لا توجــد خلافــات بينه وبين الشيخ خليفة وإنهما يتعاونان فى شؤون الحكم ويحضران معــا المناقشات اليومية مع المستشار المالى البريطاني هانكوك Hancock.

ومع ذلك لم يخل الجو من بعض الاحتكاكات بين المرشحين، فقد حدثت بعض المناورات التى كانت تهدف فيما يبدو تأكيد كل منهما أنـــه هو القادم الجديد وقد ظهر ذلك واضحا خلال الزيارة التى قام بها الشيخ أحمد فى ١٧ يوليو ١٩٥٨ إلى مصر حينما وصفته إذاعة القاهرة، ربما بقصد أو بغير، قصد بأنه ولي عهد مشيخة قطر. مما دفع الشيخ خليفـــة للذهاب للحاكم مطالبا بالاعتراف الرسمي بأحقيته فى الحكم من بعـــده، ومطالبا كذلك بطرد عبد الرحمن درويش[١٧] من قطر لشكه بـــأن هـــو صاحب فكرة سفر الشيخ أحمد لمصر لقطع الطريق عليه لأنـــه كـــانت لديه دعوة رسمية سابقة من الحكومة المصرية لزيارة القاهرة فى أواخر نفس العام. غير أن الشيخ رفض ما طالب به الشيخ خليفة واســـترضاه بمنحه قدرها ١٥ ألف جنية استرلينى وزيادة مخصصاته السنوية التـــى

كانت تبلغ ٤٥ ألف جنيه بالإضافة إلى إصداره أوامر بتقديم التحية العسكرية له فى كل الأوقات والمناسبات بواسطة حرس الشرطة[١٨].

فنتيجة لذلك حدث نوع من الهدوء النسبى والمؤقت فى مسالة الخلافة والصراع حولها يستشف ذلك مما ذكره الشيخ أحمد حينما سئل عن مسالة الخلافة والمنافسة بينه وبين الشيخ خليفة حيث ذكر أن الأمر كان صحيحا قبل شهور ولكنه قابل الشيخ خليفة وتمت تسوية الموضوع[١٩]، وبحسب اعتقادنا أن رد الشيخ أحمد كان نوعاً من المناورة السياسية الهدف منها تهدئة الوضع والتأكيد على أن الأسرة الحاكمة متحدة فيما بينها وخاصة أن البلاد قد شهدت نوعاً من التوتر الداخلي وخاصة فى أوساط العاملين بشركة نفط قطر الذين بدأوا وبشكل متكرر القيام بإضرابات سواء استجابة لما كان يطالب به عبد لناصر عبر إذاعة "صوت العرب" العمال العرب بمقاطعة الشركات الأجنبية والدور الذى قام به دعاة القومية العربية ودعاة الإصلاح فى قطر، إلى جانب كبار الأعيان والقبائل الذين كانوا يطالبون بضرورة إدخال إصلاحات فى البلاد والحد من نفوذ بعض التجار المستفيدين كأبناء درويش، وبالذات الأخوين عبدالله وعبد الرحمن، وقد لاقت تلك المطالب صدى لدى بعض فئات الاسرة الحاكمة وبالذات آل الأحمد المعارضين التقليدين للحاكم والحكم كما مر بنا، وكان بالإمكان أن تتحول إلى درجة خطيرة والمنطقة تمر بحالة من القلق فى أعقاب الثورة التى حدثت فى العراق ودخول القوات الأمريكية لبنان والقوات البريطانية الأردن.

ومع ذلك فإن سير الأحداث والتحركات التى كـــان يقــوم بـــها أصحاب العلاقات المباشرة فى المسألة كانت تشير بكل وضــوح علـــى حدة التنافس، لذلك كان السعى محموماً بين الفريقين من أجـــل أنـــهاء الخلافة لصالح كل منهما، وكان على رأس الفريق الأول الحاكم، الـــذى بدأ مصراً على أن لا يخرج الحكم من يد ابنه الشيخ أحمد مبتدئاً حملـــة من أجل تحقيق ما هو ماضٍ فيه مشيراً فى بداية الأمر وشارحاً لأحـــد المسؤولين البريطانيين أثناء مقابلته له خلال الزيارة التى قام بها لجنيف فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ بأن أمنه الداخلي مهدد بسبب التأثيرات القادمة من الجمهورية العربية المتحدة ومن المتصلين مع مصر وسوريا ذاكـــراً أن هناك حديث يدور حول الشكل الجمهوري لقطر، مضيفـــاً إلـــى ذلـــك تعرضه لضغوط من قبل بعض أفراد أسرته المنشقين عليه، كما أعـــرب عن خشيته من أن تصل الأمور إلى الحد الذي وصلت إليه فى البحريـــن وخاصة أنه تلقى تقارير من عدة جهات تحذر من ذلك، وطلب الشـــيخ فى نهاية المقابلة من المسؤول البريطاني مساعدة حكومته له فى اتخـــاذ أى عمل من شأنه أن يوقف هذا التدهور فى الوضع الداخلي [٢٠].

ونميل إلى الاعتقاد بأن الشيخ علي من خلال إبداء مخاوفه تلـــك كان يهدف فيما يبدو إلى خلق انطباع لدى المسؤولين البريطانيين بأنـــه أصبح غير قادر على الإمساك بزمام الأمور وأنه لابـــد مـــن شـــخص معترف به رسميا مثلا كولي للعهد وخليفة له يساعده فى تدبير شـــؤون الدولة بحزم، وهذا ما حدث بالفعل حينما طرح اسم ابنه الشـــيخ أحمـــد كولي للعهد وخليفة له فى الحكم أثناء الزيارة التي قام بها لبريطانيا فـــى أغسطس ١٩٥٩ حاثا الحكومة البريطانية عبر أحـــد المســـؤولين فـــى

وزارة الخارجية البريطانية على دعمه فى الموضوع حتى ولو كانت هناك معارضة مؤكدا بأنه لا يود التنازل فى المستقبل القريب إلا أنه يحبذ حسم الموضوع خلال حياته، خاصة وأن صحته ليست على ما يرام وقد أثرت مسؤوليات الحكم عليها وهو عجوز ومتعب ويواجه احتمال الموت مشيرا فى الوقت ذاته إلى سابقة البحرين حيث خلف الشيخ سلمان والده مبديا حرصه وتأكيده بأنه سوف يقوم بالتشاور مع الأعضاء الكبار من الأسرة الحاكمة وأنه لن يتم ترشيح الشيخ أحمد ما لم يتلقى الدعم اللازم من الأسرة أو الشعب [٢١].

لم يجد الشيخ علي أى صدى لما أبداه من مبررات وأسباب من أجل مساعدته في تعيين ابنه الشيخ أحمد كخليفة له فىالحكم لدى المسؤول البريطاني بل بالعكس لقد فاجاه حينما ذكره بالوثيقة التى كتبها والده الشيخ عبد الله ونص فيها بأنه يخلف الحكم أحد أبناء أخيه الشيخ حمد وبالتحديد الشيخ خليفة، فرد عليه الشيخ علي بأن هذه الوثيقة لم تعد لها قيمة، حيث أنه لم يكن حاكما فى ذلك الوقت وأنه كحاكم يستطيع الآن أن يصدر قرارا جديدا[٢٢].

والحقيقة التى يجب تأكيدها هنا أن ما أشار إليه المسؤول فى الخارجية البريطانية هو فى الواقع صحيح إذ كان ذلك معروفا لدى الناس جميعا أن الشيخ عبدالله بن جاسم قد أخذ على ابنه الشيخ علي قبل استلامه الحكم تعهدا أن يؤول الحكم من بعده لأحد أبناء أخيه الشيخ حمد وبالتحديد الشيخ خليفة.

وحقيقة الأمر أنه على الرغم مما أبداه مسؤول الخارجية البريطانية من تحفظ تجاه مسعى الشيخ علي السابق إلا أن السلطات البريطانية كانت على قناعة أنه لابد من حسم موضوع خلافة الحكم قبل موت الحاكم وعلى ضرورة أن يكون انتقال السلطة وفقا للإجراءات المعروفة والعادية[٢٣].

وما هو جدير بالإشارة إليه أن السلطات البريطانية استغلت مسألة الخلافة والتنافس حولها فى الضغط على الحاكم لتمرير بعض المشاريع ذات الطابع الإصلاحي وخاصة فى النواحى الإدارية والمالية كانت قد اقترحتها منذ فترة ولعدة مرات، ولكنها كانت تجمد من قبل الحاكم الذى اتبع حينئذ أسلوب المماطلة والتسويف، وكان من أهم تلك الاقتراحات اقتراح المستشار البريطاني هانكوك Hancock فى الدوحة فى ١٩٦٠ بشأن اتخاذ خطوات لتوسيع قاعدة الحكم تنبنى على الأسس التالية :

١- تعيين مجلس عال مكون من عدد صغير، يكون أعضاؤه من الشخصيات البارزة ليقوم إلى جانب الحاكم بممارسة الوظائف التنفيذية العليا للحكومة، وخاصة إجازة تقديرات الميزانية.

٢- تعيين مجلس شورى يمثل مختلف المصالح والتوجهات فى قطر، يكون وظيفته مناقشة أية مسالة تحال إليه من قبل الحاكم وتقديم النصيحة بشأنها.

٣- تعيين قطريين وبالتدريج ليكونوا رؤساء للدوائر الحكومية.

٤- تأسيس مجلس لمدينة الدوحة له صلاحيات ووظائف محددة[٢٤].

غير أن الاقتراح لم ير النور وظل حبيس أدراج الحكومة، رغم أهمية ما جاء فيه ويبدو لنا أن سبب ذلك هو الصراع الذى كان محتدما آنذاك حول خلافة الحكم الذى سيطر على تفكير الحاكم حيث سعى كل من الشيخ أحمد والشيخ خليفة إلى عدم إغضاب أى شخص قد يحتاجان إلى دعمه لأنهما ربما كانا على قناعة أنه فى حالة تطبيق الاقتراح المذكور سيؤدي إلى ظهور منافسة حول رئاسة وعضوية المجالس المذكورة مما يعني وضعهما في وضع محرج أمام مؤيديهما، الذين يعقدون الآمال عليهما فى الحصول على مراكز ذات قيمة فى تلك المجالس وهما لا يستطيعان فعل إي شئ لهم خاصة فى ظل المنافسة الدائرة بينهما آنذاك حول خلافة الحكم.

وفى هذا الجو المشحون بروح الخلاف الناجم عن الصراع الخفي حول الخلافة إلى جانب عدم وجود إدارة منظمة للحكومة بدأ الوضع الداخلي في التوتر بشكل كبير وبدا يطغى على ساحة البلاد نوع من ازدواجية السلطة إلى جانب مواجهة البلاد وضعا ماليا صعبا، بالرغم من الزيادة الكبيرة فى عوائد النفط، بسبب تفاقم الخلل فى المركز المالي فى عام ١٩٥٩ بعد أن زادت مصاريف الأسرة بحيث اصبح نصيب الأسرة الحاكمة من العوائد نحو ٤٥٪ من الدخل العام مضافا إليها الخدمات المجانية مما أدى إلى تراكم الديون بسبب الاستدانة المتكررة من التجار والبنوك، وكان موقف الحاكم إزاء ذلك موقفا سلبيا بل أكثر من ذلك فإنه لم يتخذ اي إجراء حاسم لإيقاف التقلص الذي لحق بسلطاته[٢٥] مما كان يعنى وقوع البلاد فى منزلق خطير فى فترة بدأت فيها درجة التذمر فى التصاعد من قبل بعض شرائح المجتمع التي بدأت تتأثر بالروح التقدمية والإصلاحية الناتجة عن انتقال تياراتها من المنطقة العربية وخاصة من مصر كالتيار الناصرى وتيار الحركة القومية العربية

وأضحت تأثيراتها واضحة فى أوساط عمال النفط فى بداية الأمر، حيث قاموا بمجموعة من الإضرابات المتكررة مع بداية الخمسينات كانت فى أغلبها ذات طابع مهنى الهدف منها تحسين أوضاعهم المعاشية والمعيشية بالإضافة إلى اتخاذها طابعا سياسيا تعبر عن موقف وطنى وعربى ضد الدول الاستعمارية خاصة بريطانية وفرنسا أثناء العدوان الثلاثى على مصر، وتعضيد الثورة الجزائرية، وقد بدات تتسع دائرة الإضرابات مع مرور الايام فلم تعد مقتصرة على فئة العمال بل بدأت تشمل الأعيان والتجار والطلاب والقبائل وبدأت تأخذ طابع الدعوة إلى الإصلاح الداخلي، وفى الوقت ذاته صاحب نلك ظهور قوة بدات فى التعاظم فى أوساط الأسرة الحاكمة وبعض الاسر التى ترتبط معها بعلاقات مصاهرة والتي بدأت تتذمر بشأن عدم توزيع عائدات النفط بشكل عادل وكان على رأس هذه القوة آل الأحمد من نفس الأسرة الحاكمة والتي بدأت التعاون مع العناصر المناهضة لبريطانيا وبعض الشخصيات المحلية كعبدالله درويش[٢٦] وغيره وممارسة الضغوط على الحكومة للقيام بدور سياسي بارز[٢٧].

وإزاء على الوضع هذا الحرج كان لابد من التحرك السريع من قبل الفرقاء المعنيين، سواء الحاكم أو المناوئين لسياسته ومعهم قطاع من الأسرة الحاكمة لإيجاد حل، وخاصة بعد دخول مستجد خارجي جديد وهو وصول الشيوعيين إلى السلطة فى العراق وهو أمر قد يشعل الموقف فى الداخل ويحمس أصحاب التيارات التقدمية والوطنية بأعمال مناهضة ضد الحكومة، وكان الحل الذي بات الجميع على قناعة تامة به هو ضرورة أحداث تغيير سياسي فى بنية الحكم وكان على رأس هؤلاء زعماء آل ثاني الذين وجدوا في الوضع غير المستقر تهديدا لنفوذهم وامتيازاتهم وشاركتهم فى ذلك

السلطات البريطانية التي باتت مقتنعة بضرورة إقامة حكومة مستقرة وإجـراء إصلاح مالي وعدم ترك مسألة الخلافة معلقة دون تدخل جذري خوفا علـــى مصالحها، التى بدأت المستجدات الجديدة تهدد استمرارها، أو على الأقل الحد منها، ولذلك كانت جميع المؤشرات تدل على أن عزل الشيخ علـــي اصبـح ضرورة يتطلبها استقرار الوضع الداخلي فى البلاد، ولكن ليس قبل حل مسألة الخلافة المتنافس عليها من كل من الشيخ أحمد والشـــيخ خليفــة كمــا هــو معروف، ومن أجل ذلك اجتمع زعماء الأسرة الحاكمة وبعد مفاوضات وافقت الأغلبية على تعيين الشيخ أحمد بدلا عن والده كحاكم وتعيين منافسه الشـــيخ خليفة وليا للعهد ونائبا للحكم، الذى وافق حينما رأى أن هذا هو رأى أغلبيـــة كبار رجال الأسرة من آل ثاني(٢٨).

ويمكننا تفسير موافقة الشيخ خليفة على ذلك، مع أن فيها انتقاص لحــق من حقوقه طالما دافع عنه طوال العشر سنوات الماضية، دليلا على عقلانيــة الرجل، بحسب اعتقادنا، إذ كان يضع فى حساباته مصلحة الأسرة ككل لأنـــه كان يدرك أنه في حالة استمرار المشكلة سيؤدي ذلك إلى المزيد من الانشقاق في داخل الأسرة ووصول الأمور إلى مرحلة الصدام المباشر الذي ربما يدخل بالبلاد في صراعات وحروب أهلية قد يستغلها البعض للقفـــز علـــى الحكـم وإخراج الأسرة من السلطة، وخاصة أن الوضع كان مهيأ لحدوث مثل ذلــك، وبخلاف ذلك يمكن تفسير موافقة الشيخ خليفة على إنها موافقة آنية من أجــل تخطي الوضع الحادث آنذاك، وانتظاره فرصة مواتية لإرجاع حقه، وهذا مــا حدث بالفعل بعد نحو أثنتى عشر عاما حينما قام بحركته التصحيحية وذلك في ٢٢ فبراير عام ١٩٧٢ والتي انتهت بعزل الشيخ أحمد وتسلمه مقاليد السلطة.

وبناء على ما تم فى اجتماع زعماء أسرة آل ثاني بدأ العد التنازلي لانتقال السلطة من الشيخ علي إلى ابنه الشيخ أحمد، إذ أعلن الشيخ علي فى ١٤ أكتوبر قرار تنازله عن الحكم بسبب الظروف الصحية التي كان يمر بها[٢٩] كما قام بتبليغ قراره إلى الحكومة البريطانية بواسطة مقيمها السياسي بالإنابة فى الخليج في ٢٤ أكتوبر ١٩٦٠[٣٠] وفى الوقت ذاته تلقت الحكومة البريطانية وبواسطة معتمدها السياسي رسالة موجهة من الشيخ أحمد يبلغها فيها بقبوله حكم البلاد مؤكدا بأنه سوف يعمل وفق شروط المعاهدة الموقعة عام ١٩١٦ بين جده الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني وبين الحكومة البريطانية متعهدا باحترام كل الالتزامات التي تضمنتها المعاهدة المذكورة وكل الاتفاقات التى تلتها والتي أبرمت بين البلدين[٣١] وبعد الانتهاء من ذلك جرت مراسيم تسليم السلطة بين الوالد والإبن، وفى حضور عدد من أفراد الأسرة والمعتمد السياسي البريطاني بالإنابة وعدد من رجال الدين والزعماء والأعيان كممثلين للشعب، الذين أصدروا بيانا يؤيدون فيه عملية انتقال السلطة من الشيخ علي إلى الشيخ أحمد، ويعلنون فيه تأييدهم لتعيين الشيخ خليفة بن حمد وليا للعهد ونائبا للحاكم[٣٢] وبذلك انتقلت مقاليد الحكم فى البلاد وبشكل طبيعي فى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٠.

وهكذا أسدل الستار عن أصعب مشكلة واجهت قطر والسلطة السياسية فى تاريخها المعاصر، ولكن مع ذلك ظلت بعض الأمور عالقة بين الشيخ أحمد، الحاكم الجديد وولي عهده ونائبه الشيخ خليفه وخاصة فيما يتعلق بالشؤون المالية، إذ حاول كل منهما أن يكون له القول الفصل في كل ما يتعلق بذلك وإن كان هذا الصراع بدأ خفيا ولكن مع مرور الوقت بدأ يلقي بظلاله وبشكل جلي على كل الأمور التي كانت تتعلق بالقضايا المالية في

البلاد مما كان مؤشرا على بداية صراع جديد بين المتنافسين انحسم في فبراير عام ١٩٧٢ بقيام الشيخ خليفة بن حمد بعزل الشيخ أحمد بن علي الحاكم بواسطة حركته التي أطلق عليها حركة ٢٢ فبراير التصحيحية كما مربنا.

وخلاصة القول أنه منذ ظهور مسألة خلافة الحكم في قطر في بداية الخمسينات والتوصل إلى مخرج لها في نهاية الستينات، نلاحظ أن هذه المسالة خلال تلك الفترة تركت تداعيات كبيرة كانت لها انعكاساتها السلبية على الوضع الداخلي، كان من أبرزها الجمود الإدراي والإفلاس المالي لخزينة البلاد مما أثر في تأخير عمليات التنمية الداخلية بالإضافة إلى ذلك جعلت الأمن الداخلي غير مستقر بسبب انشغال أهل القرار السياسي فى مشكلة الخلافة، وكذلك قيام حركة مناهضة كان أقطابها من ذوي الأفكار التقدمية الذين كانوا يشكلون نواة لحركة معارضة للحكم إلتم شملهم مع مجموعة من أبناء الأسرة الحاكمة والأعيان والقبائل وعمال النفط محاولين إحداث شئ ما ضد السلطة، وفما كان من السلطة حينما استشعرت الخطر أن قامت بقطع الطريق عليهم وعالجت الموقف باتخاذ قرارها بإيجاد حل لمشكلة الخلافة التى طال أمدها بالتوصل إلى حل مرض للجميع كما مر بنا.

ومن ناحية أخرى هناك ملاحظة يجدر الإشارة إليها في هذه الدراسة هي أن الشعب خلال الصراع حول الخلافة كان بعيدا كل البعد ولذلك لم يكن له دور فى تغليب منافس على آخر، يضاف إلى ذلك أنه لم يأخذ رأيه بشأن المتنافسين، لا من قريب ولا من بعيد، اعتقادا من الاسرة الحاكمة بأن امور الحكم والسلطة ليست من اختصاصات الشعب بل اختصاص الأسرة ذاتها

وهذا الأمر فى الحقيقة ليس مقتصرا على قطر بـــل يعـــد ظـــاهرة منتشـــرة ومتغلغلة فى جميع إمارات الخليج العربي، ولذلك فجميع أهل السلطة وأسرهم لا يشعرون بأهمية دور الشعوب في تقليدهم دفة الحكم فى بلدانهم، إذ كـــانوا يعتبرون دور الشعوب لا ينبغي أن يتجاوز دور المبايع والمبـــارك للخطـــوة الجديدة وهذا ما يتنافى مع أبسط الحقوق سواء الشرعية أو الوضعية لأنه مـــن المفروض أن تكون الشعوب هي صاحبة القرار فى اختيار حكامها وإدارة دفة شؤون الحكم فيها.

هوامش البحث

١- إبراهيم شهداد. تطور العلاقة بين شركات النفط ودول الخليج العربي منذ عقود الامتياز الأولى حتى عام ١٩٧٣، قطر الوطنية، الدوحة ١٩٨٥، ص ١٤٤.

2- F.O. 37/1016/63, Extract from Qatar diary, 21 April-20 may. 1950.

٣- الأحمد: هم فرع من الأسرة الحاكمة وجدهم هو الشيخ أحمد بن محمد أخ المؤسس الحقيقي للإمارة القطرية الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني.

4- F.O. 37/1016/63/ Report form political office, British Agency, Doha, 28 Sep. 1950.

5- F.O. 37/1016/63, Loc. Cit.

6- 371/82033, The British Political Resident, Bahrain, To G.W.Eorlong, Foreign Office, London, 13 May 1950.

7- F.O. 371/127009, Letter From Political Agency, QATAR, To Burrows Political Resident, Bahrain, 13 March 1957.

8- F.O. 371/127009, Letter From Political Agency, QATAR, To Burrows Political Resident, Bahrain, 10 March 1957.

9- 371/127009, Letter From Political Resident, Bahrain, To Foreign Secretary, 21 March 1957.

10- F.O. 371/127009, Letter From Political Agency, Qatar, To Burrows Political Resident, Bahrain, 13 March, 1957.

11- F.O. 371/12009, Foreign Office Note on Qatar Succession by D.M.H. Riches, 8 April 1957.

12- F.O. 371/1016/519, Letter form Political Agency in Doha, To Political Resident, Bahrain, 30 October 1956.

13- F.O. 371/1016/519, Loc-cit.

14- F.O. 371/1016/519, Summary of events in Qatar between 13 october 89 November 1957.

15- F.O. 37/132759, Letter form Foreign Office London, To Political Resident in Bahrain, 30 July 1958.

16- F.O. 371/140064, Report Affairs Qatar during 1958.

١٧- من كبار التجار في قطر وكان يرافق الشيخ على فى تحركاته وسفره وكان يستشيره الشيخ في بعض الأوقات في القضايا المحلية وغيرها...

18- F.O. 371/140064, Loc. Cit.

19- F.O. 371/140064, Loc.cit.

20- F.O. 371/140064, Loc.cit.

21- F.O. 371/132759, Record of discussion with ruler of Qatar, 15-16 August 1958.

22- F.O. 371/132759, Loc.cit.

23- F.O. 371/132785, Telegram form Foreign Secretary to The ruler of Qatar, 16 September 1958.

24- F.O. 371/149172, Report form Political Agent, Doha, To Ruler of Qatar, 11 June 1960.

٢٥- موزة الجابر. التطور الاقتصادى والاجتماعى فى قطر ١٩٣٠-١٩٧٣، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٥، ص٣٢٦.

٢٦- عبدالله درويش: من كبار التجار فى قطر وكان بمثابة مستشار حاكم قطر فى بعض شؤون النفط وحلقة الوصل بين الشركة الأنجلو الفارسية والحكومة القطرية.

٢٧- موزه الجابر ، نفس المرجع السابق، ص ٣٣٧.

٢٨- موزة الجابر، نفس المرجع السابق، ص ٣٣٧.

٢٩- قرار صاحب السمو الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر بالتنازل عن حكم البلاد وتولي سمو الشيخ أحمد بن علي آل ثاني مقاليد الحكم فى الدولة فى ١٤ أكتوبر١٩٦٤، قسم الوثائق، قصر الدوحة.

٣٠- نص الرسالة التي أرسلها الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني إلى المعتمد السياسي البريطاني بالإنابة فى الخليج يبلغه فيها بتنازله عن الحكم في ٢٤ أكتوبر ١٩٦٤، قسم الوثائق ، قصر الدوحة.

٣١- نص الرسالة التى أرسلها الشيخ أحمد بن علي آل ثاني إلى المعتمد السياسي البريطاني بالإنابة في الخليج يبلغه فيها قبوله حكم البلاد فى أكتوبر ١٩٦٤، قسم الوثائق ، قصر الدوحة.

٣٢- بيان ممثلي الشعب بشأن تنصيب الشيخ أحمد بن علي آل ثاني كحاكم والشيخ خليفة بن حمد آل ثاني كولي للعهد ونائبا للحكم، أكتوبر ١٩٦٤، قسم الوثائق ، قصر الدوحة.

المصادر والمراجع

أولا : الوثائق

أ- العربية

١- قرار صاحب السمو الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني حاكم قطر بالتنازل عن حكم البلاد وتولي سمو الشيخ أحمد بن علي آل ثاني مقاليد الحكم - الدوحة ١٤ أكتوبر، قسم الوثائق، قصر الدوحة.

٢- نص الرسالة التي أرسلها الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني إلى المقيم السياسي البريطاني بالإنابة فى الخليج يبلغه فيها تنازله عن الحكم في ٢٤ أكتوبر ١٩٦٤، قسم الوثائق ، قصر الدوحة.

٣- نص الرسالة التى أرسلها الشيخ أحمد بن علي آل ثاني إلى المقيم السياسي البريطاني بالإنابة في الخليج يبلغه فيها قبوله حكم البلاد فى أكتوبر ١٩٦٤، قسم الوثائق ، قصر الدوحة.

٤- بيان ممثلي الشعب بشأن تنصيب الشيخ أحمد بن علي آل ثاني كحاكم والشيخ خليفة بن حمد آل ثاني كولي للعهد ونائبا للحكم، أكتوبر ١٩٦٤، قسم الوثائق ، قصر الدوحة.

ب - الأجنبية

1- F.O. 37/1016/63, Extract from Qatar diary, 21 April-20 may. 195.

2- F.O. 37/1016/63/ Report form political office, British Agency, Doha, 28 September 1950.

3- F.O. 371/82033, The British Political Resident, Bahrain, To G.W.EOR/ONG, Foreign Office, London, 13 May 1950.

4- F.O. 371/127009, Letter From Political Agency, QATAR, To Burrows Political Resident, Bahrain, 13 March, 19.

5- F.O. 371/127009, Letter From Political Agency, QATAR, To Burrows Political Resident, Bahrain, 10 March 1957.

6- 371/127009, Letter From Political Resident, Bahrain, To Forier Secretary, 21 March 1957.

7- F.O. 371/12009, Foreign Office Note on Qatar Succession by D.M.H. Riches, 8 April 1957.

8- F.O. 371/1016/519, Letter form Political Agency in Doha. To Political Resident, Bahrain, 30 October 1957.

9- 371/1016/519, Summary of event in Qatar between 13 October 89 November 1957.

10- 371/132759, Letter from Foreign Office London, To Political Resident in Bahrain, 30 July 1958.

11- 371/140064, Report Affairs Qatar during 1958.

12- F.O. 371/132759, Record of discussion with ruler of Qatar, 15-16 August 1958.

13- F.O. 371/132785, Telegram from Foreign Secretary to The ruler of Qatar, 16 September 1958.

14- F.O. 371/149172, Report From Political Agent, Doha, To Ruler of Qatar, 11 June, 1960.

ثانيا: المراجع

١- إبراهيم شهداد. تطور العلاقة بين شركات النفط ودول الخليج العربي منذ عقود الامتياز الأولى حتى عام ١٩٧٣، الدوحة مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٥.

٢- موزة الجابر. التطور الاقتصادى والاجتماعى فى قطر ١٩٣٠-١٩٧٣، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩٥.

أصداء المعاهدة السورية الفرنسية عام ١٩٣٦
في الصحف المصرية

د/ إيمان محمد عبد المنعم عامر
كلية الآداب - جامعة القاهرة

منذ تطبيق نظام الانتداب على سوريا وهى رافضة له شأنها فى ذلك شأن كل الأقطار العربية التى خضعت للانتداب كارهة . ولم تكن اضطرابات عام ١٩٣٦ وليدة وقتها فقد كانت الثورة كامنة فى النفوس حتى وان ساد الهدوء الظاهرى بعض الوقت ، ذلك أن سياسة الانتداب الفرنسى اقامت جهاز سياسى وادارى قائم على وسائل القمع ، كما أن حكومة الشيخ تاج الدين الحسنى كانت تمثل الجهاز التنفيذى لسياسة الانتداب الفرنسى المجحفة لحقوق السوريين بالاضافة الى أن ارهاصات الحرب العالمية كانت قد بدأت تلوح فى الافق نتيجة لتدهور العلاقات الدولية فى أوربا ، مما هيأ الفرصة لشعوب العربية ومنها الشعب السورى للتحرك الوطنى والشعبى للتخلص من قيود الانتداب ، وايجاد نوعية جديدة فى العلاقة بينهم وبين دول الانتداب.

وذا كان ممثل فرنسا فى عصبة الامم قد ربط أمام لجنة الانتدابات الدائمة بين الاضطرابات فى سوريا والاحداث فى مصر فذلك يدعونا للتوقف اولاً عند لتأثير المصرى فى الاحداث السورية .

التأثير المصرى فى الحركة الوطنية السورية :

فى اعقاب الحرب العالمية الاولى وعلى اثر حرب الثورات الاقليمية التى قامت فى مصر وسوريا والعراق وفلسطين للمطالبة بالاستقلال ، بدأ التفاعل يتزايد بين هذه البلدان ويتخطى الحواجز بفضل الوسائل الحديثة ، وكان للصحافة دورها الهام فى نقل الاخبار وخلق رأى عام حول الاحداث وأصبح للصحف المصرية مراسلوها فى فلسطين وسوريا ولبنان والعراق يتابعون تطور الاحداث فى هذه الاقطار ، واصبحت الصحف تبذل اهتماما اكبر بدارسة اوضاع البلاد العربية .

كما اصبح ما يجرى فى مصر يجد صداه فى الاقطار العربية الاخرى . وبدأ المثقفون المؤمنون بقضايا الشعب فى مصر يدركون أن قضية شعب مصر لا تنفصل عن قضايا الأمة العربية [١] .

والحقيقة أنه كان هناك ارتباط بين الفكر والعمل العربى والقومى فى كل من العراق وسوريا ومصر وركز هذا على العمل على انتزاع مقدار اكبر من الحكم الذاتى من يد الدول المنتدبة ، وذلك بإقامة التظاهرات والقيام بالثورات ومناشدة وجدان بريطانيا وفرنسا الليبرالى [٢] . ومع أن سوريا كانت تعد فى ذلك الوقت مركز الشعور القومى العربى ومع أن فكرة القومية العربية قد برزت فيها اولا [٣] الا أن العراق كانت اول من حققت اهدافها بفضل سياسة بريطانيا فيها التى آثرت أن تمنح العراق بالمعاهدة البريطانية العراقية الاستقلال وعضوية عصبة الامم ، مقابل التحالف السياسى معها والابقاء على قواعد جوية لها فى البلاد . أما فرنسا فقد كانت اقل ميلاً

للدخول فى مثل هذه الاتفاقيات فتمنعت لفترة عن ابرام المعاهدات مع سوريا ولبنان [٤] . ولأن مصر قد أصبحت مركز الثقافة العربية بفضل صحفها ودور النشر فيها بدا تأثيرها واضحا وخاصة بعد توقيع المعاهدة البريطانية المصرية سنة ١٩٣٦ فقد اعطاها ذلك حرية نسبية فى سياستها الخارجية ، فاتجه نفوذها مجددا - كما كان دوما - الى محيطه الطبيعى أى المنطقة العربية شرقا [٥] .

وكان هناك وعى كامل بهذا الارتباط الوثيق بين الحركات الوطنية العربية وبعضها البعض لدى الكتاب والساسة الفرنسيين انفسهم كما يتضح من مقال الكاتب الفرنسى " جان ريميه " الذى نشر فى الصحف المصرية وعاب فيه الكاتب على فرنسا موقفها من الخلاف الايطالى - الحبشى ، الذى يثير عليها المشاكل فى الداخل وفى المستعمرات والبلاد المشمولة بالانتداب ، حيث رأى أن موقف فرنسا المتردد المرتبك قد اثار اهتمام ويقظة الشعوب المرتبطة بها ، مما دعا الكثيرين الى التفكير باستثمار هذا الموقف للمطالبة بتحقيق مطالبهم ، فالمصريون قاموا وبدأوا يستثمرون موقف انجلترا من ايطاليا والخوف من نشوب حرب اوربية ففازوا بمطالبهم ، ووجدت انجلترا نفسها مضطرة لاجابة مطالبهم مخافة أن يضطرها الموقف الدولى للدخول فى حرب مع ايطاليا .

وقد أثارت حوادث مصر ، اهتمام السوريين فقاموا بدورهم يحلولون استثمار ارتباك فرنسا ، والخوف من نشوب حرب اوربية ، ويطالبون بتحقيق مطالبهم على غرار المصريين ، وحذر الكاتب من أنه اذا اجيبت مطالب السوريين فسوف يقوم التونسيون والجزائريون والمراكشيون

يستثمرون - بدورهم - الفرصة ويحاولون تحقيق مطالبهم . فى حين أنه لـــو وقفت فرنسا موقف الحياد ، ولم تزج بنفسها فى الارتباكات الدولية ، لأمنـــت شر الحركات فى افريقيا والشرق ولما وجدت نفسها مضطرة لمراعاة أحـــد ، مهمـــا كان موقف انجلترا فى مصر أو سواها [٦] .

كما أن الصحف المصرية أخذت تبث مقالاتها التـــى تدعـــو فرنســـا لتدخل مجال المفاوضات مع زعماء البلاد للوصول الـــى معـــاهدة تصـــون مصالحها وتضمن للبلاد تحقيق مطالبها المشروعة وحقوقها الثابتة وتحذو فـى ذلك حذو بريطانيا فى مصر .. [فإذا كانت حوادث مصر قد أثارت بـــالامس عطف سوريا فنهضت تؤيدها فى حركتها فإن حوادث ســـوريا اليـــوم تثـير عطف مصر وتحملها على الوقوف الى جانب شقيقتها ، فإذا قلنا اليوم " كلنـــا فى الهم شرق " ، فإننا سنقول غداً " كلنا فى العزم شرق " [٧]] .

وكان من المنطقى أن تنشر جريدة الايام الدمشقية مقالاً مشابهاً دعـت فيه أن تقوم الصداقة بين سوريا وفرنسا على الاساس الـــذى قـــامت عليـــه صداقة انجلترا والعراق ، أو الصداقة التى تقوم بين انجلترا ومصر [٨] .

وفى تحليل نشرته " كوكب الشرق " عن السياسة الاستعمارية نقلـــت عن جريدة " الايـــام " الدمشقية أن هناك دلائل على وجود مؤامرة انجليزيـــة ضد فرنسا أو ضد الانتـــداب الفرنسى فى سوريا ، وأن بداية تلك المؤامـــرة كانت فى حل انجلترا لقضاياها مع البـــلاد المجـــاورة ومنحـــها العراقييـــن والمصريين والاردنيين والهنود قسماً كبيراً من مطالبهم وقضت على نظـــام الانتداب . ثم وقف " لويد جورج " فى مجلس العموم البريطـــانى وقـــال : "

يجب أن يعاد توزيع الانتدابات من جديد اذا أردنا أن يسود السلام ؟! ومعنى ذلك أن انجلترا ترغب فى اعادة النظر فى معاهدة فرساى واعادة توزيع الانتدابات بعد أن أصبحت بدون " بلاد منتدب " عليها وأن الغاية الوحيدة الأن هى توزيع انتدابات فرنسا على ايطاليا وألمانيا .

ويذكر الكاتب الفرنسى " روبير بوكار " ان انجلترا بدأت مؤامراتها عندما ساعدت الثائرين السوريين والدروز ضد الجيوش السورية ويجب أن ندرك أن ما يتم بين باريس ولندن من مفاوضات ودية لا يتفق والسياسة الخفية ضد فرنسا فى الشرق (٩) .

ولا شك أن فرنسا لم تنسَ أن انجلترا كانت ترسل الذخائر والمعدات العسكرية والمؤن بالسكك الحديدية الى شرق الاردن ثم ينقلونها بالقطارات وظهور الجمال ، ثم يقوم زعماء الثورة وعلى رأسهم عبد الرحمن شهبندر بتهريبها الى جبال الدروز (١٠) .

ومن وجهة نظر أخرى رأت جريدة وادى النيل أن هناك تماثل فى الموقفين الانجليزى والفرنسى بالنسبة لمصر وسوريا مما ينهض دليلاً على الطبيعة الاستعمارية المشتركة ، كما أن التعاون الاستعمارى بينهما فى الشرق هو من المسائل التى ظلت بمعزل عن تيار المنافسات فى شئون كثيرة.

كما أشارت الجريدة الى اقتداء شعوب الشرق بمصر فى حركتها الوطنية السورية التى أرغمت ادارة الانتداب الفرنسى على اتخاذ بعض

اساليب الترضية للشعب . وختمت الجريدة مقالتها آملة أن يكون عام ١٩٣٦ عام الحرية لمصر وسوريا على السواء [١١] .

وعلى نفس النمط نشرت جريدة المساء مقالاً عقدت فيه مقارنة بين السياسة الاستعمارية الانجليزية والفرنسية ورد الفعل المصرى والسورى تجاه تلك السياسة موضحة أن الصوت الوطنى الذى ارتفع فى مصر وجد له صدى فى سوريا واتحدت الشقيقتان مصر وسوريا فى المطالبة بالجلاء[١٢].

وفى اطار المقالات الدعائية للحركة الوطنية فى سوريا نشرت جريدة الاخبار مقالاً تاريخيا يتتبع الاحوال فى سوريا منذ كانت تحت الحكم العثمانى وكيف كانت مطمعا للغرب حتى نجح الاستعمار الفرنسى فى السيطرة عليها ، اضافة الى ما احدثه الاستعمار البريطانى من تقسيمه لبلاد الشام تحقيقاً لوعد بلفور ودعت الجريدة الفلسطينيين والسوريين الى النضال فى سبيل تحقيق وحدتهم ودرء خطر الاستعمار مهما تكبدوا من خسائر [١٣] .

وعلى غرار هذا المقال نشرت جريدة الاهرام أيضا مقالاً عن الثورة فى سوريا وأسبابها وشرحت وضع سوريا تحت الحكم العثمانى وكيف تقطعت أوصال سوريا وفلسطين وتقاسمتها انجلترا وفرنسا بمقتضى معاهدة سايكس - بيكو ، ثم اخترعت الدول الاوربية كلمة (انتداب) لكى تحل محل (حماية) أو (أستعمار) . وحللت الجريدة أسباب الثورة السورية فى أنها تكمن فى نزعة الانتداب الفرنسى الى أن يكون الحكم فى تلك البلاد حكماً مباشراً أى لا يكون للوطنيين مسئولية سياسية أو أدارية فى حكم بلادهم [١٤] .

وعلى الجانب الأخر كان لا بد للصحف الفرنسية من ابراز الجوانب الايجابية فى سياسة بلادهم فذكر مسيو " جورج ماير " فى جريدة (البتى باريزيان) أن فرنسا تعهدت بادخال اساليب النظم الحديثة فى سوريا وتحدث عن مشروع المعاهدة الذى تم بين المسيو بونسو وحكومة حقى بك فكانت بذلك أول معاهدة بين فرنسا وسوريا ونتيجة لعدم توقيع مجلس النواب السورى على تلك المعاهدة اضطرت فرنسا – على حد تعبيره – للانتظار لظروف واحوال ملائمة لتحقيق مطالب الوطنيين ، ولم ينسَ المسيو جورج أيضا أن يربط بين الثورة فى سوريا وتأثرها بالاحداث السياسية فى مصر [١٥].

ومع تصاعد الاحداث استمرت الصحافة المصرية فى توضيح مدى الارتباط بين مصر وسوريا فى مجال العمل الوطنى فتحدثت احدى المقالات عن العلاقات بين مصر وسوريا فى ميادين الكفاح موضحا أن الشعبين تعرضا لسلسلة من الوعود والعهود الكاذبة ، وأنه لا يمكن اغفال الروابط المتينة التى تربط بين مصر وسوريا وتجعل القضية واحدة وهى رابطة الاسلام ثم رابطة العروبة ثم رابطة الجوار ، أما الرابطة التى جعلت قضية البلدين واحدة وصوت الشعبين متحداً فهى اتحاد الدولتين الاستعماريتين على استعمارهما والتعاون مع بعضهما على تنفيذ سياسة الاستعمار فى الشعبين ، ومن مظاهر هذا التعاون أن الثورة السورية حينما استفحلت وتغلب الثوار فى جميع المواقع على القوات الفرنسية وتساقطت الوزارات أدركت انجلترا اختها فرنسا بحيلتها الاستعمارية واعطت الشعب السورى وعدا على أن يستقل استقلالا تاما اذا أخلد الى السكينة .

وقد قاسى الشعب السورى ما قاسته مصر من سياسة الوفاق وحسن التفاهم بين القوى الاستعمارية واقتدى هذا الشعب بمصر فى الاستماع لوعود الاستعمار وعندما طالت هذه الوعود أعلن الثورة والاضراب مطالباً بالوحدة والاستقلال التام[١٦].

وكانت هذه الآراء تدور فى اطار فكرة أن الحركة الفكرية فى مصر تسير جنبا الى جنب مع الحركة الفكرية فى الشام . وعلى نفس المنهج ينمو الوعى القومى التحررى فإذا ما انبعث صوت من أحد هذين القطرين تردد صداه فى القطر الآخر [١٧] .

وأصبح الشعبان يجدان عطفا شديداً من جميع الدول الاسلامية والشرقية ومن الدول التى انتهت الحرب لغير مصلحتها . لأن هذه الدول تريد تحرير الشعوب لانعاش التجارة والصناعة واعادة النظر فى الخريطة العالمية [١٨] .

ونشرت جريدة البلاغ مقالاً مشابها يقدم مقارنة بين الاحداث فى كل من سوريا ومصر ومدى التشابه فى كون الطلبة قوام الحركة فى كل منهما ودور المرأة فى الحركة ايضا متشابه فى القطرين [١٩] . وفى اطار هذه الفكرة نشرت جريدة البلاغ خبر تحت عنوان " الاقتداء بالسياسة التى اتبعت فى مصر " جاء فيه أنه قد تم الاتفاق بين السيد هاشم الاتاسى والكونت دى مارتل على الاقتداء بالسياسة التى اتبعت فى مصر وتأليف وفد للمفاوضة مكون من أربعة اعضاء من الكتلة الوطنية واثنين من المعتدلين [٢٠] واتفق دى مارتل مع حكومته فى باريس وتلقى الموافقة على ذلك [٢١] .

وكانت تصريحات المفوض الفرنسى تتناول ما تردده صحف القاهرة عن التشابه بين الحركتين الوطنيتين السورية والمصرية ، ففى تصريح له مع جريدة (الاوريان) فى بيروت قال بأن هناك يقظة قومية عند جميع الشعوب الشرقية ، وليست الاضطرابات السورية سوى حركة سياسية واسعة النطاق ترمى الى احداث الفتن . والشبه بين اضطرابات القاهرة واضطرابات دمشق شبه بارز جداً فالحركة فى سورية وفى مصر واحدة مثل مظاهرات الطلبة والشباب والمدارس والاصطدام بالبوليس ورشق القطارات والمخافر بالحجارة ، يضاف الى ذلك مقاومة صامتة تلائم مزاج الشعب الدمشقى وهى الاضراب واغلاق الاسواق [٢٢] .

وعبرت الصحافة المصرية عن سعادتها الشديدة لسلوك فرنسا الجديد نحو سوريا بالتفاهم مع كتلتها الوطنية ومفاوضتها لعقد ميثاق حرية واستقلال وسيادة لا يقل فى مزاياه عن المعاهدة الانجليزية العراقية . وأملت تلك الآراء بأن جدية فرنسا فى اعطاء سوريا حريتها لا يقتصر نفعه على سوريا وحدها. بل يؤثر فى القضية المصرية تأثيراً عميقاً . لأنه يصعب على الانجليز أن يدعوا المسألة المصرية معلقة اذا سويت المسألة السورية تسوية نهائية . واذا نظر المصريون الى جارتهم التى كانت واقعة تحت الانتداب الفرنسى فوجدوها قد استقلت وتقدمت للالتحاق بعصبة الامم [٢٣] .

ونلمس التفاعل والتواصل بين القضيتين من خلال مقال أدبى بليغ للاستاذ احمد حسن الزيات بعنوان " تاريخ يثور " كتب فيه : " على ضفاف الوادى وهضبات فلسطين ورياض سورية ، يثور تاريخ ، ويغضب مجد ، ويستغيث مظلوم .. !! .

على هذه الاقطار الثلاث التى شع منها السـلام والخـير ، يسـتكلب الطمع ، وينفجر البغى . فالمفاوضات وعيد والاحتجاجات حديد ، والمواعيـد مراوغة . فى القاهرة والقدس ودمشق شباب يحمى على لذع البنـادق ودم يفور على مس الاسنة ، وأمل يشرق فى الوجوه الوضيئة .

ان شباب العرب مصريين وسوريين قد اخذوا موثقهم من الدم الشهيد أن يعيشوا أعزة أو يموتوا كراما ، فلا تتحدوا بالعذاب السفيه جنسـا برمتـه وتاريخا بأسره ، ولا تعبثوا بالمعاجم التى تعب فيها اللغويون فتسموا النـهب تنظيما والقتل تعليما والغزو صداقة "(٢٤) .

العامل الاقتصادى فى الحركة الوطنية :

لا جدال فى أن كل المفوضين الذين تعاقبوا على سوريا تباروا فـى مجال ارضاء الشركات الاجنبية وأخذ الارباح . واذا اخذنا مثلا دى مـارتل نجد أنه كان يريد أن يستثمر امواله واموال الفرنسيين ويعطـى زراعة التبـغ وصناعته الى شركة اجنبية دون أن ينظر الى ما يعنيه هذا الاحتكـار مـن اضرار مثل البطالة وشل الايدى العاملة السورية (٢٥) .

وقد تعاون بعض رؤساء الحكومات السورية مـع الفرنسـيين مثـل الشيخ تاج الدين الحسنى الذى منح امتيازات مجحفـة الى شـركات اجنبيـة كشركة المياه فى حلب ، وشركة كهرباء حمص ، وشركة سكة حديد بغـداد ، الامر الذى أدى الى الركود الاقتصادى وكثرة المتعطلين عن العمل (٢٦) .

كما أن التجزئة التى أصابت سوريا الكبرى ووقوعها تحت الانتداب الفرنسى أثر على الناحية التجارية وخاصة بعد وضع الحواجز الجمركية وسلخ المنطقة الساحلية المطلة على البحر المتوسط وضمها الى لبنان (٢٧) .

كما أن الاحوال الزراعية تدهورت نتيجة عدم تشجيع السلطات الفرنسية الحاكمة للمزارعين وذلك بعدم اعطائهم القروض والمساعدات . وما تبع ذلك من هجرة الفلاحين القرى والريف الى المدن ، أما هربا من تعسف السلطات الفرنسية أو للاشتراك فى صفوف القتال والثورة ضد الفرنسيين ونتج عن ذلك أن المحاصيل الزراعية فى سوريا أصبحت قليلة حتى أصبحت تستورد موادا كانت تصدرها فى السابق ، وهذا أثر على الميزان التجارى بصورة مؤكدة (٢٨) .

وعندما تولى دى مارتيل منصبه فى سوريا ، اعترف فى خطاب له أن سوريا اليوم لا تخرج عن المحاصيل الزراعية ما يتناسب مع حاجات سكانها فهى مضطرة الى أن تشترى من الخارج فى كل سنة ما تحتاج اليه من حبوب وغلال بقيمة مائة مليون فرنك . وكان هذا اعترافا من المفوض بفشل السياسة الاقتصادية الفرنسية (٢٩) .

وبالفعل حفلت الوثائق بالعرائض والبرقيات التى قدمها المزارعون الى الحكومات السورية طوال عهد الانتداب (٣٠) .

وقد رصدت الصحف سوء الحالة بالنسبة للمحاصيل السورية ، ومن ذلك ما نشرته على لسان أحد المختصين بالشئون الزراعية فى سوريا جاء فيه " أن الضيق الذى يصادف الزراع لم يحدث نتيجة لظروف طبيعية بل

لأن المنتج الزراعى السورى لا يجد لنفسه سوقاً خارجية بينما ابواب الجمارك مفتوحة للوارد الاجنبى بكثرة " [٣١] .

وخير دليل على مدى سوء الاحوال الاقتصادية هو تمثيل وفد سورى يمثل اللجنة الزراعية لمقابلة المسيو " فان " مندوب المفوض السامى بدمشق حيث سلمه الوفد تقرير اللجنة وفيه وصف لما تعانيه الزراعة من بؤس وشقاء ، ووعد المسيو فان بدراسة التقرير دراسة وافية وأردف كلامه بأن الحالة السياسية الغير مستقرة فى البلاد تعد من ضمن عوامل تردى الاحوال الاقتصادية [٣٢] .

وعندما بدأت الحالة فى الاستقرار النسبى عقد اصحاب الصناعات اجتماعاً لدرس الحالة الاقتصادية على ضوء الحوادث الاخيرة وأجريت لهم مقابلة مع مندوب المفوضية العليا حيث أعربوا عن شكرهم لموقفه نحوهم لدراسة الوسائل التى يمكن بها تخفيف استياء الدوائر المالية من الحالة الاقتصادية [٣٣] .

وفى محاولة للاستفادة من حالة الاستقرار النسبى تلك دعت لجنة التجار الى فتح الاسواق ، الا أن الدعوة لم تلق نجاحاً على مستوى جماهيرى وأستمر الاضراب الذى شمل كل مدن سوريا وفشلت كل الوسائل فى اقناع الاهالى بالعودة الى الحياة الطبيعية [٣٤] .

وقد حدث ذلك بالرغم من محاولة السلطات تخفيف حدتها بأن قامت بفتح مكتب الكتلة الوطنية فى دمشق بعد اغلاقه [٣٥] .

وفى بلاغ رسمى للمفوض السامى صرح " بأن كبار التجار فى الاسواق الواقعة فى وسط مدينة دمشق قد شكوا من الخسائر التى ألحقها بهم اقفال المحال التجارية فحاولوا فتحها غير أن تدخل الطلبة حمل التجار على اعادة اغلاق محالهم ، فاتخذت نحو رؤساء المتظاهرين عقوبات تأديبية . وفى نفس اليوم أذاعت الكتلة الوطنية بيانا تدعو فيه الاهالى الى وقف الاضراب (٣٦) .

وعندما وصل الاضراب يومه الحادى والاربعون نشرت جريدة المقطم تقريراً حول الاحوال الاقتصادية فذكرت أن حركة التجارة توقفت بين سورية ومصر وتكدس لدى التجار أطنان من الارز والسكر والجلود المدبوغة وزيت بذرة القطن والبصل وغيرها من البضائع والمحاصيل المصرية التى كانت تستهلك فى الاسواق المصرية ، وما حدث للصادرات المصرية يقابله شل حركة الواردات السورية وأهمها الجمال والبقر وزيت الزيتون والمشمش وقمر الدين والتين والفاكهة والحلوى المجففة ، كلها انقطع ورودها تماما نتيجة لاغلاق المحال التجارية ووضح من ذلك مدى الارتباط بين مصر وسوريا وتأثر علاقتهما التجارية بحالة الاستقرار السياسى فى كل منهما (٣٧) .

ولا شك أن الاحوال الاقتصادية كانت سيئة للدرجة التى دعت الاقلام السورية للمطالبة بضرورة أن تعود الموارد الاقتصادية فى سوريا ولبنان لايدى أصحابها بعد أن ظلت الامتيازات والاحتكارات فى ايدى الشركات الفرنسية طوال سنوات الانتداب (٣٨) .

دور المرأة فى الحركة الوطنية :

شكلت المؤتمرات النسائية التى عقدت فى مصر أحد المظاهر الهامة للحركة النسائية المصرية ، واعتبرت من المظاهر البارزة لنضوج هذه الحركة [٣٩] . كما شاركت المرأة المصرية فى المؤتمرات الدولية فقد دعيت هدى شعراوى وسيزا نبراوى لحضور المؤتمر النسائى الدولى " بباريس " للمرة الثانية سنة ١٩٣٤ لمقاومة الحرب الاستعمارية والفاشية واجتمعت مندوبات عن نساء العالم للاحتفال بمرور عشرين عام على الحرب العالمية الاولى وأعلن تضامنهن مع اخواتهن نساء الشعوب المضطهدة العربيات والهنديات والزنجيات وجاهدن بعزمهن على جمع الحركة النسائية الاجتماعية والوطنية فى العالم لمقاومة الاستعمار فى البلاد الخاضعة له [٤٠] .

كما شاركت المرأة المصرية فى الحركة الوطنية النسائية فى فلسطين خلال ثورة ١٩٣٦ عندما أرسلت نساء القدس برقية الى هدى شعراوى طالبين منها بذل المساعدة الفعالة من المصريين لاخوانهم فى فلسطين الأمر الذى دعا هذى شعراوى للدعوة لاجتماع جمعية الاتحاد النسائى المصرى فى يونيه ١٩٣٦ [٤١] وكانت مشاركة نساء سوريا فى مثل هذه المؤتمرات والاجتماعات تفتح مجالات التعاون والتواصل بين الحركتين النسائيتين فى كل من مصر وسوريا . فقد حملت العناصر النسائية النشطة فى تلك الفترة مثل بهيرة العظمة وأسما فارس الخورى وسنية وجيه الايوبى وفائزة سامى مردم وسعاد وحكمت مردم [٤٢] ، أسس واساليب المشاركة النسائية فى المطالبة بالحقوق الوطنية خاصة وأن الحركة النسائية المصرية كانت نشطة فى تلك الفترة التى سبقت عقد معاهدة ١٩٣٦ المصرية البريطانية ، وأدى

تشابه الظروف التى تمر بها البلدان الى تشابه نمط المشاركة النسائية فى الحركة الوطنية فى كل من مصر وسوريا .

رصدت الصحف المصرية موقف المرأة السورية من تلك الاحداث فذكرت أن المتظاهرين اتجهوا الى مكتب الكتلة الوطنية الكائن فى منزل السيد ابراهيم هنانو فاشتبكوا مع البوليس الذى اعتقل كريمة المرحوم هنانو وشقيقته لانهما رفضتا الخروج من دارهما .

كما قامت السيدات بمظاهرة كبيرة من منزل آل البارون وذهبن الى القنصلية الانجليزية حيث قدمن احتجاجاً بعد أن عزين فى وفاة الملك جورج ثم قصدن القنصلية ، وطلبت السيدات من القنصل توسط حكومته فى المشكلة(٤٣) .

وتوضح الاحداث أن النساء اشتركن فى المظاهرات حيث نشرت الصحف أن المحكمة الاجنبية نظرت فى قضية سبع سيدات من المتظاهرات وحكمت على احداهن بالسجن ستة أشهر بتهمة القاء الحجارة على الترامواى(٤٤) .

وكانت مشاركة الوفود النسائية العربية فى المؤتمرات النسائية قد خلقت جواً من التعاطف والتواصل ، تلمسه فى مشاركة الحركة النسائية العراقية للقضية السورية وذلك من خلال برقيات التأييد الى الكتلة الوطنية فى الشام وايضا خطابات الاحتجاج الى المفوضية الفرنسية فى بغداد وهيئة الامم (٤٥) .

صدى الاحداث لدى الشعوب العربية :

لا شك أن قضية الاقطار العربية كلها كانت واحدة فى تلك الفترة فكلها كانت تقع تحت نير الاستعمار ولذا كانت الامانى والمشاعر الوطنية تجمع ابناء الشعوب العربية برباط وثيق وأى انتفاضة وطنية فى قطر منها كانت تجد صداها لدى الاقطار المجاورة ، ولذا نجد الحركة الوطنية فى سوريا سعت لاشراك القيادات والشعوب العربية فى قضيتها ، لعل ذلك يكون من العوامل المؤثرة فى القضية ، من ذلك أرسال فريق من الوطنيين برقية مطولة الى الملك ابن سعود عن طريق حيفا ألتمسوا فيها التدخل لمصلحة سوريا ، وتلقت الحكومة العراقية رسالة برقية من سوريا يطلبون فيها التدخل لدى عصبة الامم لمصلحة الحركة الوطنية فى سوريا (٤٦) .

وفى بداية الاحداث والاضطرابات رصدت الصحف ردود الفعل العربية ففى فلسطين عقد رؤساء الاحزاب العربية اجتماع فى يافا بحثوا فيه اوضاع سوريا . ووجه الشباب الاستقلاليون واخوانهم من الشباب الفلسطينى ورؤساء الاحزاب الفلسطينية دعوة الى عقد مؤتمر كبير فى نابلس لبحث الحالة العامة فى سوريا وفلسطين .

وفى اعقاب اغلاق مكتبى الكتلة الوطنية فى دمشق قابل اهالى عمان انباء اعتقال الشباب السورى بالاستياء الشديد وعقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا بحثت فيه الحالة فى سوريا واتخذت قرارات منها ارسال برقية تأييد الى الكتلة الوطنية (٤٧) .

وبالفعل وصلت عدة برقيات من محاميّ بغداد يؤيدون فيها دمشق ووصلت معلومات بعزم فريق من رجال بغداد على اقامة مظاهرة كبيرة تأييداً لسورية . وأرسل فريق من شيوخ العراق ونوابه مذكرة الى هيئة الامم بالاحتجاج على اعمال فرنسا ووقع على المذكرة ناجى باشا السويدى وجميل بك المدفعى ، وزار وفد من المحتجين دار المفوضية الفرنسية ببغداد وسلم المذكرة الى الوزير الفرنسى وأرسلت نسخة منها الى لجنة الانتدابات (٤٨) .

ووضح الاستنكار العراقى للاعمال التعسفية للسلطات الفرنسية فى سوريا ففى اعقاب المظاهرات اجتمع الشعب العراقى بكافة فئاته فى جامع " الحيدر خانه " للصلاة على شهداء سوريا وخطب الحاج " نعمان الاعظمى " منددا بالسياسة الفرنسية الخرقاء فى سوريا وتأييد ابناء العراق لاخوانهم العرب فى سوريا (٤٩) . كما وقع خمسون نائب عراقى على برقية احتجاج لارسالها الى عصبة الامم الى لجنة الانتدابات (٥٠) .

واستمرت المتابعة العراقية للاحداث السورية فدأبت الصحف العراقية على نشر تطورات الحركة الوطنية أولا بأول واستمرت الصحف المصرية فى رصد هذا الاهتمام على اعمدتها ، ووضح موقف الحكومة العراقية من الاحداث فى رد وزير الخارجية العراقى على تساؤل بشأن موقف حكومته بأنه من ليس من مصلحة العراق أن تظل الاضطرابات فى سوريا خاصة وأن النواب يريدون أن يكون لحكومة العراق موقف واضح تجاه تلك الاحداث باعتبارها عضو فى عصبة الامم (٥١) .

وعندما بدأ الاضراب العام فى المدن السورية ، بدأ الاضراب العام فى فلسطين أيضا تضامناً مع أحداث سوريا ، وكانت قد تألفت لجنة فى كل مدينة لادارة حركة الاضراب ، وكانت هذه اللجان متصلة ببعضها البعض وعم الاضراب فى نابلس ويافا وحيفا وعكا والناصرة وغزة وبئر سبع ، أما فى القدس فقد كانت التدابير العسكرية بالغة الشدة فتوزعت القوات البريطانية فى الشوارع والميادين . وحدث صدام بين المتظاهرين وهذه القوات [٥٢] وأصدرت الحكومة أوامرها بمراقبة جميع الوطنيين الذين يشتغلون بالسياسة السورية أولهم اتصال بسورية [٥٣] .

وبالرغم من ذلك استمر الاضراب فى فلسطين وخرج طلاب المدرسة الرشيدية فى مظاهرات وأخذوا يهتفون مطالبين بالاستقلال وسقوط الانتداب والاستعمار البريطانى والفرنسى والصهيونى . ووصلت انباء من نابلس وحيفا ويافا تقول أن طلبة المدارس الحكومية والاهلية فى هذه المؤسسات سيتضامنون مع طلاب القدس فى هذا الاضراب [٥٤] وقررت السلطات البريطانية تقديم الطلاب للمحاكمة بعد اعتقالهم [٥٥] ، وعلقت الصحف على ذلك بأن حركة الطلاب الوطنية فى دمشق وحلب كانت من البواعث المحركة لطلبة فلسطين على القيام بهذه الحركة [٥٦] .

وقائع الحركة الوطنية :

رفضت الحركة الوطنية السورية منذ بدايتها سياسة الضغط والارهاب التى سارت عليها سلطات الانتداب بما فيها من جمع انواع السلطة

فى يد المفوض السامى وخنق الحريات والافكار واستغلال البلاد لصالح سلطات الانتداب [٥٧] .

ووصفت الصحف المصرية بداية تنظيم صفوف الكتلة الوطنية وانشاء مكاتب لها فى المدن الكبرى طبقا للنظام الذى تسير عليه جميع الاحزاب السياسية فى العالم وبدأت بفتح مكتب لها فى دمشق وآخر فى حلب، على أن يتبع ذلك فتح مكاتب اخرى فى حمص وحماة ودير الزور [٥٨] .

وقد بدأت فى تلك الفترة مرحلة جديدة من مراحل النضال هى مرحلة معاهدة ١٩٣٦ وكانت البداية فى اوائل يناير من هذا العام عندما جرت فى سوريا احتفالات بمناسبة ذكرى الاربعين لوفاة الزعيم الوطنى " ابراهيم هنانو " وكانت هذه المناسبة فرصة ليجتمع الوطنيون ويعلنوا أن سياسة المهادنة مع الانتداب هى سياسة خادعة ، ووضعوا فى هذا الاجتماع الميثاق الوطنى " للكتلة الوطنية " التى وضعت على عاتقها المطالبة بالاستقلال [٥٩] .

وكان اعضاء الكتلة يؤرخون للقضية السورية منذ انفصال بلاد الشام عن تركيا فى نهاية الحرب العالمية الاولى وكانت حدود الدولة تمتد من رفح جنوباً حتى حدود طوروس شمالاً ومن البحر المتوسط غرباً حتى الصحراء شرقاً وتضم مقاطعات فلسطين وشرق الاردن ولبنان وسوريا وبلاد العلويين وجبل الدروز ، وحتى معركة ميسلون فى يولية ١٩٢٠ كان الوطنيون يعملون على تاسيس وحدة كاملة وانشاء حكومة موحدة على قاعدة اللامركزية [٦٠] .

وقد ضم المؤتمر السورى الذى اجتمع فى دمشق خلال تلك الفترة مندوبين يمثلون هذه المناطق كما مثل المندوبون هذه المناطق أمام اللجنة الامريكية التى زارتها فى صيف ١٩١٩ للوقوف على رغباتها وأمانيها ولاستشارتها فى نظام الحكم الذى يلائمها فأجمعت اجماعا تاما كاملاً على المطالبة بالوحدة السورية وعلى انشاء حكومة سورية متحدة تكون دمشق قاعدة لها .

وضرب الفرنسيون ضربتهم الكبرى فى ميسلون وقضوا على الحكومة التى انشأها الوطنيون فطاردوا أنصار الوحدة السورية ورجالها وبثوا دعاية واسعة النطاق للتجزئة الحديدة التى نفذوها ، فأقاموا حكومة فى دمشق وأخرى فى حلب وثالثه فى بيروت ورابعة فى اللاذقية وخامسة فى السويداء ، وسادسة فى الاسكندرونة ، وانكمشت المطالب الوطنية تبعاً لهذه " التقسيمات " الجديدة وراحت سوق السياسة الاقليمية ، فشغل الفلسطينيون بسياسة اقليمهم واصبحوا لا يفكرون فى سواه ، وشغل كل اقليم بشئونه الخاصة (٦١) .

المیثاق الوطنى السورى :

أما نص الميثاق الوطنى السورى الذى وضعته الكتلة الوطنية فقد نشر فى الصحف السورية والمصرية موضحا اهداف الكتلة الوطنية كما يلى:

اولا : تحرير البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية من كل سلطة اجنبية وايصالها الى الاستقلال التام والسيادة الكاملة وجمع اراضيها المجزأة فى دولة واحدة ذات حكومة واحدة .

ثانيا : رفض وعد بلفور ومقاومة الوطن القومى الصهيونى .

ثالثا : تأليف المساعى مع العمل القائم فى الاقطار العربية الاخرى لتأمين الاتحاد بين هذه الاقطار ، على ألا يحول هذا السعى دون الاهداف الواجب بلوغها فى كل قطر .

رابعا : تأمين الحرية والمساواة فى الحقوق والواجبات بين افراد الشعب كافة على اختلاف طوائفه ورفع مستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية ونشر الثقافة وتنمية الاخلاق القومية بين جميع الطبقات .

خامسا: اعتبار الأمة جمعاء بكل ما لديها من قوى معنوية ومادية وفقا على هذا الجهاد الوطنى حتى تبلغ اهدافها .

سادسا: توجيه جهود قوى الامة لتحقيق الآمال القومية ولذلك تعتبر الكتلة الوطنية تأليف الاحزاب السياسية فى هذه الآونة مخالفا لوحدة الجهود .

سابعا: اعتبار هذه المبادئ جوهرية فى حياة الأمة وكيانها وكل مخالفة تسقط صاحبها فى حق الانتساب اليها [١٢] .

وجدير بالذكر أنه بعد هذا الاجتماع الذى أعلن فيه الميثاق السورى انشئت بيوت تحمل اسم " بيوت هنانو " لتكون أماكن ليجتمع فيها الشباب المؤيد للوطنيين وقد اعتبرت سلطات الانتداب أن هذا العمل خطير يهدد الامن فى البلاد . ولذلك فإن الممثل الفرنسى فى لجنة الانتدابات الدائمة عندما تعرض للاضطرابات الشعبية قد اعتبر أن حفلة تأبين ابراهيم هنانو وما تمخض عنها هو بداية الاضطرابات التى حصلت عام ١٩٣٦ .

ولذا أصدرت السلطات الفرنسية اوامرها الى دوائر الامن الفرنسى باغلاق بيوت هنانو (بيوت الأمة) فى دمشق وحماة وحلب وحمص . ونتيجة لذلك أضربت المدن السورية فى ١٨ يناير ١٩٣٦ معلنة احتجاجها الصامت على ما فعلته السلطات الفرنسية وعلقت الصحف السورية على اغلاق هذه البيوت التابعة للكتلة الوطنية بقولها : " ان هذا العمل كان أحد الاسباب القوية التى ساعدت على غضبة دمشق ونفرتها " (٦٣) .

وأذيع فى دمشق أن قرار الكتلة الوطنية استقر على تنظيم الشباب الوطنى تنظيماً جديداً طبقاً للنظم الحديثة المتبعة فى ألمانيا وفى ايطاليا وقيل أن القميص الاخضر سيكون شعار الشباب الوطنى (٦٤) .

وهكذا وجهت الى زعماء حركة الكتلة الوطنية عدة تهم منها :

- القيام بأعمال سياسية بغير تصريح .
- تنظيم جماعة " القمصان الخضر " .
- تأليف لجنة خاصة لتنظيم المظاهرات .
- تنظيم فرق للعمال بقصد اعلان الاضراب العام عند الحاجة (٦٥) .

وزاد من حدة المظاهرات اعتقال نائب دمشق " فخرى البارودى " الذى كان فى هذه الفترة يتزعم مجموعة الشباب التى تحولت الى الجناح الشعبى ثم الجناح العسكرى فى الكتلة الوطنية . وكانت السلطات الفرنسية قد أصدرت بعد ١١ يناير جملة تحذيرات تطلب فيها من الزعماء السياسيين اتخاذ جانب الصمت والابتعاد عما يهيج الشعب ولكن البارودى لم يأبه لهذه التحذيرات بل أخذ يتحداها ويكشف سياستها(٦٦) وكان آخر عمل قام به قبل

اعتقاله أن دعا الى مقاطعة شركة الترمواى الفرنسية كنوع مــن الاحتجــاج الجماهيرى ضد مرفق فرنسى فى البلاد ، وفعلاً نجحت دعوته وعلى الآثــر قامت السلطــات الفرنسية بإعتقاله ، وتم الاعتقال بموجب مرسوم كــان قــد صدر اساساً فــى ١٢ ديسمبر الذى ينص على فرض الاقامــة الجبريــة أو النفى ضد كل من يقوم بتصرفات معينة ضد الأمن العام وكان البارودى هــو أول من طبق عليه هذا المــرسوم بعد أن شجب الانتداب الفرنسى بعنف[٦٧].

وكرد فعل للاحوال المضطربة اجتمع اعيان سوريا فى منزل الاستاذ امين سعيد حضره (السيد رشيد مرتضى ، الشيخ هاشم البحــرى ، توفيــق حيدر ، الدكتور حسن احمد ، زكى الطرابيشى) كما أرسل يؤيدهم الدكتــور عبد الرحمن شهبندر وآخرون .

وقرر المجتمعون ارسال برقية الى المفوض السامى الفرنســى فــى بيروت للاحتجاج على سياسة القمع ، كما اجتمع فريق من الشبان الســوريين وأرسلوا الى السيد جميل مردم لتاييده وأرسلوا احتجاج لوزير فرنسا المفوض فى مصر للاحتجاج على أعمال فرنسا فى سوريا [٦٨] .

واندلعت المظاهرات عندما خرج طلاب الجامعة بموكب مــن تكيــة السلطان سليم الى منزل السيد نسيب البكرى حيث كان اعضاء الكتلة الوطنيــة يعقدون اجتماعهم فدعوهم الى السير على رأس المظــاهرة فاســتجابوا لــهم وسار معهم جميل بك مردم ولطفى الحفار وشكرى القوتلى واتجــهوا نحــو محطة سكة حديد الحجاز فحدث صــدام بينهم وبين قوات البوليس وأصيــب جميل مردم ولطفى الحفار وشكرى القوتلى بضربات من عصى البوليس[٦٩].

واحتج كبار قادة الحركة الوطنية الى رئيس الجمهورية وطلبوا اليه أن يستقيل من منصبه احتجاجاً على موقف السلطات ازاء حزب الكتلة خاصة وأن السلطات الفرنسية أدعت أن البوليس عثر اثناء تفتيش مكتب الحزب على مستندات تدل على وجود علاقات للحزب بدولة اجنبية (٧٠) .

هذا فى الوقت الذى نشرت فيه الصحف السورية خبراً مؤداه أن استبعاد الزعيم الوطنى فخرى البارودى كان بناء على أمر رئيس الوزارة وليس بأمر السلطات الفرنسية كما كان معتقداً مما دعا الطلاب الى ارسال وفد الى المسيو دى مارتل لابلاغه بأن حركتهم ليست موجهة الى الدولة المنتدبة بل ضد وزارة الشيخ تاج الدين (٧١) .

غير أن هذا الادعاء لا يتفق مع المطالب التى قدمتها الكتلة الوطنية بإسم الأمة السورية والتى تلخصت فى :

- الغاء نظام الانتداب .
- طلب اعادة الدستور كما وضعته الجمعية التأسيسية طليقا من كل قيد.
- العدول عن سياسة التجزئة .
- اعادة المبعدين السياسيين .

وكان الرد من جانب المفوض السامى أنه يرفض البحث فى أية مسألة سياسية تحت تأثير عناصر الشغب (٧٢) .

وطبقا لنفس المبدأ صرحت احدى الصحف الفرنسية أن فرنسا لن تخضع للضغط وأن الوطنيين السوريين سيفشلون لا محالة وصرحت بأن

الوطنيين يريدون استغلال ارتباك الاحوال فى العالم ولكنهم مخطئــــون فـــى تقديرهم لأن فرنسا قوية وحريصة على المبادئ الحرة [٧٣] .

وفى نفس الوقت بذلت سلطات الانتداب مساعيها لانـــهاء الاضـــراب وانتهت تلك المساعى بأن عقد التجار اجتماعا قرروا فيه انـــــهاء الاضــــراب غير أن الطلاب عقدوا اجتماعا قرروا فيه مواصلة الاضراب الى أن يعـــود المطرودون من زملائهم ويفرج عن المحكومين ، وعندما اتجه رجال الكتلـــة الوطنية الى الجامع الاموى لاقامة صلاة الغائب على ارواح شـــــهداء حلـــب حتى تجمع الالـــوف وبعد الصلاة ألقى السيد " هانى الجلاد " كلمته محـــــاولا اقناع الرأى العام بالعدول عن الاضراب فلم يمكنه الاهالى من اتمام كلمتـــــه وتدفقت الجماهير من ابواب الجامع وحدثت صدامات بينــــهم وبيـــن قـــوات الشرطة والجيش التى تم اعدادها تحسبا لتجدد أعمال العنف [٧٤] .

واجتمع اعيان دمشق فى دار " جميل مردم " ووضعوا مذكرة مطولـة ذهب وفد منهم سلمها الى المفوض السامى جاء فيها عدة احتجاجات :

- الاحتجاج على اغلاق مكتبة الكتلة الوطنية وانتهاك حرمة المنازل .

- الاحتجاج على ابعاد النائب فخرى البارودى والدكتور ســـيف الديـــن المأمون واعتقال المئات من الشباب .

- الاحتجاج على الاستمرار فى سياسة العنف والـــترويع التـــى تقـــوم السلطات ونشر القوى المسلحة فى جميــــع الميـــادين للارهـــاب واســـتفزاز الاهالى.

- الاحتجاج على السياسة التى أدت بالبلاد الى أسوأ الحالات من جميع النواحى السياسية والاقتصادية ومنع حرية النشر والتضيق على الصحافة وتهديد الصحف بالاغلاق والتغريم وتشويه الوقائع مما أدى الى تعريض الأمن للخلل [٧٥] .

كما أن الاهالى طالبوا بإقالة الشيخ تاج الدين الحسنى رئيس الوزارة مع وزارته باعتبارها مسئولة عن الاضطرابات الاخيرة ومسببة لها [٧٦] .

وفى تحليل للاحداث أرسلت مكاتب المقطم من بيروت تقريرا يوضح أنه رغم تعدد المساعى من هيئات شتى لحمل العاصمة السورية على فتح الاسواق فلم تجد نفعا ، وأعربت دائرة المطبوعات فى المفوضية العليا عن عدم هذا النفع فأذاعت بيانا فى بيروت قالت فيه : " أن تجار دمشق بعدما أبدوا للمفوض السامى رغبتهم فى فتح محالهم منعهم من فتحها بعض عناصر الاضراب التى انضم اليها عدد من الطلاب " [٧٧] .

وأوضح التحليل أن بيان المفوض السامى كان يظن أن عناصر الكتلة هى عناصر الشغب والاضراب غير أن الكتلة نفسها أذاعت بيانا داعية فيه الشعب الى الرجوع الى العمل ولكن دعوتها وبيانها لم يلقيا آذانا صاغية . وأوضح التقرير أن الأمة السورية باجمعها مستمرة فى خطتها السلبية ماضية فى الاضراب الى أن تسقط الوزارة السورية الحالية التى اصبحت مكروهة جدا من الشعب السورى [٧٨] . وكانت المظاهرات تهتف " لا اله الا الله تاج الدين عدو الله " [٧٩] .

ونتيجة لاستمرار الاضرابات أجمعت الصحف الفرنسية بكافة اتجاهاتها على ضرورة حل القضية السورية ووضع حد لحالة " عدم الاستقرار " ، وقد انتقدت بعض هذه الصحف السياسة المتبعة فى سوريا واعترفت بأن هذه السياسة لا يمكن أن تؤدى الى شئ غير المصاعب والمشاكل ، حتى أن الصحف الاشتراكية طالبت حكومة " سارو " بالحاح أن تجيب مطالب الشعب السورى وأما الصحف الحكومية وشبه الرسمية فقد عزت حوادث دمشق الى مشاغبات المتطرفين (٨٠) .

أما الصحف الانجليزية والالمانية والايطالية فقد اهتمت بأحداث سوريا وحثت الحكومة الفرنسية على أن تهتم الاهتمام الكافى بتلك الاحداث (٨١) . وسارت تلك الصحف على نهج الصحف الفرنسية التى مثلتها وجهة نظر الكاتب الفرنسى " لوريس برنو " حيث رأى أنه اذا قامت الحرب فإن انجلترا لن تضطر لاستخدام جميع قواتها لحماية المستعمرات والبلاد المشمولة بالانتداب بعد أن حلت قسماً كبيراً من مشاكلها مع الشعوب المرتبطة بها بينما لا تستطيع فرنسا الدفاع عن نفسها قبل أن تدافع عن الشعوب المرتبطة بها (٨٢) .

وتعليقاً على استمرار الاضراب دعت الصحف المصرية السياسة الفرنسية الى التوقف عن العناد فى معاملة الشعوب الواقعة تحت انتدابها ، اذ أن هذه السياسة اذا قدر لها أن تقاوم الروح الوطنية حيناً من الزمن أو تلعب دورها فى خنق الحريات فذلك كله لا يمكن أن يستمر أو يطول به الأمد وليس من المقبول أن تظل البلاد السورية قلقة ، ومهما استطاعت فرنسا

بقوتها أن تخمد الحركة الوطنية اليوم فهى لن تقهر ولن تهزم الا لتبعث من جديد [٨٣] .

ولاستمرار حالة الاضطراب السائدة تم اعلان الاحكام العرفية فى سوريا كما احتجبت الصحف الدمشقية مثل الايام والجزيرة والشعب والمقتبس لأجل غير مسمى بمرسوم أصدره رئيس الجمهورية [٨٤] .

كما زاد من حدة الاضطرابات اعتقال جميل مردم ونسيب البكرى فى سجن القلعة [٨٥] ثم نقلهما فيما بعد الى جهة مجهولة [٨٦] .

وأذاعت الكتلة الوطنية بيانا للاحتجاج على ذلك كما أرسل آل البكرى ببرقية الى المفوض السامى الفرنسى [٨٧] .

وأدت هذه التطورات الى انصراف رئيس لجنة الشئون الخارجية الفرنسية فى البرلمان الفرنسى المسيو " باستيد " ونائب رئيسها المسيو " لانجيه " لمعالجة القضية السورية ، كما وردت اخبار عن بداية جلسات يعقدها مجلس الوزراء الفرنسى برئاسة المسيو " سارو " لبحث الشئون المتعلقة بأفريقيا الشمالية والشرق الادنى وخاصة حوادث سوريا [٨٨].

من المفاوضات الى المعاهدة :

وفى النصف الاخير من شهر فبراير حدث تطور ينبئ ببداية مرحلة المفاوضات وذلك بإجماع وفد من الاهالى مع الكونت " دى مارتل " المندوب السامى وحضر المقابلة المسيو " كيسر " المستشار السياسى للمندوب السامى الذى تحدث عن المعاهدة التى طرحت على مجلس النواب وقال أنها أفضل

من معاهدة العراق . كما علق المندوب السامى على مطالب الوفد بأنها نفس مطالب الوفد الاول الذى قابله عند قدومه الى دمشق [٨٩].

وقابلت الدوائر السورية التطورات الاخيرة بارتياح وكتب أمين سعيد معربا عن سعادته بما اسماه الثورة السلمية الكبرى فى سوريا واتفاق السوريين واجتماع كلمتهم مسيحيين ومسلمين وقيام أحرار فرنسا بإنصاف سورية ، وما ترتب عليه من فتح باب المحادثات بين الطرفين بعدما كان المسيو دى مارتيل يصرح بأنه لا يباحث أحد ولا يقابل أحد الا اذا سلمت دمشق وألقت السلاح دون قيد أو شرط .

وطالب الكاتب بحكومة جديدة تفاوض لعقد معاهدة على قاعدة الوحدة حيث أثبت السوريون أنهم حريصون على التفاهم مع فرنسا وعلى التعاون معها بشرط أن تعيد اليهم حقوقهم المعترف لهم بها وأن تعاملهم معاملة الند للند لا معامله أرقاء ولا عبيد [٩٠] .

وبالفعل جاءت استقالة الشيخ تاج الدين الحسنى رئيس الوزارة السورية وقابلتها البلاد بالارتياح وعدها كثيرون مقدمة لعمل حاسم [٩١] .

وكانت الاستقالة متوقعة خاصة بعد أن لزم الشيخ تاج الدين بيته طوال فترة الاضطرابات تحت حراسة قوة كبيرة من الجند خوفا من فتك الشعب به [٩٢] . ولم يجد المندوب السامى بدا من اقالة حكومته واستدعاء هاشم الاتاسى رئيس الكتلة الوطنية لمقابلته فى بيروت [٩٣]. ورفض الشيخ تاج الدين أن يدلى بتصريح للصحافيين عن أسباب استقالته [٩٤].

وكان الحسنى من السياسيين السوريين التقليديين المعتدلين والموالين لفرنسا والذين يرون ضرورة بقائها فى سوريا وصياغة الانتداب اذا صعب بقاؤه بأى صيغة أخرى ، أما الكتلة فكانت تمثل فى ذلك الوقت التيار الوطنى الذى يطالب بإلغاء الانتداب واستقلال سوريا وعقد معاهدة لتحديد نوعية العلاقات بين سوريا وفرنسا ، ومن هنا كان التعارض بين الكتلة ووزارة تاج الدين الحسنى ، ولذا تعد اقالة الحسنى ارضاء للكتلة [٩٥]. كما أن تعيين عطا الايوبى ، رئيس للوزارة [٩٦] يعد بداية للتفاهم بين الكتلة والسلطة الفرنسية فالايوبى يعد صديقاً للكتلة .

وهكذا عقدت عدة اجتماعات فى المفوضية الفرنسية فى دمشق برئاسة الكونت دى مارتيل واستقبل بعض السخصيات السورية البارزة مثل رضا الركابى وعطا الايوبى ومصطفى الشهابى ، كما أصدرت السلطة أمرها بايقاف الاعتقالات وتأجيل المحاكمات فى المحاكم العسكرية انتظاراً لنتائج المفاوضات الجارية [٩٧] .

وأخيراً صرح الكونت دى مارتيل بعزم فرنسا على وضع معاهدة بينها وبين سوريا مستوحاة من المعاهدة العراقية ، ودخول سوريا عصبة الامم [٩٨] .

كما أذاعت الوزارة السورية الجديدة بياناً أوضحت فيه أنها تعد وزارة انتقال مهمتها الاساسية تنحصر فى تمهيد العودة الى الحياة البرلمانية ويكون للحكومة الدستورية القائمة وحدها الصفة اللازمة لعقد المعاهدة مع فرنسا والتمهيد لدخول سوريا الى عصبة الامم [٩٩] .

وعقد الوطنيون اجتماع الكتلة الوطنية بعد صدور بيان " دى مارتيل " وبيان الوزارة الجديدة بهدف تحديد مواعيد تحقيق مطالب البلاد واضافة بعض المطالب الى بيان المندوب السامى (١٠٠) .

ومع اطلالة شهر مارس بدأ الاتفاق واضحا على تأليف وفد للمفاوضة على نمط الوفد المصرى على أن يكون مؤلفا من أربعة من الكتلة الوطنية واثنين من المعتدلين ، وقد تم ذلك بعد دعوة تلقاها " هاشم الاتاسى " زعيم الكتلة الوطنية لمقابلة المفوض السامى فى بيروت .

وقد اشترطت الكتلة الوطنية الشروط التالية للتفاهم بين الطرفين :

- أن تحدد المفوضية موعد الانتخابات .
- أن تقدم المفوضية الضمانات الكافية بأن الانتخابات ستكون بعيدة عن الضغط الادارى .
- أن تجرى المفاوضات بين سوريا وفرنسا لعقد الاتفاق فى باريس(١٠١)

وفى لقاء المفوض السامى بممثلى الكتلة دارت المباحثات حول ستة أمور أساسية هى :

- تحقيق الوحدة
- تنظيم الجيش الوطنى .
- التمثيل الخارجى
- المصالح المشتركة .
- نفقات الانتداب
- الموظفون الفرنسيون (١٠٢)

ونظرا للتطورات الجديدة تم الافراج عن الزعماء المنفيين والصحف المعطلة . وأذاعت الكتلة الوطنية بيانا أكدت فيه موافقة الجانب الفرنسى بوثيقة موقعة منه على تنفيذ خمسة أمور جوهرية هى :

= الموافقة على ألا تقل حقوق السوريين فى المعاهدة المقبلة عن حقوق اخوانهم العراقيين فى معاهدتهم مع بريطانيا .

= تصريح الجانب الفرنسى بأنه ليست له مصلحة فى تجزئة البلاد السورية وانما كل الذى يريده هو افراغ الوحدة المنشودة فى قالب يأتلف مع المبادئ المسلم بها فى الدستور السورى ولدى عصبة الامم .

= الموافقة على نقل ساحة العمل الى العاصمة الفرنسية بواسطة وفد من الوطنيين يتولى البحث مع المراجع العليا فى باريس فى النواحى التى لا يمكن البت فيها فى سوريا .

= اعادة الحياة النيابية على أساس الانتخاب الشعبى .

= الغاء جميع الاحكام الصادرة ضد الصحف والاشخاص المعتقلين[١٠٣].

كما أذاعت الحكومة السورية بيانا أعلنت فيه نتيجة المقابلة بين المسيو دى مارتيل وهاشم بك الاتاسى وموافقة الاول على سفر وفد الى فرنسا لعرض ارادة للحكومة الفرنسية تمهيدا لعقد المعاهدة [١٠٤] .

وحفلت الصحف فى الفترة التالية بانباء الافراج عن زعماء الحركة الوطنية والطلبة الذين شاركوا فى الاضراب وفتح المعاهد والمدارس وعودة الصحف الى الصدور (١٠٥) .

وأبدت الصحف المصرية ارتياحها لتأليف أول وفد رسمى سورى للسفر الى باريس حيث أن اللقاءات السابقة على ذلك كلها كانت بصفة غير رسمية وانما هى مجرد دعوات لمقابلة المسئولين فى باريس لحل الازمات والاضطرابات التى تقع فى سوريا من وقت الى آخر (١٠٦) .

وسرعان ما تقرر أن تفتح الحكومة السورية اعتماداً بثمانية عشر ألف ليرة سورية لنفقات الوفد (١٠٧) .

وسافر الوفد السورى اخيرا الى العاصمة الفرنسية وكان أول الاعضاء المسافرين : هاشم الاتاسى ، جميل مردم ، فارس خورى ، مصطفى الشهابى ، احمد اللحام الخبير العسكرى ، سعد الله الجابرى ، أدمون حمص ونعيم انطاكى (١٠٨) .

وبدأت المفاوضات فعينت الحكومة الفرنسية مندوبيها لمفاوضة السوريين هما المسيو " شوفيل " والمسيو " كيفر " واستقبل المسيو " فلاندان " أعضاء الوفد وبصحبتهم " المسيو دى مارتل " والمسيو " سان كنتان " ، وبدأ وضع الاسس التى يبنى عليها تطور الانتداب فى سبيل تمكين الجمهورية السورية من الاستقلال فى شئونها (١٠٩) . واعلن المسيو " فلندان " موافقة فرنسا على الغاء الانتداب واستبداله بمعاهدة وترشيح سوريا للدخول فى عصبة الامم (١١٠) .

وتتبعت الصحف الجلسات المنعقدة فى باريس سواء المقابلات الودية أو الجلسات الفرعية المنعقدة بين المسيو دى مارتل وبعض ممثلى الوفد السورى . وكان صدى ما تنشره الصحف المصرية حول القضية السورية يتردد فى الدوائر السورية بل والفرنسية أيضا فقد ترجمت مقالة " المقطم " الافتتاحية عن " الوفد السورى فى باريس " ووزعت على الجانب الفرنسى المفاوض وأعرب أعضاء الوفد السورى عن تأثرهم البالغ لذلك [١١١] .

ويبدو أن التقارب حدث بين الجانبين بالرغم من الصعوبات التى صادفت المفاوضات فى البداية . فعندما أعلن الجانب الفرنسى عن تأجيل مناقشة القضايا الكبرى الى شهر مايو حينما تقوم فى فرنسا حكومة مسئولة أمام البرلمان أظهر المفاوضون السوريون تسامحاً كبيراً مما أثار اعجاب الفرنسيين [١١٢] .

كما أن الوفد السورى أراد أن يزيل العقبات فى طريق المفاوضات ومن ذلك قبولهم لنظرية المفاوض الفرنسى فيما يختص بالمسألة العسكرية ورضاهم عن الجلاء التدريجى واستعانتهم بالمستشارين العسكريين الفرنسيين ، وقد أملوا ألا يتنافى ذلك مع الامانى السورية ولا يؤثر فى السيادة القومية الوطنية [١١٣] .

وكان الوفد السورى فى تلك الفترة يمر بفترة حرجة فقد دخلت المفاوضات فى مرحلة التدوين وأصبح لا بد من الانتظار الى أن تتألف الوزارة الفرنسية الجديدة لأن الوفد الفرنسى المفاوض لا يملك حق الجزم الا بعد عرض المباحثات والوثائق على وزارة الخارجية ، وكانت صحف

احزاب اليمين تنشر آرائها ومبادئها الحريصة على مبادئ الاستعمار ،عكس صحف احزاب اليسار التى تبدى كل تفاؤل من وراء حل القضية السورية[١١٤].

ونقلت جريدة الاهرام قرارات المؤتمر الاشتراكى الفرنسى بشأن سوريا والتى تلخصت فى عزم الحزب على منح الشعب السورى استقلاله ووحدته القومية وضرورة إيجاد عهد صداقة وتحالف بين الحكومة البريطانية والعراق ، كما يطلب الاعتراف باستقلال سوريا ووحدتها ودخولها فى عصبة الأمم [١١٥] .

وكان النواب الاشتراكيون يصرحون باحتجاجهم على سياسة المفوضين الساميين فى دول الانتداب بخاصة سوريا التى تتميز بارتفاع المستوى الثقافى لابنائها ، وبالرغم من ذلك شاعت حكومة الانتداب أن تعاملها معاملة مستعمرة فى اواسط افريقية [١١٦] . وكان الرأى العام الفرنسى قد انقسم الى قسمين : قسم يرى ضرورة التساهل مع سوريا حفاظاً على سمعة فرنسا ومصالحها ، والثانى يرى تبديل الاسلوب وبقاء الانتداب بشكل آخر .

وكان أحرار فرنسا والجبهة الشعبية واحزاب اليمين والرأسمالية والجيش من اصحاب الرأى الثانى ، القائلين بإبقاء الانتداب وتغيير الاسلوب[١١٧] .

واستقبلت الصحف المصرية الوزارة الفرنسية برياسة زعيم الاشتراكيين المسيو " بلوم " بالترحاب والتفاؤل واعتبرت أن تأليف الوزارة

الفرنسية الجديدة أمر يبعث على الاطمئنان من جملة نواح في السياسة الخارجية . فالاشتراكيون طالما خطبوا وكتبوا عن مساوئ الاستعمار فيمكنهم أن ينظروا بعين الرضا للاحوال فى سوريا ولا بد أن يتخذوا خطة المسالمة مع السوريين بمنحهم الاستقلال وعقد معاهدة معهم [١١٨] .

ووضح هجوم الاشتراكيين وانصار الوزارة الجديدة على الكونت دى مارتل فى الصحف وفى الدوائر السياسية ذات التأثير القوى حتى أن الانباء ترددت فى تلك الفترة عن عدم عودته الى منصبه مرة أخرى فى سوريا ولبنان [١١٩] .

ونقلت الصحف المصرية الآراء الفرنسية المختلفة حول عقد المعاهدة ، فلخصت " الاهرام " مقال جريدة " الاوفر " الفرنسية الافتتاحى والذى ذكرت فيه مزايا عقد المعاهدة حيث أن الانتداب فى سوريا قد كلف فرنسا مبالغ طائلة من المال خاصة وأنها كانت مضطرة الى ابقاء عدد كبير من الجنود فى سوريا خوفاً من نشوب الثورة فى حالة وقوع حرب عالمية ، كما أن مصالح فرنسا المادية فى سوريا أصبحت لا تذكر فحجم التجارة بين فرنسا وسوريا لا يتجاوز ١٥٠ مليون بينما تنفق فرنسا على جنودها هناك ١٦٠ مليون فى السنة . وعلى خلاف ذلك انتقدت جريدة " اكسيون فرانسيز " سياسة وزارة بلوم فى المسألة السورية وتخوفت من أن يكون الغاء الانتداب الفرنسى مناقضاً للمصالح الفرنسية [١٢٠] .

واخيرا حفلت صحافة الخميس ١٠ سبتمبر بانبـاء توقيـع المعـاهدة والاحتفالات التى اقيمت فى المدن السورية ابتهاجاً ببداية عـهد جديـد فـى سوريا (١٢١) .

واثنت اقلام الكتاب فى الصحف السورية والمصرية على المسـيو " دى مارتيل " الذى أظهر تبدلاً لا يستهان به فى روح السياسة الفرنسية وفـى مقدمة ذلك سفره من بيروت الى حلب لاستقباله الوفد السورى وإقامة مأدبـة لتكريمه بالاضافة الى تشدده مع الموظفين الفرنسيين الذين عرفـوا بمقاومـة السياسة الجديدة (١٢٢) .

وأخيرا نشرت نصوص المعاهدة فى كل من دمشق وباريس وتولـى تسليمها للصحافيين فى دمشق السيد هاشم الاتاسى رئيس الوفد السورى(١٢٣).

مسألة الاسكندرونة :

كانت مسألة الاقليات التركية فى سنجق الاسكندرونة وانطاكيـة مـن ضمن المشكلات التى واجهت المفاوضات حتى بعد عقد المعاهدة ، فقد كـانت فرنسا فى خلال سنوات الانتـداب قد وضعت خريطة ادارية جديدة تقوم فـى أساسها على انشاء عدة تقسيمات على أساس طائفى منـها النظـام الخـاص بسنجق الاسكندرونة ، واستطاعت فرنسا تنمية الروح الانفصالية لـدى تلـك التقسيمات الادارية .

وذكرت الصحف فى بداية الاضطرابات بأن تفتيش مكتـب حـزب الكتلة الذى وقعت القلاقل على اثره كان بناء على أمر المفوض السامى بعـد

الانباء التى تلقاها بوجود معاهدة سرية بين تركيا والحجاز بشأن تقسيم سوريا فتنال تركيا انطاكيا والاسكندرونة وينال الحجاز دمشق وحمص وحلب ، رغم أن الانباء وردت من جدة بعد ذلك بتكذيب الشائعات التى راجت بوجود معاهدة سرية بين الحجاز وتركيا لتقسيم سوريا (١٢٤) .

وخلال المفاوضات اخبرت وزارة الخارجية الفرنسية الوفد السورى أنها مضطرة لاستطلاع آراء بعض الدول التى تهمها شئون سوريا والمتاخمة لها ووافق الوفد السورى على استطلاع آراء تلك الدول وبالطبع كانت تركيا ضمن تلك الدول (١٢٥) .فى حين اوضحت الصحافة التركية أنه بوصول المسألة السورية مرحلة المفاوضات أنه ليست لتركيا أية اغراض فى سوريا وأنها تقف على الحياد تجاه الاحداث السورية حتى لا يكون لموقفها تأثير فى الاتفاق الفرنسى على الشكل الادارى لمدينتى الاسكندرونة وانطاكية (١٢٦) . وبالفعل بدت العلاقات بين تركيا وسوريا يسودها الود والصداقة خاصة بعد أن قامت فرنسا بتعيين سفير جديد لها فى انقرة هو المسيو " بونسو " الذى كان على دراية بالشئون السورية بحكم تمضيته وقتا غير قليل فى منصب المفوض السامى فى سوريا ولبنان (١٢٧) .

غير أنه فى حقيقة الامر أن الدوائر السياسية التركية قد نشطت لفتح قضية سنجق الاسكندرونة وفى أثناء عودة الوفد الى سوريا عن طريق استانبول حاول الاتراك أن يجروه الى مباحثات بشأن الاسكندرونة فتجنب الوفد أن يخوض فى هذا الموضوع تلافيا لوقوع متاعب جديدة نتيجة لتوقيع المعاهدة (١٢٨) .

وكانت الحكومة التركية قد طالبت بمنح اللواء الاستقلال التام بمذكـرة مؤرخة ١٠ اكتوبر ١٩٣٦ بعثت بها الى الحكومة الفرنسية وسـلكت فرنسـا مع تركيا سياسة الملاينة وقالت بإبقاء اللواء تحت الانتـداب الفرنسـى بعـد استقلال سورية عند تطبيق المعاهدة ، وهذا يعنى مرحليا فصل اللـواء عـن سورية (١٢٩) .

ونقلت جريدة المقطم تصريحا لتوفيق رشدى آراس وزيـر خارجيـة تركيا حول المعاهدة فأعرب الاخير عن سعادة تركيا وهى تـرى الشـعوب التى انفصلت عن الامبراطورية مستقلة ، فبعد أن تنازلت فى معاهدة لـوزان عن حقوق السيادة على الاراضى التى كانت تؤلف قسما من الامبراطوريـة العثمانية ، ولذا يسر الترك أن ترى سورية أسـوة بـالعراق بلـداً مسـتقلاً وعضواً فى عصبة الامم . وأشار فى حديثه الى وجود فقرة تتضمن نصـاً على استقلال سنجق الاسكندرونة الذى ينتمى كل سكانه وعددهم ٢٨٠ ألـف الى الجنسية التركية موزعين بين انطاكية والاسكندرونة (١٣٠) .

ومن نفس المنطلق خصص الكاتب التركـى " يونسـى نـادى " افتتاحية فى (جمهوريت) فى معرض حديثه عن المعاهدة السـورية فذكـر بأن الاسكندرونة وضواحيها تؤلف منطقة أغلب سـكانها مـن الاتـراك ولا يمكننا أن نترك هذه المنطقة خارج حدودنا القومية ، لذلك فإننا فـى هـذا الوقت الذى وضع فيه نظام جديد لسوريا نطالب بتنفيذ التعهدات الفرنسيـة المتعلقـة بمنطقـة الاسكنـدرونة وانطاكية (١٣١) .

ونشرت جريدة (أقشام) التركية بضرورة بداية علاقة صداقة جديدة بين سوريا وتركيا مع مراعاة سوريا لحقوق الشعب التركى الذى لا يترك حقوقه تداس بالاقدام بينما حذر " فالح رفقى أتاى " فى جريدة (اولوسى) تلميحا الى ضرورة منع تعريض السياسيين والصحف المغرضة التى لا غاية لها الا اثارة الريبة بين الامم خاصة فى الوقت الذى تنشأ فيه علاقات مباشرة بين سوريا وتركيا [١٣٢] .

ونظرا للتعليقات المتتالية للصحف التركية حول هذا الموضوع أصدر مدير المطبوعات فى العاصمة التركية أمرا الى الصحف بالكف عن نشر المقالات الخاصة بقضية الاسكندرونة وترك المسألة للحكومة تعالجها بالطرق الدبلوماسية حيث تدور المفاوضات بين المسيو بونسو سفير فرنسا فى تركيا ووزارة الخارجية التركية لمعالجة هذه المسألة [١٣٣] . وبالفعل كانت تلك المسألة فى غاية الحساسية بالنسبة لتركيا حيث طلب مندوبها فى عصبة الامم عدم تصديق فرنسا على المعاهدة حتى يبت فى قضية لواء الاسكندرونة ـ فألفت العصبة لجنة دولية للاشراف على استفتاء سكان الاسكندرونة حول مصيرهم . وحصلت تركيا على اللواء . وقامت فرنسا بعقد اتفاق مع تركيا بتسليمها السنجق فى يوليو ١٩٣٨ ، اتبعته باتفاق آخر بين الدولتين صدر بتصريح مشترك يقضى بفصل السنجق نهائيا عن سوريا فى ٢٣ يونية ١٩٣٩ [١٣٤] . وأصبح السنجق الولاية الثالثة والستين من ولايات الجمهورية التركية[١٣٥].

لبنان فى المعاهدة :

ويمكن القول بأن مسألة الاسكندرونة كانت اخف وطأة بالنسبة لمشكلة الاقليات الاخرى فى سوريا والتى جعلتها فرنسا المطرقة التى تهوى بها على السوريين كلما سنحت لها الظروف بذلك .

وقد حمل الحزب السورى القومى فى لبنان عبء المطالبة بالوحدة مع سوريا (١٣٦) . فقد رأى الحزب أن المسألة اللبنانية هى مسألة سياسية نشأت لظروف اجتماعية - دينية تعود الى تطلع الاقليات الدينية الى كيان وملجأ لها فى زمن سيطرة الدولة الدينية ، ورفض الحزب الادعاء القائل بأن المسألة اللبنانية ليست مسألة دينية بل سلالية - اجتماعية - تاريخية ، محتجين بإنتساب اللبنانيين الى الفينيقيين تميزاً لهم عن باقى السوريين وبأن لبنان كان دائما دولة مستقلة (١٣٧) .

ومع اشتداد المطالبة بالوحدة مع سوريا وصل دمشق زعيمان مسلمان من طرابلس لتهنئة الزعماء الوطنيين بمناسبة عودتهم من المنفى وصرحا برغبة أهالى طرابلس فى ضم مدينتهم الى سوريا (١٣٨) . فى الوقت الذى صرح فيه بطريرك الموارنة لمندوب الصحافة الامريكية بضرورة أن تشمل المعاهدة المزمع عقدها بين فرنسا وسوريا مادة تحفظ حقوق الاقليات(١٣٩).

وفى حديث لجريدة الاهرام أوضح رياض بك الصلح أحد الزعماء السوريين أن حالة سوريا أوجدت شيئاً من البلبلة فى لبنان فظهرت فئة كبيرة على رأسها بطريرك الموارنة وفريق من النواب المسيحيين والمسلمين

يطالبون بأن ينال لبنان الاستقلال والانضمام الــى عصبة الامم وفقا لمعــاهدة مماثلة للمعاهدة السورية ، وفئة اخرى تطالب بالاتحاد مع سوريا ، كما أبــدى رياض الصلح اعترافه لموقف بطريرك الموارنة لمؤازرة الحركــة الوطنيــة فى سوريا بالرغم من كونه صديق فرنسا التاريخى الا أن شهادته كانت فــى مصلحة سوريا وقضيتها (١٤٠) .

وقد تألف فى لبنان حزب جديد يدعى حزب الوحدة اللبنانية يدعو الى محاربة الحركة الانفصالية التى قامت فى لبنان والتى ترغب فى الانضمــــام الى سوريا (١٤١) .

اما الحزب السورى القومى فقد استمر فى نشاطه الذى تضمن تشكيل ميليشيا ذات قمصان سوداء الأمر الذى أثار سلطات الانتداب فى لبنان اضافة الى ما كانت تراه فى عقيدة الحزب الداعية للوحدة السورية خطــــرا حقيقيــا (١٤٢) وهو ما دفع السلطات اللبنانية الى اتخاذ قرار بحل الحزب (١٤٣) .

ونشر فى تلك الفترة أن هناك أربعة احزاب فى لبنان لتــأييد وحدتــه وثلاثة احزاب اخرى تطالب بإلحاقه بسورية (١٤٤) .

كما ترددت الانباء عن احتجاج سلطان باشا الاطرش لخنق حريـــات الاصوات المطالبة بالوحدة مع سوريا وأرسل بيانا بذلك للكتلة الوطنيـــة فــى دمشق(١٤٥).

كما صرح الزعيم الدرزى مصطفى الاطرش بأن الاســتقلال الــذى يتمتع به الجبل سيكون نكبة عليه سواء من الوجهة السياسية أو الاقتصاديـــة

وخير حل لهذه المسألة هو ضم الجبل الـــى ســوريا (١٤٦) وكــانت المســألة الاقتصادية قد ناقشها الحزب السورى القومى واعتبر أن لبنان لا يشكل ســوقا منفصلة عن الشام وفلسطين والموارد الطبيعية تكمل بعضها بعضا فى تلـــك المناطق بحيث لا يقوم كيان اقتصادى متميز الا بها جميعا (١٤٧) .

وفى اطار مناقشة قضية الاقليـــات صـــرح فـــايز الخـــورى نـــائب المسيحيين الارثوذكس لجريدة " لوجور" الفرنسية : " اننا نؤمن بأنـــــه ليـس هناك مسيحى ومسلم بل سوريون وفى اختيار رجال الوفـــد الســـورى الـــى باريس لم ننظر الى مسألة التمثيل المذهبى " . وقال بأنه يعمل فـــى القضيـــة الوطنية مع المسلمين منذ زمن طويل ولم يسمعهم يتكلمون عن الاقليات(١٤٨).

ويبدو أن هذه الآراء لم تلق قبولا فى لبنـــان فقـــد أصـــر بطريـــرك الموارنه على وجوب تسوية مسألة الاقليات الســـورية تســـوية نهائيـــة فـــى المعاهدة ، وكان ايفاد مندوب لبنانى الى باريس للدفـــاع عن حقوق الاقليـــات قد أدى الى تحرج موقف الوفد السورى هناك مما أثار استيـــــاء اعضـــــاء الوفـــد على الاخص فخرى البارودى (١٤٩) .

ونشرت الصحف الفرنسية توقعاتها حول المسألة اللبنانيـــة نصـــوص فصرحت جريدة " الايكودى بارى " بأن المشروع ســـوف يتضمـــن احكـــام خاصة تقضى بأن تضمن فرنسا حق الاقليات ومنها الاقلية الدرزيـــة واقليـــة العلويين (١٥٠) .

ومع تقدم المفاوضات ترددت فكرة عزل المسيو دى مارتل وترشـــيح المسيو " لونجيه " لمنصب المندوب السامى فى سوريا وكان مـــن المعـــروف

عنه أنه من انصار الوحدة السورية الشاملة ، كما طرح اقتراح بإنشاء مجلس مشترك بين الدولتين اللبنانية والسورية لأدارة المصالح المشتركة بينهما على أن يرأس هذا المجلس سفير فرنسا فى سوريا [١٥١] .

وقد بدأت فى تلك الفترة المشاورات للتمهيد للمفاوضات بين فرنسا ولبنان بغية عقد معاهدة [١٥٢] وازداد نشاط انصار الوحدة السورية الذين طرحوا عدة قرارات اهمها : انضمام لبنان الى سوريا ، ومنح الوفد السورى الموجود فى باريس بأن يكون لسان حال أهالى لبنان [١٥٣] . وغنى عن البيان أن الانقسام فى الآراء بين العناصر الوطنية يضعف من حجة المطالبين بالحقوق القومية .

كما أن الوفد الفرنسى طرح المشكلة بطريقة اربكت المفاوضين السوريين ولم تكن مطابقة للمطالب السورية ، وازاء ذلك قدم الوفد السورى التنازلات معللا ذلك بأنه كان راغبا فى انهاء المفاوضات بأية طريقة . وهكذا انتهز الفرنسيون الظروف التى وضع الوفد السورى بها سواء فى فرنسا أو سوريا ، وتم الاتفاق بين الطرفين على أن يوضع ما يتعلق بالاقليات فى ملاحق المعاهدة [١٥٤] .

وفى نفس الوقت اعلنت الوزارة الفرنسية أنها سوف تتخذ قرار بتأييد استقلال لبنان بكيانه الحاضر واعادة الحياة الدستورية اليه ، واعلنت الصحف الفرنسية انتهاء المفاوضات بين الجانبين السورى والفرنسى وأن الحكومة الفرنسية عرضت نص المعاهدة النهائى على الوفد السورى وطلبت اليه أن يعلن رأيه فيها إما بقبولها وأما برفضها [١٥٥] .

وقد اثارت هذه التصريحات جدلاً قوياً فى اوساط السياسية اللبنانية مما دعا جريدة النهار البيروتية لنشر قرار كان قد وضعه مجلس ادارة جبل لبنان سنة ١٩٢٠ ويلخص مسألة توثيق العلاقات بين سوريا ولبنان بمقتضى عدة بنود منها :

- استقلال لبنان .
- حياده السياسى .
- اعادة المسلوخ من اراضى لبنان بموجب اتفاق يتم بينه وبين سوريا.
- دراسة المسائل الاقتصادية بواسطة لجنة مؤلفة من الجانبين وتنفيذ قراراتها بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسوريا .

وكان الهدف من نشر القرار القول بأن مطالب لبنان لم تتغير من ذلك التاريخ (١٥٦) .

واستمرارا لتناقض المواقف والاتجاهات عقد مؤتمر للعلويين ارسلوا من خلاله مذكرة الى وزير الخارجية الفرنسية يؤيدون فيها عقد المعاهدة مع سوريا ويجددون ثقتهم بالوفد السورى ، كما اكدوا على طلب الحاق اقليم العلويين بسورية (١٥٧) .

وكتب الاستاذ " أمين الريحانى " مقالاً فى جريدة البلاغ بعنوان : " ما الوحدة والانفصال فى ظل السيادة الاجنبية ؟ ! " دعا فيه الى التقريب بين القلوب وتوطيد الصلات الاخوية الصادقة بين اهالى البلدين السورى واللبنانى ومحاولة البرهنة على أن أهل سوريا ولبنان هم فى النهاية أهل وطن واحد هو الوطن الاكبر (١٥٨) .

كما نشرت جريدة " الرابطة " البيروتية خبر انشاء اتحاد سورى لبنانى معتقدة أن هذا الحل يرضى طلاب الوحدة ولا يسئ الى اللبنانيين [١٥٩] أما الحركة الانفصالية فى طرابلس الشام فقد انكمشت بعد توقيع الاتفاقية[١٦٠].

وعندما طرح تساؤل فى سوريا حول اشتراك جبل الدروز والعلويين وهل يشتركان بالانتخاب النيابى أم لا ؟ كان الرد المنطقى أن هاتين المنطقتين لا تشتركان بالانتخابات ، بل يجتمع المجلس النيابى السورى ويدرس المعاهدة فإذا وافق عليها يعلن المفوض السامى فى الحال انضمام جبل الدروز والعلويين الى سوريا انضماما رسميا ، ثم تعلن الحكومة السورية موعد اجراء الانتخابات التكميلية فى هاتين المنطقتين وفقا لقانون الانتخاب السورى [١٦١] .

وكانت هذه التساؤلات فى غير موضعها فى الوقت الذى ارتفعت فيه الاصوات المطالبة باستقلال لبنان تماما عن سوريا وتكوين شخصية دولية له مثل شخصية سورية وصون حدوده [١٦٢] .

وفى أطار ذلك أرسل رئيس لبنان برسالة الى رئيس فرنسا الذى رد قائلا بان الحكومة الفرنسية لن تصرف نظرها عن حقوق لبنان فى الحصول على معاهدة شبيهة بالمعاهدة السورية ، وأن فرنسا تنظر بعين الاعتبار الى مبلغ التطور الذى وصل اليه الشعب اللبنانى وأنها مستعدة لأن تمهد للجمهورية اللبنانية سبيل الحصول على وضع فى النظام الدولى [١٦٣] .

وكان هذا التصريح عاملا مهدئا حيث تصور اللبنانيون أن السلطات المسئولة تتجاهل هذا المطلب حتى ازداد قلق اللبنانيين فور عودة الوفد السورى وحسبوا أن فرنسا تقصد تأجيل المفاوضات معهم (١٦٤) .

وهكذا استمرت قضية الاستقلال الوطنى وعقد معاهدة مع فرنسا والوصول الى نوع جديد من العلاقة يختلف عن شكل الانتداب القديم تشغل الرأى العام اللبنانى (١٦٥) .

ولم تهدأ الامور رغم اجتماع المفاوضين الفرنسيين والمفاوضين اللبنانيين اجتماعا رسميا بدأت فيه المفاوضات حيث تسلم اللبنانيون مشروع المعاهدة كما يقترحه الفرنسيون ، فقد استمرت حركة المعارضة للهيئة المفاوضة اللبنانية على اعتبار انها لا تمثل الا فريقا واحدا من لبنان (١٦٦) .

وما يعنينا هنا هو الموقف الاخير لسورية حيث صرحت الانباء السورية بأن الحكومة الدستورية التى ستتألف فى سوريا على اثر الانتخابات النيابية ستحرص كل الحرص على أن تقوم فى لبنان حكومة دستورية مماثلة لها (١٦٧) .

معاهدات المشرق العربى فى الميزان :

منذ عقدت المعاهدة وحتى نشر نصوصها حفلت الصحف المصرية بالتهليل والترحيب بهذا الانجاز ، واخذت تثنى على قوائم الوصول الى اتفاق سورى فى نفس توقيت المعاهدة المصرية (١٦٨) ، وكأن القطرين مرتبطين حتى فى توقيت توقيع المعاهدات (١٦٩) .

ويبدو أن مسألة عقد مقارنة بين المعاهدات البديلة عن الانتداب والمبرمة فى تلك الفترة قد بدأت منذ بداية المفاوضات السورية الفرنسية ، ففى تصريح لهاشم الاتاسى رئيس الوفد السورى لجريدة " فاندردى " الباريسية أن غاية الوفد من المفاوضات هى الاستقلال أولا ثم عقد معاهدة ود وتحالف مع الحكومة الفرنسية كمعاهدة العراق وانجلترا والتى من شأنها توثيق الصداقة التى تربط الشعب السورى بالشعب الفرنسى [١٧٠] .

وعندما تلقت الكتلة الوطنية فى دمشق نسخة من مشروع المعاهدة صرحت على لسان فخرى البارودى بأن المعاهدة السورية الفرنسية ستكون أفضل من المعاهدة العراقية البريطانية [١٧١] .

ولم تكن المقارنة من الجانب الوطنى السورى فقط حيث ظهر فى تصريحات المسئولين الفرنسيين ايضا ففى بيان وزارة الخارجية الفرنسية : " أن مهمة الانتداب كان ينبغى أن تنتهى حينما تثبت للحكومات الواقعة تحت الانتداب اهليتها لأن تحكم نفسها بنفسها ، ثم أن توقيع المعاهدة الانجليزية العراقية ودخول العراق فى عصبة الامم وعقد المعاهدة الانجليزية المصرية ، كل ذلك قد عزز رغبة فرنسا فى أن تمنح البلاد العربية الواقعة تحت انتدابها حريتها واستقلالها [١٧٢] .

وأوضحت المقالة الافتتاحية للاهرام صبيحة عقد المعاهدة ، كيف أن فرنسا كانت قبل الحرب العالمية أقرب الدول الى قلوب العرب فقد كان نفوذها الادبى والثقافى عظيما فى جميع الاقطار العربية ولكنها اضاعت هذه السمعة الحسنة وهذا النفوذ العظيم بالسياسة التى اتبعتها فى سوريا حتى

أصبح العالم العربى ينظر اليها نظرة تختلف عن الماضى . واعتبر عقد المعاهدة السورية يدل على أن فرنسا أدركت الحقائق التى ظلت تجهلها أو تتجاهلها طوال سنوات نزاعها مع السوريين (١٧٣) .

واذا تابعنا تعليقات الصحف الفرنسية التى نشرتها الصحف المصرية نجد أنها تحمل ردوداً على الآراء السابقة ، حيث شكرت مجلة " ليروب نوفيل " المسئولين الفرنسيين الذين حرصوا على مبادئ المهمة التمدينية التى اخذتها فرنسا على عاتقها فى الشرق ، وفى جميع ممتلكاتها فيما وراء البحار ، وعملوا بتقاليد فرنسا الحرة ومكنوا السوريين من استرداد حريتهم بعد خضوعهم للحكم الاجنبى عدة قرون (١٧٤) .

وفى تصريح لمسيو " فينو " وكيل وزارة الخارجية الفرنسية قال بأن التحالف الفرنسى السورى ما هو الا صورة جديدة للائتلاف الذى يجمع بين البلدين منذ عدة قرون (١٧٥) .

أما جريدة " ليرنوفيل " الفرنسية فقد رأت أن سوريا تختلف عن بلاد الفراعنة حيث كانت فى سالف العصور طريق هجرة للشعوب ولذا يوجد فيها كثير من العناصر والاجناس والاديان ، ولم يكن الحكم العثمانى ممهدا لتقدمها ولكن معاهدة التحالف المعقودة مع فرنسا سوف تمكنها من بناء الدولة السورية على أسس راسخة (١٧٦) .

ويمكن تفسير الموقف الفرنسى فى تلك الفترة بدراسة الوضع الدولى من حيث تألب الدول على بعضها البعض وتخوف الانجليز والفرنسيين من حرب عالمية تشنها ألمانيا عليهم فى القريب العاجل ويكون الشرق الادنى

مسرحاً لها ، مما دعا الفرنسيين الى تعديل سياستهم الاستعمارية التى طبقوها بعد الحرب العالمية الاولى وقهروا بها ألمانيا ، واقتطعوا مستعمراتها ، ونفس الوضع ألزم انجلترا أن توجه سياستها الى الاتفاق مع تركيا وايران والعراق ومصر ، وتم لها ذلك بعقد اتفاقيات مع كل منها . وتفاهمت مع قادة الهند على اعطائها نظام الاستقلال الذاتى ، واوعزت الى فرنسا بتصفية ما لها من علاقات فى لبنان وسوريا وافريقيا .

وشعرت فرنسا من جهتها بأنها ملزمة بإتباع هذه السياسة وسوريا فى نضال يثير الرأى العالمى عليها ويثور لاجلها العالم الاسلامى ، ولذا حاولت فرنسا أولاً التجديد فى داخل بلادها ثم فى المستعمرات وفى البلاد الواقعة تحت انتدابها (١٧٧) .

وفى مجال عقد مقارنة بين المعاهدات المصرية والعراقية والسورية رأى الزعيم السورى الدكتور " عبد الرحمن شهبندر " بأنه لا يمكن عقد مثل هذه المقارنة " لان سورية تختلف عن القطرين الآخرين ببعض نقاط جوهرية تجعل هذه الموازنة متعذرة ، ففى سوريا منطقتان تتمتعان بإستقلال مالي وادارى كلواء الاسكندرونة وساحل هو جزء من لبنان ، فإذا أردنا ايجاد موازنة بين المعاهدات فيجب أن تعترف المعاهدة مع مصر باستقلال ادارى ومالى لمديريتى الشرقية والغربية مثلا ، وتعترف المعاهدة مع العراق بإستقلال لوائين على الفرات ودجلة (١٧٨) .

غير أنه يمكن القول بأن المعاهدة ضمنت لسورية استقلالا تشوبه بعض الشوائب ، فالحكومة السورية لم تكن حرة طليقة فى السياسة الخارجية

، اذ أن هنالك مقتضيات التحالف والتشاور والتعاون وتقديم المعونة لاتخـــاذ تدابير الدفاع . ولم تكن الحكومة السورية حرة وطليقة ايضـــا فـــى شـــئونها العسكرية البرية والبحرية والجوية (١٧٩) .

كما أن المعاهدة حوت بنداً خاصاً بوضع نظام قضائى جديـــد ينظـــم وضع الرعايا الفرنسيين وممتلكاتهم فى سوريا (١٨٠) . بالاضافة الى الاتفـــاق على أن يعترف لسوريا بأن تمثل سياسياً فى البلاد التى تكثر فيـــها مصـــالح السوريين على أن تمثلها فرنسا فى الأقطار الأخرى (١٨١) .

واذا ما قارنا ما حصلت عليه سوريا بالمعاهدة العراقية البريطانيـــة ، خاصة وأن الوفد السورى عندما ذهب الى باريس قد اتفق مســـبقاً أن تكـــون المعاهدة المرتقبة مثل المعاهدة العراقية البريطانية إن لم تكن افضل منـــــها ، والمطالب السورية التى سبقت كانت دائما تضع المعاهدة المذكورة كنمـــوذج يقبل به السوريون . والمعاهدة الفرنسية - السورية وضعت فيها بنود مشـــابهة أن لم تكن فى النص غالبا فإنها فى المعنى مع المعاهدة العراقية - البريطانية مثل استخدام المستشارين الفنيين والخبراء ووضـــع نظـــام قضـــائى خـــاص للمحافظة على الاجانب مع منح السفير الفرنسى حق الاقدميـــة علـــى ســـائر الممثلين الدبلوماسيين وهذه الشروط الموضوعة على غرار مـــا جـــاء فـــى المعاهدة العراقية (١٨٢) .

غير أن المعاهدة السورية التـــى تحـــوى بعـــض الاختلافـــات فـــى النصـــوص التالية :

- نصت المعاهدة بوضوح على الاستقلال الادارى لمنطقتـــى اللاذقيـة وجبل الدروز على الرغم من سيادة سوريا .
- تأسيس جهاز للمدارس الاجنبية وبعثات التنقيب عن الآثار القديمة .
- قدمت سوريا وعد باحترام الحقوق الطبيعية والقانونية التى اكتســـبها الفرنسيون فى البلاد .
- عقد اتفاقية للنقد وألحقت اتفاقية مالية بالمعاهدة (١٨٣) .

وفيما يتعلق بالبند الاول يتضح عدم ايفاء المعـــاهدة ليـس بمطلـب الوحدة الجغرافية السياسية للبلاد فحسب وانما بمطلب الوحدة الوطنية ، وكـان تعهد سورية بموجب المعاهــدة بإحترام حقوق الاقليات مما قد يعنى تميـــيز الاقليات عن المواطنين (١٨٤) .

ويبدو أن الفرنسيين لم يكتموا رأيهم بأن المطالبة الســـورية ببحـث موضوع الوحدة السورية قد يؤدى الى انقطـــاع المفاوضـــات ، ممـــا جعـل المفاوضون السوريون يظهرون تسامحا كبيـــرا ازاء ذلك مما أثـــار اعجـاب المفاوضين الفرنسيين (١٨٥) .

ومهما كانت المعاهدة السورية بالنسبة للمعاهدة العراقية فإن بيانــــات الوفد السورى أسبغت على المعاهدة من الوصف والاطراء مالا يتناسب مـــع حقيقتها (١٨٦) حتى أن الدكتور عبد الرحمن شهبندر عندما خطب فـــى حفـل استقبال عودة الوفد الى سوريا صرح بأنها معجزة " فإن وفـــداً يمثـل شـــعباً اعزل ذهب لينتزع استقلاله من دولة لم تتعود أن ترفـــع قدمـــها مـــن أرض

تحتلها ، بعد نجاح عمله هذا (معجزة) فالوفد لم يستخدم فى انتزاع استقلال بلاده من فرنسا سوى قوة الحق " [١٨٧] .

وعلى أية حال فإنه يمكن القول بأن المعاهدة كانت غاية الجهد الذى بذله السوريون للوصول الى حالة تؤمن لهم الاستقلال والاستقرار مع فرنسا . وقد قابل الشعب السورى فى جملته المعاهدة بالارتياح والتأييد على اعتبار انها تخرج فرنسا من نطاق الدول المستعمرة وتضعها فى مصاف الدول الحرة [١٨٨] .

هوامش البحث

(١) ذوقان قرقوط : تطور الفكرة العربية فـي مصـر ١٨٠٥ - ١٩٣٦ . رسـالة ماجستير جامعة القاهرة ١٩٧١ . ص ٢٢٨ .
(٢) ألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩ . ترجمـة : كريم عزقول ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٢٤٨
(٣) نفسه ، ص ٣٥٢ .
(٤) نفسه ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
(٥) نفسه ، ص ٣٥٣ .
(٦) كوكب الشرق : الثلاثاء ١١ فبراير ، ص ٩ .
(٧) الاهرام : الخميس ١٣فبراير ، ص ١ .
(٨) كوكب الشرق : الاحد ١٦ فبراير ، ص ٩ .
(٩) كوكب الشرق : الجمعة ١٤ فبراير ، ص ٩ .
(١٠) بول كوبلنز : حقائق ووثائق لم تنشر عن الثورة السورية . تعريـب فردريـك رزيق ، دمشق ١٩٣٦ ، ص ١٥٩ .
وايضا محى الدين السفرجلاني : تاريخ الثورة السـورية.دمشـق سـنة ١٩٦٠ ، ص ٤٨٨ .
(١١) وادى النيل : الخميس ٢٧ فبراير ، ص ٧ .
(١٢) المساء : العدد ١٥٥٤ ، الخميس ٢٧ فبراير ، ص ١ .
(١٣) الاخبار : العدد ٤٣٤٨ ، الثلاثاء ١٨ فبراير ، ص ١ ، ٣ .
(١٤) الاهرام : الخميس ١٩ فبراير ، ص ٢ .
(١٥) الاهرام : الثلاثاء ٨ سبتمبر ، ص ٥ .
(١٦) المساء : العدد ١٥٥٧ ، الاثنين ٢ مارس ، ص ١ .
(١٧) جورج انطونيوس : يقظة العرب . ترجمة ناصر الدين الاسد . بيروت . بـدون تاريخ ، ص ١٧٢ .
(١٨) المساء : العدد ١٥٥٧ ، الاثنين ٣ مارس ، ص ١ .
(١٩) البلاغ : الاربعاء ٤ مارس ، ص ١ .
(٢٠) البلاغ : الاحد ١ مارس ، ص ٥ .
(٢١) ذوقان قرقوط ، تطور الحركة الوطنية فى سـوريا مـن ١٩٢٠ الـى ١٩٣٦ . رسالة دكتوراه . جامعة القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢٢٢ .
(٢٢) المقطم : العدد ١١٥٨ ، الثلاثاء ٣ مارس ، ص ١ .
(٢٣) وادى النيل : الاحد ١٢ أبريل ، ص ١ .
(٢٤) مجلة الرسالة : الاثنين ١٠ فبراير ، ص ٢٠١، ٢٠٢ .
(٢٥) عبد الرحمن : الكيالى : المراحل فى الانتداب الفرنسى ، ج٣ ، حلب ١٩٤٦ ، ص ٩ .

(٢٦) محمد رجائي سليم : سياسة الانتداب الفرنسي في سوريا وآثرها على النضال الشعبي من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٣٦ . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة القاهرة ١٩٧٢ ص ١٧٠ - ١٧١ .
(٢٧) نفسه ، ص ١٧٢ .
(٢٨) نفسه ، ص ١٧٣ .
(٢٩) نفسه ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .
(٣٠) عبد الرحمن الكيالي : المراحل في الانتداب الفرنسي.الجزء الثاني ، ص ١٣٥ .
(٣١) كوكب الشرق : الخميس ٢٣ يناير ، ص ٩ .
(٣٢) المقطم : السبت ١ فبراير ، ص ٥ .
(٣٣) وادى النيل : الاحد ٢ فبراير ، ص ٣ ، مصر . الاثنين ٣ فبراير ، ص١ ، كوكب الشرق : الاربعاء ٥ فبراير ، ص ٩ .
(٣٤) احسان هندي : كفاح الشعب العربي السوري : دمشق ١٩٦٢ ، ص ١٦٨ .
(٣٥) وادى النيل : الاحد ٢ فبراير ، ص٣ ، الاهرام : الاحد ٢ فبراير ، ص ٤ . مصر : الثلاثاء ٤ فبراير ، ص٥ ، الاهرام : الثلاثاء ٤ فبراير ، ص ٤ .
(٣٦) مصر : الثلاثاء ٤ فبراير ، ص٥ ، الاهرام : الثلاثاء ٤ فبراير ، ص ٤ .
(٣٧) المقطم : الاحد ١ مارس ، ص٩ .
(٣٨) مقال للاستاذ نسيم صبيحة بعنوان : " سياسة القوة وما تفعله في فلسطين وسوريا " .البلاغ : الجمعة ٣ أبريل ، ص ٢ .
(٣٩) شهدت مصر أول مؤتمر نسائي في تاريخها الحديث عام ١٧٩٩ عندما اجتمع نساء "رشيد" لدراسة وضعهن في المجتمع وانتهى المؤتمر بإرسال مذكرة الى حاكم مصر "نابليون بونابرت" بمطالبهن . اجلال خليفة : الحركة النسائية الحديثة . قضية المرأة العربية على أرض مصر . القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٨٤ .
(٤٠) آمال السبكي : الحركة النسائية في مصر ما بين الثورتين ١٩١٩ و ١٩٥٢ . القاهرة١٩٨٦ ، ص ١٢٩ .
(٤١) اجلال خليفة : المرأة وقضية فلسطين . القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٤٢) نفسه ، ص ١٢٠ ، ١٢١ .
(٤٣) مصر : الاربعاء ٢٢ يناير ، ص ٥ .
(٤٤) مصر : الاثنين ٢٧ يناير، ص٥ ، كوكب الشرق : السبت ١ فبراير ، ص ١١ . عبد الرحمن الكيالي:المراحل في الانتداب الفرنسي،ج٤ حلب١٩٦٠، ص١١٥ .
(٤٥) المقطم : السبت ١٥ فبراير ، ص ٥ .
(٤٦) مصر : السبت ٢٥ يناير ، ص١ .
(٤٧) كوكب الشرق : الثلاثاء ٢٨ يناير ، ص ٩ .
(٤٨) المقطم : السبت ١ فبراير ، ص ٥ .
(٤٩) كوكب الشرق : الثلاثاء ١١ فبراير ، ص ٩ .
(٥٠) المقطم : الاربعاء ، ١٢ فبراير ، ص ٥ ، الاهرام ١٤ فبراير ، ص ٤ .
(٥١) كوكب الشرق : الخميس ٢٠ فبراير ، ص ٩ .
(٥٢) الاهرام : الاربعاء ٥ فبراير ، ص ٤ .

(٥٣) كوكب الشرق : الخميس ٦ فبراير ، ص ٩ .
(٥٤) مصر : الجمعة ٧ فبراير ، ص ٥ .
(٥٥) الاهرام : الجمعة ٧ فبراير ، ص ٤ .
(٥٦) المساء : الاربعاء ٥ فبراير ، ص ١ .
(٥٧) عبد الرحمن شهبندر : الثورة السورية الوطنية . دمشق ١٩٣٦ ، ص ١٢٣ .
(٥٨) المقطم : الاحد ١٩ يناير ، ص ٥ .
(٥٩) محمد رجائى سليم : الحركة الوطنية فى سوريا من ١٩٣٦ الى ١٩٤٥ رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٧٦ ، ص ١٤٥ .
(٦٠) المقطم : الاثنين ١٣ يناير ، ص ١ ، ٥ .
(٦١) المقطم : الاثنين ١٣ يناير ، ص ٥ .
(٦٢) كوكب الشرق : السبت ١٨ يناير ، ص ٩ .
(٦٣) محمد رجائى سليم : الحركة الوطنية فى سوريا ، ص ١٤٥ .
(٦٤) المقطم : الاحد ١٩ يناير ، ص ٥ .
(٦٥) وادى النيل : الاحد ٢٦ يناير ، ص ٣ ، مصر : الاثنين ٢٧ يناير ، ص ١ .
(٦٦) وادى النيل : الثلاثاء ٢١ يناير ، ص ٣ .
(٦٧) محمد رجائى سليم : الحركة الوطنية فى سوريا ، ص ١٤٦ .
(٦٨) المقطم : الخميس ٢٣ يناير ، ص ٣ .
(٦٩) المقطم : الخميس ٢٣ يناير ، ص ٥ .
(٧٠) وادى النيل : الخميس ٢٣ يناير ، ص ٣ .
مصر : الجمعة ٢٤ يناير ، ص ١ .
(٧١) وادى النيل : الاحد ٢٦ يناير ، ص ٣ ، مصر : الاثنين ٢٧ يناير ، ص ١ .
(٧٢) مصر :الاثنين ٢٧ يناير ، ص ٥ ، كوكب الشرق : السبت ١ فبراير ، ص ١١ .
(٧٣) مصر : الاثنين ٢٧ يناير ، ص ٣ .
(٧٤) كوكب الشرق : الاربعاء ٢٩ يناير ، ص ٩ .
(٧٥) كوكب الشرق : الخميس ٣٠ يناير ، ص ٩ .
عبد الرحمن الكيالى : المراحل ج٢ ، ص ١٢٦ .
(٧٦) المقطم : الجمعة ٧ فبراير ، ص ٥ .
(٧٧) المقطم : الجمعة ٧ فبراير،ص ٥ ، كوكب الشرق : الجمعة ٧ فبراير ، ص ٩ .
(٧٨) وزارة الشيخ تاج الدين الحسينى .
(٧٩) المقطم : الجمعة ٧ فبراير ، ص ٥ .
(٨٠) كوكب الشرق : الجمعة ٧ فبراير ، ص ٩ .
(٨١) كوكب الشرق : الجمعة ٧ فبراير ، ص ٩ .
(٨٢) كوكب الشرق : السبت ١٨ يناير ، ص ٩ .
(٨٣) كوكب الشرق : الاحد ٩ فبراير ، ص ٩ .
(٨٤) المقطم : الاحد١٦ فبراير،ص ٥ ، وادى النيل : الاربعاء ١٩ فبراير ، ص ٣ .
(٨٥) المقطم : الاثنين ١٧ فبراير ، ص ١ .
(٨٦) الاهرام : الثلاثاء ١٨ فبراير ، ص ٤ .

(٨٧) كوكب الشرق : الثلاثاء ١٨ فبراير ، ص ٩ .
(٨٨) كوكب الشرق : الاحد ١٦ فبراير ، ص ٩ .
(٨٩) الاهرام : الجمعة ٢١ فبراير ، ص ٤ .
(٩٠) المقطم : السبت ٢٢ فبراير ، ص ١ .
(٩١) مصر : الاثنين ٢٤ فبراير ، ص ١ .
(٩٢) المقطم : الاربعاء ١٢ فبراير ، ص ٥ .
(٩٣) احسان هندى : نفس المرجع ، ص ١٦٨ .
(٩٤) مصر : الاثنين ٢٤ فبراير ، ص ٥ ، الاهرام : الاثنين ٢٤ فبراير ، ص ٤ .
(٩٥) محمد رجائى مليم : الحركة الوطنية فى سوريا ، ص ١.
(٩٦) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثانى ، ص ٥٠ .
(٩٧) مصر : الاثنين ٢٤ فبراير ، ص ٥ ، الاهرام : الاثنين ٢٤ فبراير ، ص ٤ .
(٩٨) الاهرام : الاربعاء ٢٦ فبراير ، ص ٤ .
(٩٩) نفسه .
(١٠٠) المقطم : الخميس ٢٧ فبراير ، ص ١ ، ٥ .
(١٠١) البلاغ : السبت ٧ مارس ، ص ٢ ، وادى النيل : الاحد ١ مارس ، ص ٣ .
(١٠٢) المقطم : الاحد ١ مارس ، ص ٧ .
(١٠٣) الاهرام : الاربعاء ٤ مارس ، ص ٤ .
(١٠٤) البلاغ : الاحد ٨ مارس ، ص٢ ، وادى النيل : السبت ٧ مارس ، ص ٣ .
(١٠٥) الاهرام : الجمعة ٦ مارس ، ص ٤ .
(١٠٦) المقطم : الجمعة ١٣ مارس ، ص ١.
(١٠٧) المقطم : السبت ١٤ مارس ، ص ٥ .
(١٠٨) المساء : الاربعاء ١٥ ابريل ، ص ١ ، البلاغ : الاثنين ٦ مارس ، ص ٢ .
(١٠٩) الاهرام : الجمعة ٣ أبريل ، ص ٤ .
(١١٠) المقطم : الاثنين ٦ ابريل ، ص ٥ .
(١١١) المقطم : الاربعاء ١٥ أبريل ، ص ١ .
(١١٢) البلاغ : الخميس ١٦ أبريل ، ص ٢ ، الاهرام : الاحد ١٩ أبريل ، ص ٩ .
(١١٣) روز اليوسف : الجمعة ١ مايو ، ص ٤ .
(١١٤) روز اليوسف : الجمعة ٨ مايو ، ص ٤ .
(١١٥) الاهرام : الاربعاء ٣ يونية ، ص ٤ .
(١١٦) البلاغ : الجمعة ٢٦ يونية ، ص ٢ .
(١١٧) عبد الرحمن الكيالى : المراحل ج٣ ، ص ١٦٦ .
(١١٨) البلاغ : الخميس ٤ يونية ، ص ١ .
(١١٩) البلاغ : الاربعاء ٣ يونية ، ص ٢ .
(١٢٠) الاهرام : الجمعة ١٩ يونية ، ص ٧ .
(١٢١) مصر : الخميس ١٠ سبتمبر ، ص ١،٥ ، كوكب الشرق : الخميس ١٠ سبتمبر ، ص١ ، الاهرام : الخميس ١٠ سبتمبر ، ص ٢ ، البلاغ : الخميس ١٠ سبتمبر ، ص ١ ، المقطم : الخميس ١٠ سبتمبر ، ص ٣،٧ .

(١٢٢) المقطم : الاربعـاء ٧ أكتوبر ، ص ٥ ، مقال للاستاذ : امين سعيد بعنـوان : (عهد جديد فى سورية) .
(١٢٣) مصر : الجمعة ٢٣ اكتوبر ، ص ٥ .
(١٢٤) مصر : السبت ٢٥ يناير ، ص ١ .
(١٢٥) البلاغ : الثلاثاء ١١ أغسطس ، ص ٢ .
(١٢٦) وادى النيل : الاثنين ٣٠ مارس ، ص٢ .
(١٢٧) الاهرام : الاثنين ٣٠ مارس ، ص ٥ .
(١٢٨) نجيب الارمنازى : سوريا من الاحتلال حتى الجلاء . القاهرة ١٩٥٤، ص٩١ .
(١٢٩) نور الدين حاطوم : محاضرات عـن القوميـة العربيـة . معـهد البحـوث والدراسات العربية ،جامعة الدول العربية . القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٥٧ .
(١٣٠) المقطم : السبت ١٩ سبتمبر ، ص ٩ ، كوكب الشرق : الجمعة ٢٥ سبتمبر ، ص ٥ .
(١٣١) كوكب الشرق : ٢١ سبتمبر ، ص٢ .
(١٣٢) كوكب الشرق : الثلاثاء ١٦ اكتوبر ، ص ٣ .
(١٣٣) المقطم : الاحد ٢٥ اكتوبر ، ص ٥ .
مجيد خدورى : قضية الاسكندرونة . دمشق ١٩٥٣ ، ص ٣١ .
(١٣٤) احسان هندى : نفس المرجع ، ص ١٦٩ .
(١٣٥) نور الدين حاطوم : نفس المرجع ، ص ٦٠ .
(١٣٦) المقطم : الاحد ٨ مارس ، ص ٥ .
(١٣٧) سمير جميل المصاروة : الحزب السورى القومى والاجتمـاعى ١٩٣٢ - ١٩٦٢ . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٣٣٣ / ٣٣٤ .
(١٣٨) مصر : الجمعة ١٣ مارس ، ص ٤ .
(١٣٩) المقطم : الاثنين ٩ مارس ، ص ٥ .
(١٤٠) الاهرام : الجمعة ٢٨ فبراير ، ص ٤ .
الاهرام : الاحد ١٥ مارس ، ص ٥ .
(١٤١) وادى النيل : الاحد ٢٢ مارس ، ص ٣ .
(١٤٢) سمير جميل المصاروة : نفس المرجع ، ص ٣٣٣ / ٣٣٢ .
(١٤٣) المقطم : الاحد ٢٢ مارس ، ص ٥ .
(١٤٤) المقطم : الاثنين ٢٣ مارس ، ص ٥ .
(١٤٥) المقطم : السبت ٤ ابريل ، ص٥ ، الاهرام : الاثنين ١٦ ابريل ، ص ٤ .
(١٤٦) وادى النيل : الثلاثاء ٢١ ابريل ، ص ٣ .
(١٤٧) سمير جميل المصاروة : نفس المرجع ، ص ٣٣٤ .
(١٤٨) المقطم : الاحد ٥ ابريل ، ص ٥ .
(١٤٩) وادى النيل : الخميس ٩ ابريل ، ص ٣ .
(١٥٠) البلاغ : الخميس ١٨ يونية ، ص٥ ، الاهرام : الخميس ١٨ يونية ، ص ٥ .
(١٥١) روز اليوسف : الخميس ٢ يوليه ، ص ٥ .
(١٥٢) البلاغ : الخميس ٩ يوليه ، ص ٥ .

(١٥٣) الاهرام : الاحد ١٢ يوليه ، ص ٤ ، مصر : الاثنين ١٣ يوليه ، ص ٣ .
(١٥٤) محمد رجائى سليم : الحركة الوطنية فى سوريا ، ص ١٦٥ .
(١٥٥) الاهرام : الخميس ٢٣ يوليه ، ص ٦ .
(١٥٦) البلاغ : الثلاثاء ٢٨ يولية ، ص ٢ .
(١٥٧) البلاغ : الاحد ٢ أغسطس ، ص ٢ .
(١٥٨) البلاغ : الاحد ٩ أغسطس ، ص ٢ .
(١٥٩) مصر : الاثنين ١٠ أغسطس ، ص ٥ .
(١٦٠) البلاغ : الاحد ٢٠ سبتمبر ، ص ٢ .
(١٦١) المقطم : الثلاثاء ٦ أكتوبر ، ص ٥ .
(١٦٢) المقطم : الاربعاء ٢٣ سبتمبر ، ص ٥ .
(١٦٣) البلاغ : الاحد ٢٨ سبتمبر ، ص ٢ .
(١٦٤) كوكب الشرق : الاربعاء ٢٨ اكتوبر ، ص ٣ .
(١٦٥) ليدى سبيزر : قصة الاستقلال فى سوريا ولبنان . ترجمة : منير البعلبكى ، بيروت١٩٤٧ ، ص ٧٥ .
(١٦٦) المقطم : الخميس ٢٢ اكتوبر ، ص ٥ .
(١٦٧) المقطم : الجمعة ٢ اكتوبر ، ص ٩ .
(١٦٨) الوطنية : سياسية اسبوعية ، العدد ٥٣٨٥ ، الخميس ١٧ سبتمبر ، ص ١٢ . وايضا المصور : اسبوعية العدد ٦١٢ الجمعة ١١ سبتمبر ، ص ١٠ .
(١٦٩) لسان العرب : اسبوعية ، سياسية ، ١٨ سبتمبر ، ص ١٤ .
(١٧٠) روز اليوسف : الخميس ٧ مايو ، ص ٤ .
(١٧١) مصر : الثلاثاء اول سبتمبر ، ص ٥ .
(١٧٢) البلاغ : الاربعاء ٩ سبتمبر ١٩٣٦ ، ص ١ .
(١٧٣) الاهرام : الاربعاء ٩ سبتمبر ١٩٣٦ ، ص ١ .
المصور : الخميس ١٠ سبتمبر ١٩٣٦ ، ص ١ .
(١٧٤) الاهرام : الاحد ١٣ سبتمبر ، ص ٧ .
(١٧٥) المقطم : الخميس ١٠ سبتمبر ، ص ٣ ، ٧ ، كوكب الشرق : الخميس ١٠ سبتمبر،ص١ .
(١٧٦) الاهرام : الاحد ١٣ سبتمبر ، ص ٧ .
(١٧٧) عبد الرحمن الكيالى : المراحل ، ج ٤ ، ص ١٦٧ .
(١٧٨) المصور : الخميس ١٧ سبتمبر ، ص ١١ .
المقطم : الجمعة ١٨ سبتمبر ، ص ١ ، ٤ .
(١٧٩) نجيب الارمنازى : نفس المرجع ، ص ٨٦ .
(١٨٠). الاهرام : الاحد ٦ سبتمبر ، ص ٦ ، الاخبار : الاحد ٦ سبتمبر ، ص ٤ .
(١٨١) البلاغ : الاثنين ٧ سبتمبر ، ص٤ ،كوكب الشرق : الاثنين ٧ سبتمبر، ص ٥ .
(١٨٢) عبد الرزاق الحسنى : تاريخ العراق السياسى الحديث . الجزء الثانى صيدا ،١٩٤٨، ص٢٠٥ ، ٢٢١.
(١٨٣) محمد رجائى سليم : الحركة الوطنية فى سوريا ، ص ١٧٠ .

(١٨٤) صلاح العقاد : المشرق العربى المعاصر . القاهرة ١٩٧٠ ، ص ٣٥ .
(١٨٥) البلاغ : الخميس ١٦ أبريل ، ص ٢ .
(١٨٦) ذوقان قرقوط : تطور الحركة الوطنية السورية ، ص ٢٢٧ .
(١٨٧) المقطم : السبت ١٣ أكتوبر ، ص ٥ .
(١٨٨) سعيد التلاوى : كيف استقلت سوريا . دمشق سنة ١٩٥٠ ، ص ٨٠ .

مصادر البحث

مذكـــرات :

١) بول بلتز : حقائق ووثائق لم تنشر عن الثورة السورية الكبرى .
تعريب : فريدريك رزيق .
دمشق ١٩٣٦ .

٢) عبد الرحمن شهبندر : الثورة السورية الوطنية .
دمشق ١٩٣٣ .

٣) الليدى سبيرز : قصة الاستقلال فى سوريا ولبنان .
ترجمة : منير بعلبكى . بيروت ١٩٤٧ .

دوريـــــات :

من بداية شهر يناير عام ١٩٣٦ حتى نهاية شهر اكتوبر عام ١٩٣٦ .

١) الاخبار
٢) الاهرام
٣) البلاغ
٤) الرسالة
٥) روز اليوسف
٦) المساء
٧) مصر
٨) المصور
٩) المقطم
١٠) كوكب الشرق
١١) لسان العرب
١٢) وادى النيل
١٣) الوطنية

مراجع عربية :

١) احسان هنـدى :كفاح الشعب العربى السورى ١٩٠٨ - ١٩٤٨
دراسة تاريخية عسكرية .
دمشق ١٩٦٢ .

٢) د. اجلال خليفة :الحركة النسائية الحديثة . قصة المـرأة العربيـة
علي ارض مصر .
القاهرة ١٩٧٣ .

٣) " " :المرأة وقضية فلسطين .
القاهرة ١٩٧٤ .

٤) ألبرت حورانى :الفكر العربى فى عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩
ترجمة : كريم عزقول .
بيروت ١٩٦٨ .

٥) د. آمال السبكى :الحركة النسائيـة فى مصر ما بين الثورتيـن
١٩١٩ - ١٩٥٢ .
القاهرة ١٩٨٦ .

٦) جورج انطونيوس :يقظة العرب .
ترجمة : د. ناصر الدين الاسد .
بيروت / بدون تاريخ .

٧) سعيد التلاوى :كيف استقلت سورية .
دمشق ١٩٥٠ .

٨) د. صلاح العقاد :المشرق العربى المعاصر .
القاهرة ١٩٧٠ .

٩) د. عبد الرحمن الكيالى : المراحل فى الانتداب الفرنسى وفى نضالنـا
الوطني من ١٩٣٦ - ١٩٣٩ .
الجزء ١ ، الجزء ٢ ، الجزء ٣ .
حلب ١٩٤٦ .

١٠) " " : الجزء الرابع .
حلب ١٩٦٠ .

١١) عبد الرزاق الحسنى : تاريخ العراق السياسى الحديث .
الجزء الثانى . صيدا ١٩٤٨ .

١٢) د. محى الدين السفرجلانى : تاريخ الثورة السورية .
دمشق ١٩٦٠ .
١٣) د. مجيد خدورى : قضية الاسكندرونة .
دمشق ١٩٥٣ .

<u>رسائل جامعية :</u>

١) ذوقان قرقوط : تطور الفكرة العربية فى مصر من ١٨٠٥ إلى ١٩٣٦ ماجستير . جامعة القاهرة ١٩٧١ .
٢) " " : تطور الحركة الوطنية فى سوريا من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٦ دكتوراه . جامعة القاهرة ١٩٧٤ .
٣) سمير جميل مصاروة : الحزب السورى القومى الاجتماعى ١٩٣٢ ١٩٦٢ ماجستير . جامعة القاهرة ١٩٧٥ .
٤) محمد رجائى سليم : سياسة الانتداب الفرنسى فى سوريا واثرها على النضال الشعبى من ١٩٢٠ – ١٩٣٦ ، ماجستير جامعة القاهرة ١٩٧٢ .
٥) " " : الحركة الوطنية فى سوريا ١٩٣٦ إلى ١٩٤٥ دكتوراه ، جامعة القاهرة ١٩٧٦ .

علاقة مصر بمكة المكرمة

من خلال المجاورين زمن سلاطين الأيوبيين

د/ سليمان بن عبد الغنى مالكي
كلية التربية بالطائف - جامعة أم القري

المجاورة[١]

توسعت معاجم اللغة فى معناها وأوضحت بجلاء لا غموض فيه أنـــها فى هذا الصدد تعني المكث بحرمي مكة والمدينة فترة قد تقصر أو تطــول أو تدوم حسب حاجة المجاور وراحته، وتنتهى إما بموته، أو خروجه مما ذكر.

وعن حكم المجاور بمكة، فأكثر العلماء على استحبابها، منهم الشـــافعى وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة، وأبو القاسم صاحب مـــالك وأحمد بن حنبل - رحمهم الله - وهؤلاء رأوا فى القربى إليه تعالى مجاورتـه كالرباط والصلاة، ونقل الفاسى عـــن النـــووى فـــى الإيضـــاح أن المختـــار استحباب المجاورة فى مكة، بينما ذهب إلى كراهيتها فريق آخر من العلمـــاء منهم أبو حنيفة، وجماعة من المحتاطين فى دين الله، ولكل وجهته فى علـــة حكمه[٢].

فمن رأى استحبابها استند فى علة حكمه بأمور منها ماحكاه الفاسى نقـلا عن المحب الطبرى فى القرى بعدم كراهية المجاورة لأحمد بن حنبـــل فـــى خلق كثير، فالذنب يقابل بما يُرجى لمن أحسن مضاعفة الثواب[٣].

وفى هذا الصدد قال المحب الطبرى : (وكره أبو حنفية الجوار بمكة ووجه الكراهية : خوف الملل ... - إلى أن قال - ولم يكره المجاورة أحمد بن حنبل فى خلق كثير لأنها فضيلة، وما يخاف من ذنب فيقابل بما يرجى لمن أحسن من تضعيف الثواب..) (٤) .

وقد افاد النهروالى من كراهة المجاورة لأبى حنيفة فى أنها مبنية على ضعف المسلم عن مراعاة حرمة البيت الشريف، وعلى ذلك فمن أمكنه الاحتراز عن ذلك، وتأكدت قدرته على الوفاء بحرمته، وتعظيمه فى قلبه وعينه كما كان عند دخوله فيه ومشاهدته إياه فالإقامة بمكة هى الفضل العظيم، والفوز الكبير يتضاعف الحسنات بها، وأكثر العلماء بعدم تضاعف السيئات(٥) .

ولذلك كانت رغبة عائشة - رضى الله عنها - فى سكنى مكة إذ قالت: لولا الهجرة لسكنت مكة، فإني لم أر السماء أقرب إلى الأرض منها بمكة، ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة، أيضا تمنى بلال - رضى الله عن - العود إلى أماكن بها وما حولها لأمر سبق ذكرها كتضاعف الحسنات وزيادة الطاعات وغيرها.

ولذلك جاور بها سلف الأمة وخلفها، وما خرج النبى صلى الله عليه وسلم منها إلا مكرها.

وما نقله ابن ظهيرة من حديث أبى سلمة عن عبدالله بن عدي فى قوله :رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا بالحزورة (٦) يقول :

(والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت) [٧].

وليس أدل على استحباب المجاورة بمكة من عظم تعظيمها من الله تعالى وتعظيم بيته فأقسم بها فى كثير من آياته، واضاف اسمها إلى اسمه تعالى فى قوله : (فليعبدوا رب هذا البيت) [٨] ، وقوله : (لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد) [٩] ، وقوله : (وهذا البلد الأمين) [١٠] ، وقوله : (إنما أمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة الذى حرمها) [١١] .

ولا يقسم الله تعالى إلا على ما عظم أمره وارتفع قدره.

وفضلاً عن ذلك فبيته الحرام بمكة قبلة المسلمين أحياء وأمواتا والحج إليها كل عام، وتحريمها منه تعالى يوم خلق السماوات والأرض، وهى مسقط راس خير البرية عليه السلام وبها كانت أقامته قبل النبوة وبعدها بثلاثة عشر عاما ومحل نزول القرآن فى أكثره ومهبط والوحى ومزايا لا حصر لها[١٢] .

وبجانب مزايا المجاورة بمكة لابد وأن نذكر شيئا عمن ذهبوا إلى كراهية المجاورة بها، وواضح من خلال إشارات المؤرخين فى هذا الصدد أنهم اعتمدوا على أمور منها: خشية الملل المؤدي إلى قلة الاحترام لمداومة الأنس بالمكان،أو ارتكاب ما يتضاعف جرمه عند الله تعالى فى هذا المكان.ولاشك أن قلة الاحترام إنما تتأتى بالألسن والتبسط الذى يذهب الاحترام من القلوب، ويمحو عنها الهيبة بقدسية المكان فيصير – فى نظرهم القاصر – كسائر الأمكنة والعياذ بالله[١٣] .

وعلى ذلك فقد أنيط بالمجاورة حكم الكراهة.

وبناء على ما ذكر فقد رأي جمهور العلماء أن إقامة المسلم فى وطنه وهو مشتاق إلى مكة فى حرمها الآمن وأن حرمتها باقية فى نظره خير له وأسلم من مقامه بها مع ارتكابه ما ذكرنا، أو مع نقص احترامه لها ولهذا كان عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – يدور على الحجاج بعد قضاء مناسكهم مناديا : يا أهل اليمن يمكنكم، ويا أهل الشام شامكم، ويا أهل العراق عراقكم، فإنه أبقى لحرمة بيت ربكم فى قلوبكم (١٤) .

ويؤكد هذا ما نقله الفاسي وغيره عن ابى عمرو الزجاجى فى قوله : من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشئ سوى الله، فقد ظهر خسرانه.

أيضا كان مفاد ما ذكره بعض السلف فى أخبارهم بأن من بعد عن الحرم، وتعلقت قلوبهم كان أقرب إليهم ممن طافوا به، وإلى هذا كان قول القائل :

كم من بعيد الدار نال مراده وكم من قريب الدار مات كئيبا (١٥)

وجريا على كراهة المجاورة كان اختيار عبدالله بن العباس – رضى الله عنه – المقام بالطائف وما حولهما على مكة قائلا

لئن اذنب سبعين ذنبا بغير مكة احب إلى من أذنب ذنبا واحد بمكة(١٦) .

ولذلك كان أبو حنيفة – رضى الله عنه – حذارا مدة إقامته بها أيضا كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعون بعد حجهم، أو عمرتهم ولا يجاورون(١٧) .

والمجاورون عموما هم الوافدون إلى مكة والمدينة على مر القرون من أماكن بعيدة نائية، أو قرية دانية، وامتزجوا بأهالي هذه البلاد، وساهموا في نسيج المجتمع الحجازى، وخاصة فى أهم مقدساته مكة والمدينة وهؤلاء وأن تعددت أجناسهم، فقد كان مهم العلماء والقضاة والفقهاء وتصدروا أهم المناصب العلمية والدينية بحرص مكة والمدينة وإضافة لهؤلاء، فقد توافد الصوفية للعبادة وطلب العلم يتعلمون ثم يعلمون، وساعدهم على ذلك كبار أعيان المسلمين الذين وفدوا إلى هذه الأماكن المقدسة لقضاء بقية حياتهم على مقربة من الحرمين الشريفين وكانوا عل قدر كبير من الثراء، فأنفقوا وأحسنوا إلى هؤلاء وأولئك راجين عفو الله ومضاعفة ثوابه، فأنشئوا لهم الأربطة لمأواهم سكنا وتعلمياً ، وأجروا عليهم الخيرات الوفيرة والكساوى الجليلة، ورباط راشت الذى أنشأه فى سنة ٥٢٩هـ مثال من أمثلة كثيرة كانت فى خدمة رجال الصوفية وأصحاب المرفعات(١٨) .

وضم عدد المجاورين التجار الذين امتلكوا البيوت التجارية العظيمة، والأشياء الثمينة(١٩).

وأيضاً جاور من عصفت بهم الفتنة فى بلادهم وخاصة العلماء وغيرهم كثير لا يتسع المقام لذكرهم.

وهؤلاء المجاورون كانت لهم أنشطتهم فى شتى مجالات الحياة لدرجة أدت إلى ضيق أهل مكة والمدينة بهم حيث ذهبت من بين أيديهم معظم الصدقات التى كانت ترد إليهم، أضف إلى ذلك مصاهرتهم ومعاشرتهم لهم، وصار سوادهم خليطا فى خلقهم وخلقهم فنراهم قد جمعوا إلى طبائعهم

عادات وتقاليد كان تأثيرها على اللغة واضحا فى كلامهم بلغة يكثر فيها الحشو من كلمات عربية مشوبة بالعامية غامضة كقولهم فى صيغة الأمر للجمع (هيا صلون) أو (زكنة) أى فكره، أو (ازهم فلان) أى ادعه، ويجمعون الرجل على (أوادم) (٢٠) وغيرها...

وما نود أن نلفت نظر القارئ إليه فى هذا الصدد أن المجاورين بكثرتهم كانوا يمثلون العلماء الزهاد، أما الأقلية الباقية فكانت من مهاجرى الأمصار الإسلامية الذين عصفت بهم الفتن فى بلادهم ، أو من كبار التجار الذين فضلوا المجاورة لبذل ما لديهم من مال فى نهاية أعمارهم وهرع الجميع إلى مهبط دينهم ومثوى نبيهم صلى الله عليه وسلم لم ينشدوا من ورائه الا ابتغاء مرضاة الله، فكانوا بعلمهم وأموالهم خيرا وبركة على هذه البلاد(٢١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن نشاط المجاورين علميا كان فى القرون الأولى للإسلام، ثم تراجعت – شيئا ما – مع موافاة القرن الرابع والخامس حتى نهاية العصر الفاطمى بسبب هجرة العلماء إلى الأمصار الأخرى هروبا من ظروف ألمت بمكة المكرمة سلبت ما نعموا به من استقرار قد وفر لهم جوا علميا زاد من إنتاجهم، ومع ذلك فلم تنقطع المجاورة رغم قلتها إلا أنها أخذت فى الزيادة عما كانت عليه فى العصر الفاطمى بسبب ما شهدته مكة من استقرار سياسى معروف كان رهنا برضى حكام الحجاز، أو السلاطين آنذاك(٢٢).

وهذا الاستقرار بلا شك قد هيأ للمجاور راحة مشمولة حيث توافرت له جل وسائل معيشته سكنا ومعيشة من قبل أهل الخير حكاما، أو موسرين بما شيدوه لهم من مبرآت خيرية كالأربطة والمدارس، وضمانا لاستمرارية ثوابهم ورفع هومهم المجاورين مستقبلا أوقفوا عليها أوقافا من ريعها وفر لهم ما يكفيهم، فتوفروا بذلك للعلم وخدمته [٢٣].

أيضا أفادت إشارات المؤرخين أن أنشطة المجاورين العلمية قد تناولت سائر العلوم الدينية والعربية وقل اشتغالهم بالعلوم العقلية.

وبصدد إشارات المؤرخين أيضا اثبت المجاورين كغرباء جديتهم علما وعملا وعبادة، وظهر نشاطهم واضحا فى سائر معارفهم تدريسا وتحديثا وتصنيفا حتى ظهروا على أهل البلاد الأصليين بدليل أنهم تولوا أهم المناصب الدينية فى الحرم الشريف كالإمامة والخطابة والإفتاء والقضاء وغيرها، فما من ترجمة لأحدهم غالبا إلا ونجد بعد اسمه إمام الحرمين ومفتيهما، أو القاضى ونحو ذلك[٢٤].

أيضا من ملاحظتنا لتراجم هؤلاء وغيرهم نجد أن السمة الغالبة على أنشطتهم العلمية التصنيفية أنهم تناولو أكثر من علم فى مصنف واحد، ويبدو أن الاستقرار للمجاور فضلا عم معايشته فى جو نفسى هادئ برحاب الحرمين قد أتاح له أن يتفوق فى علوم متباينة فضل حشوها فى مؤلف واحد فكلها يخدم بعضها بعضا فى توضيح معناها وبيان مغزاها.

أيضاً مما يوجب الالتفات غليه أن لفظ مجاور جـــاءت فـــى إشـــارات المؤرخين باصطلاحات متباينة فى مسمياتها لفظاً لكنها تعود إلى المجـــاورة معنى كالعائذ، أو النزيل، أو المستوطن وغيرها مما سيظهر فيما بعد.

وبعد هذا العرض الذى لابد منه عموماً عن معنى المجـــاورة وحكمـــها وملاحظتنا حول ما دار عنهم من إشارات المؤرخين وانصهارهم بشـــكل أو بآخر فى نسيج واحد مع المجتمع الحجازي نعود إلى ما نحن بصدد الحديـــث عنه وهو :

علاقة مصر بمكة المكرمة من خلال المجاورين زمن الأيوبيين

ولعل اختيارى لهذا الموضوع بات واضحاً من خلال مـــا ســـقناه عـــن استقرار أحوال مكة فى هذه الفترة – إلى حد ما من غيرها – وغير خاف مـــا للاستقرار من أثر إيجابي على نهضة البلاد عامة، وإحياء النشـــاط العلمـــي خاصة ودفعه إلى الأمام خطوات وخطوات على أيدى رواده مـــن المعلميـــن والمتعلمين .

أما إذا غاب الاستقرار فلا نهضة ولا إحياء لنشاط علمـــى لانصـــراف الناس عن طلبه والتبحر فيه، أيضاً سوف يكون عاملاً قويـــاً فـــى صـــرف الحجاج عن المجاورة بالحرم الشريف، أو تقصير مدة بقائهم فيها، وفى ذلـــك إضعاف لجهود المجاورين الغرباء فى تحصيل العلم ونشره والتواصـــى بـــه وترجيحا لهذا الاختيار أيضاً وجدت إشارات المؤخرين تفيد أن أكـــثر نســـب المجاورين توافدا إلى مكة كانت من مصر ربما لقربها من مكة فضـــلاً عـــن بروز سبب آخر ساعد على كثرة مجاورتهم لمكة فى هذه الفترة وغيرها.

وهى أن حكام مصر كانت لهم السيادة على بلاد الشام والحجاز، فحقق ذلك لهم أمنا وميزة قلما توافرت لغيرهم من سائر البلاد، ويأتي بعدهم المغاربة واليمنيون والعراقيون، وأقليات إسلامية من بلاد أخرى[٢٥].

العلاقة بين مكة ومصر من خلال المجاورين

وهذه العلاقة فى عمومها مؤكدة من قبل وليست وليدة هذه الفترة بل كانت قديمة وعبر هذه العصور فى أجيال متعاقبة، وارتفعت شامخة رغم كل الظروف والأحوال الطارئة أو المتغيرة، وظلت ممتدة ومتجددة لأنها كانت محكومة بعمق الوشائج الدينية واللغوية والفكرية فضلاً عن الجوار، واتصال الحدود الذى كان لكل منها أثره البالغ فى قوة هذا الترابط ودعمه، وأعلى هذه الروابط بلاشك هو رباط الدين، وأنعم به من رباط أتاح الرحلة التى كانت شبه إلزامية من مصر وغيرها إلى بلاد الحجاز، ومنها إلى مصر، وهؤلاء وأولئك قد أكدوا العلاقة بين كل البلدين وتفاعلوا بمعارفهم وشتى علومهم فى ازدهار هذه البلاد حضارياً وتأكيداً على ذلك نرى عمر بن عبد المجيد العبدرى، وهو تقى الدين أبو حفص وهو نزيل مكة وشيخها وخطيبها، مسموعاته كثيرة على كبار علماء الإسكندرية، فقد لقى بها ابا عبدالله محمد بن أحمد الرازى وأخذ عنه سداسياته، وتناولها منه، وسمع من أبى عبدالله محمد بن على بن عمر الملزَري كتابه (المُعْلم بفوائد مسلم) وغيره وروى عنه خلق كثير.

قال الفاشى : ذكره منصور بن سُلَيم فى تاريخ الإسكندرية وقال المالكي وترجمه بالفقيه، وذكر أن من تواليفه (المجالس المكية) و (إيضاح ما لا يسع

المحدث جهله) وكتاب (الروضة فى الرقائق) وذكر أنه حدث بمصر ومكة وصارخطيبها، وكان عالما ورعا ثقة أخذ عنه العلم خلق كثيرون.

وتراجم العلماء له تدل على انه كان محدثا متقنا صالحا[٢٦].

أيضا من علماء الحجاز المجاور بمكة مدة طويلة بأهله هو محمد بن محمد بن محمد البكري، المكنى بأبي الفتوح الصوفي النيسابوري، المتوفى سنة ٦١٥هـ من البلاد التى رحل إليها تحصيلا لمعارفه الإسكندرية وسمع على كبار علمائها كالحافظ السلفي وغيره وكثر تحديثه بمصر ودمشق وبغداد ومكة [٢٧].

وممن جاور بمكة من مصر الفقيه المفتي الشافعي المذهب أبوعلي ناصر بن عبدالله بن عبد الرحمن بن حاتم المصري – العطار بمكة، وفضلا عن كنيته بابي علي فقد كان يكنى أيضا بأبي الفتح المكي، قدم إلى مكة حاجا سنة ٥٧٠ هـ وأقام بها إلى وفاته مشغولا بالعلم وأهله، مصاحبا لأهل الفضائل مسموعاته بمكة على كبار علمائها كثيرة، فقد سمع صحيح البخارى من أبي الحسن على بن حميد بن عمار الأطرابلسي، وحدث عنه، وقرأ الفقه على الإمام تقي الدين ابي عبدالله بن أبي الصهيف وغيره وحدث بالصحيح، وسمع على غيره كالرشيد العطار الذي سمع منه صحيح البخارى وغيره، وذكره فى مشيخته، وقال بعد أن اخرج عنه حديثا: الشيخ ابو على هذا شيخ مصري استوطن مكة، وجاور بها أكثر عمره، ومن قدومه إلى مكة تألق نجمه ونشر علمه بين الأهالي وأوساط المجاورين وحجاج بيت الله الكريم،

وبث بين الجميع علماً جَمّاً، وحمل سماعاً عنه وقراءة عليه عدد كبير من أبناء تلك البلاد ووافديها.

ولاسيما وأنه لم يترك وقفة من وقفات عرفات منذ دخلها في عامه المذكور، وقد بلغت على ما ذكره المؤرخون أكثر من ستين وقفه.

وخلالها كان ينشر معارفه ويذيع مختلف علومه بين الناس في كل مكان كالمشاعر المقدسة والأربطة، وكان معيداً بمدرسة الأرسوني بمكة، والتى وافقت الدراسة فيها مذهبه الشافعى[٢٨] وترددت آراء المؤرخين حول مولده ووفاته، فمولده ما بين السنوات ٥٣٨-٥٣٩-٥٤٢، وفاته ما بين ٦٣٣، ٦٣٤ [٢٩].

ومن علماء الحجاز الذى جاور بمكة زمانا هو محمد بن إبراهيم بن أحمد بن طاهر الشيخ فخر الدين أبو عبدالله الفقيه الصوفى المتوفى سنة ٦٢٢هـ، مسموعاته كثيرة على كبار علماء البلاد، وأكثر على جهابذة علماء مصر، فقد سمع بالإسكندرية من الحافظ السلفى وأكثر عنه، وسمع من غيره، وتفقه على مذهب الشافعي بجماعة من أكابر علماء مصر ختمهم بأبي البركات محمد بن الموفق الخبوشاني.

يقول عنه الفاسى : افتى وذكر وحدث وفسر وحج مرات وجاور كرات ولزم بآخره قرافه مصر، واقطع فيها بمعبد ذى النون المصري وكان مكينا مكانه موطنا على الديانة.

من تأليفه

مطية النقل وعطية الفعل فى علم الكلام، وكان فى تأليفه شـديد الميـل إلـى طريقة الصوفية الفلاسفة. (٣٠)

أيضاً على مثال السابق محمد بن محمد بن أبي بكـر الـرازي – أبـو عبدالله المكي مسموعاته كثيرة، وإسماعاته وتحديثه عم بلاد الحجاز ومصـر، فقد حدث عن ابن ألبنا بعد سماعه عليه وعلى غيره، وأسمع غيره كالحافظين أبي العابس بن الظاهري، والشريف أبو القاسم الحسينى، وإسـماعاته بلغـت أقاصي بلاد مصر، وفاته فى ٣ من رجب سنة ٦٦٥هـ بقوص من صعيـد مصر الأعلى (٣١).

ومن كان همزة الوصل وحامل لواء المعرفة بين مصر ومكة صديق بـن يوسف بن قريش: الفقيه أبو الوفاء الحنفي كان بمصر مستوطناً ومسـموعاته على كبار علماء الإسكندرية ومصر وأفاد الفاسـي عنـه أن مولـده سـنة ٥٣٨هـ أو سنة ٥٣٧هـ وأنه سمع بالإسكندرية من الحـافظ ابـي طـاهر السلفي وغيره، ومن أبى القاسم البوصيرى بمصر وغيره.

وبعد أن وليّ بمصر حِسْبَة البلد نيابة عن ابن الطلقانى مدة، حج إلى مكـة وولى بها التدريس بمدرسة الزنجيلى، أو ابن الزنجيلي وقـد أغفـل الفاسـي وغيره نوعية مادة تدريسه بهذه المدرسة ومن العلوم أنه كان يـدرس الفقـه الحنفي لأن هذه المدرسة كانت موقوفة على أنصار المذهـب الحنفـي، وأن مدرسيها كانوا أحنافا(٣٢).

وتتزاحم إشارات المؤرخين عمن أكدوا العلاقة العلمية بين مكة ومصر وأفادت بأن منَ ساهموا فى توطيدها ايضا، وحملوا مشاعل نورها محمد بن عبدالله بن موهوب بن جامع بن عبْدون البغدادي، وهو أبو عبدالله الصوفى، المعروف يابن البنا - توفى بدمشق فى منتصف ذى القعدة سنة ٦١٢ هـ - المجاور بمكة سنين على ما ذكره الفاسي.

مسموعاته على مشاهير علماء مصر ومكة والمدينة والشام كثيرة وأثرى الحياة العملية بمصر ومكة وغيرها عمن أسمعهم بهذه البلاد، وأفاد المنذري أن محمد هذا قد حدث ببغداد، وبما ذكرنا، وبعد أن ذكر أنه فى سنة ٦٠٧ هـ نزل بمصر بخانقاه السعيدية بالقاهرة، وحدَّث بها بعد أن زاد تحديثه بمكة سنة ٦٠٦هـ وتبادل السماع والمدارسه مع الحافظ أبي الحسن المقدسي وغيره، ثم ذهب إلى دمشق مقيماً بها حتى وفاته(٣٣).

وممن تفاعل بشتى معارفه وأخذ دوره العملى كسابقه سماعاً على مشاهير علماء مكة ومصر وغيرها هو يحي بن ياقوت بن عبدالله البغدادي الحرَمي - ت ٦١٢ هـ ببغداد - ومن نسبته بالحرمي نعلم أنه كان منسوباً إلى مشيخة الحرم الشريف بمكة، وقد اشتهر بدقة فى سماعه وإسماعه وروايته وتحديثه، وقد أثرى الحياة العلمية بهذه البلاد وغيرها لكثرة رحلاته، وكثرة ستين عمره التى قاربت التسعين عاما(٣٤).

وتمتد راية المعرفة متالقة من خلال أشهر روادها الذين حملوا مشاعل نورها وقادتهم بشتى معارفها لتأكيد العلاقة العلمية بين مكة ومصر التى وسعتهم على أرضها مولدا ونشأة ووفاة، وعلى يد كبار علمائها ثقافة،

وسنرى فى عجالة سريعة إلى أي حد وصلت هذه العلاقة من خلال أنشطتهم تعليما وتعلما فى كل البلدين عن طريق رحلاتهم العلمية المتبادلة التى دامت عبر هذه الفترة وما سواها.

فمن كانوا أرسل ثقافة فى هذا الصدد على سبيل المثال لا الحصر الشيخ الفقيه الزاهد ابو العباس : أحمد بن على بن الحسين بن عبدالله بن أحمد بن ميمون بن راشد القيسي[٣٥] – أبو العباس القسطلاني[٣٦] المصري، المكى المالكي، ولادته بمصر فى ربيع الأول سنة ٥٥٩ هـ ومن خلال اسمه نعلم أنه مصري المولد مالكي المذهب مكي الم بثقافته الواسعة على كبار علماء مصر وأكثر شيوخها، فقد قرأ بمصر المذهب على خاله القاضي المرتضى القسطلاني وغيره، والعلاقة بالطبع مدركة من خلال هذه القراءة بين القارئ والمقرئ، فهما مكيان مصريان، تفاعلا بمعارفهما سماعا وإسماعا بمصر ومكة وغيرها وفضلاً عن قراءة أبي العباس على خاله المذكور، فقد سمع الحديث بمصر من أبي القاس البوصيري وعلى غيره، وأجاز له الحافظ السلفي والميانش وغيرهما.

وسمع منه الكثير من علماء مصر، ومن ترجمات ولده قطب الدين ذكر فيها من صفاته الجميلة أشياء كثيرة كما قال الفاسى منها (ما يتعلق بحاله فىالعلم، وأنه درس وأفتى وهو ابن ثاني عشرة سنة) وأفاد بأنه قدم مكة من مصر سنة ٥٨٣ هـ حاجا، وحج قبل سنة ٦٠٠ هـ مرارا، ثم قدم مكة بنية المجاورة سنة ٦٠٢هـ، وأقام بها مجاورا حتى سنة ٦٠٨هـ، ثم عاد إلى مصر ، ثم قدم إلى مكة من مصر مع الحاج فى سنة ٦١٩ هـ أو سنة ٦٢٠ هـ واستوطنها حتى وفاته بمكة فى مستهل جمادى الأخرة سنة ٦٣٦هـ.

وافاد المنذرى بأن مصر نعمت بتصدره للفتوى فيها فضلا عن تدريسه بالمدرسة المالكية بمصر (٣٧).

قال المنذرى : (سمعت منه بمصر وبالمنصورة وسالته عن مولده فقال: إنه فى ربيع الآخر سنة ٥٩٩هـ بمصر) وذكر وفاته كما ذكرها الفاسي وغيره (٣٨).

وسار على نهج السابق ابنه على بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن وهو الملقب بتاج الدين، والمكنى بأبى الحسن ابن الشيخ ابى العباس القسطلاني المصري المكى المالكى، ولادته فى ٢٧ من جمادى الأول سنة ٥٨٨هـ، مسموعاته كثيرة على مشاهير علماء مكة ومصر ، فقد سمع بمكة صحيح البخارى من الشريف يونس بن يحي الهاشمى، وجامع الترمزي من زاهر بن رستم وسمع من الحصري مسند الشافعى وسنن ابي دواد، والنسائي.

وقد اقام من أبى الحسن بن جبير : كتاب الشفاء مع والده بمكة سنين كثيرة وبعده وحدث بها ومسموعاته بمصرمن ابي الحسن بن جبير :كتاب الشفاء للقاضي عياض عن التميمي، اجازه عنه وغيره بمصر وحدث بها، وسمع منه الأعيان وآخر أصحابه أبو الفتح الميدومي وله منه إجازة، وبعد أن تفقه فقد أفتى ودرس بمدرسة المالكية المجاورة للجامع العتيق بمصر وكان بذلك خلفا لوالده فى هذه المدرسة إفتاء وتدريسا ونشاطه لم يكن قاصر على هذه المدرسة فحسب بل فى كل مكان نزل فيه، ووسعت أنشطة المدرسة

الكاملية [٣٩] بمصر فقد درس فيها، وعمل فى فتواها، ثم ولى مشيختها حتى وفاته سنة ٦٦٥هـ، ودفن بسفح المقطم بالقاهرة[٤٠].

ومما يستحسن ذكره فى هذا الصدد أن المدرسة الكاملية بمصر المذكورة آنفا فضلا عن المدرسة المالكية قبلها قد وسعت أنشطة جهابذة العلماء من مصر ومكة الذين برعوا فى مختلف العلوم والفنون ولاسيما الفقهية والحديثية بل تولى بعضهم مشيختها وادارتها وترأس الفتوى فيها فأول من درس وتصدر الفتوى فيها من مصر أبو الخطاب عمر بن الحسن بن عكي بن دحية، ثم أخوه أبو عمر عثمان بن الحسن، ثم الحافظ المنذري، ثم الرشيد العطار وكل هؤلاء أنشطتهم مدركة من خلال تراجم العلماء عموما من مكة ومصر.

سبق ذكر بعضهم لكن كتب التراجم نادرا ما تغفل ذكرهم فى هذه الفترة وما بعدها أيضا وسعت هذه المدرسة أنشطة أعيان الفقهاء وجهابذة العلماء الذين كانت لهم الصارة العلمية فى مكة، ولا حاجة بنا أن نؤكد ما سبق ذكره من قريب فى أن تاج الدين القسطلاني المصري الذى كان خلفا لابيه فى إثراء الحركة العملية بالمدرسة المالكية بمصر قد ولى أيضا بعد الرشيد العطار مشيخة المدرسة الكاملية وساهم فى إثرائها بضخامة مجهوداتهم العلمية تدريسا بها وعملا فى فتواها حتى كانت مصدر إشعاع ونور ومعرفة، وبعد وفاته طلبت القاهرة أخاه القطب القسطلاني المصري لولاية مشيختها والتدريس فيها فضلا عن تصدره لفتواها[٤١].

واسم القطب هذا محمد بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبدالله بن أحمد بن ميمون بن راشد القيسي : الملقب بقطب الدين، والمكني بأبي بكر، ولادته بمصر فى ٢٧ من ذي الحجة سنة ٦١٤ هـ، وفى حج عام ٦١٩هـ حمل إلى مكة فنشأ بها وتلقى تعليمه سماعا على كبار علمائها، ثم رحل إلى سائر البلاد لكنه استقر بمصر مدارسة بها ثم ولاية لمشيخة دار الحديث الكاملية كما ذكرنا حتى وفاته سنة ٦٨٦هـ، وهى مدة كافية لعالم مشهور فى تحديثه بكثير من مسموعاته وبعض تأليفه، سمع منه كثير من مشاهير العلماء وأعيانهم، وصفوه بصفات كثيرة تدل على أنه أولهم فى التقديم، وأولاهم بالتعظيم، ويكاد يكون إجماعهم على أنه الشيخ الإمام قدوة الناسكين، عمدة السالكين قطب الدين ، بقية العلماء العاملين، وهو حري بذلك إذا علمنا أنه أثرى المعارف والعلوم فى دار الحديث بالقاهرة وامتد نشاطه إلى أقاصى مصر شمالها وجنوبها تفاعلا مع شتى المعارف تحصيلا ونشرا لها بين ربوع مصر وهذا الجهد المشكور كان امتدادا لإثرائه الحياة العلمية فى مكة وذلك بتدريسه بمدرسة دار زبيدة بالحرم بحضور والده الذى كان معنيا به فى دراسة العلم تحصيلا وتدريسا.

وغير خاف علينا أن تدريسه بهذه المدرسة كان دون بلوغه العشرين من عمره، وبدأ الأفتاء من سنة ٦٣٣ هـ إلى وفاته، وسمع عليه كثير من علماء الحجاز ومصر، فقد سمع عليه من علماء مصر الحافظ شرف الدين الدمياطي فى مكة ومصر وغيره كثير لا يتسع المقام لذكرهم، ثم فضائله مناقبه، وثناء المؤرخين عليه كل هذا يدل بلاشك على مستواه العلمى الذى زاد الحياة العلمية نموا وازدهارا فى كلا البلدين [٤٢].

وقد نهج أولاد قطب الدين السابق نهج أبيهم علاقة بمصر بعد هذه الفترة وكانوا بأعين أبيهم دراسة بمصر ومكة، فقد أسمع ابنه محمد الملقب بأمين الدين من جماعة من شيوخه بمصر ومكة والشام واستجاز له منهم[٤٣].

وقد سار بقية أولاد القطب القسطلاني سيرة أبيهم وجدهم من قبل ونسجوا على منوالهما إثراء للحياة العلمية بمصر ومكة، فولادة ابنه الحسن كانت بمكة سنة ٦٤٤هـ، وفاته بالقاهرة سنة ٧٠٦هـ[٤٤] أيضا ابنه أحمد وبعناية أبية سمع على مشاهير علماء القاهرة ومكة، فسمع على ابيه بقوص من صعيد مصر، وأجيز من شيوخ أبيه، وسمع منه الأعيان بالقاهرة ثم بإخميم من صعيد مصر كالنجم بن عبد الحميد، والحافظ قطب الدين الحلبى[٤٥].

وممن أخذ معارفه على ابن دقيق العيد بقوص من مشاهير علماء الحجاز هو شيخ الحجاز محب الدين الطبري، وأثرى الحياة العلمية بمصر ومكة والمدينة فى كل مكان بهذه البلاد تدريسا وتحديثا وتصنيفا كالقطب القسطلاني[٤٦].

وممن أكد هذه العلاقة عالم مصر والحجاز الحافظ شرف الدين الدمياطي عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف، ولادته ببلدة دمياط شمال القاهرة، وفاته بالقاهرة سنة ٧٠٥ هـ وهو الذى تلقى تعليمه بالقاهرة على مشاهير علمائها ومشاهير علماء مكة والمدينة عندما مكث بالحرمين مجاورا من حجه عام ٦٤٣هـ، وأخذ عنه أشهرهم كالمحب الطبري الذي كانت حلقته العلمية وافرة بالمسجد النبوى سنة ٦٤٧هـ ، ورافقه سماعا بهذه

الحلقة وعلى نظيرها بمكة الكثير من مشاهير علماء الحجاز ومصر كـالقطب القسطلاني وقطب الدين الحلبي وغيرهم[٤٧].

ومسموعاته بمكة كثيرة، فقد كان طالبا للعلم بالمدرسة المنصورية بمكـة وسمع من محدثها الشهير جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر بن عثمان المتوفـى سنة ٦٤٤ هـ[٤٨] أيضا سمع وغيره على أحمد بن عبد الواحد مري - بمكـة والمدينة[٤٩].

وفى عام حجه السابق سنة ٦٤٣هـ سمع بمكة ايضا من الفقيـه أبـي عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن مقبل العجيبي المكي[٥٠] وشرف الديـن الدمياطي كان نهما فى طلب العلم لا يكل ولا يمل فى تحصيله على مشـاهيره فى أي مكان، فقد سمع أيضا بالأربطة المقامة فى مكة كسماعه برباط خـلتون فضائل العباس لحمزة السهمي من أبي بكر بن عمر بن شهاب الهمذانى نزيـل مكة المتوفى بها سنة ٦٤٧هـ وكان معه رفيقه الذى لا يبرحه فـى مصـر ومكة والمدينة المحدث تقي الدين عبدالله بن عبد العزيـز المـهروي، وروى عنه حديثا من فضائل العباس لحمزة السهمي بصيغة أخبرنا ابن شهاب [٥١].

هذا فضلا عن مشايخه بسائر البلاد الذين ناهزوا ألفا وثلاثمائـة حتـى صار من كبار حفاظ زمانه، ومصنفاته كثـيرة، وعنـها وعـن مسـموعاته ازدهرت الحياة العلمية فى سائر البلاد، ونمت أكثر حين أسندت إليه مشـيخة المدرسة الظاهرية بالقاهرة[٥٢].

وتألقت المعارف وزادت شموخا حين وقع عليـه الاختيـار لتدريـس الحديث فى المدرسة المنصورية بالقاهرة[٥٣].

فضلا عن نشر معارفه بالمدارس الأخرى كالإسكندرية وغيرها[٥٤].

أيضا من اشتهر برحلاته العلمية بين مكة ومصر أبو الحرم مكي بن عمر بن نعمة بن يوسف بن عساكر المقدسي الأصل، ولادته ووفاته بمصر سنة ٦٤٤هـ، ومدفنه إلى جانب والده بسفح المقطم مسموعاته على مشاهير علماء مكة، فقد سمع بها من محمد بن الحسين الهروي الحنبلي، وسمع من والده وغيرهما، ولم يكتف بذلكن فذهب إلى مصر، وتفقه فى المذهب الحنبلي على كبار علمائها، واشتهر بمعرفة الفقه، وجمع مجاميع الفقه وغيرها[٥٥].

أيضا من مكث ببلاد الحجاز فترة طويلة مجاورا بها، واشتملت مشيخة على ثلاثة آلاف شيخ، واستغرق فى رحلته العلمية ٢٨ سنة ما بين مصر وبلاد الشام هو المؤرخ الأديب العلامة ابن النجار الحافظ الكبير محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن، المتوفى سنة ٦٤٣هـ ببغداد، وغير خاف ما لهذا المؤرخ من دور هام بمساهمته فى إثراء الحياة العملية بمصر والحجاز والشام وغيرها من خلال تباين مصنفاته ومختلف معارفه، وقد ذكر ابن كثير من بين ما اشتملت عليه مشيخته أربعمائة امرأة عالمة، كثرت نعوته وأوصافه مفادها: أنه كان إمام ثقة، متقنا، واسع الحفظ، تام المعرفة بالفن، أديبا، عارفا بالتاريخ.

من مصنفاته العديدة : الدر الثمينة فى أخبار الدينة، ونزهة الورى فى أخبار أم القري وغيرها انتفع بعلمه الكثير من علماء مصر ومكة والمدينة وغيرها[٥٦].

وممن أكدوا هذه العلاقة من الأدباء الشعراء أيضا زهير بن محمد بن على بن يحي بن الحسن المهلبي، المكي القوصي، الملقب ببهاء الدين الكاتب، والمتوفي بالقاهرة سنة ٦٥٦هـ، والمدفون بالقرافة الصغرى قريبا من قبة الشافعى، ومن خلال اسمه نعلم بأن نسبه ينتهي إلى المهلب بن أبى صفرة أحد سادة العرب، وأنه مكي فى ولادته بوادي نخله قريبا من مكة سنة ٥٨١هـ، ونسبته إلى القوصي نعلم أنه تلقى ثقافته في قوص التي كانت تعتبر فى هذه الفترة مركزا ثقافيا جمع كبار العلماء الذي تتلمذ عليهم جمع كبير من شتى البلاد، ومن مروا بنا كالقطب القسطلاني وأولاده، والمحب الطبري وأولاده قد ذهبوا فى سبيل تحصيل معارفهم إليها، ونهلوا العلم على كبار علمائها كابن دقيق العيد وغيره، ونشاط زهير الشعري كثير، ومن أثنى عليه من المؤرخين كثيرون، والحديث عنه ممتع من خلال إشادة المؤرخين عنه بالنسبة لشعره ومكارم اخلاقه مما يؤكد ريادته فى إثراء الحياة العلمية وأيضا فبنسبة قد أكد عمق العلاقة التى جمعت بين مكة ومصر قديمان وبمستوى فنه الأدبي مع غيره أكد الحياة الأدبية التى جمعت بين كلا البلدين فى هذه الفترة وغيرها[٥٧].

فبالرغم من أنه مكي إلا أن ارتباطه بمصر كان نشأة وثقافة ومدفنا. وعلى نسق السابق بشتى معارفه فى مصر ومكة محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن المغيرة الأزدي المهلبي الشهير بابن مسدي إمام المقام الشريف وخطيب الحرم وفاته بمكة سنة ٦٦٣هـ، تصانيفه كسابقيه كثيرة لا يتسع المقام لسردها.

مسوعاته كثيره، ولى الصدارة العلمية بالفيوم بمصر، وأقام بـــها، ثـم ذهب فى سنة ٦٤٦هـ إلى المدينة وجـاور بـها أثنـاء مجـاورة القطـب القسطلانى ، توجه إلى مكة نفس العام وحج وأقام بها ومن خـلال أنشـطته العملية والأدبية والتصنيفية فقد زاد الحياة العلمية فى كل البلدين ازدهارا[٥٨].

وأشارت المصادر إلى من أكد العلاقة بين البلدين فى هذا الصدد إلـى عمر بن على بن المرشد بن على – الحموي الأصلى –، المصـري المولـد والدار وهو ابو حفص، ويقال : ابو القاسم بن أبى الحسـن شـرف الديـن، المعروف بابن الفارضي، وتشير المصادر إليه بأنه حامل لواء الشعر الملقـب في جميع الآفاق بسلطان المحبين والعشاق، الموصوف بين مـن خـالفوه، أو وافقوه بأنه سيد شعراء عصره على الإطلاق، وسبب تلقيبه بابن الفـارض أن أباه قدم من حماه إلى مصر وقطنها، وصار يثبت الفروض على النساء علـى الرجال بين يدي الحكام، ثم ولي نيابة الحكم فغلي عليه هذا اللقب، وفي خلال هذه الفترة ولد له عمر بمصر في ذى القعدة سنة ٥٦٦هـ وتحت رعاية أبيـه اشتغل بفقه الشافعية على كبار علماء القاهرة، ثم ذهب وجاور بمكة خمسـة عشر عاما، ثم عاد إلى مصر، وانقطع بالجامع الأزهر، وعكف عليه الأئمـة وقصده عامة الناس وخاصتهم، ووصف بصفات كثيرة تدل على أنه برع فـى الأدب، وأنه فصيح العبارة، دقيق الإشارة مسموعاته كثيرة فقد سمع من ابـى محمد القاسم بن علي بن عساكر وغيره، واسمع الكثير وحدث فضـلا عـن نشاطه الأدبي الذى انتفع به الكثير فى مصر ومكـة عـن طريـق تدريسـه وتحديثه وفيض معارفه فى الأدب حتى وفاته سنة ٦٣٢ هـ بحماة [٥٩].

ايضا من تفاعل بمعارفه سماعا وإسماعا سليمان بن عبدالله بن الحسن بن علي بن محمد بن عبد السلام بن المبارك بن راشد التميمي الدرامي، المكنى بأبى الربيع، والملقب بنجم الدين، والمعروف بابن الريحاني المكي وبالرغم من أن ولادته بمكة سنة ٥٧٤ هـ إلا أن وفاته بالقاهرة فى شعبان سنة ٦٤٢هـ، ودفن من يومه بسفح المقطم، وبالرغم من أدبه وشعره الرائق إلا أنه جال فى شتي البلاد لتحصيل معارفه على مشاهير علمائها، فأقام بالموصل وسمع بها الحديث على مشاهير علمائها ومشايخها وقاده شغفه إلى العلم فسمع بإربل على جهابذة علمائها كان منهم الشيخ أبو المعالي صاعد وغيره، افاد الفاسي بما قاله عنه ابن مسدي فى معجمه بأنه نزيل ديار مصر، المعروف بابن الريحاني، بيته بمكة مشهور، لكنه خرج منها مرتادا على عادة أهلها، وجال ولقى الرجال، وكتب الكثير واكتتب، وكان ذا معرفة بالكتب، سمع قديما بمكة من عمه ابى الحسن على بن الحسن ابن الريحاني بقراءة علي بن المفضل المقدسي وغيره، ثم سمع بعد ذلك، وعظم إسماعه لغيره بعد الستمائه من الهجرة، ثم قال: ونعم المفيد كان، أيضا ذكر الفاسي عن الشريف الحسيني فى وفياته ما مفاده سماعه وإسماعه لكثير من رواد المعرفة بمكة، ثم قدومه إلى مصر مستوطنا بها وبغيرها الكثير على مشاهير علمائها، وكتب بخطه وحصل جملة صالحة، وأذاع معارفه على رواده، وكان ابن الرحاني هذا وزيرا لأبي عزيز قتادة صاحب مكة لكن هذا لم يمنعه من ممارسة نشاطه العلمي سماعا وإسماعا لغيره فى مكة ومصر وغيرهما(٦٠).

أيضاً كان عثمان بن محمد بن عثمان التوزري - المـالكي - المولـود بالحنبوشية من بلاد الفيوم بمصر سنة ٦٢٠هـ وكان حريصاً على تحصيـل العلوم الدينية تحصيلاً لها على مشاهير علماء مصـر، وعلمـاء مكـة بعـد مجاورته لها، وتميز بنشاطه فى إقراء القرآن الكريم بمصر ومكة وغيرهمـا، وتلا القرآن بالسبع، وكان إماماً فى الحديث والقراءات، وقـد أثـرى الحيـاة العلمية فى كلا البلدين وغيرهما بما كان له مـن أثـر كبـير فـى الإقـراء والتدريس، وحدث بالكثير، وانتفع به خلق كثير من عامة النـاس وأعيانـهم كالإمام اليافعي الذي سمع بتحديثه فى المسجد الحرام، وحضر مجالسه قـائلا: (وسمعت شيئاً من الأحاديث المقروءة عليه) [٦١].

وقد أمدنا الفاسي عمن كثر سماعه وإسماعه، وانتشر علمه فى مصـر ومكة، بأنه عثمان بن محمد بن ابي على بن عمر بن محمد بن موسي، وهـو القاضي عماد الدين أبو عمر والكردي الحميدي الشافعي، وفاته ليلة ١٣ مـن ربيع الأول سنة ٦٢٠هـ ودفن بالمعلاة، قال الفاسي عن غيره (تفقـه علـى مذهب الشافعي - رضى الله عنه - بالموصل على عمه، ثم رحل إلى الإمـام أبس سعد عبدالله بن عصرن مدة فى المذهب، وقدم إلى مصر، وتولى الحكـم العزيز بثغر دمياط... ثم عاد إلى القاهرة، وناب بها عن قاضي القضاة أبـي القاسم عبدالملك بن عيسى المارانى، وبقليـوب وأعمالـها، ودرس بالجـامع الاقمر - بالقاهرة - وبالمدرسة السيفيه بالقاهرة مدة، وسمع بها من الحـافظ ابى الحسن على بن المفضل المقدسى، ثم توجه إلى مكة شرفها الله تعـالى، ولم يزل مجاوراً بها حتى وفاته) وأفاد بعد ذلك بنشـر معارفـهن وانتفـاع

جماعة بعلمه وحسن خلقه حيث قال : وكان فاضلاً ذا ســت حســن وثنــاء جميل[٦٢].

هذا وقلما تخلو ترجمة لمشاهير من ذكرنا فى كلا البلدين إلا ونجد مكــة ومصر وغيرها مركزاً لتفاعلهم فى سائر علومهم تدريسا وتحديثا ومدارســة فعبد المجيد بن عبد الدايم بن عمر الكناني العسقلانى المولد المكي الشــافعي، المجاور بمكة مدة طويلة بعد أن أفاد الفاسي إلى ما ذهبنا إليه قال : (توفــي ليلة حادي عشر من شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائة بمصر ودفــن بســفح المقطم) [٦٣].

ايضا عبد المحسن بن أبي العميد بن خالد - المنعوت بالحجــة الفقيــه الشافعي الصوفى، المتوفي ٨ من صفر سنة ٦٢٤ هـ بمكة، الإمام بــالحرم، ايضا كان يؤم برباط الجهة المعروفة بالأخلاطية[٦٤] وسكنه برباط المراغــي فضلاً عن حجه أكثر من أربعين حجة، وبالرغم مسموعاته وإسماعاته بمكــة وسائر البلاد إلا أن الفاسي قال عن سماعه : (وبالقاهرة مــن ابــي القاســم الأبوصيري، وفاطمة بنت سعد الخير، وبالإسكندرية من حاكمها أبي عبــدالله محمد الحضرمي،... وحدث بها وبمكة والمدينة المنــورة والبصــر وبغــداد وغيرها من البلاد وأقام ببغداد) [٦٥].

والأربطة فى هذه الفترة وغيرها فضلاً عن مأواها لروادهــا إلا أنــها كانت مقرا للدراسة والمدارسة بين من سكنوها، أو من كانوا فى إمامتها.

وممن ذاع صيته سماعا وإسماعا وتحديثا وتدريساً فى بــلاد الحجــاز ومصر وسائر مدنها كالقاهرة والإسكندرية وقوص ودمياط وغيرها هو علــي

بن نصر المبارك وبعد سماعه بمكة من أبى الفتح عبد الملك بن أبى القاسم الكروخي جامع أبي عيسى الترمذي حدث به عنه فى مكة، وسائر مدن مصر، وقرأه عليه المنذري بعد قدومه إلى مصر وتوفي سنة ٦٢٢ هـ(٦٦).

وإضافة إلى هؤلاء، وإلى من مروا بنا من أسر علمية كأسرتى الطبري والقسطلاني، فقد كان هناك أسر علمية أخرى بمكة بعد هذه الفترة ارتبطت بمصر علميا، وأكدت أواصر هذه العلاقة منها : اسرة بنى ظهيرة ، اسرة العسقلانى قد مر منهم عن قريب فى هذه الفترة عبد المجيد بن محمد الكناني العسقلاني(٦٧) المتوفى بمصر سنة ٦١٣هـ.

ومنها أسرة الفاسي ، الذي ينتسب إليها مؤرخ العقد الثمين، ومنها الأسر المصرية الأصل كاسرة النويري(٦٨) وأسرة الذروي، وأسرة المرشدى من فوة (٦٩)بمصر، وأسرة ابن فهد الذى ينتسب إليها مؤلف اتحاف الورى وغيرها ممن حملوا الراية من علماء هذه الفترة ونسجوا على منوالهم استمرارا فى تأكيد هذه العلاقة بعدها.

وتشير المصادر بوفرة إلى أكثر مما ذكرنا عن مشاهير علماء مكة ومصر الذين ساحوا فى البلاد لإثراء شتى معارفهم وفنونهم فى مختلف المراكز العلمية أدبا وفقها وحديثا وتاريخا.

ولاشك أن من تلقى عنهم ولاسيما خاصتهم الذين أصبحوا من نظرائهم كانوا خلفا لهم فى النسج على منوالهم، وساهموا فى استمرار الحياة الثقافية بعدهم فى كلا البلدين وغيرهما تدريسا ومدارسة، لأن من كان مدرسا هنا كان مدرسا أو دارسا هناك.

وما كانت رحلة مشاهير علماء مكة إلى جنوب مصــــر فــى قــوص، وإضميم وإسنا والفيوم، وغيرها من صعيد مصر، أو إلى شـــمالها كالقــاهرة والإسكندرية والمنصورة ودمياط واميوط [٧٠]، وقليوب وأعمالها إلا حبا فـــى الاستزادة من علوم مشاهير علماء هذه البلاد، ثم عادوا إليها ليفيــدوا ويبثــوا معارفهم على روادهم فيها تدريسا وتحديثا فى أهم مراكزها العلمية كمدارسها ومساجدها، أيضا على هذا النسق كان علماء مصر تعليمـــا علـــى مشـــاهير علماء مكة، وبعد استفادتهم، وتحصيل مسموعاتهم عليهم قد يبقـــى لبعضـــهم ليفيد هو أيضا، ويذيع معارفه بحلقات حرمها، وأيضا بمدارســـها وأربطتـــها التي كانت كل منها مأوي لهم، ومركزا لإمامتهم ونشر معارفهم، أو يعود إلى مصر، أو تقوده الحركة الفكرية – كمشاهير علماء مكة وغيرها – إلـــى أي بلد آخر، وممن ذكرنا وغيرهم كانوا أمثلة ناطقة وشاهدة، وأكدوا مـــا ذهبنـــا إليه فى هذا الصدد.

فأبو على ناصر بن عبدالله بن عبد الرحمن المصـــــرى بعــد أن نـــال معارفه على مشاهير علماء البلدين بث معارفه فيــهمان وكـــان معيــداً فـــى مدرسة الأرسوفي بمكة[٧١].

وقد ماثله محمد بن محمد بن ابي بكر الرزي المتوفي بقوص من صعيد مصر الأعلى[٧٢].

أيضا كان أبو العباس القسطلاني المصري المولود بمصر، والمتوفـــي بمكة والذي كان مصدر الفتوي بمكة ومصر فضلاً عن تدريســـه بالمدرســـة المالكية بمصر وسمع عليه المنذري بمصر وبالمنصورة، وخلفه من بعده ابنه

التاج على فى الفتوي والتدريس بالمدرسة المالكية بمصر والمدرسة الكاملية بمصر ايضاً، وتالقت معارفه بمكة ايضاً وتوفى بمصر[٧٤].

وقد طلبت القاهرة أخاه القطب القسطلاني لمشيخة المدرسة الكاملية بعد وفاة أخيه، وامتد نشاطه إلى أقاصي مصر شمالها وجنوبها، ونشاطه كان ملحوظا بمكة وغيرها ولادته بالقاهرة سنة ٦١٤هـ، ودرس بمدرسة دار زبيدة ولم يبلغ العشرين وحين توجه إلى القاهرة أنشد شاور طرخان شعرا منه :

استوحشت مكة من قطبها وأستأنست مصر به والديار

وسار على نهجه أولاده من بعده[٧٣].

ومن تكرر اسمه بالدراسة على مشاهير علماء مصر ومكة والمدينة وغيرها، أشار إليه المؤرخون كثيراً فى مصنفاتهم هو الشيخ الإمام العالم الحافظ شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى - المولود فى بلده تونه من أعمال دمياط سنة ٦١٣ هـ، وفاته بالقاهرة سنة ٧٠٥هـ قال عنه ابن كثير : (ورحل وطاف وحصل وجمع فاوعى، ولكن مانع ولا بخل بل بذل وصنف ونشر العلمن وجمع معجما لمشايخه الذين لقيهم بالشام والحجاز والجزيرة والعراق يزيدون على الف وثلاثمائة شيخ)[٧٤].

ايضاً المحب الطبري شيخ الحجاز الذي طاف فى شمال مصر وجنوبها تحصيلاً ونشراً للعلم فضلاً عن مكة والمدينة واليمن وغيرها[٧٥].

كذلك ابن الفارض الحموي الاصيل ، المصري المولد والــدار، وبعــد مجاورته بمكة انقطع بالجامع الأزهر بمصر وســمع عليــه عامــة النــاس وخاصتهم[٧٦].

وأكد هذه العلاقة أيضاً زهير المهلبي الذي ينتهى نسبه إلى المهلب بــن أبى صفرة المولود بوادي نخلة قريبا من مكة، ومع أنه مكي إلا أن ارتباطــه بمصر كان نشأة وثقافة ومدفنا[٧٧].

أيضا من كانت له الصدارة العلمية فى مكة وفى الفيوم بمصر، وتلقــى معارفه على كبار علمائها ابن مَسْدي[٧٨].

أيضا من تفاعل بسائر معارفه تدريساً ومدارسة بمكة ومصر ودميــاط وقليوب، وانتشرت معارفه بالجامع الأقمر والمدرسة السيفية بالقاهرة هو عالم مكة عثمان بن محمد بن أبى على، القاضى عماد الدين ابو عمر والكردى[٧٩] وعن كل كل من ذكرنا، ومن لم تسعفنا عجالة البحث لذكره نؤكد أن هــؤلاء كانوا بلاشك رسل هذه العلاقة ولا تحتاج إلى بيان.

وختاما فحمداً لله أولا وآخرا فهو الموفق وعليه السداد والهدى وصــلاة وسلاما على خاتم المرسلين المصطفى وآله ومن أتبع الهدى.

هوامش البحث

(١) المجاورة مأخوذة من جاور يجاور مجاورة أو جوارا، وكسر الجيم في الأخيرة أفصح، والمجاورة تخالف في لفظها ومعناها الجور فالجور هو الظلم وهي مأخوذة من جار يجورا جورا جورا، وتقول قوم جوره أي ظلمة، وامرأة الرجل جارته، وهو جارها أي مؤتمن عليها ، ويجيرها فلا يعتدى عليها، والجار هو الذي أجرته من أن يظلمه ظالم، وأجاره الله من العذاب أي انقذه ومن أجاره الله لا يوصل إليه، فالله تعالى يجير ولا يجار عليه، قال تعالى لنبيه : قل لن يجيرني من الله أحد أي لم يمنعن من الله أحد، والجار والجير: هو الذي يمنعك ويجيرك، وفي التنزيل: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه، وجمع مصدري جاور أجوار وجيره وجيران، والأخيرة اسم موضع، أما جيران بالفتح والسكون بعدها راء وألف ونون : هي قرية بينها وبين مدينة اصبهان فرسخان ينسب إليها محمد بن إبراهيم الجيراني، وقيل إنها جزيرة فيالبحر مساحتها نصف ميل في مثله، والجار : مدينة على ساحل بحر القلزم بينها وبين المدينة يوم وليلة، وإلى أيله عشر مراحل، وإلى الجحفة ثلاث، وترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند، وبها قصر كثيرة، ونصف الجار في جزيرة من البحر، والأخر على الساحل، وبحذائها جزيرة في البحر هي مرسى الحبشة خاصة، وسكانها تجار، وينسب إليها جماعة من المحدثين منهم سعد الجاري وهو سعد بن نوفل مولى عمر بن الخطاب، راجع الصحاح للجوهري ج٢ ص٦١٧-٦١٨، معجم البلدان ج٢ ص٩٢-٩٣، ١٩٧-١٩٨، لسان العرب لابن منظور ج٥

ص٢٢٤ –٢٢٧ ، اشهر رحلات الحج فى رحاب الحرمين لحمد الجاسر ص٥٢.

(٢،٣) العقد الثمين ج١ ص٤٥ ، – شفاء الغرام ج١ ص٨٤، الإعلام باعلام بيت الله الحرام للنهر والي ص٢٠-٢٢، الجامع اللطيف لابن ظهيرة ص٩٣ وما بعدها.

(٤) القرى القاصد أم القرى ، ص٦٦١.

(٥) الأعلام باعلام بيت الله الحرام ص٣٣، وأيضا العقد الثمين ج١ ص ٤٥-٤٦ وحاشيتها.

(٦) الحزوره : بحاء مهملة مفتوحة،وزاى معجمة، عوام مكة يُصَحّفونَها ويقولون عزّوه، والحزوره فى اللغة هى : الرابية الصغيرة وتجمع على حزوار وهي سوق مكة بفناء دار أم هانى ابن أبى طالب عند الحناطين فدخلت فى المسجد الحرام، وقال بعض المكيين : بل كانت فى موضع السقاية بفناء دار الأرقم، وعلى الأرجح أنها عند سوق الحناطين، معجم البلدان ج٢ ص٢٥٥.

شفاء الغرام ج١ ص٧٥-٧٦ وفيهما ذكر التصحيف من الحزوره إلى عزّوه على وزن قسورة، وسنده فى ذلك ما كان مكتوباً فى حجر رباط راشت بمكة سنة ٢٥٩هـ وذكر أنها بفناء الارقم أى دار الخيزران التى عند الصفا، وعند تسميتها أفاد الفاسى عن الفاكهي قائلاً: (لما كان ولاية نزار للكعبة وبيته كان أم البيت إلى رجل منهم يقال له وكيع بن سلمه بن زهير بن أباد، فبنى صرحا بأسفل مكة عند سوق الحناطين، وجعل فيه أمة يقال لها الحازورة، فيها سميت حازورة مكة).

(٧) أخبار مكة للأزرقى ج٢ ص ٢٩٤-٢٩٥ ، - العقد الثمين ج١ ص٤٣ن شفاؤ الغرام ج١ ص٧٤-٧٦، ٨٥-٨٦، الجامع اللطيف لابـــن ظـــهيرة ص٩٦، وفا الوفا للسمهودى ج١ ص٣٤ وحاشيتها.

(٨) سورة قريش آية رقم ٣.

(٩) سورة البلد آية رقم ١.

(١٠) سورة التين آية رقم ٣.

(١١) سورة النمل آية رقم ٩١.

(١٢) العقد الثمين ج١ ص٤٣-٤٤، - الجامع اللطيف لابن ظـــهيرة ص٩٤، - الإعلام بأعلام ببيت الله الحرام ص١٩.

(١٣) شفاء الغرام ج١ ص٨٤-٨٥، - العقـــد الثميـــن ج١ ص٤٥-٤٦ ، - الإعلا باعلام بيت الله الحرام للنهروالي ص٢٠-٢١.

(١٤) شفاء الغرام ج١ ص٨٤، العقد الثمين ج١ ص٤٥، - الإعلام بـــأعلام بيت الله الحرام ص٢٠-٢١.

(١٥) شفاء الغرام ج١ ص٨٤ ، - الإعـــلام بأعـــلام بيت الله الحـــرام ص٢٠-٢١.

(١٦) شفاء الغرام ج١ ص٨٤ ، العقد الثمين ج١ ص٤٢، الأعـــلام بـــأعلام بيت الله الحرام ص٢١.

(١٧) نفس المصدر ص٢١.

(١٨) العقد الثمين ج٤ ص٣٨٥، - شفاء الغرام ج١ ص٣٣٢، - الأعـــــلام بأعلام بيت الله الحرام للنهروالي ص١٧٥، ١٩١ ، تاريخ مكة الســـباعى ج١ ص٢١٩. وذكر الفاسي والنهروالي فى مصادرهما السابقة أن ربـــلط رامشت بنى سنة ٥٢٩ هــ من قبل أحد أعيان المســـلمين أبـــو القاســـم

إبراهيم بن الحسين الفارسى بجوار باب إبراهيم وباب الحزوره، وأوقفه لسكنى فقراء الصوفية من أصحاب المرقعات للرجال دون النساء.

(١٩،٢٠) مرآة الحرمين لإبراهيم رفعت ج١ ص٢٠١-٢٠٢.

(٢١) رحلة ابن بطوطه ص١٦٥، - تاريخ مكة للسباعى ج١ ص١١٥، - العلاقات الحجازية للسليمان ص٢٢٠،

(٢٢) تاريخ مكة للسباعى ج١ ص١١٥ ، ١٨٣-١٨٤.

(٢٣) مقدمة ابن خلدون دار الجيل بيروت ص ٤٨٢.

(٢٤) العقد الثمين ج٣ ص٤٠٠، - التحفة اللطيفة ج١ ص٢١٥، ج٢ ص٣٢٨.

(٢٥) شذرات الذهب لابن العماد ج٥ ص٣٩٥، - العلاقات الحجازية المصرية للسليمان ص٢٣٠.

(٢٦) العقد الثمين ج٦ ص٣٣٤ -٣٣٧ برقم ٣٠٧٧ ترجمته طويلة .

(٢٧) نفس المصدر ج٢ ص٣٣٧-٣٣٨ برقم ٤٣٩ن - النجوم الزاهرة ج٦ ص٢٢٦ ، - اتحاف الورى ج٣ ص٢٦ وذكر زيادة فى وفاته ليلة الحادى عشر من جمادى الأولى.

(٢٨) العقد الثمين ج١ ،ص١١٨، - شفاء الغرام ج١ ص٣٣٠،

-مالكى : بلاد الحجاز ص١٩٠، أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيساريه ويافا، معجم البلدان ج١ ص١٥١-١٥٢، مدرسة الأرسوفى موجودة فى شفاء الغرام ج١ ص٣٣٠، العقد الثمين ج١ ص١١٨ وهى قريبة من باب العمرة إلى جهة الشبيكة بالمسفلة ومنسوبة إلى عبدالله بن محمد بن عبدالله - الملقب بعفيف الدين الأرسوفى ، انظر العقد الثمين ج٥ ص ٢٤٧.

(٢٩) العقد الثمين ج٧ ص٣١٦-٣١٧ برم ٢٥٦٦، وقد ذكر في الصفحة الأخيرة أن وفاته مشكوك فيها بين عامى ٦٣٣،٦٣٤، اتحاف الورى ج٢ ص٥٣٥ حوادث سنة ٥٧٠هـ، ج٣ ص٥١ حوادث سنة ٦٣٤هـ وحاشيتها رقم ٤ للمحقق.

(٣٠) العقد الثمين ج١ ص٣٩٣٩ -٣٩٤ برقم ٧١.

(٣١) نفس المصدر ج٢ ص ٢٨٦ برقم ٣٩٢.

(٣٢) العقد الثمين ج٥ ص٣٩-٤٠ برقم ١٤٠٦ ، - مدرسة الزنجيلى : هى الدار المعروفة بدار السلسلة عند باب العمرة على يمين الداخل إلى المسجد الحرام، وهى منسوبة إلى عثمان بن على الأمير فخر الدين الزنجيلى وهو الذى أنشاها وأوقفها سنة ٥٧٩هـ فى الوقت الذى كان في نائبا عن السلطان صلاح الدين بن يوسف بن ايوب بعدن، وهى أمام الرباط الذى أنشاه أيضاً الزنجيلى عند باب العمرة، الزنجيلى نسبة إلى زنجيلة قرية من قرى دمشق، ترجمته فى الروضتين لابى شامه ج٢ ص٢٥-٢٦ ، البداية والنهاية ج١٢ ص٣٠٩-٣١٠، المدرسة فى شفاء الغرام ج١ ص٣٢٨-٣٣٠، العقد الثمين ج١ ص١١٧.

(٣٣) التكملة لوفيات النقلة ج٢ ص٣٥٣-٣٥٤ برقم ٣٥٤ ، - العقد الثمين ج٢ ص٩١-٩٢ برقم ٢٤٠، شذرات الذهب ج٥ ص٥٣.

(٣٤) التكملة للمنذرى ج٢ ص٣٣٦-٣٣٧برقم ١٠٤٦، - العقد الثمين ج٧ ص٤٥٢-٤٥٢ برقم ٢٧١٦، ج٢ ص٣٣٧-٣٣٨.

(٣٥) القيس : مصدر قاس يقيس قيسا، وهى كورة كانت بمصر لكنها على عهد ياقوت كانت خرابا، وسميت بذلك لأنها فتحت على يد قيس بن الحارث المرادي، فسميت به، وموقعها غرب النيل بعد الجيزة، وقيل :

هي قرية بمصر وليست كورة، وقيس: ايضا جزيرة فى بحـــر عمـــان بضم العين وهى مدينة لمليحة المنظر ذات بساتين وعمـــارات جيـــدة، وبها مسكن ملك ذلك البحر صاحب عمان، وهى مرفأ مراكب الـــهند، وفيها جماعة من أهل الأدب والفقه، معجم البلدان ج٤ ص٤٢٢.

(٣٦) القسطلانى : نسبة إلى قسطيلية بفتح وسكون وكسر الطاء وياء ســاكنة ولام مكسورة: هى مدينة بالأندلس تشبه دمشق، ونقـــل يـــاقوت عـــن البكرى ما يدل على أن قسطيلية التى بافريقية كوره فقال : (فأما بـــلاد قسطيلية فإن من مدنها توزر والحمه ونفطه وتوزر هى أمها) وتـــوزر هى الأخرى مدينة فى اقصى افريقية من ناحية اليزاب الكبـــير بينـــها وبين نفطه عشرة فراســـخ ، معجـــم البلـــدان ج٢ ص ٥٧-٥٨، ج٤ ص٣٤٨.

(٣٧) هى من أجل المدارس، ومعروفة بالقمحية، لأن غلات وقفـــها بـــالفيوم كان يفرق على مدرسيها وطلبتها، كان موضعها قياسريه تعرف بـــدار الغزل فهدمها صلاح الدين يوسف بن أيوب وأنشأ مكانها هذه المدرســـة سنة ٥٦٦هـــ وموضعها بجوار جامع عمرو بن العاص، وقـــد زالـــت، ومكانها أرض فضاء شرق هذا الجامع بمصر القديمة، انظـــر خطـــط المقريزى ج٢ ص٣٦٤، النجـــوم الزاهـــرة ج٥ ص٣٨٥ وحاشـــيتها، ذكرها محقق العقد الثمين ج٦ ص١٣٦ حاشية ١.

(٣٨) التكملة لوفيات النقلة للمنذرى ج٣ ص٥٠٨-٥٠٩ برقم ٢٨٧٥، العقـــد الثمين ج٣ ص١٠٥-١٠٨ برقم ٦٠٢، النجوم الزاهـــرة ج٦ ص٣١٤ وحاشيتها ٤، شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص١٦٩ برقـم ٥٣٤ ، وفيها ذكر وفاة ابنه على فى شوال سة ٦٦٥هـــت بـــرم ٥٣٥، حســـن

المحاضرة ج١ ص٤٥٥، اتحاف الورى ج٣ ص٥٥، التحفة اللطيفة ج١ ص١٢٢ برقم ٢٢٨، شذرات الذهب ج٥ ص١٧٩.

(٣٩) المدرسة الكاملية بمصر أنشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب سنة ٦٢٢هـ وهى ثاثر دار للحديث، واول من بنى دار للحديث على وجه الأرض الملك العادل نور الدين محمود زنكى بدمشق، ثم كانت من بعدها دار الحديث الثانية بين القصرين بالقاهرة المذكورة وهى المعروفة بدار الحديث الكاملية والذى أنشأها الملك الكامل المذكور يعتبر خامس ملوك بنى أيوب الأكراد بمصر، اشتغل بحكم مصر من سنة ٦١٥هـ حتى وفته سنة ٦٣٥هـ وهذا الملك كان شغوفا بالعلم وأهله ويؤثر مجالستهم، شغوفا كان بسماع الحديث النبوي، وحدث وناصر العلماء، وقد وقف مدرسته هذه على دارس الحديث والمشتغلين به علما وتعليما وتأليفان ثم على من بعدهم من فقهاء الشافعية، وأول من ولى التدريس بالمدرسة الكاملية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن، وهذه الدار قد وقف عليها الملك الكامل الربع الذى بجوارها على باب الخرنفش وهى عامرة إلى الآن وتعرف بجامع الكاملية، - رحلة ابن جبير - دار الكتاب اللبناني ص١٩٩، خطط المقريزى ج٢ ص٣٧٥-٣٧٧، أ النجوم الزاهرة ج٦ ص٣٠٢،حسن المحاضرة ج٤ ص٢٦٢، الخطط التوفيقية الجديدة ج٢ ص٨٩.

(٤٠) العقد الثمين ج٦ ص ١٣٦-١٣٧ برقم ٢٠٣٢ ، - حسن المحاضرة ج١ ص٤٥٥، - شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص١٦٩ برقم

٥٣٥ ، - شذرات الذهب ج٥ ص٣٢٠، وفيها ذكر وفاته في ٧ من شوال سنة ٦٦٥ هـ عن سبع وسبعين سنة.

(٤١) حسن المحاضرة ج٢ ص٢٦٢.

(٤٢) الوافي بالوفيات ج٢ ص١٣٢،- مرآة الجنان ج٢ ص٢٠٢، - طبقات الشافعية للسبكي ج٨ ص٤٣، - البداية والنهاية ج١٣ ص٣١٠، العقد الثمين ج١ ص٣٢١ برقم ٣٥، السلوك ج١ ص٣٢١، ذرات الذهب ج٥ ص٣٩٧.

(٤٣) العقد الثمين ج٢ ص٢٧٧-٢٧٨ برقم ٢٩٧ ،السلوك للمقريزي ج٢ ق١ ص١٣ ، اتحاف الورى ج٣ ص١٤٢.

(٤٤) العقد الثمين ج٤ ص ١٧٤-١٧٥ برقم ١٠٠٩، اتحاف الورى ج٣ ص١٤٤.

(٤٥) العقد الثمين ج٣ ص ١٢٦-١٢٧ برقم ٦١٨، اتحاف الورى ج٣ ص١٥٣.

(٤٦) راجع كتابنا الطبريون مؤرخو مكة.

(٤٧) المنهل الصافي ج١ ص٣٢٥، العقد الثمين ج٣ ص٦٥ من ترجمة المحب الطبري رقم ٥٧١.

(٤٨) العقد الثمين ج٣ ص٤٢٦ برقم ٨٩٤.

(٤٩) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ج١ ص٣٥٧ برقم ١٩٧.

(٥٠) نفس المصدر ج٢ ص٩٠ برقم ٢٣٧، اتحاف الورى ج٣ ص٦٣.

(٥١) العقد الثمين ج٨ ص١٦-١٧ ضمن ترجمة أبي بكر بن عمر بن شهاب برم ٢٨١٨.

(٥٢) المدرسة الظاهرية المظفر بيبرس البندقدارى، وهى بين القصرين بالقاهرة، خطط المقريزى ج٢ ص٣٧٨، حسن المحاضرة ج٢ ص٢٦٤.

(٥٣) هى أيضا بين القصرين أنشأها الملك المنصور قلاوون الألفى سنة ٦٤٨هـ، خطط المقريزى ج٢ ص٣٧٨، حسن المحاضرة ج٢ ص٢٦٤.

(٥٤) للمزيد انظر ترجمة شرف الدين الدمياطى فى البداية والنهاية ج١٤ ص٤٠، - غاية النهاية فى طبقات القراء ج١ ص٤٧٢، - شذرات الذهب ج٦ ص١٢،الحياة العقلية لاحمد بدوى ص١٤٢٠.

(٥٥) شذرات الذهب ج٥ ص١٨٦.

(٥٦) معجم الأدباء لياقوت ج١٩ ص٤٩-٥٠، - العبر الذهبى ج٣ ص٢٤٨-٢٤٩، - البداية والنهاية ج١٣ ص١٦٩، وفيها ذكر أن من جملة مشايخه الثلاثة آلاف اربعمائة امراءة، - النجوم الزاهرة ج٦ ص٣٥٥، وفيها ذكر (محب الدين محمد)، - شذرات الذهب ج٥ ص٢٢٦-٢٢٧.

(٥٧) ترجمته فى البداية والنهاية ج١٣ ص٢١٢ -٢١٣ ، - النجوم الزاهرة ج٥ ص٣٢٠، وفيها مديحه للنبى صلى الله عليه وسلم ومعه آخرون فى ص٣٢١، ج٧ ص٥٨-٦٨، ٣٣٨، ٣٦٢، ج٦ ص٣٣٦، فيها يمدح الملك الكامل، ص٣٣٧، فيها وفاة الملك الصالح ورثاؤه، - وفيات الأعيان ج٣ ص٣٣٢ -٣٣٨ برقم ٢٤٧، السلوك ج١ ص٢٢٠، اتحاف الورى ج٣ ص٤١، فيها يمدح الملك المسعود سنة ٦٢٣هـ حين توجه من مكة إلى مصر، شذرات الذهب ج٥ ص٢٧٦-٢٧٧، الحياة الأدبية لأحمد بدوى ص٢٤١-٢٤٢.

(٥٨) تذكرة الحفاظ ج٤ ص١٤٤٨أ ١٤٥٠ برقم ١٤٤٩، - ميزان الاعتـــدال ج٤ ص٧٣، الوافـــي بالوفيـــات ج٥ ص٢٥٤، - العقـــد الثميـــن ج٢ ص٤٠١-٤١٠برقم ٤٩٣.

(٥٩) العقد الثمين ج٦ ص٣٤٩-٣٥٣ برقم ١٠٨٤ ، - وفيات الأعيـــان ج٣ ص٤٥٤-٤٥٦ برقم ٥٠٠، التكملة لوفيات النقلـــة ج٣ ص٣٨٨-٣٨٩ برقم ٢٥٨٦ ، البداية والنهاية ج١٣ ص١٤٣ ، - النجوم الزاهـــرة ج٦ ص٢٨٨-٢٨٩، -شذرات الذهب ج٥ ص١٤٩.

(٦٠) العقد الثمين ج٤ ص٦٠٧-٦١٠ برقم ١٣٣٦ ، وفي شعره، - اتحاف الورى ج٣ ص٦٢ حوادث سنة ٦٤٢هـ.

(٦١) مرآة الجنان لليافعى ج٤ ص٢٥٣، - البداية والنهايـــة ج١٤ ص٦٩، - العقد الثمين ج٦ ص٤١-٤٧ برقـــم ١٩٦٨، وفيـــها ترجمـــة الفاســـى بإسهاب.

(٦٢) العقد الثمين ج٦ ص٤٨ برقم ١٩٦٩، تكملة لوفيات النقلـــة ج٣ ص٩٧ برقم ١٩٢٤، - اتحاف الورى ج٣ حوادث سنة ٦٢٠هـ ص٣٨.

(٦٣) العقد الثمين ج٥ ص٤٩١-٤٩٢ برقم ١٨٦٧.

(٦٤) رباط الاخلاطى ثلاثة : بعضها وقف على نســـاء الحنفيـــة، وبعضـــها وقف على أهل مدينة أخلاط، وبعضها وقف سنة ٥٩٠هـ، العقد الثمين، ج١ ص١٢٠-١٢١، شفاء الغرام ج١ ص٣٣٤، وعن رباط المراغـــى انظر العقد الثمين ج١ ص١١٨ ، شفاء الغرام ج١ ص٣٣٠.

(٦٥) العقد الثمين ج٥ ص٤٩١-٤٩٢ برقـــم ١٨٦٧، التحفـــة اللطيفـــة ج٢ ص٢٠٥-٢٠٦ن برقم ٢٧١٠، شذرات الذهب ج٥ ص١١٥.

(٦٦) التكملة ج٢ ص١٤٠ رقم ٢٠٢١، النجوم الزاهرة ج٦ ص٦٣، العقد الثمين ج٦ ص٢٧١-٢٧٢، شذرات الذهب ج٥ ص١٠١.

(٦٧) عسقلان : فى الإقليم الثالث من جهة المغرب، وقيل : إنها بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر، معجم البلدان، ج٤ ص١٢٢.

(٦٨) نويره : بضم النون، وفتح الواون وسكون الياء تصغير نار: هى ناحية بصعيد مصر الأدنى ، وكانت تسمى باسم تغرى بردى ، معجم البلدان ج٥ ص٣١٢.

(٦٩) فوة : بليدة على شاطئ نيل مصر قرب رشيد، معجم البلدان ج٤ ص٢٨٠.

(٧٠) أميوط: قرية من قرى مصر من أعمال محافظة الغربية، وينسب إليها: إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن يحي بن أحمد الشافعى الشيخ جمال الدين الأميوطى، وذكر ياقوت أن أميوط: بلدة فى كورة الغربية من أعمال مصر، معجم البلدان ج١ ص٢٥٦، ذيل وفيات الأعيان: المسمى درة الجمال فى أسماء الرجال: ابى القاضى أبى العباس أحمد بن محمد المكناس، تحقيق : محمد الأحمدى أبو النور ج١ ص١٩٠ برقم ٢٥٣.

(٧١) راجع ص١١٣من هذا البحث.

(٧٢) راجع ص ١١٤من هذ البحث.

(٧٣) راجع ص١١٦،١١٧من هذا البحث.

(٧٤) راجع ص ١١٨-١١٩من هذا البحث. وعما قيل فيه من شعر أنظر العقد الثمين ج١ ص٣٣٤، التحفة اللطيفة ج١ ص٤٢٦.

(٧٥) البداية والنهاية ج١٤ ص٤٠، وراجع فى البحث ص١٢٢

(٧٦) انظر كتابنا الطبريون مؤرخو مكة.

(٧٧) انظر كتابنا الطبريون مؤرخو مكة ص٢٥.

(٧٨) انظر كتابنا الطبريون مؤرخو مكة ص٢٤.

(٧٩) انظر كتابنا الطبريون مؤرخو مكة ص٢٨.

المصادر

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً : المصادر والمراجع

• **الأزرقى ، أبوالوليد محمد – ت ٢٥٠هـ –.**

١- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ج٢ – تحقيق : رشدي الصالح ملحس دار الأندلس – بيروت – لبنان – ط٤ – ١٤٠٣هـ.

بدوى ، أحمد احمد.

٢- الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام – دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – ط٢ – ١٩٧٩م.

٣- الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام – دار نهضة مصر – القاهرة – ١٩٧٢.

• **ابن بطوطه ، أبو عبدالله بن محمد بن إبراهيم – ت ٧٧٩هـ –**

٤- رحلة كتب الهوامش : طلال حرب – دار الكتب العلمية بيروت – ط٢– ١٤١٣هـ.

ابن تغرى بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف – ت ٨٧٤ هـ –.

٥- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي – ج١ – تحقيق أحمد يوسف نجاتي – القاهرة – مطبعة دار الكتب المصرية – ١٣٧٥هـ.

٦- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة – ج٥ ، ج٦، ج٧ – نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – المؤسسة المصرية العامة للكتاب والترجمة والنشر – د.ت.

• **الجاسر ، حمد .**

٧- أشهر رحلات الحج رحاب الحرمين (١) - ملخص - رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي - ت ١٢٣٩هـ - منشورات دار الرفاعي للنشر - ط١ - ١٤٠٢هـ.

• **ابن جبير ، أبوالحسين محمد بن أحمد - ت ٦١٤هـ -**

٨.رحلته - دار الكتاب اللبناني - مكتبة المدرسة .

• **ابن الجزري، شمس الدين ابو الخير محمد - ت ٨٣٣هـ -**

٩- غاية النهاية فى طبقات القراء - ج١ - عنى بنشره - ج. برجستراسر، مكتبة المتنبي - القاهرة.

• **الجوهرى ، إسماعيل بن حماد - ت ٢٩٣هـ-**

١٠- الصحاح تاج اللغة العربية وصحاح العربية - ج٢ - مطبوع بالقاهرة سنة ١٣٧٦ هـ على نفقة المحسن معالي السيد حسن عباس الشربتلي - واعيد طبعها بالقاهرة سنة ١٣٩٩ هـ، ١٤٠٣ هـ.

• **الحموى ، ياقوت بن عبدالله - ٦٢٦ هـ**

١١- معجم البلدان - ج١ - ج٢ - ج٤ - ج٥ - دار صادر للطباعة والنشر - دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٣٧٦هـ.

١٢- معجم الأدباء - ج١٩ - دار أحياء التراث - بيروت - لبنان الطبعة الاخيرة.

• **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد - ت سنة ٨٠٨ هـ -**

١٣- المقدمة - طبعة دار الجيل - بيروت.

• **ابن خلكان ، شمس الدين أحمد - ت ٦١٨هـ.**

١٤- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ج٣ تحقيق : إحسان عباس دار صادر بيروت .

الذهبى ، الإمام أبو عبدالله شمس الدين – ت ٧٣٨هـ –
١٥- العبر فى خبر من غبر – ج٤- دار الكتب العلمية – بيروت لبنان،
١٦- تذكرة الحفاظ – ج٤ – صحح عن النسخة القديمة المحفوظة فى مكتبة الحرم المكى باعانة وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية،
١٧- ميزال الإعتدال فى نقد الرجال ج٤ – تحقيق : علـى اليجـاوي – دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع.

• رفعت ، إبراهيم

١٨- مرآة الحرمين – ج١ – مطبعة دار الكتب المصرية – ١٩٢٤م.

• السباعى ، أحمد

١٩- تاريخ مكة – ج١ – مطبعة دار قريش – ط٢ – ١٣٨٠ هـ.

• **السبكى ، تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على – ت ٧٢٢هـ –**

٢٠- طبقات الشافعية – ج٨ – تحقيق : محمود الطناحى، وعبد الفتاح الحلو مكتبة عيسى البابي الحلبي – دار إحياء الكتب.

• **السخاوى ، شمس الدين – ت ٩٠٢ هـ –**

٢١- التحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة الشـريفة – ج١ – ج٢- دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ط١ – ١٤١٤هـ.

• **السمهودى ، نور الدين على بن أحمد – ت ٩١١هـ –**

٢٢- وفاء الوفا بأخبار دار المطصفى – ج١ – حققه : محمد محـي الدين عبد الحميد – دار إحيـاء الـتراث العربـي – ط١ – ١٣٧٤هـ – ط٢- ١٣٩٣هـ

• **السليمان ، على بن حسين**

٢٣- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك – القاهرة – طباعة الشركة المتحدة للنشر – ١٣٩٣.

-السيوطى ، الحافظ جلال الدين عبدالرحمن – ت ٩١١ هـ –

٢٤- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة – ج٢- تحقيق : محمد ابو الفضل إبراهيم.

-دار إحياء الكتب العربية – مكتبة عيسى البابي الحلبي –ط١ – ١٩٦٧-١٩٦٨.

-ابو شامه ، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن – ت ٦٦٥ هـ –

٢٥- الروضتين فى أخبار الدولتين – ج٢ – دار الجيل – بيروت ، مطبعة دار النيل بمصر – ١٢٨٧-١٢٨٨هـ.

• **الصفدى ، صلاح الدين خليل – ت ٧٦٤هـ –**

٢٦- الوافي بالوفيات –ج٢ – ج٥ – باعتناء س.ديدينغ – دار النشر فرانز شتاريز شتوتفارت – ١٣٩٤هـ

• **الطبرى ، أحمد بن عبدالله : محب الدين – ت ٦٩٤هـ –**

٢٧- القرى القاصد أم القرى – عارضة بمخطوطات مكة والقاهرة : مصطفى السقا – المكتبة العلمية – بيروت – لبنان.

• **ابن ظهيرة ، جمال الدين محمد جار الله – ت ٩٨٦هـ –**

٢٨- الجامع اللطيف فى فضل مكة وبناء البيت الشريف – بيروت – المكتبة الشعبية – ط٥ – ١٣٩٩هـ.

• **ابنالعماد، عبد الحي الحنبلي – ت ١٠٨٩ هـ –**

٢٩- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب – ج٥ – ج٦ – دار بيان المسيرة – بيروت – ١٣٩٩هـ.

• **الفاسى ، محمد بن أحمد – ت ٨٣٢ هـ –**

٣٠- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين – الأجزاء من ١-٨ ما عـدا الأول تحقيق فؤاد سيد – مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة – من ١٣٨١-١٣٨٨ هـ

٣١- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام – ج١ –ج٢ – دار الكتـب العلميـة – بيروت – لبنان – ملحق به كتاب الدرة الثمينة فى أخبار المدينة لابن النجـار – ت ٦٦٥هـ مطبعة عيسى البابي الحلبي – ١٩٦٥م.

• **ابن فهد ، عمر بن فهد بن محمد – ت ٨٨٥ هـ**

٣٢- اتحاد الورى بأخبار أم القرى – ج١ – ج٢ – تحقيق : فهيم شـلتوت – مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامى جامعة أم القـري – مكة ١٤٠٤هـز

• **ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ – ٧٧٤ هـ –**

٣٣- البداية والنهاية ج١٢ – مكتبة دار المعارف – بيروت ١٤١٢ هـ – ج١٣ – ج١٤ مجلد واحد – دار الفكر – بيروت ١٣٩٨ هـ.

• **مبارك ، على باشا**

٣٤- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقـاهرة ومدنـها وبلادهـا القديمـة والشهيرة – ج٢ الطبعة الثانية مصورة عن طبعة بـولاق – ١٣٠٥هـ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٧م.

• **مخلوف ، محمد بن محمد**

٣٥- شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية – بيروت – دار الفكر للطباعـة والنشر

• **المقريزى ، أحمد بن علي – ت ٨٤٥ هـ**

٣٦- السلوك لمعرفة دول الملوك – ج١- ج٢ – صححه ووضع حواشيه : محمد مصطفى زيادة – القاهرة – مطبعة لجنة التأليف والترجمة – طبعة ثانية منقحة – ١٩٥٦م – ١٩٧٠،

٣٧- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية – ج٢ – دار صادر بيروت.

-المكناس ، أبو العباس أحمد بن محمد –ت ١٠٢٥ هـ

٣٨- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الجمال فى أسماء الرجال – ج١ – تحقيق : محمد الأحمدي ابو النور – دار التراث – القاهرة – المكتبة العتيقة – تونس.

-المنذرى ، عبد العظيم بن عبد القوي – ت ٦٥٦هـ.

٣٩- التكملة لوفيات النقلة – ج٣ – تحقيق : بشار معروف – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٠١هـ.

-ابن منظور ، جمال الدين محمد – ت ٦٣٠هـ

٤٠ – لسان العرب –ج٥- طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، ومعها تصويبات وفهارس – المؤسسة المصرية العامة للتأليف – الدار المصرية للتأليف والترجمة.

-الهروالي، قطب الدين الحنفى- ت ٩٨٨هـ، أو ٩٩٠هـ –

٤١- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام – طبعة ليدن بيرل (روائع التراث العربي أخبار مكة المشرفة).

-اليافعى ، الإمام أبو محمد عبدالله بن أسعد اليمنى – ت ٨٦٧هـ –

٤٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمـــان - ج٢ - ج٤ - دار الكتــاب الإســلامى بالقـــاهرة - ط١ - ١٣٧٧، ط٢ - ١٤١٣هـ.



الحياة الاقتصادية في الفيوم في العصر الفاطمي

٣٥٨ – ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ – ١١٧١ م

د / عبد الحميد حسين حمودة

كلية التربية بالفيوم – جامعة القاهرة

المقدمة

نالت الفيوم مكانة اقتصادية متميزة بين أقاليم مصر الإسلامية بفضل وفرة مياه الري الدائم علي مدار العام بوقوع الفيوم في بقعة منخفضة من أرض مصر مما ساعد علي انتعاش الزراعة .

وأشاد الكندي [1] المتوفى بعد سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٥ – ٩٦٦ م بكثرة خيرات الفيوم وأنهارها بقوله " ولا بالدنيا أنفس منه ولا أخصب ولا أكثر خيرا ، ولا أغزر أنهار ، ولو قايسنا بأنهار الفيوم انهار البصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل ".

ويحتوي هذا البحث علي مقدمة عن موقع الفيوم الجغرافي والإداري بين أقاليم مصر ثم يناقش جوانب الحياة الاقتصادية من موارد مالية مختلفة ، ومحاصيل زراعية متنوعة ونشاط صناعي قائم علي خامات البيئة المحلية ورواج تجاري داخلي .

وتناولت هذا الموضوع من عدة مصادر متنوعة تاريخية وجغرافية وكتب الرحالة والفقه والحسبة وأوراق البردي العربية. وحاولت بقدر

المستطاع أن أتجنب التعميم وأتقيد بالنصوص الواردة في المصادر عن الفيوم .

١- الموقع:

تقع الفيوم في الصعيد الأدنى [٢] في منخفض الأرض [٣] وكانت تدعى الجوبة [٤] يقول السيوطي[٥] ت ٩١١هـ / ٥-١٥٠٦ م "كانت لمصالة ماء الصعيد وفضوله ، فأجتمع رأيهم علي أن تكون هي المحنة التي يمتحنون بها يوسف عليه السلام ".

وتبعد الفيوم عن الفسطاط حاضرة مصر الإسلامية الأولى حوالي ثمانية وأربعين [٦] ميلا ، بما يعادل ٩٦ كيلو متر.

ويحد الفيوم من الشمال الجبل وبعض بلاد الجيزة ، ومن الشرق بني سويف والجبل ، ومن الغرب جزء من بحيرة قارون ، والجبل، والبهنسا [٧].

يقول العمري [٨] ٧٤٩هـ/٨ - ١٣٤٩ م " ويصاقب البهنسا في غربيها بلاد الفيوم ، وبينها منقطع من رمل ". ويحدها من الجنوب الجبل وبعض أجزاء من بني سويف والمنيا [٩].

وهكذا نجد أن الفيوم محاطة بالجبل من جميع الجهات ، وليس غريبا أن يؤكد علي ذلك ابن سعيد المغربي [١٠] بقوله: " لا يدخل إلى الفيوم إلا من الصحراء والجبل دائر بها يمتد بينها وبين بحيرتها ".

أما عن اسم الفيوم وكيف إكتسبته وسار أسما شائعا لها عبر العصور فاختلفت الآراء في تفسير معني كلمة الفيوم ، أطلق الأقباط عليها piom ومعناها قاعدة بلاد البحيرة ، ثم عرفت تلك الكلمة فيما بعد باسم phiom وهي تتكون من كلمتين pi وتدل علي المكان و im ومعناها اليم أو البحر أو البحيرة ، ومن phiom أخذ العرب كلمة فيوم ، وأضافوا إليها أداة التعريف(١١).

ويري المسعودى (١٢) ت ٣٤٦هـ/٧-٩٥٨ م أن أسم الفيوم يرجع الي عصر يوسف علية السلام حيث عمرها في ألف يوم ، أما الحميري (١٣) ت ٩٠٠هـ/٤-١٤٩٥م يشير إلى اسم الفيوم بسبب زيادة الدخل اليومي من خراجها الذي يبلغ الف دينار.

احتلت كورة (١٤) الفيوم (١٥) أهمية خاصة بين أقسام مصر الإدارية عقب الفتح الإسلامي لمصر . ففي خلافة عمر بن الخطاب (١٣ – ٢٣هـ/٦٣٤-٦٤٤ م) أتخذها عبد الله بن سعد بن أبي السرح مقرا لولايته علي الصعيد. بينما كان عمرو بن العاص علي ولاية الدلتا .

وفي خلافة عثمان بن عفان (٢٣ – ٣٥هـ /٦٤٤-٦٥٧م) عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وأسندها إلى عبد الله بن سعد وجاءه كتاب التعيين وهو بالفيوم سنة ٢٥هـ/ ٦٤٥ – ٦٤٦م (١٦).

ولم يحدث تغير لوضع الفيوم الإداري في عصور الولاة والطولوني (٢٥٤-٢٩٢هـ/ ٨٦٨ -٩٠٥ م) والإخشيدي (٣٢٣ -٣٥٨هـ/٩٤٣ – ٩٦٩م).

ولما فتح الفاطميون[١٧] مصر علي يد جوهر الصقلي ٣٥٨هـ/٩٦٩م أصبحت الفيوم بمثابة كورة من كور الصعيد العشرون[١٨] ثم أدخل الفاطميون بعض التعديلات الإدارية حيث قسمت مصر إلى ولايات كبري هي قوص [١٩] والشرقية والغربية والإسكندرية . وكانت الفيوم تندرج في التقسيم الإداري ضمن ولايات قوص ، التي تعد أعظم ولايات مصر في ذلك العصر وأسند إلى واليها حكم جميع بلاد الصعيد[٢٠] .

وأحصي أبو صالح الأرمني ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩-١٢١٠م ، عدد نواحي الفيوم في العصر الفاطمي ، فبلغت ٥٥ ناحية ١١ كفرا [٢١] ، وسنفرد ملحقا في نهاية البحث لبلدان الفيوم في عصر الدراسة من كتاب قوانين الدواوين للاسعد بن مماتي ت ٦٠٦هـ /١٢٠٩-١٢١٠ م الذي كان معاصرا للفاطميين وعمل في دواوين الدولة الفاطمية. ملحق رقم (١).

ولم يلبث أن تغير الاصطلاح الإداري للفيوم في أواخر العصر الفاطمي من كوره إلى عمل الفيوم ، أو الأعمال الفيومية [٢٢] .

الحياة الاقتصادية

شهدت الحياة الاقتصادية في الفيوم ازدهارا ملحوظا في العصر الفاطمي ، ويمكنني معالجة جوانب الحياة الاقتصادية من خلال الإشارة إلى الموارد المالية المتنوعة ، ووفرة الحاصلات الزراعية وشهرة الإقليم الصناعية والنشاط التجاري .

أ-الخراج:

كان خراج مصر يوزع بطريقة القبالات ، ويعلن عـن الأرض فـي المزاد علي متولي خراج مصر بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وينـادي علي الأرض جزءا جزءا ، أو كورة كورة . ويعطي لمن يرسو عليه المـزاد لمدة أربع سنوات[٢٣]. وبطبيعة الحال شمل هذا النظام الفيـوم حيـث تشـير وثائق البردي العربية إلى قبابلة محمد بن فضل للفيوم يتضح ذلك من إيصـال خـاص بدفـع ضريبـة المراعـي مـؤرخ فـي أول طوبـة سـنة ٢٦٢هـ/٢٧ديسمبر١١٧٥ م "أدي زيد راعي بن نصر ، عما يلزمـه مـن خراج المدينة قبالة محمد بن فضل ستة دنانير" [٢٤].

وكان خراج الفيوم يحصل عينا ، مما يؤخذ من غلـة الأرض مقـدرا بالدينار ، ونقدا يقول القلقشندي [٢٥] "وربما كان الخراج في بعض هذه البـلاد - الوجه القبلي- دراهم".

وفي عهد كافور الإخشيدي (٣٥٥ - ٣٥٧هـ /٩٦٦-٩٦٨ م) جبـي خراج الفيوم ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ هـ [٢٦] ، فبلـغ سـتمائة وعشـرين الـف دينار[٢٧] وهو مبلغ ضخم .

وأختلف تقديرات المؤرخين فيما يجبي مـن خـراج الفيـوم يوميـا ، فقدرهـا ابن عبد ربه -٣٤٩/٩٦٠م بـألف دينـار[٢٨] ، أمـا البكـري[٢٩] ٤٨٧هـ/١٠٩٤م بألف مثقال من الذهب.

وكان متحصل الخراج المفروض علي أديره الفيوم حوالي ٥٠٠ دينار سنويا [٣٠].

كما أورد لنا ابن مماتي ثبتا بأنواع المحاصيل الزراعية في مصر ، وما يحصل عن كل فدان بالأردب والدنانير حتي سقوط الدولة الفاطمية في سنة ٥٦٧ هـ /١١٧١ م ومما لا شك فيه أن معظم تلك المحاصيل زرعت في الفيوم علي حد قول ابن حوقل عنها[٣١] "كانت لا تعدم من أصناف الغلات شيئا".

وحصل عن كل فدان يزرع قمحا ثلاثة أرادب[٣٢] ، والفول من ثلاثة أرادب إلى أردبين ونصف[٣٣] ، وقصب السكر تتراوح ضريبته ما بين أربعين أبلوجة [٣٤] إلى ثمانين[٣٥] ، والحمص والجلبان والعدس أردبين ونصف[٣٦] .

وحدث تطور في النظام الاقتصادي لمصر في العصر الأيوبي ، وهو التحول إلى نظام الإقطاع ، فاقطعت الفيوم إلى الأكراد الغز في عهد يوسف بن أيوب في أواخر سنة ٥٧٣هـ بمبلغ يقدر بحوالي ١٣٣٢٧٤ دينار ، ثم أقطعت لبوري أخو يوسف حتى سنة ٥٧٦هـ /١١٨٠ -١١٨١ م بحوالي ١٠٠٠٤٦ دينار [٣٧].

ب- الجزية:

كانت الجزية [٣٨] مصدرا هاما للدخل في الفيوم ، حيث فرضت علي أهل الذمة من النصارى واليهود مقابل حمايتهم والذود عنهم ، يقول

الماوردي [٣٩] فقيه الشافعية في بغداد ت ٤٥٠ هـ /١٠٥٨ م "فيجب علي ولي الأمر أن يضع الجزية علي رقاب من دخل في الذمه من أهل الكتاب ليقروا بها في دار الإسلام".

وأوجب الشرع الإسلامي أخذها من أهل الذمة قال تعالي " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين آتو الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون "[٤٠]. وأعفي الإسلام الفئات الغير قادرة علي دفع الجزية كالنساء والأطفال والشيوخ والرهبان والعبيد[٤١].

وحدد المخزومي (ت ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م) مقدار الجزية في مصر، ففرض علي الغني أربعة دنانير وسدس ، والمتوسط دينارين وقيراطان ، ومن الفقير دينار وثلث [٤٢] .

ومن الجدير بالذكر أن الأقباط في الفيوم ، كانوا يشكلون جزءا من البنية الاجتماعية للسكان في العصر الفاطمي حيث انتشرت الاديره والكنائس في كافة أنحاء الإقليم[٤٣] ويذكر ساويرس بن المقفع أن أساقفة الفيوم شاركوا في الاجتماع العام الذي عقده بدر الجمالي لأساقفة مصر[٤٤] ، وإن كنا نفتقر إلى وجود إحصائية لمعرفة أعدادهم علي وجه الدقة. وعاش اليهود في الفيوم[٤٥] وقدر عددهم بحوالي مائتا يهودي في آواخر العصر الفاطمي[٤٦].

ج- الزكاة:

الزكاة هي ركن من أركان الإسلام الخمس ، وفرضت علي المسلمين الذين تزايد عددهم في الفيوم بكثرة في العصر الفاطمي لهجرة القبائل العربية إلى الأقاليم هذا فضلا عمن دخل في الإسلام من سكان الإقليم الأصليين .

والزكاة بمثابة ضريبة للتكافل الاجتماعي في الإسلام تأخذ من الغني وتعطي للفقير[٤٧]. وهي مفروضة بنص القرآن قال تعالي "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم والله سميع عليم " [٤٨].

والأموال التي يجب عليها الزكاة نوعان أموال ظاهرة كالزرع والمواشي وهما بكثرة في الفيوم ، وأموال باطنة كالذهب والفضة وأرباح التجارة[٤٩].

د- المكوس:

فرضت المكوس[٥٠] علي الكتان والبضائع الواردة من الفيوم والبلاد المجاورة لها وبلغت حوالي ٤١٦٠ دينار وعرفت باسم "منفلت الفيوم" [٥١].

و- الأحباس:

الاحباس هي الأموال المرصدة للانفاق علي الأعمال الخيرية كالمساجد والجوامع [٥٢] ، هي مورد مالي هام بالفيوم ، وكان ديوان الاحباس من

الدواوين الهامة في مصر بالعصر الفاطمي [٥٣] ، وعبر الصفدي[٥٤] عن هذا الديوان بما شاهدة بالفيوم بقولة " لما كانت البلاد يزينها ما بها من الجوامع والمساجد ويحسنها أهل الصلاة مابين الراكع والساجد أردت أن أصف ما بالفيوم منها وأعبر بما شهد به ديوان الاحباس عنها ، والذي يشتمل علية الفيوم وبلاده من الجوامع والمساجد ثمانون ".

هـ- المواريث الحشرية:

وهي الأموال التي يموت أصحابها بلا وارث شرعي لها فتؤول إلى بيت المال [٥٥] ، بعد أن تخصم منها نفقات الدفن والديوان والأموال الموصى بها [٥٦] وكشفت أوراق البردي العربية عن وصية من الفيوم مؤرخة بسنة ٣٤٨هـ/٩٥٩ - ٩٦٠ م " شهد الشهود المسمون في أخر هذا الكتاب عن إقرار يحنس بن شنودة بن يطرس من سكان جظون(تطون) من كورة الفيوم .... أنه صدق علي سمية دركة الصبية التي رباها ثلث ما تملكه يمينه[٥٧] ....." .

وهكذا نجد أن الموارد المالية في الفيوم تمثلت في الخراج والجزية والزكاة والمكوس والاحباس والمواريث الحشرية .

٢- الزراعة:

تشتهر الفيوم بكثرة محاصيلها الزراعية بسبب وفرة مياه الري وخصوبة الأرض فضلا عن خبرة فلاحي الفيوم بشئون الزراعة .

أولاً: مصادر المياه:

يمثل نهر النيل شريان الحياة في مصر منذ فجر التاريخ ، وكانت مياهه مازالت هي المصدر الرئيسي للري في الفيوم علي مدار العام يقول العمري [٥٨] " الفيوم هو الذي يجري بحره دائما مستمرا ، وينقسم به الماء إلى مقاسم...".

ومن حسن الحظ أن الفيوم تحتل رقعة زراعية شاسعة ، في منخفض من الأرض مما جعلها تروي من اثني عشر ذراعاً ، وهو ادنى منسوب للري في مصر ، ولذلك كان المسئول عن توزيع المياه ، يأمر عند زيادة مياه النيل عن اثني عشر ذراعاً بقطع المياه عن الفيوم [٥٩] .

وترتب علي وفرة مياه الري أن أهالي الفيوم ، كانوا يزرعون في العام مرتين " فإذا كان حصاد أهل مصر ، كان ذلك أول السقيه الثانية لأهل الفيوم ، لانهم يزرعون في العام مرتين ، ويزرعون في السقية الثانية القمح والشعير والأرز [٦٠]..." .

وساهمت البرك في زراعة بعض المناطق المجاورة ، علي حد قول المقريزي [٦١] " للبرك مقاسم يصل إلى كل مقسم منها لغايته ، ومقدار شرب ما علية الضيعة المعروفة بالأوسية الكبرى ، فمنه شربها من مقسمين لها ، وبرسمها باب ومنه يشرب نخلها وشجرها ".

ولا تمثل الأمطار هاما للري في الفيوم ، اللهم إلا في مناطق جداً قليلة بأطراف البحيرة [٦٢] .

ثانيا: الري:

يدخل إقليم الفيوم في نطاق الري الدائم ، بفضل تدفق مياه النهر عبر سد اللاهون وتشعب خليج الفيوم الي خلجان . انتشرت في أرجاء المنخفض الذي كان لطبيعته السلمية أكبر الأثر في الاستفادة بمياه النهر علي مدار العام(٦٣) .(ملحق رقم ٢)، كان يشق أراضي الفيوم عدة خلجان ساعدت علي ظهور الرقعة الزراعية في كافة أنحاء الإقليم وهي:

أ - خليج المنهي:

حفره يوسف علية السلام ، ومخرجة من دورة سربام من عمل الاشمونيين ، ويتجه صوب الشمال الي مدينة البهنسا ،ثم الي قرية اللاهون(٦٤) ، حيث يوجد سد عظيم مبني بالحجارة والكلس (٦٥) ، متقن البناء ، لتوزيع المياه بمقادير ثابتة (٦٦) ويمر في الجبل حتي يصل الي الفيوم ، ويستمر جريانه علي مدار العام (٦٧) .

وكان فتح السد من المناسبات الاجتماعية التي يحتفل بها أهالي الفيوم حيث يحضر المشهود من كل الجهات وامراؤهم بالطبول والبنود (٦٨) .

ب - خليج الفيوم:

يصل الماء الي هذا الخليج من بحر المنهي ، ويسقي بعض الأراضي الاشمونية والقسية والاهناسية .

ج - خليج سمطوس:

يروي أراضي سمطوس ، والبلاد المجاورة لها.

د – خليج دهالة:

يمد هذا الخليج الأراضي التي تزرع أرز بما تحتاجه من المياه .

كما توجد بعض الخلجان الأخرى ساعدت علي ري المناطق التي تجـرى فيها وهي خليج دلة ، وخليج المجنونة ، وخليج تلالة ، وخليج تبدو ، وخليـج سموه [٦٩] . وفيما يختص بنظام الرى ، عرف أهالي الفيوم نظام الري الدائـم لوفرة المياه وانخفاض ارض الفيوم – كما أشرنا من قبل .

كما عرفوا أيضا الري بالآلات في حالـة انخفـاض منسـوب المـاء ، فيستخدمون الدواليب [٧٠] والساقية [٧١] لرفع المياه الي الأرض .

٣– الأرض:

كانت أرض الفيوم تتميز بخصوبتها ، وأمتدحها بعض الجغرافييـن[٧٢] العرب " الفيوم من أخصب بلاد الله ".

واختلفت جودة تربة الفيوم من مكان لآخر يقول الصفـدي [٧٣] "وأرض الفيوم مختلفة التربة ما بين الابليز المحض والطين المختلط بالرمل الـذي لا يمنع الزرع ...".

أما عن علاقة الدولة الفاطمية بالمزارعين ، فلم تمتد يدها الي الملكيات الخاصة ، وتركتها في أيدي أصحابها ، وجاء ذلك في كتاب الأمـان الـذي أعطاه جوهر الصقلي للمصريين ، " علي أمانكم في أنفسكم وأموالكم وبلادكم

، وجميع أحوالكم علي أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجدد والمتأكد علي الأيام ، وكرور الأعوام في أنفسكم واموالكم واهليكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم [٧٤] ...".

وكشفت وثائق البردي العربية النقاب عن صحة ، أمان جوهر الصقلي للمصريين ، ففيها الكثير من الوثائق التي تؤيد ملكية الأفراد للأراضي الزراعية ، ووجد منها وثيقة في الفيوم ، تؤيد الملكية الخاصة يتضح ذلك من كشف خاص بمساحة الأرض مؤرخ بالقرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي [٧٥] .

ثالثا: الدورة الزراعية:

تنقسم الدورة الزراعية في الفيوم الي قسمين ، محاصيل صيفية ، ومحاصيل شتوية .

أ – المحاصيل الصيفية:

كان الأرز أكثر غلات الفيوم [٧٦] بسبب توفر المياه [٧٧] ، وصدر منه كميات كبيرة الي سائر البلاد [٧٨] .

وأشتهرت الفيوم بزراعة قصب السكر [٧٩] والسمسم ، والقلقاس [٨٠] ، والنخيل [٨١] الذي أشاد به صاحب الاستبصار [٨٢] بقولة " لا يعدم بها التمر والرطب شتاء ولا صيفا ، ولذلك غلتها أكثر جبايات بلاد مصر ".

ب – المحاصيل الشتوية:

اشتهرت الفيوم بزراعة الكتان [٨٣] والقمح [٨٤] والشعير والجلبان والثوم [٨٥] والبصل [٨٦] .

كما اشتهرت الفيوم بكثرة البساتين والفواكه [٨٧] ، كالزيتون والكروم[٨٨] والكمثري والتفاح والمشمش والخروب والتوت بالإضافة الي الورد والياسمين [٨٩] . ومن الثابت أن إنتاج الفيوم الهائل من الفواكه جعل أسعارها رخيصة [٩٠] .

وكانت الفيوم تمد الأسمطة [٩١] التي يقيمها خلفاء الدولة الفاطمية في القصر الفاطمي بالقاهرة ، بما تحتاجه من الفواكه مثل القليوبية والشرقية[٩٢].

ومن الأشجار التي زرعت في الفيوم اللبخ وهو يستخدم في صناعة السفن ، وكان ثمن اللوح الواحد منه يصل الي خمسين دينارا ، وقد أشارت برديات كثيرة الي أرسال خشب اللبخ من الصعيد والفيوم الي الفسطاط[٩٣].

أما عن الثروة الحيوانية في الفيوم فحرص الأهالي علي تربية الأبقار والجاموس [٩٤] والأغنام والماعز [٩٥] والخيول التي كانت ضمن الهدايا السنوية التي أرسلها قيسون والي الفيوم سنة ٤١٥ هـ /١٠٢٤-١٠٢٥ م الي الخليفة الظاهر ٤١١- ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠ - ١٠٣٥ م [٩٦].

٣- الصناعة:

ترجع شهرة الفيوم في ميدان الصناعة الي العصر اليوناني والروماني ثم ازدهرت في العصر الإسلامي ، ومن أشهر تلك الصناعات صناعة النسيج ، وصناعة الزجاج ، وصناعة الفخار ، والخزف ، وصناعة السكر ،

والزيوت ، والبردي ، والنبيذ ، وتبيض الأرز [٩٧] ، وسنلقي الضوء على تلك الصناعات .

أ-صناعة المنسوجات:

اشتهرت الفيوم بصناعة المنسوجات الكتانية في العصر الفاطمي ، علي الرغم من أن كتان الفيوم كان أقل جودة من غيرة لخشونتة [٩٨] .

ويري أحد الباحثين أن منسوجات الفيوم الكتانية كانت علي درجة عالية من الجودة ، وحسن الصنعة حتي قيل أنه كان يصدر الي كثير من النواحي [٩٩] . (ملحق رقم ٣) .

وكان يصنع بالفيوم الستور الثمينة التي يبلغ طول الواحد منها ثلاثين زراعا أو اكثر أو أقل ، وقيمة الزوج منها ثلاثمائة دينار [١٠٠] .

وتعد بوصير من أشهر مراكز صناعة المنسوجات الكتانية ، التي وصفها المقدسي [١٠١] ٣٨٣ هـ /٩٩٨ م ، بقولة " ومن بوصير الكتان الرفيع " مما يدل علي جودته وحسن صناعته [١٠٢] ، ولذلك أشاد ابن ظهيره [١٠٣] ت ٩٨٦ هـ /١٥٨٧ م بمنسوجات بوصير الكتانية التي صدرت الي سائر بلدان العالم .

كما اشتهرت الفيوم بصناعة المنسوجات الصوفية ، حيث تجود المراعي وتربي الأغنام ، علي أيدي القبائل [١٠٤] العربية التي نزحت الي الفيوم [١٠٥] .

وانتشرت مصانع النسيج في سنورس [١٠٦] ، ففي قطعة من نسيج الصوف تمثل نهاية عمامة أوشال يزخرفها شريطان إحداهما عريض مزخرف بأشكال مستديرة ذات أرضية باللون الأسود ، يتوسط كل دائرة شكل هندسي يشبة المعين يخرج من أركانه الأربعة ، وكتب عليها " ونعمة ويمن وسعادة لصاحبة ، مما عمل بسنورس من كورة الفيوم وسن (ته) ثمان وتسعين " . (ملحق رقم ٤) .

ويرجح أحد الباحثين نسبة هذه القطعة الي القرن الثاني أو الثالث للهجرة ، ذلك لان العبارات الدعائية ، وكلمة عمل من خصائص النصوص التي كتبت علي المنسوجات في العصر العباسي [١٠٧] .

وتوجد قطعة نسيج من الصوف تنسب الي قرية بسطا [١٠٨] يرجع تاريخها الي سنة ٣٧٥هـ - ٩٨٥هـ /٩٨٦م أو سنة ٣٩٥هـ /١٠٠٥م تزينها ثلاثة أشرطة منسوجة مكتوب عليه بالخط الكوفي " شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائمة بالقسط ، مما عمل في طراز بسطا في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ..." [١٠٩] .

كما وجدت قطعة من نسيج الصوف ، وهي بقية شال أو عمامة مكتوب عليها " سعادة ونعمة لصاحبة ، مما عمل في طراز الخاصة بمطول [١١٠] من قري كورة الفيوم " [١١١] .

ويرجح أحد الباحثين نسبة هذه القطعة الي نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس استنادا إلي أسلوب توزيع الزخارف ، في أشرطة عريضة محددة من أعلا واسفل بشريطيين ضيقين ، وكذلك أسلوب تزيين

المناطق المحصورة بين حروف الكتابة بزخارف مختلفة ، تقليـدا للأسـلوب المتبع في تزهير الخط الكوفي علي المنسوجات الفاطمية [١١٢].

ب-صناعة الزجاج:

كانت الفيوم في العصر الفاطمي من بين مراكز صناعة الزجاج الهامـة بمصر كالفسطاط والأشمونيين [١١٣].

وشهدت زخرفة الزجاج تطورا ملموسا في العصر الفاطمي ، ليصبـح لها الطابع المميز ، وكان هذا التطور يتمثل في قمة الصنعة وإتقان الزخرفـة وغناها ، اكثر مما كان في الأساليب الفنية أو الشكل [١١٤] . ولم يشر مؤرخـو الفنون الإسلامية الي بقايا قطع زجاج من الفيوم .

ج- صناعة الخزف:

ازدهرت صناعة الخزف في الفيوم ، وأصبح لها طراز خاص سـماه مؤرخو الفنون الإسلامية بطراز الفيوم ، ويوجد بمتحف الفـن الإسـلامي ، مجموعة من القدور والصحون من الخزف المعروف بأسم خزف الفيـوم ذي الألوان المتعددة المرشوشة .

ومن هذا النوع صحن كبير مؤرخ بالقرن الخامس الهجري عليه خطـوط بالألوان الأبيض والأخضر والأصفر [١١٥].

ويعرب أحد الباحثين عن قلقه من نسبة هذا الخزف الي الفيـوم لعـدم وجود دليل ، يؤيد هذه النسبة بأيد يمكن الاطمئنان إليه [١١٦] .

د- صناعة السكر:

اشتهرت الفيوم بصناعة السكر [١١٧] لوفرة محصول القصب في مناطق مختلفة من الإقليم ، ولذلك كثرة معاصر قصب السكر في بموية [١١٨] وذات الصفا ، وسيزو[١١٩] وسنورس التي كان بها أربعة معاصر[١٢٠] .

وكان القصب يحمل الي المعاصر حيث يوجد بها أحجار خاصة لاعتصاره ، ثم بعد ذلك يبدأ الطباخون في عمل العسل ، أما صنع السكر فكانت له مصانع خاصة أطلق عليها أسم المسابك أو المطابخ [١٢١] .

هـ-صناعة الزيوت:

كان بالفيوم عدة معاصر لاستخراج الزيت [١٢٢] بسبب وفرة الزيتون وينفي الوزان [١٢٣] صلاحية زيتون الفيوم لاستخراج الزيت بقوله " ولكن زيتونها لا يصلح إلا للأكل ، ولا يستخرج منه زيت ".

ز-الصناعات المعدنية:

ومن التحف المعدنية التي صنعت في الفيوم في العصر الإسلامي صينية وصحون من النحاس عليها رسوم أسماك ونصوص قبطية ، كما نقش عليها أسم صاحبها وتاريخها ، وقد وجدت في كنائس الفيوم وترجع الى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي[١٢٤] .

كما عثر في الفيوم علي إبريق من البرونز من بوصير بـــالفيوم فـــي إنقاص مقبرة من بداية العصر الإسلامي ، يقال أنها مدافن مروان بن محمـد أخر خلفاء الدولة الأموية ويبلغ ارتفاعه ٤١سم وقطرة ٢٨ ســم [١٢٥] ومــن الصناعات الأخرى التي اشتهرت الفيوم بها ، صناعة النبيــذ [١٢٦] وتبيــض الأرز [١٢٧].

وصناعة الخيش [١٢٨] ، وصناعة البردي أو القراطيس حيــث ينمــو نبــات البردي في الفيوم [١٢٩].

٤- التجارة :

قام النشاط التجاري في الفيــوم علــي منتجــات الإقليـم الزراعيـة والصناعية حيث عرض في أسواق الفيوم القمح ، وتبين لنا من وثائق البردي العربية أن التجار كانوا يشترونه من المزارعيــن قبــل نضــج المحصــول ويحررون عليهم إيصالات بالمبلغ المدفوع ، ويتضح ذلك من إقرار مــؤرخ في شهر المحرم سنة ٥٢٧هـ /١١٣٢م " لزمزم بن نصر من القمح الطيــب السالم من العلث [١٣٠] والطين بثلثه – ثلاثة – أردبا [١٣١] ..." (ملحق رقــم ٥) . كما عرض الأرز والفواكه والماشية والطيور والأسماك والمنسوجات.

ومن المحتمل أن الفيوم عرفت نوعان من الأسواق في العصر الفـاطمي ، أسواق دورية وهي التي تعقد في يوم معلوم من كــل أسـبوع ، وأســواق متخصصة تهتم بعرض نوع معين من السلع . وكانت أسواق الفيوم تقام فــي وسط البلد [١٣٢].

وقد عرفت أسواق الفيوم أنواعا من الموازين والمكاييل تعامل بها الأهالي في البيع والشراء ، وهي الرطل الفيومي الذي بلغت زنته ١٥٠ درهما [١٣٣]، ويحدد أحد الباحثين زنة أوقية رطل الفيوم بحوالي ١٢,٥ درهما أو ٣٨,٦٢٢٥من الجرامات [١٣٤] .

وكان إردب الفيوم يعادل ٩ ويبات حوالي١٠٤,٤ كغم من القمح [١٣٥] .

ومن الجدير بالذكر أن أسواق الفيوم خضعت لرقابة المحتسب للحفاظ علي النظام بداخل الأسواق [١٣٦] ، ومراقبة الموازين والمكاييل والأسعار والسلع .

أما عن نظام التعامل المالي في أسواق الفيوم فلم يختلف عن أقاليم مصر الأخرى ، لأن العملة ترتبط بالسيادة وهو الأمر الذي لم يجرؤ ولاة مصر علي ضرب عملات خاصة في ظل تبعية مصر للأمويين والعباسيين إلا بموافقة الخلفاء وأشرافهم .فما بالنا بولاة الأقاليم .

وكشفت المصادر الأثرية النقاب عن وجود دار لسك النقود في الفيوم ، وهي عبارة عن سكة برونزية في أواخر العصر الأموي في ولاية عبد الملك بن مروان لخراج مصر سنة ١٣١- ١٣٢هـ [١٣٧] .

وفي بداية حكم الفاطميين لمصر تعاملوا بالدينار الراضي نسبة الي الخليفة العباسي الراضي بالله [١٣٨] ثم ابطل التعامل به فيما بعد .

وساد التعامل بالدينار الفاطمي الذي نقش في أحد وجهيه ثلاثة أسطر أحدهم دعا الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد ،وتحته سطر فيه " ضرب هذا

الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين ثلاثمائة ، وفي الوجه الآخر لا الـــه إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كلـــه ، ولـــو كره المشركون علي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين " (١٣٩) .

ولقد ورد ذكر الدنانير والدراهم في وثائق البردي العربية فـــي عقـــود بيع منازل من قريتي تطون وبلجسوق من كورة الفيوم (١٤٠) (ملحق رقـــم٦). ومن المحتمل أن يكون نظام المقايضة معروفا في قري الفيوم بيـــن الأهـــالي لشراء حاجاتهم التي وصفها ابن مماتي (١٤١) بقوله " أنها أحسن طريقة وأسـلم عاقبة " .

أما عن علاقة الفيوم التجارية بالقاهرة ، فكانت تمدها بما تحتاجه مـــن الأسماك حيث اشتد الطلب في عهد العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـــ /٩٧٥ - ٩٩٦م) علي النوع المعروف باللبس الذي يشبه البوري (١٤٢) ، كمـــا كـــان سمك البلطي ينقل يوميا علي ظهور الإبل والتي بلغت حوالي عشرين جمـــلا من الفيوم ليعرض في أسواق الفسطاط (١٤٣).

الخاتمة

لم تتأثر الزراعة في الفيوم بانخفاض ماء النيل طيلة العصر الفاطمي ، لان أدني منسوب لماء النيل في ذلك العصر قد وصل الي ١٣ ذراعاً في سنة ٤٩٧هـ بينما تسقي الفيوم من ١٢ ذراعا . لذلك اشتهرت بزراعة الأرز وقصب السكر والسمسم والنخيل والقمح .

وكان بعض أهالي الفيوم يبيعون القمح للتجار مقدما قبل نضج المحصول يتضح ذلك من عدة إيصالات وردت في أوراق البردي العربية وأشرنا إليها في ثنايا البحث .

وفي ميدان الصناعة نالت الفيوم شهرة قديمة ترجع الي العصر اليوناني والروماني وشهدت تقدما ملموسا في العصر الإسلامي .وتعد صناعة المنسوجات الكتانية والصوفية من أشهر صناعات الفيوم ، لتوفر خامات البيئة المحلية . ومن أبرز مراكزها سنورس وبسطا وبوصير .

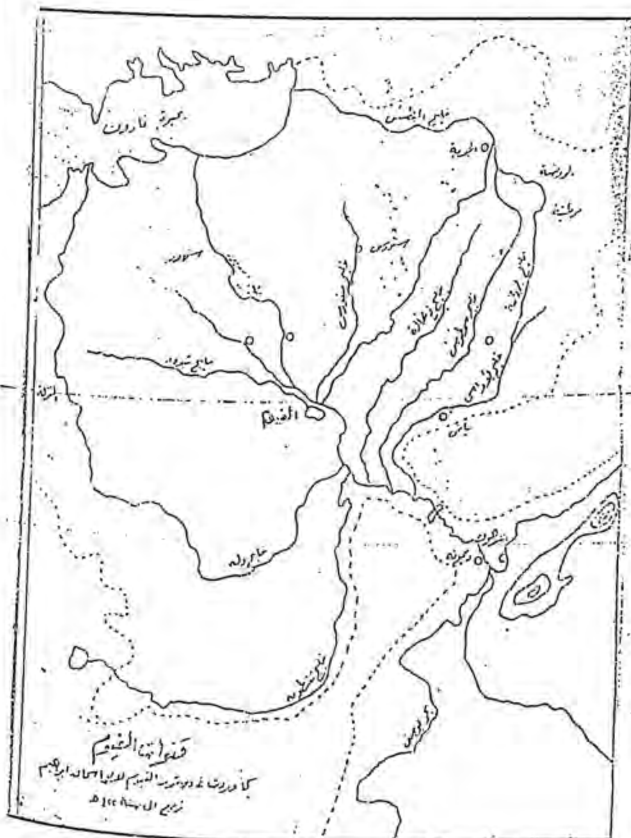
وعلي صعيد النشاط التجاري عرف أهل الفيوم التعامل بالنقود الفاطمية من دنانير ودراهم في شراء حاجتهم . ولقد استفدت من أوراق البردي العربية في هذا الجانب . كما عرف أهل الفيوم الموازين والمكاييل فكان لهم رطل عرف بالرطل الفيومي .

الملاحق

١-كور الفيوم في العصر الفاطمي

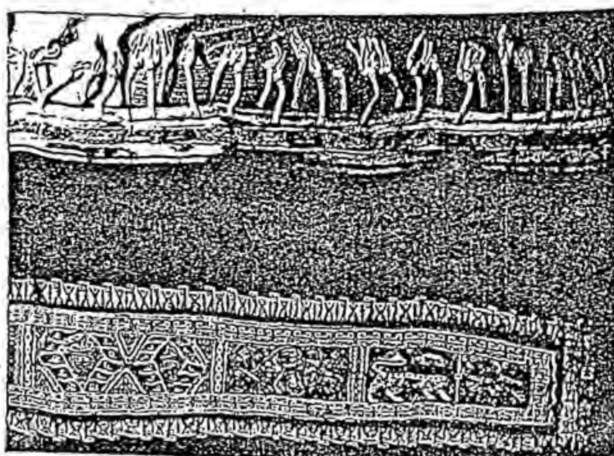
ايشاية الرمان ، ابريزيا ، أبو جنديز ، اخصاص العجميين ، اهريت المدينة وهي الفيوم ، القرعا اللاهون الجبال الغربية ، الملالية الحنبوشية الاستباط ، الغاية المجاورة ، لباجة ، الغرف المعروف بعجلان ، الاعلان وقف وهي الإعلام ، الغرف من حقوق خليج طنطوية ، الملاحة بموية ، بوصير دفدنو ، بيج إنشو ومعصرتها ، بوكسا بيج الفاش ، بركة بني سالوس ، بيج غيلان ، بيج فرخ برفرقي بيج النيلة . جردو ، خراب جندي ، خليج طنطوه ، خليج دلاية ، خور الرماد ، دفدنو ومعصرتها ، دسبا ، دمشالين ، دموشيه ، الملاحة ، دموه اللاهون . شوبيس ، طليت ، طهارة ، قدمين ، فانو ونقليفة ، منية كربيس ، منية الديك ، منية البطس ، مردينة ، مرططارس ، منية أقني ، مطول ، منية الاسقف ، مرونة الكفر المعروف بمدينة الحسن(١٤٤) .

٢-خريطة قنوات الفيوم



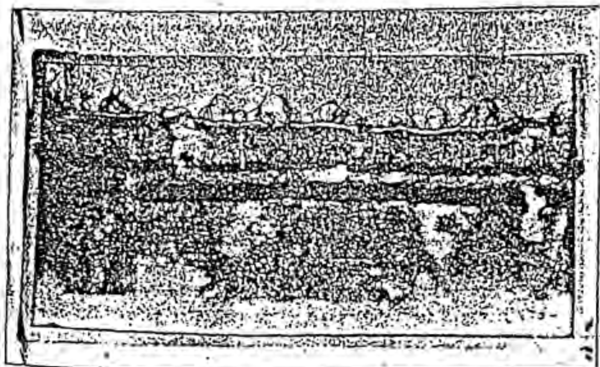
المصدر: محمد محمود إدريس : الحضارة الإسلامية في العصر الفـــاطمي، ص ٨١.

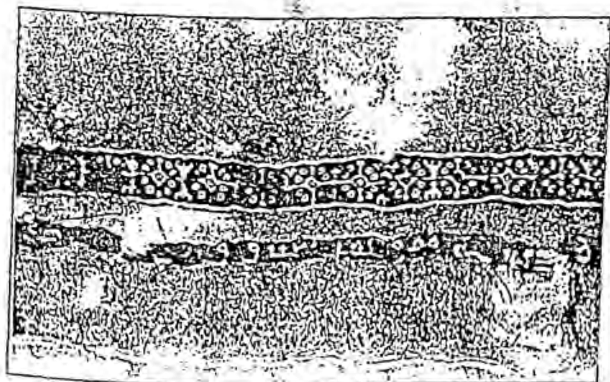
٢- قطعة من الصوف والكتان من نسيج الفيوم



المصدر: زكي محمد حسن ، كنوز الفاطميين ، اللوحة رقم ٨ .

٤- قطعة من نسيج الصوف والكتان من سنورس





المصدر: محمد عباس : طرز جديدة من نسيج الفيوم " مجلة دراسات أثرية إسلامية " المجلد الخامس القاهرة ١٩٩٥م ص ٥٦ .

٥- إقرارات بدين لبيع القمح من أوراق البردي العربية

نوع الوثيقة	العدد	المكان	التاريخ	البائع	المشتري	الثمن	الكمية	ملاحظات
بيع قمح	١	بلجسوق	٥٢٦ هـ	شبيب بن مقاره	زمزم بن نصر		أربعة أرادب	جروهمان:أوراق البردي ج١، ص ١٣١ -١٣١
بيع قمح	١	بلجسوق	٥٢٦ هـ	بلتوس بن الخليج	زمزم بن نصر		ثلاثـــة أرادب وربع أردب	جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٣١-١٣١
بيع قمح	١	بلجسوق	٥٢٧ هـ	ثـابت بـن دنيـيــن الحاكمي	ابو العلا بـن برقوق		أربعة أرادب	جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٣٥-١٣٦
بيع قمح		بلجسوق	٥٢٧ هـ	بول الشـمس بـن ابوالبدر	زمزم بن نصر		ثلاثـة عشـر أردب	جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٢٢-١٢٣
بيع قمح		بلجسوق	٥٢٧ هـ	دينار بن سليمان	زمزم بن نصر		أربعة أرادب	جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٢٢-١٢٣

٦- وثائق بيع منازل من أوراق البردي العربية

نوع الوثيقة	العدد	المكان	التاريخ	البائع	المشتري	الثمن	المساحة	ملاحظات
بيع منزل	١	تطوان	٢١١ هـ	مقطلتي بن شنودة ابن ايوب	يحنس بن شنودة	دينار واحد	السدس أربعة أسهم من أربع وعشرين سهماً	جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٥٢-١٥٤
بيع منزل	١	تطوان	٢٤١ هـ	مرمي بن سكريس وسويل بن شنودة	يحنس بن شنودة	ثلاثة دنانير	١٢ سهما	جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٥٨-١٥٩
بيع منزل	١		٢٤١ هـ	عبدالعزيز بن مقبل	يحنس بن شنودة	ربع دنانير مسولة	١٢ سهما	جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٦٢-١٦٤
بيع منزل	١	بلجسوق	٤٠٦ هـ	بلهيوا بنت تُوريل	متوس بن ثيدر	خمس دنانير		جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٦٧-١٦٨
بيع منزل	١	بلجسوق	٤٢٣ هـ	دليمة بنت لعوة المتهرواي	اسحق بن ابنولة	بنصف دينار وثمن دينار		جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٧٢-١٧٤
بيع جزء من المنزل	١	بلجسوق ترس	٤٢٩ هـ	إسحق بن ابنيلة	أبو السري بن عليه	دينار ونصف وربع عينا ذهبا	ستة أسهم	جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٧٧-١٨٠
بيع منزل	١	بلجسوق	٤٢٤ هـ	تُوريل بن ابنيله	أبو السري بن عليه بن رغرميل	نصف دينار وثمن دينار		جروهمان:أوراق البردي ج١، ص١٨٢-١٨٤
بيع منزل	١	بلجسوق ترس	٤٥٠ هـ	تُوريل بن ابنيله	ابنيله وأبوالبدر وتدى ابي السرى بن عليه	ثلاثة دنانير		جروهمان:أوراق البردي ج١، ص٢١٠-٢١١

هوامش البحث

(١) فضائل مصر ، تحقيق إبراهيم العدوي وأخرين ، الطبعـــة الأولـــي ، دار الفكـــر ، بيروت ١٩٧١ م، ص٥١ .

(٢) الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، بطر سبرج ١٨٦٥ م ، ص ٢٣٢ .

الصعيد الأدنى يشتمل علي البلاد الوقعة بين الاشمونيين والقاهرة .

العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، القاهرة ١٣١٢هـ، ص ١٧٤م.

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، الجزء الرابع ، دار صادر بيروت د.ت ، ص ٢٨٦ .

القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر ، بيروت د.ت ، ص ٢٣٨ .

القرماني : أخبار الدول ، عالم الكتب بيروت د.ت ،ص ٤٦٨ .

Hunt and other .Fay um Towns and their papyri London 190,p1.

(٤) ابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ، الجزء الثالث ، تحقيق علي محمـــد البيجـــاوي ، طبعة أولي ، القاهرة ١٩٥٥ م، ص ١٠٥٣.

الجوبة : فجوة ما بين البيوت وهي الحفرة أو فضاء أملس سهل بين أرضين والجبة مـــن الأرض الدارة وهي المكان المنخفض . أبن منظور : لسان العرب ، مادة جوب .

(٥) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، الجزء الأول ، تحقيق محمد أبو الفضـل الطبعة الأولى ، مطبعة عيسي البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ٣٨ .

(٦) أبوا الفداء : تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ م ، ص ١١٤ – ١١٥ .

القلقشندي : صبح الأعشى ، الجزء الثالث ، مطبعة دار الكتب المصرية القـاهرة ١٩٣٨ م ،ص ٣٩٤ .

الخالدي : المقصد الرفيع المنشأ الهادي لديوان الإنشاء ، مخطوط مصور بجامعة القـــاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥ ، ورقة ٨٥ .

علي مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة ، الجزء الرابع عشر ، الطبعـــة الأولـــى بـــولاق ١٣٠٥هـ، ص ٨٤ .

(٧) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين المجلد السابع ، الطبعة الثالثة دار المعرفة بيروت ، ١٩٧١م ، ص ٥٩٦ .

(٨) التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٧٤ .

القلقشندي : صبح الاعشي ، ج ٣ ، ص ٣٩٣.

(٩) محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ، ج ٧ ، ص ٥٩٦ .

(١٠) كتاب الجغرافيا ، حققه إسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري ، الطبعة الأولي ، بيروت ١٩٧٠ م ، ص ١٢٨ .

(١١) محمد رمزي : القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القسم الثاني ، الجزء الثالث مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٠ ، ص ٩٦ .

Encyclopaedia of Islam art Al-Fayum.

(١٢) مروج الذهب: الجزء الأول ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة دار الفكر ، بيروت ١٩٧٣ م ، ص ٣٤٦ ، أنظر أيضا

الهروي : الإشارات لمعرفة الزيارات ، نشر جانبين موردبل، دمشق ١٩٥٣م ، ص٤٣.

الوطواط : مباهج الفكر ومناهج العبر ، تحقيق عبد العال الشامي ، الطبعة الأولى ، الكويت ١٩٨١ م ، ص٨١ .

(١٣) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس،بيروت١٩٧٥م، ص٤٤٥.

(١٤) كانت الفيوم أحد أقسام مصر الإدارية في العصر البيزنطي ، وعين عليها دوق (سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٨ م ، ص ١٧) ولم يحدث تغيير للتقسيم البيزنطي لمصر في العصر الإسلامي ، فكانت تنقسم الي عدة أقاليم يعرف كل منها باسم كورة وعين عليها حاكما اداريا عرف بصاحب الكورة (سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩ م ، ١٦٩) .

والكورة بدورها تنقسم الي قري ولفظ كورة مشتق من الاسم اليوناني خورا (Chora) التي عثر عليها في أوراق البردي ولم تكن الكورة شيئا أخر سوي الإقاليم المعروفة في العهد البيزنطي .

(محمود محمد الحويري: أسوان في العصور الوسطي ، الطبعة الأولي، دار المعـــارف، القاهرة ١٩٨٠م. ص ١٧) .

(١٥) كانت الفيوم تخضع للسيادة البيزنطية قبل الفتح الإسلامي ، شأن سائر أقاليم مصـر الأخرى ، ومن الثابت أنة منذ أن وطأة أقدام المسلمين مصر ، حرص عمرو بن العـاص علي فتح أقاليم مصر المختلفة فأرسل الجيوش الي سائر تلك الأقاليم ومن بينها الفيوم التـي لختلفت أراء المؤرخين حول الفتح الإسلامي لها .

يشير ابن عبد الحكم ت ٢٥٧ هـ/ ٧٠- ٨٧١ م والذي نقل عنه جمهرة من المؤرخيـن العرب الي أن عمرا مكث عاما لا يدري بموضع الفيوم ، حتي قدم علية رجل فذكرها لـه ، فأرسل عمرو بن العاص جيشا ، واختلفت الروايات في اسم قائد الجيش فقيل ربيعة بـن حبيش بن عرفطة الصدفي ، وقيل مالك بن ناعمة الصدقي وقيل قيس بن الحـارث الـذي سار حتي أتى قيس فنزل بها وسميت القيس باسمه وفتحت الفيوم سلما بـدون مقاومـة ، واستسلم أهليها . أنظر :

- ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، تحقيق هنري ماسيه ، ليون١٩٣٠ ، ص ١٦٩ .

- ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب ، الجزء الأول ، القسم الخاص بمصر ، تحقيـق زكي محمد حسن واخرين / مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣ م ، ص ٤٤.

- السيوطي : حسن المحاضرة ، ص ١٤٣ .

- المقريزي : الخطط ، الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت د .ت ، ص ٢٤٩.

- سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة في العصر الإسلامي ، فصلة مـن مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، العدد الأول ، المجلد ٢١ لسنة ١٩٦٣م، ص ١٠٣ .

- السيد طه أبو سديرة : القبائل اليمنية في مصر، مكتبة الشعب، القاهرة د .ت، ص ٢٦.

- أما البلاذري ت ٢٧٩ هـ/ ٩٢ -٨٩٣ م ينفرد بذكر رواية تختلف تماما عـن روايـة ابن عبد الحكم فيشير الي أن عمرو بن العاص أرسل خارجة بن حذافة العدوي لفتح الفيوم والاشمونيين وباقي بلدان الصعيد .

(البلاذري : فتوح البلدان ، الجزء الأول ، نشر وتحقيق صلاح الدين المنجد ، النهضـة المصرية ، القاهرة د. ت . ص ٢٥٤) .

(١٦) الكندي : ولاة مصر ، تحقيق حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٩ م .

(١٧) في مطلع القرن الرابع الهجري أخذت أطماع الفاطميين بالمغرب تتجه صوب الشرق لغزو مصر ، وسلكت تلك الحملات الي الفيوم كما حدث في الحملتين اللتين قادهما أبو القاسم بن عبيد الله المهدي في سنتي ٣٠١هـ/ ٩١٩ - ٩٢٠ م .

- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، دار الفكر ، بيروت د. ت ، ص ١٤٧.

- المقريزي : المقفي الكبير ، ج ٦ ، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٩١ ، ص ١٧٠ .

- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٥ ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت د. ت ص ١٩ .

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ١١٥ .

- سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٣١

(١٨) القلقشندي : صبح الاعشي ، ج٣ ، ص ٣٧٦ .

(١٩) كانت قوص حاضرة الصعيد ومقر الوالي شرعت في العمارة والازدهار على حساب قفط منذ سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م.

(٢٠) العمري : التعريف ، ص ١٧٤ .

القلقشندي : صبح الاعشي ، ج ٣ ، ص ٣٩٧ ،

- حسن إبراهيم حسن واخرون : المعز لدين الله ، الطبعة الثانية ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ م ، ص ١٦٠ .

- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية . ص ٢٨٩ .

(٢١) أبو صالح : تاريخ كنائس وأديرة مصر ، طبعة أكسفورد ١٨٩٥ م ، ص ١٢ .

عطية مصطفي مشرفة : نظم الحكم بمصر زمن الفاطميين ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ١٤٧ .

(٢٢) ليلي محمد القاسمي طرشوبي : الفيوم في العصور الوسطي بين القرنين الثاني عشر والسادس عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٩ م ، ص ٣١ .

(٢٣) المقريزي : الخطط ج١ ، ص ٨٢ .

(٢٤) جروهمان : أوراق البردي العربية ، الجزء الثالث ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٤ م ، ص ١٧١ – ١٧٢ .

(٢٥) صبح الاعشي ج٣ ، ص ٤٤٩ – ٤٥٠ .

(٢٦) ذكر المقريزي (الخطط ج١ ، ص ٢٤٩) إن كافور جبي خراج الفيوم سنة ٣٥٦هـ، وانظر كذلك سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٣٤٣.

سعاد ماهر : محافظات الجمهورية العربية المتحدة ، ص ١٠٣ .

(٢٧) أبو صالح: كنائس وأديرة مصر، ص ٢٤، ياقوت: معجم البلدان ج٤ ، ص ٢٨٧.

ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، تحقيق مصطفي السقا وأخرين ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٦٩ م ، ص٦١ .

علي مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ١٤ ، ص ٨٥ .

(٢٨) العقد الفريد ، الجزء السابع ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، الطبعة الأولي ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ م ، ص٢٨٢.

(٢٩) معجم ما استعجم ، الجزء الأول ، تحقيق مصطفي السقا ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٣ م ، ص ٢٥٢ .

(٣٠) أبو صالح : كنائس وأديرة مصر ، ص ٨٨ .

(٣١) صورة الأرض (٨) ، بيروت ١٩٧٩م ، ص ١٦٠ .

(٣٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، الجمعية الملكية الزراعية ، القاهرة ١٩٤٣ م . ص ٢٥٩ .

(٣٣) نفسه ، ص ٢٦٠ .

(٣٤) هو قوالب من السكر هرمية الشكل .

جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج ٣ ص ٢٣٤ .

(٣٥) نفسه ، ص ٢٦٧ .

(٣٦) نفسه ، ص ٢٦١ .

(٣٧) أبو صالح : كنائس وأديرة مصر ، ص ٨٩ .

(٣٨) الجزية ضريبة قديمة ، فرضها اليونان والرومان على سكان البلاد المفتوحة وكانت تصل الي سبعة أضعاف الجزية التي فرضها المسلمون فيما بعد ، ويعتقد أن أصل اللفظ فارسي مأخوذ من كلمة "كزيت" أو تكون مشتقة من الجزاء .

خولة شاكر الدجيلي بيت المال وتطوره، مطبعة وزارة الأوقاف ، بغداد ١٩٧٦م ص ٩٧.

(٣٩) الماوردي: الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت د ت، ص١٨٢ - ١٨٣ .

(٤٠) سورة التوبة : الآية ٢٩ .

(٤١) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٤٢) المخزومي : المنهاج في علم خراج مصر ، تحقيق كلود كاهن ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة ١٩٨٦ م ، ص٣٥ .

(٤٣) أبو صالح : كنائس وأديرة مصر ، ص ٨٨ - ٩٠ .

الصفدي : تاريخ الفيوم وبلاده ، دارالجيل ، بيروت ١٩٧٤م، ص٢٢- ٢٣ .

(٤٤) ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، نشر يسى عبد المسيح وآخرون، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٥٩م ، ص ٢١٤.

(45)Goition: Amediterranean Society,
V.T.V. London 1983.

(٤٦) التطيلي:رحلة بنيامين، ترجمة عزار حداد، الطبعة الأولى، بغداد١٩٤٥م ص١٧١ .

(٤٧) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ١٠٧ .

(٤٨) سورة التوبة : الآية ١٠٣ .

(٤٩) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ١٥٦ .

أبي يعلي : الأحكام السلطانية ، صححه وعلق علية محمد حامد الفقي ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٦٦ م ، ١١٥ .

(٥٠) المكس في اللغه الجباية ، وهي درهم تحصل من بائع السلع في الأسماك في الجاهلية (المقريزي : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٣٢) والمكوس فرضها أحمد بن المدبر الذي ولي خراج مصر بعد سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤ م على المراعي وأماكن الصيد (البلوي

: سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق محمد كرد علي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القـاهرة د ت ، ص ١٠٢ .

(٥١) المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص ١٠٤ .

(٥٢) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٥٧ .

(٥٣) ابن الطوير : نزهة المقلتين في أخبار الدولتين ، تحقيق أيمن فؤاد سـيد الطبعـة الأول ، شتوتغارت ١٩٩٢ م ، ص ١٠٠-١٠١.

(٥٤) تاريخ الفيوم وبلادة ، ص ٢٠- ٢١ .

القلقشندي : صبح الاعشي ، ج ٣ ، ص ٤٩٠ .

(٥٥) القلقشندي : صبح الاعشي ، ج ٣ ، ص ٤٦٠ .

حسنين محمد ربيع : النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، دار النهضة العربية القـاهرة ١٩٩٤ م ، ص ٧٨-٧٩ .

(٥٦) محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، الطبعة الأولـى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٠ م ، ص٩٣ .

(٥٧) جروهمان : أوراق البردي العربية ، الجزء الثاني ، ترجمة حسن إبراهيـم حسـن وآخرين مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م ، ص ١٥٣ .

(٥٨) التعريف ، ص ١٧٤ ، وابن شاهين : زبده كشف الممالك ، اعتني بتصحيحه بولس راوس ، باريس ١٨٩٤ م ، ص ٣٢ .

(٥٩) السيوطي : حسن المحاضرة ، ج١ ، ص ٦٦.

المقريزي : الخطط ، ج١ ص ٢٤٧ .

الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٤٢ .

الصفدي : تاريخ الفيوم ، ص ١٤ .

(٦٠) أبو صالح : كنائس وأديرة مصر ، ص ٢٤ .

مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميـد ، مطبعـة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ م ، ص ٩٠ – ٩١ .

الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٤٥ .

(٦١) الخطط ، ج١ ، ص ٢٤٨ .

(٦٢) القلقشندي : صبح الاعشي ، ج١ ص ٣٠٨ .

(٦٣) عبد العال عبد المنعم الشامي : نظم الري والزراعة في مصر في الكتابات العربية ، الطبعة الأولي ، الكويت ١٩٨٨ م ، ص ٣١١.

(٦٤) القلقشندي : صبح الاعشي ، ص ٢٩١

(٦٥) السمعاني : الأنساب ، ج٤ ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ١٩٨٨ م ، ص٤٢٠ .

الادريسي : نزهة المشتاق ، ج١ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة د. ت ، ص ٣٢٨.

الصفدي : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٦ .

وهذا الحجر شاذوران بين طبقتين متقن الصنعة ، ومدرج علي ستين درجة فيها فورات في أعلاها لري الأرض العليا ، وفي وسطها لري الأرض الوسطي ، وفي اسفلها لري الأرز السفلي . أنظر مجهول : الاستبصار ، ص ٩٠ ، الحميري: الروض المعطار ، ص ٤٤٥.

(٦٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٩٠ ، الحميري : الروض المعطار ، ص٤٤٥.

(٦٧) القلقشندي: صبح الأعشي ، جـ٣ ، ص ٢٩٧.

(٦٨) الحميري: الروض المعطار ، ص ٤٤٥.

(٦٩) المقريزي: الخطط ، جـ١ ، ص ٢٤٧-٢٤٩.

(٧٠) المقريزي: الخطط ، جـ١ ، ص ٢٤٧-٢٤٩.

(٧١) الصفدي : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٦-٧ .

(٧٢) مجهول: الإستبصار ،ص٩١ الحميري:الروض المعطار ، ص ٤٤٥ .

(٧٣) تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٥ .

(٧٤) ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تحقيق عبد الحليم عويس وآخرين القاهرة ١٩٨١ م ص ٨٥ . المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ١٠٦ .

(٧٥) جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج٤ ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٧ م ص ٢٠٢ .

(٧٦) الادريسي : نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ٣٢٧ .

محمد محمود أدريس : الحضارة الإسلامية ، مكتبة نهضة الشـــرق - جامعــة القــاهرة ١٩٨٥ م ، ص ١٥٩ .

محمد محمود أبو زيد:النيل ومصر،دار الهداية ، القاهرة د ت،ص ٨٤.

Hewison: The Fayum, Apractical guide, The A.U.C, 1984, p.8.

(٧٧) " وكان ماء الفيوم حار بسبب جريانه علي مزارع الأرز " .

المقدسي : احسن التقاسيم ، الطبعة الثالثة ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩١ م ، ص ٢٠١

أمنية أحمد الشوربجي : رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصاديـــة لمصـــر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤ م، ص ١٧٩ .

(٧٨) الادريسي : نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ٣٢٧ .

(٧٩) ابن الوردي:فريدة العجائب ، الطبعة الثانية ، القاهرة د -ت، ص٣٩.

جابر سلامة المصري : الزراعة في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير غير منشور كلية الآداب _ جامعة القاهرة ١٩٧٤ م ، ص ٢٤ .

(٨٠) الصفدي : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٣ .

Hewison, OP.Cit, p.8.

(٨١) السمعاني : الأنساب ، ج٤ ، ص ٤٢٠ .

(٨٢) مجهول الاستبصار ، ص ٩١ . وكذلك الحميري : الروض المعطار ،ص ٤٤٥.

(٨٣) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٠١ . ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ٦١ .

محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، القسم الثاني ، ج٣ ، ص ٩٦ .

اشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط ، ترجمة عبـــد الــهادي عبلــة مراجعة أحمد غسان سبانو ، دارقتيبة ، دمشق ١٩٨٥ م ، ص ٥٩ .

محمد جمال الدين سرور : تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي القــاهرة ١٩٩٤ م ، ص ١٥٢ .

ENCYCLAPAEDIA OF ISLAM ART FAYUM.

(٨٤) اليعقوبي : البلدان ، ليدن ١٨٩٢ م ، ص ٣٣١ .

الخطط ، ج١ ، ص ٢٤٧ .

كلوت بك : لمحة عامة الي مصر ، الجزء الثالث ، تعريب محمد مسعود ، مطبعة أبــى الهول ، القاهرة د .ت ، ص ٤٣٤

HEWISON, OP. C.T, P8.

(٨٥) الصفدي: ' تاريخ الفيوم وبلاده ' ، ص ٢٣ .

بلغ إنتاج مطر طارس من الثوم في سنة ٦٤٠هـ حوالي ألف قنطـــار وأثنـــان وســتون قنطارا ونصف وربع قنطار . أنظر الصفدي: تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٦.

(٨٦) محمد رمزي: القاموس الجغرافي ، القسم الثاني ، جـ٣ ، ص٩٩.

ليلي محمد القاسمي: الفيوم في العصور الوسطي ، ص١٢٣.

(٨٧) الادريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص٣٢٧ . أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ١١٥ .

القلقشندي: صبح الاعشي ، ج٣ ، ص ٣٩٣ . ابن الوردي : فريدة العجائب ، ص ٣٩ .

(٨٨) الصفدي : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٤ . حسن إبراهيم حسن : تـــاريخ الدولــة الفاطمية ، ص ٥٩٤ .

محمد جمال سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ١٣١-١٣٢ .

(٨٩) الصفدي: تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ٢٦ .

(٩٠) ابن الوردي: فريدة العجائب ، ص ٣٩.

(٩١) اعتاد خلفاء الدولة الفاطمية علي عمل سماط في شهر رمضان ، وعيد الفطر وعيـد الأضحى في قاعة القصر ....لمزيد من التفاصيل أنظر :

المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص ٣٨٧ -٣٨٨ .

(٩٢) ابن ميسر: أخبار مصر ، حققه أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثـــار الشــرقية القاهرة ١٩٨٦م ص١١٠. المقريزي: اتعاظ الحنفا ، ج٣ ص ١٢٨.

جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ، المجلد الأول ، مطبعة لجنــة التــأليف ، القاهرة ١٩٥٨ / ، ص ٨٠ .

(٩٣) محمد محمود إدريس : الحضارة الإسلامية ، ١٩٧.

محمود أبو زيد : النيل ومصر ، ٨٨ .

(٩٤) المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص ٢٤٨ .

(٩٥) أنظر مكتبه (جروهمان : أوراق البردي ، ج٣ ، ص ١٧١) عن ضريبة المراعي بالفيوم .

(٩٦) المسبحي : أخبار مصر ، الجزء الأربعون ، تحقيق وليم ج بيلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٠ م ص ٥٢ .

المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ، تحقيق محمد أحمد حلمي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٧١ م ، ص ١٤١ .

(٩٧) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم (٦٨)، الهيئة العربية المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩م ، ص١٢٧ .

(٩٨) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، الطبعة الأولى ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ م ، ص ١٣٤ .

محمد محمود أدريس : الحضارة الإسلامية ، ص ٢٠٦.

سلام شافعي محمود : أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والأيوبي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ١٥٤ .

(٩٩) عاصم محمد رزق: مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، ص ٢٠٨ .

(١٠٠) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٥٩ .

آدم متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٤١ م ، ص ٢٩٦-٢٩٧ .

السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات في مصر الإسلامية ، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم ٩٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١م ، ص ٢٢.

عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، ص ٢١٨ .

(١٠١) أحسن التقاسيم ، ص ٢٠٣ .

(١٠٢) عاصم محمد رزق: مراكز الصناعة في مصر ، ص ٢٢٢.

(١٠٣) الفضائل الباهرة ، ص ٦١ .

(١٠٤) نزح الي الفيوم بعض القبائل العدائية منها بني عامر بن لؤي . (عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية في مصر ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ م ص ٧٣-٧٤) وبنو مخزوم (ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ، الجزء الثاني ، مكتبة القدسي ،

القاهرة ١٣٥٦هـ، ص ١١٠) وبنو مدلج الذين لم تظل إقامتهم في الفسطاط واقاموا في وادي هبيب بالجانب الغربي من مصر فيما بين مريوط والفيوم . (عبد الله خورشيد البري : القبائل العربية في مصر ، ص ٥٩) .

وبنو كلاب – المقريزي : البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٢٨ .

العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولكي ، الطبعة الأولى ، المركز الإسلامي للبحوث ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١٥٧ .

Mohamed Awad: The Assimilation of nomads in Egypt Geographical Review April, 1954.p.246.

ومن القبائل التي سكنت بالفيوم بعض بطون بني عجلان وبني جابر وبني زرعة استقروا في نواحي مختلفة من الفيوم (الصفدي : تاريخ الفيوم وبلادة ، ص ١٣) .

ونزح الي الفيوم من القبائل القحطانية بعض بطون قبيلتي بني لخم (ابن الأثير : اللباب ، ج٢ ، ص ٦٨) وبني مراد (المقريزي : البيان والأعراب ، الجزء الخاص بالملحق ، ص ٩٨) (عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية في مصر ، ص ١٧٣ – ١٧٥) .

(١٠٥) راشد البرواي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٣٥ .

محمد ادريس : الحضارة الإسلامية ، ص٢٠٧ .

سلام شافعي : أهل الذمة ، ص ١٥٤ .

(١٠٦) بلدة كبيرة شمال الفيوم (الصفدي: تاريخ الفيوم ، ص ١٠٧) وهي قاعدة مركز سنورس منذ سنة ١٨٧١م (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، القسم الثاني ، الجزء الثالث ، ص ١١٣) .

(١٠٧) محمد عباس محمد سليم : طرز جديدة من نسيج الفيوم في العصر الإسلامي ، البحث الأول ، مجلة دراسات أثرية واسلامية ، متحف الفن الإسلامي ، القاهرة ١٩٩٥م ، ص ٤٥-٤٦ .

(١٠٨) بسطا وأم السباع مساحتها ٩٨٠ فدان .

ابن الجيعان : التحفة السنية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٧٤ م ص ١٥٣.

(١٠٩) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٧ م ، ص ١٣٩ محمد عباس محمد سليم : طراز جديدة من نسيج الفيوم،٤٦ –٤٧،

(١١٠) مطول بلد كبير غربي الفيوم (الصفدي : تاريخ الفيوم وبلادة ، ص ١٦٧ ومطول البحري مساحتها ٤٣٢٠ فدان (ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٦٧) ومطول من البلاد التابعة لمركز اطسا (محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، القسم الثاني ، الجزء الثالث ، ص ٨٧) ذكر الدكتور زكي محمد حسن نص الكتابة علي قطعة النسيج وإنها صنعت في مطمور ، وعلق علي اسم هذه القرية ولسنا نعرف شيئا عن مدينة مطمور (زكي محمد حسن: أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٦ م ، ص ٤٦٩) .

زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، الطبعة الأولى ، النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٨ م ،ص ٣٥٠ . ويقول أحد الباحثين أن كل من قام بدراسة هذه القطعة لم يتوصل الي معرفة أسم البلدة المدونة هنا ، والتابع لاقليم الفيوم حيث وجدت عدة قراءات مختلفة ، وتوصل الباحث علي أنها مطول إذا وضعنا في الاعتبار أن حرف الميم قبل الواو زائد وهذه الزيادات في الحروف مألوفة في منسوجات الفيوم نظرا لحداثة عهد النساج بالكتابة العربية وعزلة الفيوم عن دور الطراز الرسمية في شمال الدلتا .

محمد عباس محمد سليم: طرز جديدة من نسيج الفيوم ، ص٥٣ هامش ١٣) .

(١١١) محمد عباس محمد سليم : طرز جديدة من نسيج الفيوم ، ص ٤٧ .

(١١٢) محمد عباس محمد سليم : طرز جديدة من نسيج الفيوم ، ص ٤٧ .

(١١٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٩١ .

زكى محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٥٨٦ .

محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية السلامية في مصر قبل الفاطميين ، الطبعة الأولى ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٤ م ص ٦٦.

محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٣٤ .

ديماند : الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد عيسي ، مراجعة أحمد فكري ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص ٢٥١ .

(١١٤) زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٥٨٦ – ٥٨٧ .

(١١٥) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة في مصر ، ص ٢١٩ .

(١١٦) زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٣٢٠ .

(١١٧) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٣

عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، ص ٢٢٠.

(١١٨) الصفدي : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص ١٠٣.

(١١٩) نفسه ، ص ١١٦.

سيزو كانت تابعة لمركز الفيوم ، فلما أنشئ مركز ابشواي في ١٩٢٩ م ألحقت به لقربها منه . (محمد رمزي: القاموس الجغرافي ، القسم الثاني ، ج ٣ ، ص ٧٣) .

(١٢٠) الصفدي : تاريخ الفيوم وبلاده ، ١٠٧ .

(١٢١) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٧٨.

(١٢٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٩٥٤ .

(١٢٣) وصف أفريقيا ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، مراجعة علي عبد الواحد ، السعودية الرياض ١٣٩٩هـ، ص ٦١٠.

(١٢٤) زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٥٢١ .

(١٢٥) نفسه ، ص ٥٠٨ .

(١٢٦) عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة في مصر ، ص ٢٢٠ .

(١٢٧) نفسه ، ص ٢٢٠.

(١٢٨) اليعقوبي : البلدان ، ص ٣٣١ .

المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص ٢٤٧ .

راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ١٣٤ .

محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة علي الأقمشة الفاطمية ، ص ٣٧ .

محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ، ج ٧ ، ص ٥٩٦.

(١٢٩) السيد طه أبو سديرة : الحرف والصناعات في مصر الإسلامية ، ص ٧٤ .

(١٣٠) العلث ما خلط من البر وغيره ، أبن منظور : لسان العرب ، مادة علث .

(١٣١) جروهمان : أوراق البردي العربية ، ج٢ ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٥٥ م ، ص ١٣١ -١٣٣ .

(١٣٢) الصفدي : تاريخ الفيوم وبلادة ، ص ٢٦.

(١٣٣) ابن الاخوة : معالم القرية في أحكام الحسبة ، تحقيق محمد محمود شعبان وأخرين،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦م، ص ١٤٠ .

(١٣٤) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، ص٢٠٤ -٢٠٥ .

(١٣٥) هنتس المكاييل والأوزان الإسلامية ، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية - عمان د.ت.ص ٥٩.

(١٣٦) ابن الإخوة: معالم القرية ، ص ١٣٥.

(١٣٧) عبد الرحمن فهمي محمد: موسوعة النقود العربية وعلم النميات ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٦٤ - ٦٥.

(١٣٨) المقريزي: النقود الإسلامية ، تحقيق محمد السيد علي ، الطبعة الخامسة ، النجف ، العراق ١٩٦٧م ، ص ٢٧.

(١٣٩) المقريزي: النقود الإسلامية ، ص٢٦، المقريزي ، الخطط، جـ١، ص٧٧-٧٨.

عبد الرحمن فهمي محمد: موسوعة النقود ، ص ١٩٩.

انستانس الكرملي: النقود العربية ، القاهرة ١٩٣٩م ، ص ٥٨.

عبد المنعم ماجد: النقود الفاطمية ، كلية الآداب - جامعة عين شمس ، المجلد الثاني مايو ١٩٥٣م ، ص ٢٢٥.

مايسة محمود داود: المسكوكات الفاطمية ، دارالفكر العربي ، القاهرة د . ت ، ص ٤٧.

MILES: FATIMID COINS NEW YORK 1951 P.8.

(١٤٠) جروهمان: أوراق البردي العربية ، جـ١ ، ص١٥٧،١٥٨،١٧٣،١٧٨.

(١٤١) قوانين الدواوين ، ص٢٦٠.

(١٤٢) ابن ظافر: أخبار الدول المنقطعة ، تعقيب اندريه فريه ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص٣٦.

(١٤٣) سعاد ماهر: محافظات الجمهورية ، ص ١٠٤.

(١٤٤) ابن مماتي: قوانين الدواوين ، صفحات متفرقة ص ١٠١-١٩١.

أولاً : المخطوطات

١-الخالدي (بهاء الدين محمد بن لطف بن عبد الله ت ٦٣٧هـ) . المقصد الرفيع المنشا الهادي لديوان الإنشاء مخطوط مصور بجامعة القاهرة تحت رقم / ٢٤٠٤٥ .

ثانياً : المصادر

١- ابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ت ٦٣٠هـ) " الكامل في التاريخ " الجزء السادس ، دار الفكر ، بيروت د.ت .

٢- ــــــــــ" اللباب في تهذيب الأنساب " الجزء الثاني ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٦هـ .

٣- بن الأخوة (محمد بن محمد أحمد القرشي ت ٧٢٩هـ) " معالم القربة في أحكام الحسبة " تحقيق محمد محمود شعبان واخرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦م.

٤- **الادريسي** (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز ت ٥٦٤هـ)" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " الجزء الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة د.ت .

٥- **البكري** (أبو عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ت ٤٨٧هـ)" معجم ما استعجم " الجزء الأول ، تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة بيروت ١٩٨٣ م .

٦- **البلوى** (أبو محمد عبد الله بن محمد المديني توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري) " سيرة أحمد بن طولون " حققها وعلق عليها محمد كرد علي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت .

٧- **البلاذري** (أحمد بن يحيي بن جابر ت ٢٧٩ هـ) " فتوح البلدان " الجزء الأول ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ، القاهرة١٩٥٦ م

٨- **التطيلي** (بنيامين بن يونه الأندلسي ت ٥٦٩هـ) " رحلة بنيامين " ترجمة عزار حداد ، الطبعة الأولى ، بغداد ١٩٤٥ م.

٩- **جروهمان** أوراق البردي العربية ، الجزء الثاني ، ترجمة حسن إبراهيم حسن واخرون ، مطبعة دار الكتاب المصرية ١٩٥٥ م .

١٠- **ابن الجيعان** (شرف الدين يحي بن المقري ت ٨٨٥هـ) " التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية " القاهرة ١٩٤٧م .

١١- **ابن حماد** (أبو عبد الله بن محمد بن علي ت ٦٢٨هـ) " أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم " تحقيق عبد الحليم عويس واخرون ، القاهرة ١٩٨١ م.

١٢- **الحميري** (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ت ٩٠٠ هـ) الزوض المعطار في خبر الأقطار " تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٤ م .

١٣- **ابن حوقل** (أبو القاسم أحمد النصيبي توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) "صورة الأرض " بيروت ١٩٧٩م .

١٤- **ابن خلكان** (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ت ٦٨١هـ) " وفيات الأعيان" المجلد الخامس ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٧ م .

١٥- **ابن دقماق** (إبراهيم بن محمد بن ايدمرت ٨٠٩هـ) " الانتصار لواسطة عقد الأمطار " الجزء الرابع والخامس ، القسم الثاني ، المكتب التجاري بيروت د.ت .

١٦- **الدمشقي** (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبـــي طـــالب ت ٧٢٧هـــ) " نخبة الدهر في عجائب الـــبر والبحـــر " بطر سبرج ١٨٦٥ م.

١٧- **ساويرس بن المقفع** (أسقف الاشمونيين توفي في أواخر القـــرن الرابع الهجري) " تاريخ بطاركة الكنيسة المصريـــة " المجلد الثاني ، الجزء الثالث نشر نسي عبـــد المســـيح وآخرين ، المعهد الفرنسي للآثار الشـــرقية ، القـــاهرة ١٩٥٩ م.

١٨- **ابن سعيد المغربي** (أبو الحسن علـــي بـــن موســـى) " كتـــاب الجغرافيا" حققه إسماعيل العربي ، الطبعـــة الأولـــى ، منشورات الكتب التجاري ، بيروت ١٩٧٠م.

١٩- **ابن سعيد** (سعيد الأندلسي) " المغرب في حلي المغرب " الجزء الأول ، القسم الخاص بمصر ، تحقيق زكـــي محمـــد حسن وآخرين ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٥٣م .

٢٠- **السمعاني** (أبو سعد عبد الكريـــم بـــن محمـــد بـــن منصـــور ت٥٦٢هـــ) الأنساب الجزء الرابع ، تحقيق عبـــد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بـــيروت ١٩٨٨ م .

٢١- **السيوطي** (جلال الدين بن عبد الرحمن ت ٩١١هـــ) " حســـن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة " الجـــزء الأول ،

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعـــة الأولـــى ، مطبعة يسى البابي ، القاهرة ١٩٦٧ م .

٢٢- **ابن شاهين** (غرس الدين خليل الظاهري ت ٨٧٣هــــــ) " زبـدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك " اعتنى بنشـــرة بولس راويس ، باريس ١٨٩٤ م .

٢٣- **أبو صالح** (الشيخ أبو صالح الأرمني توفي في أوائــــل القـرن السابع الهجري)" تاريخ كنائس وأديرة مصر " طبعـــة أكسفورد ١٨٩٥م.

٢٤- **الصفدي** (أبو عثمان النابلسي) " تاريخ الفيـــوم وبــلادة " دار الجيل بيروت ١٩٧٤ م .

٢٥- **ابن الطوير** (أبو محمد المرتضي عبد السلام بن الحسن الفـــهري القيسراني المتوفي بعد ٦١٧هــــ /١٢٢٠م) " نزهــة المقلتين في أخبار الدولتين " تحقيق ايمن فؤاد ســـيد ، الطبعة الأولى ، النشـــرات الإســلامية ، شـتوتغارت ١٩٩٢ م.

٢٦- **ابن ظافر** (جمال الدين بـــن علـــي الازدي) " أخبـــار الـدول المنقطعة " تعقيب اندريه فرية ، المعهد الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة ١٩٧٢ م.

٢٧- **ابن ظهيرة** (جمال الدين محمد بن محمد نور الدين بن أبي بكرت ٩٨٦هــ) " الفضائل البـــاهرة فـــي محاســن مصــر

والقاهرة " تحقيق مصطفي السقا وأخرين ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٩م .

٢٨- **ابن عبد الحق** (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت٩٣٧هـ) " مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع " الجزء الثالث ، تحقيق محمد علي البجاوي ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٥٥م.

٢٩- **ابن عبد الحكم** (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ت ٢٥٧هـ) " فتوح مصر وأخبارها " نشر هنري ماسية ليدن ١٩٣٠م.

٣٠- **ابن عبد ربه** (شهاب الدين أحمد ٣٤٩هـ/٩٤٠ م) " العقد الفريد" الجزء السابع ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٣ م .

٣١- **العمري** (ابن فضل الله شهاب الدين أبو العباس بن أحمد بن يحيي ت ٧٤٩هـ) " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " دراسة وتحقيق دوريتا كرافولسكي،الطبعة الأولى ، المركز الإسلامي للبحوث ، القاهرة ١٩٨٥م.

٣٢- ———— التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة ، القاهرة١٣١٢هـ .

٣٣- **أبو الفداء** (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت٧٣٢هـ) " تقويم البلدان " باريس ١٨٤٠ م .

٣٤- **القرماني** (أبو العباس بن أحمد بن يوسف بن أحمد ت ١٠١٩هـ) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ عالم الكتب ، بيروت د .ت .

٣٥- **القزويني** (زكريا بن محمد بن محمد) " آثار البلاد وأخبار العباد " دار صادر ، بيروت د . ت .

٣٦- **القلقشندي** (شهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ) "صبح الاعشي في صناعة الانشاء " الجزء الثالث ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٨ م.

٣٧- **الكندي** (أبو عمر بن محمد بن يوسف المتوفي بعد سنة ٣٥٥هـ) "ولاة مصر" تحقيق حسين نصار ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٩ م .

٣٨- -------- " فضائل مصر " تحقيق إبراهيم العدوي وآخرين ، الطبعة الأولي ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧١ م .

٣٩- **الماوردي** (أبو الحسن بن علي بن محمد البصري ت ٤٥٠هـ) "الأحكام السلطانية" دار الكتب العلمية ، بيروت د.ت .

٤٠- **مجهول** (كاتب مراكشي مجهول من القرن السادس الهجري) "كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار" نشر وتحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، جامعة الإسكندرية ١٩٥٨م.

٤١- **المخزومي** (أبو الحسن علي بن عثمان ٥٨٥هـ) " المنهاج في علم خراج مصر " تحقيق كلود كاهن ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٦ م.

٤٢- **المسبحي** (محمد بن عبد الله ت ٤٢٠هـ) " أخبار مصر " الجزء الأربعون ، تحقيق وليم ج بيلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٠ م .

٤٣- **المسعودي** (أبو الحسن علي بن الحسن ت ٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر الجزء الأول ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الطبعة الخامسة ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٣ م.

٤٤- **المقدسي** (شمس الدين أبو عبد الله ت ٣٨٨هـ) " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " الطبعة الثالثة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩١ م .

٤٥- **المقريزي** (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ) "الخطط" جزآن ، دار صادر ، بيروت د.ت .

٤٦- ---------- المقفي الكبير ، الجزء السادس ، تحقيق محمد اليعلاوي ، الطبعة الأولي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩١م .

٤٧- ---------- النقود الإسلامية ، تحقيق محمد السيد علي ، الطبعة الخامسة ، النجف ، العراق ١٩٦٧ م .

٤٨- ---------- البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعـــراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، دار المعرفة الجامعيـــة ، الإسكندرية ١٩٨٩ م .

٤٩- ----------اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفـــا ، الجـــزء الثاني ، تحقيق محمد أحمد حلمي ، المجلـــس الأعلـــى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٧١ م.

٥٠- **ابن مماتي** (الأسعد الخطير شرف الدين أبى المكارم أبى ســعيد ت ٦٠٦ هـ) " قوانين الدواويـــن " تحقيــق عزيــز سوريال عطية ، الجمعية الملكية الزراعية ، القـــاهرة ١٩٤٣ م .

٥١- **ابن منظور** (جمال الدين محمد بن مكرك الأفريقي المصـــري ت ٧١١ هـ) " لسان العرب " القاهرة .

٥٢- **ابن ميسر** (محمد بن علي بن يوسف بـــن جلـــب ت ٦٧٧هـ) " أخبار مصر " الجزء الثاني ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ١٩٨٦ م .

٥٣- **الهروي** (أبو الحسن علي بن أبى بكر المتوفـــى بعـد سـنة ٦١١هـ) " الإشارات لمعرفة الزيارات " نشر وتحقيـق جانين سورديل ، طومين ، المعهد الفرنســـي للآثـــار الشرقية ، دمشق ١٩٥٣ م.

٥٤- ابن الوردي (سراج الدين أبى جعفر بـــن عمــر ت ٧٥٩هـــ)
" فريدة العجائب وخريدة الغرائب " الطبعــة الثانيــة ، مطبعة مصطفي البابي ، القاهرة د. ت .

٥٥- الوزان (أبو الحسن بن محمد) " وصف أفريقيا " ترجمة عبد الرحمن حميدة ، مراجعة علي عبد الواحد ، الســعودية ١٣٩٩هـ.

٥٦- الوطواط (جمال الدين محمد بن إبراهيم بـــن يحـــي الوراقـــي الكتبي ت ٧١٨هـ) " مناهج الفكر ومنـــاهج العــبر" تحقيق عبد العال الشامي ، الكويت ١٩٨١ م.

٥٧- ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الرومـــي ت ٦٢٦هــــ)
"معجم البلدان" الجزء الثاني والرابع دار صادر بيروت د.ت.

٥٨- اليعقوني (أحد بن أبى يعقوب بن جعفر ت ٢٨٤ هـ) " البلدان " ليون ١٨٩٢م.

٥٩- أبي يعلي (محمد الحسين الغـــراء الحنبلــي ت ٤٥٨هــــ) " الأحكام السلطانية " صححة وعلق عليه محمد حـــامد الفقي ، مطبعة مصطفي الحلبـــي ، الطبعــة الثانيــة ، القاهرة ١٩٦٦ م.

ثالثا: المراجع العربية الحديثة

٦٠- **أدم متز** (الحضارة الإسلامية ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٤١ م.

٦١- **السيد طه أبو سديرة** الحرف والصناعات في مصر الإسلامية ، سلسلة الألف كتاب الثاني رقم ٩٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١ م .

٦٢- ---------- القبائل اليمنية في مصر ، مكتبة الشعب ، القاهرة د.ت .

٦٣- **أشتور** (التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط) ، ترجمة عبد الهادي عبلة ، مراجعة أحمد غسان سبانو ، دار قتيبة ، دمشق ١٩٨٥م.

٦٤- **أمينة احمد أمام الشوربجي** رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٣٩ م.

٦٥- **انستانس الكرملي** النقود العربية ، القاهرة ١٩٣٩ م.

٦٦- **جمال الدين الشيال** مجموعة الوثائق الفاطمية ، المجلد الأول ، مطبعة لجنة التأليف ، القاهرة ١٩٥٨م.

٦٧- **حسن إبراهيم حسن** تاريخ الدول الفاطمية ، الطبعة الرابعة ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٨١ م .

٦٨- **حسن إبراهيم حسن** وآخرون ، المعز لدين الله ، الطبعة الثانية ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ م

٦٩- **حسنين محمد ربيع** النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين ، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٤م.

٧٠- **خولة شاكر الدجيلي** بيت المال وتطوره ، مطبعة وزارة الأوقاف ، بغداد ١٩٧٦ م.

٧١- **ديماند** الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد عيسى ، مراجعة أحمد فكري ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨ م.

٧٢- **راشد البراوي** حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين ، الطبعة الأولى ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٧٣- **زكي محمد حسن** كنوز الفاطميين ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٧ م

٧٤- ———— فنون الإسلام ، الطبعة الأولى ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٧٥- ————أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٥٦م.

٧٦- **سلام شافعي محمود** أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والأيوبي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٢ م.

٧٧- **سيدة كاشف** مصر في عصر الولاة ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٨ م .

٧٨- ----------مصر في عصر الأخشيديين ، سلسلة تاريخ المصريين رقم (٢٩) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩م .

٧٩- **عاصم محمد رزق** مراكز الصناعة في مصر الإسلامية سلسلة الألف كتاب الثاني رقم (٦٨) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٩م.

٨٠- **عبد الرحمن فهمي محمد** موسوعة النقود العربية وعلم النميات ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٥م.

٨١- **عبدالعال عبد المنعم الشامي** نظم الري والزراعة في مصر في الكتابات العربية ، الطبعة الأولي ، الكويت ١٩٨٨م.

٨٢- **عبد الله خورشيد** القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ م.

٨٣- **علي مبارك** الخطط التوفيقية الجديدة ، الجزء الرابع عشر ، الطبعة الأول ، بولاق ١٣٠٥هـ.

٨٤- **عطيه مصطفي مشرفه** نظم الحكم بمصر زمن الفاطميين ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٨ م .

٨٥- **كلوت بك** لمحة عامة الي مصر ، الجزء الثاني تعريب محمد مسعود ، مطبعة أبي الهول ، القاهرة ، د. ت .

٨٦- **مايسة محمود داود** المسكوكات الفاطمية ، دار الفكر العربي القاهرة، د .ت .

٨٧- **محمد جمال الدين سرور** تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٦ م

٨٨- ـــــــــ تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٩٤م.

٨٩- **محمد رمزي** القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ، القسم الثاني ، الجزء الثالث ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٠ م

٩٠- **محمد فريد وجدي** دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد السابع ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٧١ م

٩١- **محمد عبد العزيز مرزوق** الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر قبل الفاطميين ، الطبعة الأولى ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٤م .

٩٢- ـــــــــ الزخرفة المنسوجة علي الأقمشة الفاطمية ، القاهرة .

٩٣- **محمد محمد أمين** الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٠م.

٩٤- **محمد محمود أدريس** الحضارة الإسلامية ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ١٩٨٥م.

٩٥- **محمد محمود علي أبو زيد** النيل ومصر، دار الهداية ، القاهرة ، د. ت.

٩٦- **هنتس** المكاييل والأوزان والإسلامية ، ترجمه عن الألمانية كامل العسيلي ، منشورات الجامعة الأردنية – عمان د.ت.

رابعاً : الرسائل العلمية الغير منشورة

٩٧-**جابر سلامة المصري** الزراعة في مصر في عهد الأيوبيين والمماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٧٤ م .

٩٨- **ليلي محمد القاسمي طرشوبي** الفيوم في العصور الوسطي بين القرنين الثاني عشر والسادس عشر رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية الأداب ، جامعة القاهرة ١٩٧٩ م .

خامساً الدوريات

٩٩- **سعاد ماهر** محافظات الجمهورية العربية المتحدة في العصر الإسلامي ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، العدد الأول ، المجلد ٢١ لسنة ١٩٦٣ م.

١٠٠-**عبد المنعم ماجد** النقود الفاطمية ، مجلة كلية الآداب – جامعة عين شمس – المجلد الثاني مايو ١٩٥٣م.

١٠١- **محمد عباس** طرز جديدة من نسيج الفيوم في العصر الإسلامي البحث الأول ، مجلة دراسات أثرية إسلامية ، متحف الفن الإسلامي القاهرة ١٩٩٥ م .

سادساً: المراجع الأجنبية

1)	Adler	Jewish Travellers , London 1930
2)	Encyclopaedia of Islam	
3)	Goitein	A mediterrean Society v. T.V. London 1983
4)	Hewson	The Fayaum A practical guide the American University
5)	Hunt and Other	Fayun Towns and their papyri London , 1900
6)	Mohamed Awad	The assimilation of Nomds in Egypt Geoyrophical Review, April 1954
7)	Miles	Fatimid coins , New York , 1951

ثغر المصيصة منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري

(٨٤ - ٤٩٨هـ / ٧٠٣ - ١١٠٤م)

د/ عبد الله بن سعيد محمد سافر الغامدي

جامعة أم القري

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد

يعد ثغر المصيصة أحد الثغور [1] البرية الهامة على الحدود الشمالية للدولة الإسلامية - مما يلي دولة الروم البيزنطيين في آسيا الصغرى - التي قامت بدورها الثغري على أكمل وجه منذ بدء حركة الفتوحات الإسلامية الأولى، على حساب الولايات الشرقية لبيزنطة. إذ كانت هذه الثغور منطلقاً للغزوات الإسلامية فى العمق البيزنطي داخل آسيا الصغرى. فضلاً عن كونها حافظت على أطراف الدولة الإسلامية خلال الفترات التي مال فيها ميزان القوى لصالح الروم البيزنطيين بسبب ما اعترى وحدة الدولة الإسلامية من تفكك وانقسام-[2].

والمصيصة أو ما يسبستيا Mamistra، مسماة فيما زعم أصحاب السير باسم الذى عمّرها وهو المصيصة بن الروم بن اليفز بن بسام بن نوح عليه السلام. وهى عبارة عن مدينتين يفصل بينهما نهر جيحان فعلى الجانب الغربي منه المصيصة والشرقي كفربيا، ويسميها البعض بغداد الصغيرة لأنها "كانت جانبين على النهر"[3] وبينهما قنطرة حجارة حصينة جداً على شرف

من الارض ينظر منها الجالس فى المسجد الجامع إلى قرب البحـــر نحـو أربعة فراسخ [٤]. كالبقعة التى كانت بين يديه خضرة نظرة[٥].

فتح المسلمون المصيصة فى عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مـــروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٥-٧٠٥م) فقد اشارت المصادر الإسلامية إلى أنه بعث ابنه عبدالله على رأس جيش كبير سنة ٨٤هـ/٧٠٣م أفلح فى فتح هذه المدينـــة، التى يبدو أن الروم البيزنطيين قاموا قبيل سقوطها بيد المسلمين، بإخلائها مـن سكانها، وهدم أسوارها وأبراجها وحصونها. ولهذا فقد أنفق عبد الملك مبـــالغ طائلة لإعادة بناء أسوارها وحصونها "على أساسها" كما عمر ابنه بها مسـجدا جامعا[٦]. واستمر ينفق الأموال فى عمارتها فنبى حول المصيصة الحوائـــط الضخمة والأسوار المزدوجة والخنادق[٧]. وتوالى اهتمام الخلفـــاء الأمويــن بالمصيصة، حتى غدت نقطة انطلاق فعلية لهجمات المســلمين فـــى العمـق البيزنطي داخل آسيا الصغرى. ففى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملـــك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م) خرج جيش تحت قيادة أخيه مسلمة توغل فـــى آسـيا الصغرى من ناحية المصيصة واشتبك مع البيزنطيين عند مدينة سوسنة وفتح حصونا كثيرة وذلك سنة ٨٧هـ/٧٠٥م[٨].

ويبدو أن هذا الاهتمام الذى حظيت به مدن الثغـــور الشـــامية ومنـــها المصيصة من قبل الخلفاء الأمويين، قد فتر بعض الشئ عشية فشل المحاولـة الإسلامية الثالثة فتح القسطنطينية زمن الخليفة سليمان بن عبد الملـــك (٩٦-٩٩هـ/٧١٥-٧١٧م) [٩]. ولعل ذلك كان السبب الذى دفع الخليفة عمر بـــن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٠-٧٢٠م) الذى "شخص حتى نـــزل هـــرى المصيصة" على التفكير فى هدمها وهدم الحصون التى بينها وبيـــن أنطاكيـة

خشية أن يهاجم البيزنطيون أهلها "فأعلمه الناس أنها إنما عُمرت ليَدفع من بها الروم عن انطاكية، وأنه إن أخربها لم يكن للعدو لان ناجية دون انطاكية" فامسك عن هدمها وزاد فى إعمارها بأن شيد فى كفربيا مسجداً جامعاً زوده بما يحتاجه من المياه وذلك بإمداده بصهريج "كان إسمه مكتوباً عليه"(١٠) وقد تولى اهتمام الأمويين بإعمار المصيصة. فيشير ابن العديم إلى أن هشام بن عبدالملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) بنى ربضها، كما قام مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢م) ببناء "الخصوص شرقى جيحان وبنى عليها حائطاً وأقام بها باب خشب وحفر من ورائه خندقاً وأسكن بها أهل الخصوص. وهم "فرس وصقالبة وأنباط نصارى"(١١).

ولما آلت الخلافة الإسلامية إلى البيت العباسى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م اهتم أول خلفائهم ابوالعباس السفاح (١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٤م) بالشئون الداخلية للمصيصة ، فقد فرض بها لأربعمائة رجل زيادة فى شحنتها وأقطعهم(١٢).

ويبدو أن بعض مبانى المصيصة تهدمت بعد ذلك، جراء الزلازل التى ضربت المنطقة آنذاك، وأدت إلى تناقص أعداد أهلها، إذ يبدو أن بعضهم هلك تحت أنقاض المبانى المتهدمة، والبعض الآخر هجرها إلى الخارج. ونظراً لأهميتها كثغر فى مواجهة أخطار الروم البيزنطيين المتكررة على حدود الدولة الإسلامية، قام الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م) خلال سنتى ١٣٩-١٤٠هـ بتجديد عمارتها وترميم أسوارها، ورغّب أهلها فى العودة إليها حيث بنى لهم بها مسجداً جامعاً "جعله مثل مسجد عمر مرات" وسماها المعمورة وفرض فيا لالف رجل(١٣). ويبدو

أنه احتاج للمساحة الواقعة خارج البلد التى كان الخليفة الأموى مروان بن محمد قد اسكن بها أهل الخصوص [١٤]. فعمل على تطييب خواطرهم بأن أعطاهم "خططا فى المدينة عوضا عن منازلهم على ذرعها" وأعانهم على بناء مساكن جديدة عليها، ثم نقض مساكنهم القديمة التى كانت تسمى الخصوص[١٥]. ويبدو أن المنصور جعل تلك المساحات ثكنات للعسكر المرابط في ثغر المصيصة، خاصة من كان يفد خارجها كالمتطوعة وغيرهم. أما أرباب القرّض وعددهم الف رجل فأنعم عليهم بأن أقطعهم "قطائع ومساكن"[١٦]. ومن هذا يبدو أن المنصور قد ألحق بالمصيصة ضاحيتين، أولاهما تلك المساحات التى كانت تضم مساكن أهل الخصوص والتى جعلها المنصور ثكنات للعسكر الوافد من خارج المصيصة للمرابطة بها، والثانية هى ضاحية القطائع ومساكن أصحاب القرض؛ ناهيك عن أن المنصور استطاع بهدم مساكن أهل الخصوص أن يصطاد عصفورين بحجر واحد، فإلى جانب كونه قد استفاد من تلك الرقعة التى كانوا يقطنونها، فإنه لا يستبعد أن يكون قصد أيضا بذلك تفريق أهل الخصوص على أحياء البلد تلافيا لما قد يحدث منهم من ثورات داخلية فى أوقات حرجة، كتلك التى يُهاجم فيها البيزنطيون ثغر المصيصة، خاصة أن من بينهم عناصر غير إسلامية.

وبعد أن، آلت الخلافة فى بغداد إلى المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) فرض لألفي رجل، إلا أنه توقف عن إقطاعهم. ولعل السبب الذى دفعه إلى اتخاذ هذا القرار، هو إحساسه بعدم توفر مساحات كافية لتحقيق ذلك، بسبب تنامي أعداد من وفد على المصيصة غذ كانت قد "شُحنت من الجنود والمطوعة"[١٧]. وزيادة فى دعم النشاط الثغري بها حرص المهدي

على إمدادها بدماء فتية وزعامة جديدة، حيث عين بها واليا جديدا هو سالما البرلسي، وفرض معه لخمسمائة مقاتل "فكثر من بها وقووا"[١٨] ويبدو أن أهل المصيصة ومن بها من الجنود والمطوعة اشتركوا في الحملة التي أرسلها الخليفة المهدى بقيادة ابن هارون لغزو أقاليم بيزنطة فى آسيا الصغرى سنة ١٦٥هـ/٧٨١م، وكان لهم دور كبير فيما حققته هذه الحملة من انتصارات إذ بلغ هارون بحملته "خليج البحر الذي على القسطنطينية" [١٩]، وأجبر الإمبراطورة ايرين وابنها قسطنطين السادس (٧٨٠-٧٩٠م) على عقد هدنة، تعهدت بموجبها على دفع جزية للمسلمين. وفى طريق عودته عرج هارون على المصيصة وتفقد أسوارها وأبنيتها بما فى ذلك مسجدها، وأعاد ترميمها، وزاد فى شحنتها وقوى أهلها[٢٠]. ويرى بعض المؤرخين أن الخليفة المهدي، هو الذى ابتدأ بناء القسم الشرقى من المدينة، الذي يعرف بكفربيا والمطل على الشاطئ الشرقى لجيحان، وأن ابنه هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) غير بعد ذلك بناءها وحصنها بخندق وذلك فى حوالى سنة ١٧١٧-١٧٢هـ-٧٨٧-٧٨٨م[٢١] بينما يرى فريق آخر بأنها "خربت قديما" ثم جدد الرشيد بناءها، فى حين يرى فريق ثالث أن الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) هو الذى بنى كفربيا [٢٢]. ورغم أن الدكتوره علية الجنزورى رجحت الرأى الأخير[٢٣] فإن الذى يبدو هو أن كفربيا كانت موجودة قبل هذا التاريخ بدليل ما ذكرته المصادر أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان قد بنى مسجدا شرقى النهر، بيدان مساكن أهل الخصوص التي بناها مروان بن محمد كانت فى هذه الناحية[٢٤]، وعليه فإنه من المحتمل أن يكون دور الرشيد انحصر في عمارة المساحات التى كانت

تضم مبانى الخصوص بعد أن هدمها أبوه المهدى والتى أصبحت تضم مساكن لأرباب الفرض وثكنات للجند والمطوعة.

أما عن دور المأمون فى ذلك، فإنه لا يتعدى كونه أصلح ما أفسده البيزنطيون فيها وذلك من جراء الهجوم المفاجئ الذي شنه الإمبراطور ثيوفيل Theophilus (٨٢٩-٨٤٢م) علىالمصيصة وطرسوس سنة ٢١٦هـ/٨٣١م، وقتل ألفا وستمائة من سكانهما. إذ يبدو أن ثيوفيل لم يكتف بعمليات القتل الجماعى هذه، بل ألحق اضرارا بأسوار ومبانى المدينة. فخرج إليه المأمون، وتوغل فى آسيا الصغرى، حيث دخلها فى جمادى الأولى من هذه السنة، ونجح فى فتح أقاليم عديدة، وأناخ بأرض الروم حتى منتصف شعبان[٢٥].

ولم يكن الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) أقل اهتماما بثغر المصيصة من أخيه المأمون، فقد عنى بعمارتها حيث أكمل بناء سورها الذى كان المأمون قد شرع فى بنائه[٢٦]. ويبدو أن المعتصم اتخذ من مناطق الثغور بما فيها ثغر المصيصة منطلقا لهجماته على أقاليم بيزنطة فى آسيا الصغرى، وبالأخص الحملة الشهيرة التى شنها المعتصم لتأديب الإمبراطور ثيوفين، الذى استغل وفاة الخليفة المأمون وقام بحركة توسعية على حساب أقاليم المسلمين المتاخمة لحدود بيزنطة فى آسيا الصغرى وتوج انتصاراته بفتح مدينة عمورية Amorion[٢٧].

ورغم أن نشوة النصر وفتح عمورية، جعلت الخليفة المعتصم يعقد العزم للسير نحو القسطنطينية بغية تحقيق أمل المسلمين فى فتحها. إلا أن نبأ

قيام الفتن فى الشام، أجبره على التخلي عن ذلك واستدار عائدا لإخمادها. والذى يهمنا أن مناطق الثغور الشامية بما فيها المصيصة تأثرت بذلك الحدث المفاجئ، حيث افتقدت بسببها إلى اهتمام الخلافة، وغدا أمر الدفاع منوط بولاتها الذين اضطلعوا بمهام صد غارات الروم البيزنطيين عليه، واستمر بهم الحال على ذلك حتى نجد أحمد بن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ/٨٦٨-٨٨٤م) فى الاستقلال بمصر والشام[٢٨] والذى حرص على إخضاع مدن الثغور الشامية بما فيها المصيصة لنفوذه ، إلا أن متولي الثغور الشامية "بازيان" قاد حملة تمرد بها، جعلت السلطان أحمد بن طولون يبادر إلى إرسال "صاحبه خلف" على رأس جيش كبير، تمكن من اقتحام إقليم الثغور فى ربيع الأول من سنة ٢٩٦هـ/٨٨٢م وقبض على يازمان "فوثب جماعة من أهل الثغر بخلف وخلصوا يازمان" وأجبروا خلفا على الهرب[٢٩]. الأمر الذى أثار حفيظة ابن طولون "وخاف التدبير عليه" وخرج بنفسه على رأس جيش كبير لحرب يازيان الثائر، خاصة بعد أ، تجرأ الأخير على سبه على المنابر ولعنه، وتقدم ابن طولون حتى بلغ المصيصة فأقام بها وكاتب يازمان "وراسله بالشيوخ يدعوه إلى الطاعة وترك المشاقة، والانقياد إلى أمره ويبذل له الأمان، ويخيره بين الخروج منها سالما موفورا، ويميت أسباب الشر والمحاربة، أو أو يقيم عليها غلاما من غلمانه من قبله"[٣٠]. إلا أن تلك المحاولات لم تجد نفعا مع يازمان، فترك ابن طولون معسكره فى المصيصة وتقدم إلى أذنه وكاتب يازمان منها فلم يجبه، بل تحصن بها، وسارع إلى نصب منجنيقاته وعراداته على سورها[٣١]. فقرر ابن طولون مهاجمته بها ونزل بمرجها وأحاطت عساكره بحيطانها، ففجر يازمان عليهم نهر البردان الذى يجري داخل المدينة، وداهمت مياهه التى تدفقت بشدة، معكسر ابن

طولون "وكاد أن يغرق أكثر عسكره" فرحل عن أذنه ليلا بعد أن غطت مياه النهر المرج وغرقت المضارب والخيم، وكتب إلى يازمان كتابا حقره فيه وبين له أسباب تخليه عن مهاجمة أذنه، جاء فيه "أما والله أيها الناقص الأنذل، لولا إرادة إبقائي على ثغور المسلمين، وكراهتي أن أفتح عليها للعدو معرة تكو سببا لهلاكها، لعلمت أن مثلك لا يقاوم غلاما من غلمانني ولا يعشره، فلما انتصرت بما فتحته فغرقت به ما لا يمكن دفعه إلا بما في هلاك الثغر انصرفت كافا يدى، محافظا لله عز وجل ولجماعة ساكني الثغر، لا محافظة لك ولا عجزا عن حملتك الضعيفة والسلاح"[٣٢].

وعلى أية حال فقد انصرف ابن طولون عن يازمان وعاد إلى المصيصة. ورغم أن قواده وكبار أصحابه أشاروا عليه بالبقاء حتى خروج موسم البرد، ثم معاودة الهجوم على يازمان- الذى يبدو أنه استغل تراجع ابن طولون عن أذنه وانتقل إلى طرسوس- إلا أنه لم يوافقهم على ذلك وأجابهم بقوله "والله لا يرانى الله عز وجل وأنا أجهز جيشا لمحاربة طرسوس إذ كانت سكن الإسلام" وأقام احمد بن طولون بالمصيصة ثلاثة أيام "وقد نالته علة من البرد" اضطر بعدها للتراجع إلى أنطاكية ومنها إلى مصر بعد أن زادت علته[٣٣].

ورغم أن المصادر صمتت – كما يبدو للباحث – عن الحديث فى دور الطولونيين فى ثغر المصيصة بعد هذه الحادثة. فإن الذى يظهر هو أن ثغر المصيصة ظل منطلقا لحملات الجهاد ضد البيزنطيين فى آسيا الصغرى، التى شنها الطولونيون بعد ذلك - خاصة فى عهد خماروية بن أحمد بن طولون الذى اشتهر مع والده بجهادهما المستميت ضد البيزنطيين فى تلك الجهات.

وبعد أن حل الأخشيديون[٣٤] محل الطولونيين فى مصر والشام، كان من الطبيعى أن يشتمل ذلك النفوذ مناطق الثغور الشامية بما فيها المصيصة. إلا أن سيادة الاخشيديين عليها كانت - على ما يبدو - اسمية، بدليل ما ذكر من أن أمير ثغر طرسوس القريب من المصيصة آنذاك ويدعى نصر الثملي كان تابعا تبعية اسمية للإخشيد[٣٥]. ويبدو أن عدم قدرة الإخشيديين فرض سيطرتهم كاملة على مدن الثغور الشامية ومنها المصيصة، يعود بالدرجة الأولى إلى اضطراب الأحوال السياسية فى شمال الشام عشية سيطرتهم عليها. إذ سرعان ما اصطدم الإخشيديون بالحمدانيين، الذى انتقل فرع منهم إلى الشام سنة ٣٢٣هـ/٩٤٤م بقيادة سيف الدولة الحمدانى، الذى نجح فى قهر الإخشيديين، وأسس دولة الحمدانيين فى شمال الشام وجعل مقرها حلب، ومن ثم شمل نفوذها مناطق الثغور الشامية وفى مقدمتها المصيصة[٣٦]. وقد أولاها سيف الدولة الحمداني جل اهتمامه، حيث زاد في شحنها بالمقاتلة، واهتم بشئونها وظلت محل رعايتها لحمايتها من خطر الهجمات البيزنطية التي لم تكن تنفك عنها، حتى استحق أن ينعت "بحامي الثغور الإسلامية"[٣٧] يؤكد هذا ما ذكره كل من ياقوت والثعالبي، حيث قال الأول "ولم يزل هذا الثغر وهو طرسوس وأذنه والمصيصة وما يضاف إليها بأيدى المسلمين والخلفاء مهتمون بأمرها لا يولونها إلا الشجعان من القواد والراغبين عنها فى الجهاد، والحروب بين أهلها والروم مستمرة والأمور على هذا الحال مستقرة، حتى ولى للعواصم والثغور الأمير أبو الحسن على سيف الدولة ابن أبى الهيجاء عبدالله بن حمدان الذى كان والده حاكما على الموصل والجزيرة، فصمد العدو، وأمعن فى بلادهم، واتفق أن قابله ملوك أجلاد، ورجال ألو بأس، وبصيرة بالحرب والدين شداد وكانت الحرب بينهم

سجالا[٣٨]. أما الثعالبي فقد قال عن سيف الدولة فى سياق كلامه فى بني حمدان "وسيف الدولة مشهور بسيادتهم وواسطة قلادتهم وكان رضي الله عنه وأرضاه غرة الزمان ، وعماد الإسلام ومن به سداد الثغور وسداد الأمور"[٣٩]. ويبدو للباحث أن ثغر المصيصة أسهم بدور فعال فى الحملة العسكرية التى شنها سيف الدولة على أقاليم بيزنطة فى آسيا الصغرى سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م لوقف تقدم جيش الدمستق الذى حاول وأد طموحات سيف الدولة فى مهدها، وذلك بمهاجمة أهل بغراس ومرعش حيث "قتل وسبى". إلا أن سيف الدولة كان له بالمرصاد حيث اسرع إلى مضيق وشعاب وأوقع بجيش الدمستق واستنقذ الأسارى وغنم الكثير ورد سالما "بعد أن بدع بالعدو"[٤٠].

وخلال فترة الاسترخاء العسكري التى عمت المعسكرين الإسلامي والبيزنطي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م شارك بعض من فرسان المصيصة فى الوفد الذى اصطحب رسول الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع "بورفيروجينيتوس" (٣٠١-٣٤٧هـ/٩١٣-٩٥٩م) فى طلب الهدنة[٤١]. وعندما تجدد القتال بين الطرفين وعزم نقفور فوقاس مهاجمة حلب سنة ٣٥١هـ/٩٦٢م٩، باغت إقليم الثغور فى قليقية، حيث انقض عليها كالصاعقة "وفى برهة ٢٢ يوما، استولى على خمسة واربعين حصنا وبلدا" وذلك قبل توجهه إلى حلب، لضمان عدم تدخلها ابان هجومه على حلب. إلا أن هذا العمل لم يمنع أهالي مدن الثغور الشامية، وعلى وجه الخصوص المصيصة وطرسوس وأذنة من مساندة الحلبيين خلال تلك المحنة. الأمر الذي دفع نقفور عشية انسحابه من حلب إلى التفكير فى مهاجمة هذه المدن ومعاقبة أهلها على

ذلك. حيث عمد أثناء انسحاب عن حلب - وذلك فى أوائل ذى الحجة سنة ٣٥١هـ/٣١ ديسمبر ٩٦٢م- إلى الإنتقام من البلاد التى طالما اتخذها المسلمون معاقل حصينة ومراكز قوية لغزو أراضى بيزنطة فى آسيا الصغرى، وكانت المصيصة وطرسوس من أقوى هذه المعاقل، وعرف أهلها بالصبر والجلاد والجهاد "وقد اعتمدهم سيف الدولة فى الكثير من غزواته وحروبه، فكانوا سنده المكين ودرعه الحصين"(٤٢).

ولهذا فإن اعتداءات نقفور فوقاس على المصيصة لم تقتصر على هذه المحاولة بل استغل سيف الدولة بمواجهة بعض المشكلات الداخلية فى دولته، فكرر مهاجمة المصيصة سنة ٣٥٣هـ/٩٦٤م وكله تصميم فى السيطرة عليها، حيث أعد للأمر عدته وسير إلى المصيصة جيشا كبيرا أسند قيادته إلى الدمستق حنا الشمشقيق Jon Tzimisces وشرع فى حصارها من كل الجهات "ونقب سورها نيفا وسبعين نقبا" إلا أنه لم يتمكن من اقتحام أسوارها لحصانتها، فضلا عن استبسال أهلها فى الدفاع عنها، حيث اشتد القتال بين الطرفين على النقوب ونجح أهل المصيصة فى دفع الدمستق وجيشه عن النقوب "بعد قتال عظيم" وأجبروه على الإنسحاب عنها بعد حصار دام خمسة عشر يوما، أحرق خلالها رستاقها ورستاق أذنة وطرسوس لمساعدتهم أهل المصيصة وقتل من أهلها خمسة عشر الف رجل. ويبدو أن الشمشقيق أراد التحجج ببعض الأعذار التى تبرز انسحابه عن المصيصة، فادعى بأن انسحابه عنها سيكون مؤقتا وعزا ذلك إلى نقص المؤن والعتاد وغلاء الأسعار، حيث خاطب أهل المصيصة وأذنة وطرسوس قبيل مغاردته قائلا "أنى منصرف عنكم لا لعجز ولكن لضيق العلوفة، وشدة الغلاء، وأنا عائد

إليكم. فمن انتقل منكم فقد نجا، ومن وجدته بعد دعوي قتلته"[٤٣]. إلا أنـه لا يستبعد أن يكون انسحابه ذلك كان بسبب سماعه عن وصول جماعـة مـن مسلمي خراسان قدرهم ابن الأثير بنحو خمسة آلاف رجل إلى الشـام عـن طريق أرمينية وميافارقين "يريدون الغزاة"[٤٤] فاستقبلهم سيف الدولة أحسـن استقبال الدولة أحسن استقبال، وسار بهم نجدة لأهل المصيصة لمنـع الـروم البيزنطيين من دخولها، فوجد أن حنا الشمشقيق قد انسحب عنها. وهنا يبـدو أن سيف الدولة حرص على استغلال حماسة هؤلاء الخرسـانية المتعطشـين للمشاركة فى حركة الجهاد ضد البيزنطيين بتوطينهم فى مدن الثغور، لدعـم صمود أهلها أمام أي هجوم بيزنطي آخر، فسمح لبعض الخرسانية "فتفرقـوا فى الثغور"[٤٥]. كما يمكن أن نعزو انسحاب البيزنطيين عن المصيصة إلى أن نقفور فوقاس أراد من وراء ذلك تهدئة الأوضـاع العسـكرية بينـه وبيـن المسلمين لكي يتسنى له تصحيح الأحوال الداخلية فى بيزنطة وذلك عشية وفاة الإمبراطور رومانوس الثاني، فى ١٥مارس سنة ٩٦٣هـ الذي تـرك بعـده ولدين صغيرين كان عمر أكبرهما وهو باسيل خمس سنوات. فطمع نقفور فى أن يلي منصب الوصاية عليهما، ولما تحقق له ذلـك نـادي بـه مسـاعدوه امبراطورا فى ٢ يوليو من السنة نفسها فى مدينة قيصرية، ومن ثم تتوجيـه رسميا فى القسطنطينية، ولكي يفوت الفرصة على خصومه في القيـام بأيـة معارضة، أقدم على الـزواج مـن أرملـة الإمـبراطور المتوفـى ووالـدة الطفلين[٤٦]. يضاف إلى ذلك أن نقفور كان مشغولا إلى حد ما بتثبيت نفـوذ بيزنطة فى جزيرة كريت، عشية استرداده لها من يد المسـلمين سـنة ٣٥٠ هـ/٩٦١م[٤٧]. ولعل مما يؤكد هذا ما ذكر من أن نقفور حرص بعـد ذلـك على اتباع سياسة الملاينة والموادعة مع سيف الحمداني، حيث بعـث إليـه

بهدية سنية قبلها سيف الدولة، ورد عليه بمثلها [٤٨]. إذ حرص هـو الآخر على اغتنام ذلك فى المطالبة بـإطلاق سـراح أسـرى المسـلمين لـدى البيزنطيين ومن ثم التقاط الأنفاس وتجميع قواه المبعثرة اسـتعدادا للجولـة المقبلة أمام الهجوم البيزنطي المنتظر على المصيصة، الذي كان يخطط لـه نقفور فوقـاس Nicephorus Phocas (٩٦٣-٩٦٩م) امـبراطورا علـى بيزنطة حتى استقر به المقام فى قيصرية، وبدأ يعد العدة لمعاودة الهجوم على المصيصة ومهد لذلك بأن ابتنى بقيصرية "مدينة ليقرب من بـلاد الإسـلام، وأقام بها ونقل أهله إليها"[٤٩]. ومكث بها سنة كاملة يتلمس أخبـار الثغـور، حتى تأكد له ضعفها وعدم قدرة أهلها على الصمود والمقاومة، فعـزم علـى مهاجمتها بجيش كبير ليهلك به الحرث والنسل. وهنا تذكر المصادر أن أهـل المصيصة وطرسوس أيقنوا عدم قدرتهم على مواجهته، وأرسلوا إليه يبذلـون اتاوة ويطلبون منه أن ينفذ إليهم "بعض أصحابه يقيم عندهم".ورغم أنه وافقهم على ذلك فى بداية الأمر، إلا أنه رجع عن عزمه عندما أتاه الخبر بأن أهـل المصيصة وطرسوس ايقنوا عدم قدرتهم على مواجهته، وأرسلوا إليه يبذلـون اتاوة ويطلبون منه أن ينفذ عدم قدرتهم على مواجهتة، وأرسلوا إليه يبذلـون اتاوة ويطلبون منه أن ينفذ إليهم "بعض أصحابه يقيم عندهـم". ورغـم أنـه وافقهم على ذلك فى بداية الأمر، الا إنه رجع عزمه عندما اتاه الخبر بأن أهل المصيصة وطرسوس قد وهنوا واشتد عليهم الغلاء حتى عدمـت الأقـوات واضطروا إلى أكل لحوم الميتة والكلاب، وانتشر فيهم الوبـاء فـهلك منـهم الكثير. حيث أمر نقفور بإحضار رسولهم إلى مجلسه، وأهانـه بـأن أحـرق الكتاب الذي كان يحمله على رأسه "فاحترقت لحيته" واعاده بعد أن قال لـهم "أنتم كالحية فى الشتاء تخدر وتذبل حتى تكاد تموت، فـإن أخذهـا إنسـان

وأحسن إليها وأدفاها انتعشت ونهشته وانتم إنما أطعتم لضعفكم، وأن تركتم حتى نستقيم أحواكلم تأذيت بكم"(٥٠).

وعلى أية حال فإن نقفور عزم - على ما يبدو - على استئصال شافة الحمدانيين الذين شغلوا دولة الروم البيزنطيين على مدى عشرين سنة كاملة(٥١). حيث أعد للأمر عدته بأن جمع جيوشه من كل مكان، وقسمها إلى ثلاثة أقسام، فأنفذ قسم إلى الشام، وثانى إلى الثغور وثالث إلى ميافارقين. والذي يهمنا هو الفرع الثانى الذى توجه إلى الثغور، حيث كانت المصيصة هدفه الأساس. ورغم أن نقفور أسند قيادة هذا الجيش فى بداية الأمر إلى أحد قواده وحارب أهلها فترة، فإنه قرر بعد ذلك اللحاق به، واقض بقواته على المصيصة فحاصرها ثم استولى عليها عنوة بالسيف يوم السبت ١٣ رجب سنة ٣٥٤هـ/١٥ يولية ٩٦٥م، وأعمل السيف في أهلها فقتل منهم أعدادا غفيرة، ونقل من سلم من القتل وكانوا نحو مائتي ألف إلى "بلاد الروم"(٥٢).

ويمكننا أن نعزو اهتمام نقفور بالمصيصة وحرصه الشديد على مهاجمتها بنفسه والسيطرة عليها هى وطرسوس، إلى أهميتها فى إنجاح مشاريعه المستقبلية ضد المسلمين، والتى أفصح عنها عشية تسلمه طرسوس من أهلها بالأمان، حيث صعد نقفور على منبرها وقال لمن حوله "أين أنا؟ فقالوا: أيها الملك على منبر طرسوس، فقال: لا ولكني على منبر بيت المقدس وهذه كانت تمنعكم من ذلك"(٥٣).

واللافت للنظر هنا أن المصادر لم تشر من قريب أو بعيد - حسبما ظهر للباحث - إلى اي دور لسيف الدولة الحمداني فى مواجهة هذا الهجوم

الكاسح الذي شنه نقفور فوقاس على المصيصة وطرسوس. ويمكن إرجاع ذلك إلى انشغال سيف الدولة بمواجهة بعض الثورات الداخلية، منها ثورة نجا الكاسكي في خلاط وميافارقين، ومروان العقيلي القرمطي متولي السواحل الذي خرج على سيف الدولة وقاد ثورة بحمص "فملكها وملك غيرها". فضلا عن تمرد الأنطاكيين عليه بتحريض من رشيق النسيمي صاحب طرسوس الذي لجا إلى أنطاكية بعد أن سلم مدينته إلى نقفور[٥٤]. كما يمكن أن نعزو ذلك إلى مرض سيف الدولة فى تلك الآونة، حيث أشارت المصادر إلى أنه أصيب "بعسر البول والفالج" واشتد عليه المرض حتى أقعده وظل ينخر فى جسده إلى أن لقى ربه فى صفر سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م[٥٥]. وعلى أية حال فقد أحكم نقفور فوقاس قبضته على مناطق الثغور الشامية بما فيها المصيصة وطرسوس، وعاث فيها فسادا، حيث أحرق الجوامع والمساجد وحول بعضها إلى اصطبلات، وخير سكانها بين الإقامة فى البلد ودفع إتاوة لبيزنطة، ومن تنصر فله الكرامة وتقر عليه نعمته. فبقي بها من بقي وتنصر من تنصر، وخرج أكثرهم وتفرقوا فى بلاد الإسلام المجاورة[٥٦]. وذكر أن نقفور أمر باقتلاع بوابات المصيصة وطرسوس وأذنة البرونزية الضخمة، وأرسلها إلى القسطنطينية لتكون تذكارا للإنتصارات التى أحرزها[٥٧]. ويرى ابن كثير أن السبب الذي مكن نقفور من رقاب المسلمين وبلادهم آنذاك يعود "لتقصير اهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم، وفشو البدع فيهم، وكثرة الرفض والتشيع منهم، وقهر أهل السنة بينهم"[٥٨].

وقد حرص نقفور فوقاس بعد سيطرته على المصيصة وغيرها من مدن الثغور الشامية فى قيليقية على تعميرها "وأسكنها بالمسيحيين من الأرمن"[٥٩] لكي يتقوى بهم فى حروبه التوسعية التي كان ينوي القيام بها على حساب مدن الشام الشمالية. ولاشك فقد أسهم الأمرن المسيحيون بجهد وافر فيما تحقق للبيزنطيين من انتصارات عسكرية على حساب ممتلكات المسلمين فى تلك المناطق، وبالأخص فى عهد الإمبراطور نقفور فوقاس وخليفته حنا تزيمسكس John Tzimisces" الشمشقيق" (٣٥٨-٣٦٥هـ/٩٦٩-٩٧٦م)[٦٠].

وظلت مدن الثغور فى قيليقية وفى مقدمتها المصيصة مركزا لتجمعات الأرمن، الذين برهنوا على ولائهم لأباطرة بيزنطة بمشاركتهم فى صراعهم مع المسلمين، حتى وثق بهم الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينيوس Romanus Diogenes(٤٦١-٤٦٣هـ/١٠٦٨-١٠٧١م) فعين زعيمهم فيلارتوس Philarctos حاكما على مدينة مرعش، ولما هو نجم رومانوس بسبب هزيمتهم واسره فى معركة ملاذكرد الشهيرة سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م[٦١]. رفض فيلاريتوس الإعتراف بالإمبراطور الجديد ميخائيل السابع دوقاس (٤٦٣-٤٧١هـ/١٠٧١-١٠٧٨م) وأعلن استقلاله عن بيزنطة، وفى خضم الفوضى التى سادت حكم ميخائيل السابعن استولى فيلاريتوس على المصيصة وطرسوس وعني زربة، وعندما ذاع صيته واكتسب هيبة انضوى تحت لوائه بعض زعماء الأرمن الذين كانوا قد انتزعوا أجزاء متفرقة من قيلقية، ولكي يعزز فلاريتوس وجوده فى قليقية انتزع الرها من يد البيزنطيين بعد حصار دام ستة شهور وذلك سنة

٤٧٠هـ/١٠٧٧م، وفى السنة التالية التمس أهل انطاكية بعد وفاة حاكمها البيزنطي من فيلاريتوس أن يتولى امرها خوفا من أن يستولى عليها السلاجقة المسلمون[٦٢].

ورغم أن فيلاريتوس وضع اساس دولة أرمينية جديدة فى جنوب شرق أسيا الصغرى- وهي الدولة التى اكتمل نموها فيما بعد - إلا أن خوفه من تفاقم خطر السلاجقة المسلمين، جعله يتبع سياسة مرنة وحكيمة تجاه بيزنطة، حيث اعترف بسيادتها الاسمية على دولته. فلم تم عزل ميخائيل السابع عن العرش أعلن فيلاريتوس ولاءه للإمبراطور الجديد نقفور بوتنياتس Nicephorus Botaniates (٤٧١-٤٧٤هـ/١٠٧٨-١٠٨١م) الذي كافأه بأن أبقاه حاكما على ما كان يسيطر من البلاد[٦٣].

وبالرغم من سياسة المصانعة التى انتهجها فيلارتيوس سواء مع البيزنطيين أو السلاجقة المسلمين متى دعت الحاجة إلى ذلك[٦٤]. فإن دولته لم يكتب لها البقاء طويلا، بسبب تدهور الأوضاع فى دولته قبيل وفاته سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، حيث استطاع السلاجقة أن يستردوا الجزء الغربي من سهول قليقية، وبخاصة مدينتي المصيصة وطرسوس، إلا أن السيطرة السلجوقية لم تكن نهائية، بمعنى أنهم لم يحجموا باستقلالهم محتمين بجبال طوروس، ومنهم روبان Roupen الذي استقر به المقام سنة ٤٧٣هـ/١٠٨٠م بهذه الجبال إلى الشمال الشرقي من مدينة سيس، ثم خلفه ابنه قسطنطين الأول سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م الذى نجح فى أن يوسع نفوذه فى جميع أنحاء قيليقية، حيث سيطر على أهم مدنها ويهمنا منها الميصيصة[٦٥].

وعلى أية حال، فإن هذه المفارقة العجيبة والمتمثلة في سيطرة السلاجقة الهشة على مدن قليقية، فضلا عن ضعف الإمارات الأرمينية بها. جعلت اثنين من زعماء الحملة الصليبية الأولى يتنافسان على الظفر بكبرى مدن هذا الإقليم طرسوس والمصيصة وأذنة، فقد حرص كل من الأمير تانكرو النورماني Tancred de Hauteville وبلدوين البولوني Baldwin of Bologne على أن يؤسس لنفسة إمارة صليبية في هذه المنطقة، متناسيين الهدف الاساسي الذي خرجت من أجله تلك الحملة والذي طالما تشدق به الصليبيون منذ خروجهم من الغرب الأوربي، وهو تخليص المقدسات المسيحية في فلسطين - حسب زعيمهم - من سيطرة المسلمين عليها، فضلا عن أنهما كانا غير آبهين بما نصت عليه الإتفاقية التي أبرمها الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين مع زعماء هذه الحملة[٦٦]. حيث انفصل كل منهما ومعهما بعض أعوانهما عن الجيش الرئيسي للحماة الصليبية الأولى بعد دخوله مدينة هرقلة وذلك في ١٤ سبتمبر ١٠٩٧م، وكان تنكرد هو السباق للوصول إلى قليقية، ثم لحق به بلدوين البولوني[٦٧]. الذي يبدو أن روح المنافسة في تحقيق أطماعه السياسية وذلك بتاسيس إمارة مستقلة له في قليقية، التي تتميز بموقعها الهام وسهولها الخصبة. قد جعلته يفكر في السير على ذات النهج الذي سلكه تانكرد، بإظهار تنصله عن الإلتزام ببنود المعاهدة التي أبرمها البيزنطيون مع أمراء الصليبيين بمن فهم بلدوين نفسه قبيل عبورهم البسفور إلى آسيا الصغرى[٦٨].

وعلى اية حال فقد زحف الأمير تانكرد على مدينة طرسوس بقيليقية التي كانت بها حامية سلجوقية ضعيفة، بينما معظم سكانها من الأرمن

واليونانيين الذين اتصلوا سرا بتانكرد، واتفقوا معه على الإطباق بالحامية السلجوقية. إلا أن تانكرد لم يستطع اقحام القلعة الا بعد وصول بلدوين البولوني، حيث أجبر السلاجقة على الفرار من القلعة تحت جنح الظلام، وبعد أن تسلم الصليبيون طرسوس لاحظ بلدوين فى صباح اليوم الثاني أن راية تانكر رفعت على أعلى برج فى المدينة ونشب على إثر ذلك خصام بينهما، هدد خلاله بلدوين بأنه سيحيل المدينة والضواحى المتاخمة لها إلى خواب إذا لم تمزق راية تانكرد وترفع رايته مكانها، وأمام قوة بلدوين اضطر تانكرد للإنسحاب إلى أذنة(٦٩)، ثم تابع زحفه إلى المصيصة حيث وصل إلى مشارفها فى ٤٩١هـ/أوائل أكتوبر ١٠٩٧، وأعجب بها كثيرا إذ كانت تعد من أروع مدن منطقة قيليقية "مشهورة بسورها وأبراجها وكثرة سكانها وحقولها الخصبة، وتربتها الغنية"(٧٠) ونصب معسكره على مقربة منها، ومرة أخرى رحب بها سكانها من الأرمن الذين رأوا فيه مخلصا لهم من السلاجقة المسلمين، وبدأ تانكرد هجوما شاملا على المدينة من كل الجهات، ونجح فى السيطرة عليها خلال بضعة أيام، وأعملوا السيف فى رقاب أهلها من المسلمين وأسرفوا في القتل والنهب، حيث عثروا بداخل المدينة على مقادير هائلة من الكنوز، وكميات كبيرة من المؤن والعتاد وغيرها، وقام تانكرد على الفور بقسمتها بين أتباعه كل حسب ما استحق نظير خدماته إبان سيطرتهم على المصيصة، فاغتنوا جميعا، وما زاد وزع على مجموعة كبيرة من الحجاج المسيحيين كانوا قد وصلوا إلى المصيصة آنذاك وهم يعانون من الفاقة والعوز(٧١).

ورغم أن تانكرد لم يلق عنتا فى السيطرة على المصيصة، إلا أنه لم ينعم طويلا بحكمها، وذلك بسبب تجدد المنافسة عليها من قبل خصمه اللدود بلدوين البولوني، بعد أن ساءت العلاقة بينها إلى أبعد حد، جراء التخاذل الذى أبداه بلدوين البولوني تجاه فئة من النور منديين قدرهم وليم الصوري بثلاثمائة شخص كانوا قد وصلوا إلى طرسوس بعد انسحاب تانكرد عنها إلى المصيصة، إلا أن بلدوين رفض السماح لهم بدخول طرسوس، واضطروا للمبيت خارجها، فوثب عليهم جماعة من الأتراك السلاجقة وابادوهم جميعا. فضلا عن كون بلدوين البولوني قد استقبل في طرسوس نجدة بحرية قدمت من الغرب الأوربي بزعامة أحد أبناء جلدته ممن احترف القرصنة فى البحار الشمالية، هو الأمير جينمار البولوني Guinemer of Bologne، فقد دفعه ذلك على التفكير فى إزاحة تانكرد عن قيليقية والانفراد بحكمها، حيث ظهر بقواته على أبواب المصيصة، فأوصد تانكرد أبواب المدينة فى وجهه، واضطر بلدوين على أن يعكسر بقواته خارجها. ويبدو أن تانكرد أدرك أن بلدوين ينوي فرض حصار محكم على المصيصة، فأصدر أوامره إلى رجاله بحمل السلاح والخروج لقتال بلدوين خارج أسوار المدينة، وجرى إرسال فرقة من حملة الأقواس لعقر خيول بلدوين التى انتشرت فى المراعي، ثم خرج تانكرد بنفسه على رأس خمسمائة فارس مدرع وهاجم معكسر بلدوين، وبعد قتال عنيف استمر بين الطرفين، ذهب صحيته الكثير من كلا الجانبين، مالت الكفة لصالح عسكر بلدوين بعد أن نجح فى تجميع قواته وإعادة ترتيبها، ودارة الدائرة على تانكرد لقلة رجاله، حيث اضطر إلى استغلال حلول الظلام وتراجع بجيشه إلى داخل المصيصة(٧٢).

واللافت للنظر هنا أن العناصر الأرمنية المسيحية التى رحبت بادئ الأمر القوات الصليبية التى جاءت إلى قيليقية وتعاطفت معها وقدمت لها المعونات والإمدادات والأدلاء. ما لبثت بعد أن شاهدت ذلك التنافس المرير بين بلدوين وتانكرد والذي وصل إلى حد الصراع المسلح بينهما، أن وقفت مشدوهة ترقب عن كثب نتائج ذلك النزاع العنيف الذي احتد بين الأميرين الصليبيين(٧٣)، ويبدو أن موقف الحياد الذي اختاره الأرمن المسيحيون كان يهدف استنزاف كلا القوتين، تمهيدا لإزاحتها عن منطقة قيلقية، خاصة وقد تأكد لهم ما كان يضمره هذان الزعيمان من حب للظهور ومطامع شخصية، إذ كان يهدف كل منهما إلى إزاحة الآخر ومن ثم التفرد بحكم هذه المنطقة، تمهيدا لإعلانها إمارة صليبية خاصة به، يرضى بها غروره السياسي الذي طالما افتقده في الغرب الأوربي(٧٤).

ومهما يكن من أمر فإن هذا التصرف المشين الذى أظهره كل من بلدوين وتانكرد فى مدن قليقية وعلى رأسها المصيصة، أجبر قادة الحملة الصليبية الأولى الآخرين(٧٥) على التدخل لفض ذلك النزاع الذي اساء بشكل كبير لسمعة القوى الصليبية(٧٦). حيث افلح رسلهم الذين قدموا إلى المصيصة فى إخماد مشاعر الكراهية، وإطفاء نيران الغضب بين الأميرين الصليبيين، وتردد الرسل بين الطرفين وتم إقرار صلح نهائى بينهما، انسحب على إثره بلدوين مع جميع قواته عن المصيصة، والتحق بالجيش الرئيسى للحملة الصليبية الأولى الذي كان قد وصل إلى مدينة مرعش فى ١٣ أكتوبر ١٩٠٧م(٧٧).

والذي يجدر ذكره، فرغم أن البعض أرجع انسحاب بدلوين عن ثغر المصيصة إلى طلب رفاقه، فضلا عن مرض زوجته وأطفاله، وإصابة أخيه الدوق جودفري إبان خروجه للصيد فى أحراش "بيسيديا" أمام أنطاكية. فإننا لا نعدو الحقيقة إذا أكدنا ما ذهب إليه أحد المؤرخين المحدثين من أن مرد ذلك الإنسحاب يعود إلى شعور بلدوين بأنه يستحيل إقامة إمارة صليبية له فى قيليقية التى كانت تعج بالأمرن الذين أصيبوا بالدهشة، جراء النزاع الذي جرى بينه وبين خصمه تانكرد، فضلا عن كون هذه المنطقة ستكون عرضة لخطر البيزنطيين الذين لن ينفكو عن المطالبة بها، إضافة إلى أطماع القوى السلجوقية التي اعتصمت بالجبال المجاورة عشية انسحابها من مدن إقليم قيليقية وفى مقدمتها المصيصة [٧٨].

وبعد انسحاب بلدوين عن المصيصة فى ٤٩١هـ/أكتوبر ١٠٩٧م، خلا الجو لتانكرد الذي دعم جيشه بقوة بحرية قدمت لتواها من الغرب الأوربي، الأمر الذي مكنه بكل سهولة من اجتياح كامل مناطق قيليقية، وباتت المنطقة بأرسها تحت سيطرته، ويبدو أنه اتخذ من المصيصة مقرا لإقامته. ولم يجروء الأرمن أو الأتراك المعتصمين بالجبال على النزول إلى سهول قيليقية لمقاومته، بل سارعوا فى تنافس شديد إلى إيفاد رسلهم إليه محملين بالهدايا الثمينة من الذهب والفضة والخيول والبغال والأقمشة الحريرية، مؤملين أن يهدئ ذلك من سورة غضبه، وأن يكسبوا وده وصداقته [٧٩].

والغريب فى الأمر، فإنه بالرغم من أن الحظ ابتسم لتانكرد، وانفرد بحكم مدن قيليقية وعلى رأسها المصيصة، إلا أن بقاءه بها لم يطل. إذ رحل منها فجأة بعد أن ترك بها حامية صغيرة، والتحق بالجيش الرئيسى للحملة

الصليبية الأولى الذي كان يأخذ طريقه إلى مدينة أنطاكية استعدادا لمهاجمتها[٨٠]. ورغم أن المصادر والمراجع - كما بدأ للباحث - لم تشر إلى الأسباب التي دفعته إلى اتخاذ قراره بالانسحاب من المصيصة وباقي مدن قيليقية. فإنه يمكن أن نعزو ذلك إلى أن تانكرد كان يدرك تمام الإدراك، أن بيزنطة لن تتهاون - خاصة بعد عبور الجيش الصليبي حدود آسيا الصغرى إلى بلاد الشام - فى المطالبة بتسليم مدن قيليقية، حتى لو أدى ذلك إلى استخدام القوة العسكرية، وأنه لم يكن فى مقدوره الصمود أمام أي هجوم بيزنطي قد يدعمه الأرمن الطامعين فى حكم المنطقة. كما لا يستبعد ايضا أن يكون الأمير بوهيمند النورماني - الذي كان يتطلع إلى إقامة إمارة صليبية فى أنطاكية - قد أمر تانكرد بترك المصيصة، واللحاق بالجيش الصليبي المتجه إلى إنطاطية - قد أمر تانكرد بترك المصيصة، واللحاق بالجيش الصليبي المتجه إلى انطاكية، كي يشارك الصليبيين السيطرة عليها، تمهيدا لإعلانها إمارة صليبية يحكمها النورمان، واستخدامه ورقة رابحة لإنجاح ذلك العمل، بحكم أن تانكرد كان قد نفذ بجلده من التوقيع على المعاهدة التي أبرمها امبراطور بيزنطة الكسيوس كومنين مع أمراء الحملة الصليبية الأولى، والتي كان من ضمن الموقعين عليها بوهيمند نفسه.

وكيفما كان الأمر، فإن بيزنطة لم تسكت عن المطالبة بمدن قيليقية، فبعد أن انسحب تانكرد من المصيصة، أرسل الإمبراطور البيزنطى الكسيوس كومنين حملة عسكرية حوالي سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠م تسلمت مدن قليقية الثلاث طرسوس واذنة والمصيصة، مستغلة ضعف الحاميات العسكرية التى استبقاة تانكرد هناك. ولكن أطماع الصليبيين النورمان فى توسيع نطاق إمارتهم فى أنطاكية دفعتهم إلى استغلال انشغال الكسيوس كومنين ببعض

المشاكل الداخلية فى القسطنطينية، فوثب تانكرد علـى المصيصـة وأذنـة وطرسوس ونجح فـى استردادها مـن البيزنطيين وذلـك فـى سـنة ٤٩٥هـ/١١٠١م. إلا أنه لم ينعم طويلا بذلك النصر، حيث عاود البيزنطيون من آمال في السيطرة عليها. وهكذا فقد كان النزاع الذي حدث في بداية الأمر بين بلدوين وتانكرد على المصيصة وطرسوس وأذنة، والذي تحول بعد ذلـك - عشية انسحاب بلدوين عنها - إلى نزاع نورماني بيزنطي، إلـى تمكيـن الأرمن المسيحيين الذين كانوا قد توافدوا على هذه المنطقة منذ منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٨١]؛ والذين استطاعوا الحفاظ علـى كيانهم فى هذه المناطق، رغم الصعوبات التى أحـاطت بهم، من إقامة دولـة خاصة بهم، وهي التي عرفت فيما بعد بمملكة أرمينية الصغرى[٨٢].

الشام
جبهة الحدود الشامية البيزنطية
(الثغور الشامية والجزرية)

بحر بنطس
آماسية
توقات
زيلة
سيواس
انكورية
(أنقرة)
ملطية
زبطرة
سميساط
طرسوس
أذنة
عين زربى
الكنيسة
الهارونية
المصيصة
بحر الروم
خليج إياس

الحملة الصليبية الأولي أثناء مرورها بمنطقة فيلقية ، نقلا عن زابوروف ، الصليبيون في الشرق

هوامش البحث

---

(١) الثغور : مفردها ثغر وهو ما يلي دار الحرب، أو كل موضع قريب مــن ارض العدو، أو موضع المخافة من فروج البلدان. مأخوذ من الثغرة أي الفرضة أو الفرجة فى الحائط. وهي على أقسام، منها البرية وهي التــى تقارب وتلقى بلد العدو من جهة البر، والبحرية وهي التى تلقها من جهة البحر، ومنها ما يجتمع فيه الأمران وهي التى تواجه العدو وتلقاه مــن جهة البر والبحر.(انظر ابن منظور، لسان العــرب جـــ٤، ص١٠٣؛ محمد العوفي، دراسة في الثغور الإسلامية، بحث منشور ضمن الكتــاب السنوى لقسم التاريخ والحضارة فى كلية العلوم الاجتماعية بالريـــاض العدد الأول ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م؛ فتحى عثمـــان، الحــدود الإســلامية البيزنطية، جـ١، ص١٣١).

(٢) من الثابت أنه وقى فى أذهان المسلمين الأوائل أنه كلما دانت لهم المدائن عاصمة الفرص فلا بد وأ، تفتح القسطنطينية عاصم الروم البــيزنطيين، وكانت مناطق الثغور هى المعبر التقليدي للوصول إلى هذا الهدف.

(٣) انظر ابن العديم ، بغية الطلب، جـ١، ص ١٥٣-١٥٦؛ وانظر ايضـــا الاصطرخرة، المسالك والممالك، ص٤٧؛ ابن حوقل صـــورة الأرض، ق١، ص١٦٨؛ابن شداد الاعلاق الخطيرة، ج٣.ص ، ياقوت، معجـــم البلدان، جـ٥، ص١٤٤-١٤٥، وينفرد ابن خرداذبة بتسميتها مايسبستيا (أنظر المسالك والممالك ، ص٩٠) بينما يسميها اب شاهين الظـــاهري"

مسين" (انظر زبدة كشف الممالك ، ص٥٠).

(٤) الاصطخرى، المصدر نفسه، ص٤٧؛ ابــن حوقــل، المصــدر نفســه، ص١٦٨.

(٥) ابن حوقل المصدر نفسه، ص١٦٨.

(٦) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك، جـ٦، ص٣٨٥، ابن الأثــير الكــامل، جـ٤، ص ٩٤-٩٥.

(٧) عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي للدولة العربية، ص١٧٥.

(٨) الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص٤٢٩؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج٤، ص ١٠٧.

(٩) استغل المسلمون فترة الفوضى والاضطرابات التى سادت بيزنطة حوالى ست سنوات (٧١١-٧١٧م) تعاقب على عــرش القســطنطينية ثلاثــة اباطرة عمت خلالها الفوضى الداخلية وتكالبت الكوارث الخارجية، ففى الوقت الذى تقدم البلغار جنوبا صوب القسطنطينية رغبة فــى الانتقــام لمقتل حليفهم جستنيان الثانى. شق المسلمون طريقهم بــرا فــى آســيا الصغرى، وبحرا فى ايجة، وهددوا القسطنطينية وذلك فى عهد ســليمان بن عبد الملك الذى حاول تحقيق حلم المسلمين فى فتح القسطنطينية سنة (٩٩هـ-٧١٧م) وكان أن ينال شرف فتحها، لولا عوامل عــدة حــالت دون ذلك (للوقوف على تفصيله أنظر، حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ البيزنطية، ص١٠١).

(١٠) البلاذرى، المصدر نفسه، ص١٧٠، ابن العديم المصدر نفسه، جـ١، ص١٥٧.

---

(١١) ابن العديم، المصدر نفسه، جـ١، ص١٥٧، والربض: وجمعه أرباض، هو ما حول المدينة أو البلدة، (انظر ابن منظور، لسان العرب، جـ٧، ص ١٥٢٠).

(١٢) البلاذرى، المصدر نفسه، ص١٧٠، ابن العديم، المصدر نفسه، جـ١، ص١٥٧؛ والشخنة أو الشحنكية: هى وظيفة يسمى متوليها صاحب الشحنة وهو بمثابة رئيس الشرطة الموكل بالأمن فى البلد (أنظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٩٣)؛ أما الدكتورة فتحية النبرواى، فقد عرفتهابأنها :وظيفة يقوم المكلف بها بالجمع بين الحكم والقضاء(أنظر البنداري، سنا البرق الشامى، حاشية رقم ١، ص٢٨).

(١٣) البلاذرى ، المصدر نفسه، ص١٧٠، ابن الأثير، الكامل، جـ٤، ص ٣٦٥، ابن العديم ،المصدر نفسه، ج١، ص١٥٧، ذكر البلاذرى ان الذى عمرها هو صالح بن على جبريل بن يحيى البجلى، اذ كان المنصور قد وجهه إليها.

(١٤) انظر ما سبق، ص٣.

(١٥) انظر ما سبق، ص٣.

(١٦) البلاذري، المصدر نفسه، ص١٧٠، ابن العديم، المصدر نفسه، جـ١، ص١٥٧.

(١٧) البلاذرى، المصدر نفسه، ص ١٧٠، ابن العديم، المصدر نفسه، ج١،ص١٥٨.

(١٨) البلاذرى ،المصدر نفسه، ص١٧٠؛ أما ابن العديم فيسميه سالما

البرتسي (انظر المصدر نفسه، جـ١، ١٥٠).

(١٩) أنظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جـ٨، ص١٥٢؛ ابن الأثير، الكامل، جـ٥، ص٦٥.

(٢٠) البلاذرى،المصدر نفسه، ص١٧٢؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، جـ٥، ص٥٦؛ وللوقوف على تفصيل هذه الحملة (انظر حسنين محمد ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٢٦؛ علية الجنزوري، الثغور البرية الإسلامية، ص٦٢؛ محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١١٤).

(٢١) البلاذرى، المصدر نفسه، ص١٧١، ابن العديم ، المصدر نفسه، جـ١، ص١٥٨.

(٢٢) ياقوت، معجم البلدان، جـ٤، ص٤٧٦؛ ابن العديم، المصدر نفسه، ص١٥٨.

(٢٣) انظر، الثغور البرية الإسلامية، ص ٦٣.

(٢٤) انظر ما سبق، ص٣.

(٢٥) الطبرى، المصدر نفسه، ج٨، ٦٢٥، ابن الأثير؛ الكامل،جـ٥، ص٢٢٠؛ كان المأمون بعد أ، انفرد بالخلافة عشية مقتل أخيه الأمين، قد استأنف حركة الجهاد ضد البيزنطيين بخطتين. الأولى قامت على إشعال فتن داخلية فى بيزنطة، من ذلك أنه مد يد المساعدة إلى الثائر توماس Thomas. والثانية مهاجمة أقاليم بيزنطة فى آسيا الصغرى عسكريا، ومنها هذه الحملة (للوقوف على تفصيله، انظر، حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ١٤٠-١٤٣؛ فازيليف،العرب والروم، ص٤١).

(٢٦) ابن العديم، المصدر السابق، جـ١، ص١٥٨.

(٢٧) انظر، حسنين ربيع، المرجع السابق، ص١٤٣، سيد الناصرى، الروم والمشرق العربى، ص٢٩٠؛ اسمت غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص٨٤،٨٥؛ والذى يجدر ذكره أن أستاذنا الدكتور حسنين ربيع اشار فى كتابه إلى أهمية فتح المسلمين لهذه المدينة، والذي تغنى به الشاعر أبو تمام بقصيدة مطلعها.

السيف أصدق أبناء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب

واعتبر بأن هذه القصيدة لا تقل فى أهميتها وقيمتها عن "أنشودة رولان" التى يفاخر بها الأدباء الأوربيون، وقال إذا كان بطل أنشودة رولان هو شارلمان، فبطل قصيدة أبى تمام المعتصم بالله (المرجع نفسه، ص١٤٤)، أما الدكتور سيد أحمد الناصرى فيرى أنها كانت ملحمة حماسية للرد على ملحمة ديوجين أقريطاس Diogenes Acritas بطل حرب الثغور الذى تصدر لحملات هارون الرشيد(أنظر، المرجع نفسه).

(٢٨) فازيليف، المرجع نفسه، ص١٥٥؛ وعن قيام الدولة الطولونية (انظر،البلوي ن سيرة أحمد بن طولون، ص٤٢ وما بعدها؛ حامد غنيم أبو سعيد، عصر الدول الإقليمية، جـ١، ص١٩٢-٢٠٧؛ كليفورد -أ- بوزورث، الأسر الحاكمة فى التاريخ الإسلامى "مترجم" ص ٧٥،٧٦.

(٢٩) الطبرى، المصدر السابق، ج٩، ص٦١٣،٦١٤؛ أما ابن الأثير فيسميه بازمار (انظر الكامل، جـ٦، ص٥٠).

(٣٠) البلوى، المصدر نفسه، ص٣١٠،٣١١.

(٣١) المنجنيث وجمعها "مجانيقومنجنيقات ومناجيق"، وصفه القلقشندى "بأنه ءالة من خشب له دفتان قائمتان، بنهما سهم طويل راسه ثقيل وذنبه خفيف تجعل كفة المنجنيق التى يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسفله الاعلى أعاليه، ثم يُرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة، فيخرج منه الحجر فيما أصاب شيئا إلا أهلكه"(انظر صبح الأعضى جـ٢، ص١٤٤)؛ وذكر الطرسوسى أن المنجنيقات ثلاثة أنواع: العربى ويمتاز بدقة استخدامه وجودته، والتركى ويعد أقلها كفلة، والفرنجى وقد وصفها وأوضح امورا يجب مراعاتها عند استخدامها، ونبه على مراعاة الدقة عند وضع الجحر أو قدور النفط فى الكفة، وأنه يتعين على الرامي أن يباعد بين رجليه ويضبط الكفة بيديه وقعد مع كل جرة بنفسه مع الكفة (انظر، تبصرة أرباب الألباب، ص١٦،ص١٧) وللوقوف على مزيد من التفصيل (راجع ، الانيق فى المنجنيق، وضع أرنبغا الزردكاش، تقديم وتحقيق، نبيل عبد العزيز، ص٢٢ وما بعدها؛ أما العرادات ومفردها عراده وهى آلة حرب شبيهة بالمنجنيق لكنها أصغر منه ترمى بها الحجارة المرمى البعيد(انظر البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٤٢).

(٣٢) البلوي المصدر نفسه، ص٣١١.

(٣٣) انظر البلوى، المدصر السابق، ص٣١٢، ٣١٣؛ ذكر أن العلة التى أصابت ابن طولون هى "علة الذَرب" وهو فساد المعدة. (انظر حاشية المحقق، رقم١، ص٣١٣.

(٣٤) ينحدر زعيم هذه الدولة محمد بن طغج الإخشيد من أسرة تركية عملت

في خدمة الخلافة العباسية مدة جيلين، وفي عام ٣٢٣هـ/٩٣٥م عُين محمد حاكما على مصر من قبل الخليفة العباس الراضي، الذي أنعم عليه بلقب الإخشيد وهو لقب يعنى الأمير أو الحاكم (انظر، كليفورد-أ- بوزورث، المرجع السابق، ص٧٧).

(٣٥) انظر، صابر دياب، المسلمون وجهادهم ضد الثغور، ص١١٩.

(٣٦) عمر كمال توفيق، مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي، ص٦٢؛ أحمد عدوان، الدولة الحمدانية، ص٢٢٧-٢٢٩؛ صابر دياب، المرجع السابق، ص١٢٩؛ أما الاسرة الحمدانية فإنها تنحدر من أصل عربي خالص، إذ تعوذ جذورها إلى قبيلة تغلب التى تنتسب إلى وائل بن قاسط بن هنب بن أفعى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن عدنانز (أنظر ابن ظافر الازدي، أخبار الدولة الحمدانية، ص١١، عمر كحالة، معجم قبائل العرب، جـ١، ص١٢٠؛ أحمد عدوان، المرجع نفس، ص٧٣).

(٣٧) أحمد عدوان، المرع نفسه، ص٢٦٦، صابر دياب، المرجع نفسه، ص١٣٠.

(٣٨) انظر، معجم البلدان، جـ٢، ص٨٠.

(٣٩) انظر يتيمة الدهر، جـ١، ص١١.

(٤٠) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٣، ص٢٨٣،٣٨٤؛ والدمستق: لقب كان يطلق على النائب البيزنطي فى البلاد التى تقع شرقي خليج القسطنطينية (انظر أبو الفدا، المختصر فى تاريخ البشر، جـ٢ن ص٧٣؛ انظر أيضا، علية الجنزورى، الثغور البرية الإسلامية،

ص٤٣، حاشية رقم٤)؛ وبغراس، بالسين مكان الزاي وتلفظ باليونانية باغراي وباللاتينية Gastun وبالتركية بايزاس وهو حصن يقع فى لحف جبل اللكام بين الشعاب الشرقية للسلسلة الجبلية المعروفة حاليا باسم قيزيل ضاي والامانوس. وكان يشكل فى عصر الحروب الصليبية مفتاح الطريق الواصل بين انطاكية وقيليقية (انظر على الغامدي، حصن بغراس ودوره الحربى فى عصر الحروب الصليبية، بحث منشور ضمن ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية التى عقدها اتحاد المؤرخين العرب فى القاهرة ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢٦١)؛ ومرعش : مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم (انظر ياقوت، معجم البلدان، جـ٥، ص١٠٧)

(٤١) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدول المنقطعة، ص٦٣؛ انظر ايضا، علية الجنزورى،المرجع السابق، ص٦٣.

(٤٢) للوقوف على حقيقة الهجوم البيزنطى الذى قاده نقفور فوقاس على حلب هذه السنة وانسحابه عنها، (انظر، صابر دياب المرجع السابق، ص١٥٧-١٦٩؛ أحمد عدوان، المرجع السابق، ص ٢٧٢، ٢٧٣).

(٤٣) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص٩؛ انظر ايضا ابن العديم، زبدة الحلب، جـ١، ص١٤١،١٤٢؛ الذهبى، دول الإسلام، ص١٩٦؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٦٣.

(٤٤) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص٩؛ والذى يجدر ذكره، أن رغبة الخراسانيين فى الجهاد، وحميتهم الدينية، كانت سببا مباشرا فى تدفقهم على المشرق الإسلامى، وذلك بعد أن نما إليهم توالي نجاح الروم

البيزنطيين فى مهاجمة بلاد المسلمين فى شمال إقليم الجزيرة وبلاد الشام. ويبدو أن مشاركتهم هذه كانت من باب التطوع إيمانا منهم بفرضية الجهاد (انظر، عبدالله الغامدي، دور المتطوعة فى حركة الجهاد ضد الصليبيين والمغول، بحث منشور فى مجلة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، العدد الثانى، المجلد الأول، مارس ١٩٩٤م، ص٣٤٧).

(٤٥) ابن الاثير، الكامل،جـ٧، ص٩؛انظر ايضا،ابن العديم، زبدة الحلب، ص١٤٢.

(٤٦) انظر، اسمت غنيم، تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص١٢٥؛ وقيصرية أو قيسارية، مدينة كبيرة عظيمة فى بلاد الروم (انظر، ياقوت، معجم البلدان، جـ٤، ص٤٢١).

(٤٧) كان المسلمون قد فتحوا جزيرة كريت زمن الإمبراطور ميخائيل الثاني، وذلك على يد الربضيين سكان حي الربض ضاحية قرطبة الجنوبية ببلاد الأندلس وذلك سنة ٢١٢هـ/٧٢٨م وظلت تحت سيطرة المسلمين حتى استردها البيزنطيون بقيادة نقفور فوقاس (للوقوف على تفصيله، انظر، حسنين ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٤٥،١٤٦،١٥٧؛ اسمت غنيم، المرجع نفسه، ص١٢٨،١٢٩؛ صابر دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، ص ١٧٧.

(٤٨) مسكويه، تجارب الأمم، جـ٢، ص٢٠٢، ٢٠٨؛ صابر دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، ص١٧.

(٤٩) ابن الاثير، الكامل، جـ٢؛ ص١٣؛ أنظر ايضا، الذهبى، دول الإسلام،

ص١٩٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٣، ص٣٣٩.

(٥٠) ابن الأثير، الكامل، جـ٧،ص١٣؛ وأضاف ابن العبري أن نقفور ختم حديثه بقوله " ليس لكم عندي إلا السيف" انظر تاريخ الزمان، ص ٦٤.

(٥١) صابر دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، ص١٧٨.

(٥٢) ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص١٤؛ ص١٤؛ انظر أيضان ابن العبرى، تاريخ الزمان، ص٦٤؛ الذهبى، دول الإسلام، ص١٩٦؛ابو الفدا، المختصر، جـ٢، ص١٠٤،١٠٥؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، جـ١، ص٤٣٣؛ يحيي بن سعيد الأنطاكي، تاريخه، ص١٢٢، ١٢٣؛ آدم متز، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ص١٨،١٩؛ وميافارقين، اشهر مدينة بديار بكر (أنظر، ياقوت، معجم البلدان، جـ٥، ص٢٣٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٤٣،١٤٤).

(٥٣) ابن العديم، زبدة الحلب، جـ١، ص١٤٣؛ ابن الوردي، تتمةالمختصر، جـ١، ص٤٣٤؛ ومما يذكر فى هذا المجال أن نقفور فوقاس، كان قد كتب فى عام ٩٦٤م رسالة إلى الخليفة العباس المطيع لله، يتوعده فيها بالويل والثبور وعظائم الأمور. وأنه قادم لا محالة لأنتزاع الأرض المقدسة فى فلسطين وبيت المقدس. إلا أ، هذا التهديد لم يؤخذ مأخذ الجد من قبل الخليفة وبلاطه فى بغداد (انظر، سيد الناصرى، الروم والمشرق العربى، ص٣٢٧)؛ وخلاط : بكسر أوله، قصبة ارمينية الوسطى، وصفها يقوت بأنها بلدة عامرة مشهورة، ذات خيرات واسعة وثمار يانعة؛ أما ميافارقين فقد وصفها بأنها أشهر مدينة بديار بكر (انظر معجم البلدان، جـ٢، ص٣٨٠، ٣٨١، جـ٥، ص ٢٣٥).

(٥٤) للوقوف على تفصيل هذه الثورات وموقف سيف الدولة منها (انظر، ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص١٦؛ ابن العديم، وبدة الحلب، جـ١، ص١٤٥-١٤٩؛ أحمد، عدوان، الدولة الحمدانية، ص٢٨٣-٢٨٥).

(٥٥) ابن العديم، زبدة الحلب، جـ١، ص١٥١؛ ابن الوردي، تتمة المختصر، جـ١؛ ص٤٣٨؛ ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب، جـ٣، ص٢٠؛ كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٢٤٣.

(٥٦) انظر، ابن الوردي، تتمة المختصر، جـ١، ص٤٣٣، ٤٣٤؛ صابر دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، ص١٩٣.

(٥٧) جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص١٦٦.

(٥٨) انظر البداية والنهاية،جـ١١، ص٢٤٣؛ وجدير بالذكر، أن القصيدة المعروفة بالارمينية التى نظمها لنقفور أحد أصحابه العارفين بأحوال المسلمين وأرسلها إلى الخليفة العباسى المطيع لله اشتملت على شئ من هذا، فمما جاء فيها:

نصرنا عليكم حين جارت ولاتكم — وأعلنتموا بالمنكرات العظائم
عدو لكم بالزور يشهد ظاهرا — وبالافك والبراطيل مع كل قائم
فعيسى علا فوق السموات عرشه — يفوز الذي والاه يوم التخاصم
وصاحبكم بالتراب أودى به الثرى — فصار رفاتابين تلك الرمائم
تناولتم أصحابه بعد موته — بسب وقذف وانتهاك محارم.

(أنظر القصيدة كاملة، فى المصدر نفسه، جـ١١، ص٢٤٤-٢٤٧).

(٥٩) انظر صابر دياب، المرجع نفسه، ص١٩٤.

(٦٠) اعتبر المؤرخون الفترة الممتدة فيما بين سنتى ٨٦٧-١٠٢٥م عصرا

ذهبيا لبيزنطة إذ كتب أباطرة بيزنطة خلال تلك الفترة - ويهمنا منهم نقفور فوقاس وحنا تزيمسكس - فصلا رائعا في صفحات التاريخ البيزنطي. فقد نجح الأول في السيطرة على المصيصة وطرسوس، كما استولى على جزيرة قبرص سنة هـ/٩٦٥م، ونجح بذلك في القضاء على هجمات المسلمين على شواطئ بحر ايجة والأناضول. ثم توج انتصاراته بالإستيلاء على أنطاكية سنة ٣٥٨هـ /٩٦٩م، وفرض هيمنته على حلب طبقا لاتفاقية صفر ٣٥٩هـ/ديسمبر ٩٦٩-يناير ٩٧٠م. كما حقق خليفته حنا تزيمسكس انتصارات كبيرة فيالشام، حيث خضعت له دمشق وصيدا وبيروت وغيرها، نتيجة ما حل بالمسلمين من ضعف وانقسام آنذاك، (انظر، حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص١٥٧،١٥٨؛ ولمزيد من التفصيل عن حملات تزيمسكس على بلاد الشام، راجع عمر كمال توفيق، العدوان الصليبي على المشرق العربي، الامبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية، ص١٥٣ ما بعدها).

(٦١) كان الجيش البيزنطي بقيادة رومانوس قد مني بهزيمة ساحقة أمام جيش السلطان السلجوقي ألب أسلان في هذه المعركة، ووقع رومانوس في الاسر، ثم أطلق سراحه بعد أن وقع على معاهدة مهينة لبيزنطة أملى شروطها ألب أرسلان بنفسه، الأمر الذي أثار غضب أهل القسطنطينية وقررا عزل رومانوس واستبداله بميخائيل السابع (للوقوف على تفصيله أنظر حسنين ربيع، المرجع السابق، ص ١٨٨-١٩٠؛ فايز نجيب اسكندر، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد في مصنف نقفور برينيوس، ص٢١-٢٢).

(٦٢) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، جـ١، ص١٢٣، ١٢٤؛ الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم، ص١١١.

(٦٣) رنسيمان، المرجع نفسه، ص١٢٤؛ مهد حكم فيلاريتوس في هذه المنطقة لقيام مملكة أرمينية الصغرى في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، التي كان لها دور بارز في تاريخ الحروب الصليبية فضلا عن الغزو المغولي للمشرق الإسلامي (انظر، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ١، عبدالله الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ص٧١).

(٦٤) ذكر رنسيمان، أن فيلاريتوس اتخذ من الحذر والحيطة، ما حمله أن يبذل الولاء لأمراء حلب من العب (المرجع نفسه، ص١٢٤؛ كما ذكر عاشور نقلا عن المؤرخ ميخائيل السرياني أن فيلاريتوس أراد أن يؤمن ممتلكاته من ناحية السلطان ماكشاه، وأنه كان مستعدا لاعتناق الإسلام في سبيل خدمة مصالحه الخاصة(انظر، الحركة الصليبية، جـ١، ص١٠٤).

(٦٥) سعيد عاشور، المرجع نفسه، جـ١، ص١٧٤؛ حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص٩٦،٩٧؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ص٧٩؛ وسيس: وصفها ياقوت بأنها أعظم مدن الثغور الشامية، بين انطاكية وطرسوس على عين زربة (انظر، معجم البلدان، جـ٣، ص٢٩٧)؛ أما القزويني فقد وصفها بأنها مدينة مشهورة بأرض الروم، تتميز بحصانتها وكثرة خيراتها، (انظر، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣٧).

(٦٦) كان الكسيوس كومنين Alexius Commenus، ١٠٨١-١١١٨م) قد ارغم زعماء الحملة الصليبية الأولى، على أن يقسموا له يمين الولاء والتبعية، وأن يعيدوا لبيزنطة جميع الأراضى التى فتحها السلاجقة المسلمون منذ انتصارهم فى معركة ملاذكرد ٤٦٣هـ/١١٦٨م، مقابل أن يمدهم بما يحتاجونه من مؤن وعتاد وأدلاء (للوقوف على تفصيله أنظر، وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، جـ٢، ص٦٦٥-٧٠٢؛ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص٣٠-٣٢، جوناثان ريلي - سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ص٦٥؛ فوشيه الشارترى؛ تاريخ الحملة إلى القدس، ص١٤٢-١٤٣؛ حسن عبد الوهاب حسين، مقالات وبحوث فى التاريخ الاجتماعى للحروب الصليبية، ص٩٩.

(٦٧) ذكر البعض أن تانكرد سبق بلدوين إلى قيليقية بمسافة تقدر بثلاثة أيام، ولعل سبب تأخر بلدوين كان بسبب ارتباطه بالمعاهدة البيزنطية الصليبية، فى حين أن تانكرد كان حتى ذلك الوقت لا يزال ممتنعا عن الإعتراف بها (انظر سعيد عاشور ، العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٢٥؛ حسن حبشى، الحرب الصليبية الأولى، ص٩٨).

(٦٨) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص١٧٣؛ حسن حبشي، المرجع نفسه، ص٩٨.

(٦٩) لم يستطع تانكرد البقاء فى أذنه لأنه كان قد سيطر عليها أمير يدعى "غولف" انفصل أيضا عن الجيش الرئيسى ونجح بمن انضم إليه فى طرد الأتراك منها (أنظر، وليم الصوري، المصدر نفسه، جـ١،

ص٢٥٦؛ رنسيمان، المرجع نفسه، جـ١، ص٢٩٩).

(٧٠) أنظر وليم الصوري، المصدر نفسه، ص٢٥٧، ترجمة سهيل زكار.

(٧١) وليم الصوري، المصدر السابق، جـ١، ٢٥٦،٢٥٧؛ فوشية الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص٥١ن٥٢؛ ونيسمان ، المرجع نفسه، جـ١، ص٢٩٧، ٢٩٩؛ ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص٧٩،٨٠؛ أرنست باركر، الحروب الصليبية، ص٣٤.

(٧٢) وليم الصوري، المصدر نفسه، جـ١، ص٢٦٠،٢٦١؛ رنيسمان، المرجع السابق، جـ١، ص٢٩٩، ٣٠٠؛ الحملات الصليبية، ص٢٥٠، ٢٥٤١، أنتوني بردج، تاريخ الحروب الصليبية، ص٧٦،٧٧؛ ميخائيل زابوروف، المرجع نفسه، ٨٠.

(٧٣) انظر، حسن حبشي، الحرب الصليبية الأولى، ص١٠١.

(٧٤) من المعروف أن نظام الإقطاع فى الغرب الأوروبى ارتبط بالارض، وبقدر ما يكون الإقطاع كبيرا والارض واسعة، بقدر ما تكون مكانة الأمير سامية فى المجتمع، وإذا انعدم الإقطاع أو الأرض فقد مكانته تلك، وقد أدت طبيعة نظام الإقطاع هذه فى الغرب الأوربى إلى وجود عدد كبير من الفرسان والأمراء من غير إقطاع أو أرض، ومما زاد الأمر تعقيدا، أن نظم توريث الإقطاع نصت على أنه إذا مات صاحب الإقطاع انتقل اقطاعه بأكمله إلى ابنه الأكبر بينما يحرم منها بقية الأبناء. وقد وجدت هذه الفئة من المشاركة فى الحروب الصليبية فرصة لتعويض ما حرمت منه فى الغرب الأوربي (لمزيد من التفصيل، أنظر، سعيد عاشور، أوربا فى العصور الوسطى، جـ٢، ص٤٩؛ الحركة

الصليبية، جـ١، ٤٣؛ نورمان كانتور، العصور الوسطى الباكرة، ص ٣٣٨؛ موريس كين، حضارة أوربا العصور الوسطى، ص ٦٢،٦٣).

(٧٥) تألفت الحملة الصليبية الأولى من مجموعتين، عرفت أولاهما بحملة العامة وكانوا بقيادة بطرس الناسك، والثانية بحملة الأمراء، وقد ضمت مجموعة من الفرسان الذين اتخذوا الصليب شعارا لهم، وكان على رأسهم جودفري دي بويون Goodfrey de Bouillon الذي قاد مع أخيه بلدوين البولوني الصليبيين القادمين من اللورين، بينما قاد ريموند Raymond أمير تولوز مع المندوب البابوي أدهيمر Adhemar البروفنسالين، فى حين تولى بوهيمند Bohemond مع تانكرد قيادة جيشا من النورمان، وقد تكامل وصولهم إلى القسطنطينية فى ربيع سنة ١٠٩٧م (أنظر ، على الغامدى، بلاد الشام قبيل الغزو الصليبى، ص٣٣٦).

(٧٦) وصف توني بردج ما حدث بين بلدوين وتانكرد "بأنه نزاع غير لائق بين الأخوة المسيحيين، وعمل اتسم بالحماقة" (انظر، المرجع السابق، ترجمة أحمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي، ص٧٧).

(٧٧) وليم الصوري، المصدر نفسه، جـ١، ص٢٦١؛ فوشيه الشارتري، المصدر نفسه، ص٥٢؛ رنيسمان، المرجع نفسه، جـ١، ص٣٠١.

(٧٨) انظر حسن حبشى، المرجع نفسه، ص١٠٢.

(٧٩) وليم الصوري، المصدر نفسه، جـ١، ص٢٦١،٢٦٢.

(٨٠) وليم الصوري، المصدر نفسه، جـ١، ص٢٧٢؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص١٣٤.

(٨١) تمخض عن فتوحات السلاجقة فى هضبة أرمينية، هجرة أعداد كبيرة من الأرمن المسيحيين عن مواطنهم الأصلية إلى الأقاليم الواقعة غربي الفرات وشماليه. وقد ازدادت هجرتهم عشية انتصار السلاجقة الحاسم فى معركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م، حيث لجأ كثير منهم إلى جبال طوروس التي تعرف عند العرب بجبال اللكام، فضلا عن إقليم قيليقية وشمال الشام. وقد أختار الأرمن هذه المناطق لوعورتها وحصانتها الطبيعية وبعدها عن الطرق الرئيسية التى سلكها السلاجقة فى غزواتهم، وأصبحت هذه المناطق التي نزح إليها الأرمن تعرف بأرمينية الصغرى(انظر، على الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، ص٣٢٣؛ بلاد الشام قبيل الغزو المغولى، ص٣٤٨).

(٨٢) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، جـ١، ص١٧٧؛ العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٢٩؛ سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى في كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص٢٣٤، ٢٣٥.

المصادر والمراجع

أولا المصادر العربية

- ابن الأثير (على ابن أبي الكرم بن محمد الشيباني، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م) الكامل فى التاريخ، طـ بيروت سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، ت٨٤٧هـ/١٤٧٠م) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، طـ القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي) صورة الأرض ، طـ بيروت ١٩٧٩م.

- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيداالله بن عبداالله، ت حوالي سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م) المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم، طـ بيروت سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- ابن شداد (عز الدين أبي عبداالله محمد بن علي الحلبي، ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامى الدهان، طـ دمشق ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

- ابن ظافر الأزدي (على بن ظافر، ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م)
١- أخبار الدولة الحمدانية بالموصل وحلب وديـار بكـر والثغور، تحقيق تميمة الرواف، الطبعـة الأولـى سـنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
٢- أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق أندريه فريـة، ط القاهرة ١٩٧٢م.
- ابن العبرى (غريغوريوس أبو الفرج الملطي ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م). تاريخ الزمان، نقله إلى العربية الأب أسحق أرملة، وقـدم له الدكتور جان موريس فييه، ط بيروت سنة ١٩٩١م.
- ابن العديم (كمـال الديـن عمـر بـن أحمـد بـن هبـة الله ، ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)
١- بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكـار، ط دمشق سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢- زبدة الحلب فى تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهـان، ط دمشق سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.
- ابن العماد الحنبلى (أبـو الفـلاح عبـد الحـي أحمـد بـن محمـد، ت ١٠٩٨هـ/١٧٧٥م) شذرات الذهب فى أخبار من ذهـب، ط بيروت.
- ابن القلانسى (أبو يعلي حمزة، ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) ذيل تاريخ دمشق، ط بيروت ١٩٠٦م.

- ابن كثير (أبو الفدا الحافظ بن كثير، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٦م) البداية والنهاية ، ط بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- ابن مسكويه (أبو على أحمد بن محمد، ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) تجارب الأمم، ط مصر ١٣٣٣هـ/١٩١٥م.

- ابن الوردي (زين الدين عمر، ت ٧٤٩هـ/١٣٨٤م) تتمة المختصر فى أخبار البشر، ط النجف سنة ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، ت ٧١١هـ/١٣١١م) لسان العرب ، ط بيروت.

- ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل، ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) المختصر فى أخبار البشر، ط بيروت.

- ارنبغا الزردكاش الأنيق فى المناجيق، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، ط القاهرة سنة ١٩٨١م.

- الاصطخري (ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي، ت فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجري). المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، ومراجعة محمد شفيق غربال، ط القاهرة ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

- الأنطاكى (يحيي بن سعيد) تاريخ يحيي بن سعيد الأنطاكي، صنفه تتبعا لتاريخ سعيد بن البطريق الموسوم بالتاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ط : بيروت، ١٩٠٥م.

- البلاذرى (احمد بن يحيي بن جابر، ت حوالــى ٢٧٩هـــ/٨٩٢م) فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه رضوان محمد رضوان، ط بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

- البلوي (ابو محمد عبدالله بن محمد الديني، عاش في القرن الثالث الهجري) سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علــي، ط القاهرة.

البندارى (الفتح بن علي، ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) سنا البرق الشــامي، تحقيق فتحية النبراوي، ط ١٩٧٩م.

- الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن حمدان، ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محــي الدين عبد الحميد، ط القاهرة.

- الذهبى (الحافظ شمس الدين، ت ٧٤٦هـ/١٣٤٥م) دول الإســلام، ط بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- الطبري (محمد بن جريــر، ت ٣١٠هـــ/٩٢٢م) تــاريخ الأمــم والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، ط بيورت سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- الطرسوسي (مرضي بن علي، عاش في القرن الســادس الــهجري) تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحــروب مــن الأسواء، ونشر أعلام العلم فى العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق كلود كـــاهن، نشــر مجلــة معــهد

الدراسات الشرقية فى دمشـــق، جـــ١٢، ســـنة ١٩٤٧، ١٩٤٨.

- **القزوينى** (زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م) آثـــار البلاد وأخبار العباد، ط بيروت، ١٩٦٠م.

- **القلقشندي** (أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) صبح الأعشى فـى صناعة الإنشا، ط القاهرة، سنة ١٩١٩م.

- **ياقوت الحموي** (شهاب الدين أبي عبدالله الرومي، ت ٦٢٦هـــ/١٢٢٩م). معجم البلدان، ط بيروت، سنة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

ثانيا :المصادر الأجنبية

- **فوشيةالشارتري** (Fulcher of Chartres) تاريخ الحملة إلـــى القـدس، ترجمه من اللاتينية إلى الإنجليزية، فرنسيس ريتا ريـــان (Frances Rita Ryan) ونقله إلى العربية، زياد جميـل العسلي، ط عمان، ١٩٩٠م.

- **مؤلف مجهول** أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، ط القاهرة، ١٩٥٨م.

- **وليم الصوري** رئيس أساقفه صور (William Archbishop of Tyre) تاريخ الحروب الصليبية، الأعمال المنجـــزة فيمـا وراء البحار (A History of Deeds Done Beyond The

Sea) ، نقله إلى العربيه وقدم له، ســـهيل زكـــار، ط دار الفكر ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ثالثا : المراجع العربية المترجمة

- أحمد عدوان الدولة الحمدانية، الطبعة الأولى، سة ١٩٨١م.
- آدم متز الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجري، ترجمه محمد عبد الهادي أبو ريده، ط: القاهرة ١٩٩٥.
- أرنست باركر الحروب الصليبية، نقله إلى العربيه السيد الباز العرينـــي، الطبعة الرابعة بيروت.
- اسمت غنيم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ط الإسكندرية ١٩٨٧م.
- أنتوني بردج تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة أحمد غسان سبانو ونبيل الجيرودي، ط دمشق ١٩٨٥م.
- جوزيف نسيم يوسف تاريخ الدولة البيزنطية، ط الإسكندرية سنة ١٩٨٤م.
- جوناثان ريلي سميث الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحــروب الصليبيــة، ترجمة محمد فتحى الشاعر، ط القاهرة ١٩٩٣.
- حامد غنيم أبو سعيد عصر الدول الإقليمية، ط القاهرة ١٩٧٠م.
- حسن حبشي الحرب الصليبية الأولى، ط دار الفكر العربي.
- حسن عبد الوهاب حسين مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية، ط الإسكندرية سنة ١٩٩٧م.

- **حسنين محمد ربيع** دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، ط القاهرة، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.

- **زبيدة عطا** بلاد الترك فى العصور الوسطي، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، ط دار الفكر العربي.

- **ستيفن رنسيمان:**

١- الحملات الصليبية ،ترجمة السيد الباز العريني، ط بيروت.

٢- الحملات الصليبية من كلير مونت إلى أورشليم، ترجمة نور الدين خليل، ط القاهرة ١٩٩٤م.

- **سعيد عبد الفتاح عاشور:**

١- أوربا العصور الوسطى، ج٢ النظم والحضارة، ط القاهرة ١٩٧٢م.

بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطي، ط بيروت سنة ١٩٧٧م.

٣- تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، ط بيروت ١٩٧٦م.

٤- الحركة الصليبية ، ط القاهرة ١٦٨٢م.

سيد أحمد الناصرى ، الروم والمشرق العربي، ط القاهرة سنة ١٩٩٣م.

صابر محمد دياب المسلمون وجهادهم ضد الروم فى أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، ط المطبعة التجارية الحديثة، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- عبدالله بن سعيد الغامدي :

١- جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين فى النصف الثانى من القرن السابع الهجري، ك مكة المكرمة سنة ١٤١٠هـ.

٢- دور المتطوعة فى حركة الجهاد ضد الصليبيين والمغول، بحث منشور فى مجلة المؤرخ العربي، التى تصدر عن اتحاد المؤرخين العرب فى القاهرة، العدد الثاني المجلد الأول، مارس ١٩٩٤م.

٣- مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، ط مكة المكرمة سنة ١٤١٤هـ.

- عبد المنعم ماجد التاريخ السياسى للدولة العربية، عصر الخلفاء الأمويين، ط القاهرة ١٩٧٦م.

- على محمد عودة الغامدي:

١-بلاد الشام قبيل الغزو الصليبي، ط مكة المكرمة سنة ١٤٠٤هـ١٩٨٤م.

٢- بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، ط مكة المكرمة سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣- حصن بغراس ودوره الحربي فى عصر الحروب الصليبية، بحث منشور ضمن ندوة الإطار التاريخى للحروب الصليبية التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب

بمقره فى القاهرة فى شهر رجب ١٤١٦هـ/نوفمبر ١٩٩٥م.

- عليه عبد السميع الجنزوري الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى، ط القاهرة سنة ١٩٧٩م.

- عمر رضا كحاله معجم قبائل العرب، ط بيروت.

عمر كمال توفيق مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي"الإمبراطور البيزنطي يوحنا تزمسكس وسياسته الشرقية، ط الإسكندية سنة ١٩٦٧م.

- فازيليف، العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة وفؤاد حسنين علي، ط دار الفكر العربي.

- فايز نجيب اسكندر ، البيزنطيون والأتراك السلاجقة فى معركة ملاذكرد، فى منتصف نقفور برينيوس، ط الإسكندرية سنة ١٩٨٤م.

- فتحى عثمان الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، ط القاهرة.

كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط بيروت، ١٩٧٧م.

- كارك ستيفنسن الإقطاع فى العصور الوسطى، ترجمة : محمد فتحى الشاعر، ط: دار المعارف.

- كليفورث -أ- بوزورث ، الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامي، دراسة فى التاريخ والأنساب، ترجمة حسين علي اللبودي ومراجعة سليمان ابراهيم العسكري، ط الكويت ١٩٩٥م.

- **كي لسترنج** بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكروكيس عواد، ط بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- **محمد سالم بن شديد العوفي** دراسة فى الثغور "ثغر قزوين" بحث منشور ضمن الكتاب السنوي لقسم التاريخ والحضارة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد الأول سنة ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

محمد قنديل البقلي التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ط القاهرة، سنة ١٩٨٣م.

- **محمود سعيد عمران** معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية " مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي" ، ط بيروت ١٩٨١م.

- **موريس كين** حضارة أوربا العصور الوسطى، ترجمة :قاسم عبد قاسم، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

- **ميخائل زابوروف** الصليبيون فى الشرق، ترجمة الياس شاهين، ط موسكو ١٩٨٦م.

-**نورمان كانتور** العصور الوسطى الباكرة، ترجمة وتعليق : قاسم عبده قاسم، ط القاهرة.

الصراع على الحكم في دبي والشارقة

في ضوء الوثائق البريطانية لعامي ٣٤ و ١٩٣٩

د. محمد حسن العيدروس

كلية الآداب - جامعة الكويت

شهد ساحل عمان فى هذه الفترة كثرة الاغتيالات التى كان يقـوم بـها حكام المشيخات وشيوخ القبائل من أجـل الوصـول إلـى الحكـم، وكذلـك الحـروب الأصلية التى تكاد لا تهدأ فيما بين مشيخات ساحل عمان أو حتـى المشاكل والحروب الداخلية التى كانت تحدث فى المشيخة نفسـها، وكـانت بريطانيا تستغل حدوثها عن طريق موظفيها وإدارتها فى ساحل عمان وفـى بعض الأحيان كانت هى المحرضة بطريق مباشر أو غير مباشر حتى تحصل على قدر أكبر من السيطرة والنفوذ الداخلى فى ساحل عمان بعد مـا حققـت السيطرة الخارجية بحكم الاتفاقيات السابقة، وقد اتاحت هـذه الاضطرابـات الفرصة للسلطات البريطانية لكى تفرض رقابتها القوية فى الشؤون الداخليـة وأن تتدخل لأتفه الأسباب بحجة المحافظة على مصالحها فى ساحل عمـان[1]. ونقوم فيمايلى بدراسة بعض تلك القضايا.

الصراع على الحكم فى دبى :

اثيرت مناقشة عام ١٩٣٤ حول الطريقة التى عالج بها المقيم السياسـى البريطانى النزاع الداخلي فى مشيخة دبي وبدأت وزارة الطيران تناقش صحة الاستمرار في السياسية البريطانية المعلنة بعدم التدخل في الشؤون الداخليـة

فى ساحل عمان، وذلك بعدما فشلت المؤامرة التى استهدفت الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم مشيخة دبى على يد أحد أبناء عمومته الذي قام من قبل بمحاولة لخلع الحاكم منذ خمس أعوام مضت، وعلى أثر فشل هذه المؤامرة وقع المقيم السياسي البريطاني تحت ضغط قائد القوات الجوية في العراق بهدف إقامة قواعد جوية وتسهيلات في ساحل عمان والتي كان حكامها يعارضونه، ورأى المقيم السياسي البريطاني أهمية دعم موقف حاكم دبي الذى أكد التزامه في حماية الممتلكات والأرواح البريطانية ومن ثم طلب من قائد الأسطول زيارة دبي وأوصى بضرورة تقديم المساعدة المادية للحاكم وعلى أثرها وصل مساعد الوكيل السياسي حسين عماد خان إلى دبي على ظهر سفينة حربية ومعه شحنة من الأسلحة إلى حاكم دبي[٢].

اذاع حسين عماد خان بياناً من المقيم السياسي لقبائل دبي كان من نتيجته ان شعر سكان دبي مرة ثانية بان البريطانيين يؤيدون الحاكم، كما تم اذاعة نبأ تقديم المساعدة العسكرية البريطانية لحاكم دبي في جميع أنحاء ساحل عمان، وذلك حتى يعلم الناس جميعاً كيف تؤيد بريطانيا من يتعاون معها، كما قامت الطائرات البريطانية الموجودة في العراق بطلعات جوية منخفضة فوق دبي عدة مرات، وان هذا الإجراء زاد من قوة الموقف البريطاني.

تعرض حاكم مشيخة دبي سعيد بن مكتوم عام ١٩٣٤ لمتاعب كثيرة مع ابناء عمه بطي بن سهيل بن مكتوم من آل بوفلاسة الذين يرجعون إلى قبيلة الرواشد القوية، والذين حاولوا أكثر من مرة الاعتداء على حياته مما أدى إلى عدم استتباب الأمن في مشيخته، هذا ما جعل المقيم السياسي أن يصدر بيانيين

في نوفمبر ١٩٣٤، الأول موجه إلى سعيد بن مكتوم بضرورة اتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية نفسه ومشيخته من ابناء عمه وانه ينبغي ان يتعهد بعدم تعرض ممتلكات وأرواح الرعايا البريطانيين المقيمين في مشيخته للخطر، أما البيان الثاني فكان موجها إلى أفراد قبائل دبي حيث جاء فيه، بعد علم المقيم السياسي البريطاني بوقوع اضطرابات في دبي يعذر جميع أفراد القبائل انه في حالة حدوث اية خسائر في الأموال أو الممتلكات الخاصة بالرعايا البريطانيين والتي يمكن أن تنتج عن وقوع مثل هذه الاضطرابات والصراعات فإن المسؤلين عنها سيحاسبون عليها حساباً عسيراً[٣].

جاء في التقرير السنوي لعام ١٩٣٤ عن ساحل عمان، والذى رفعه المقيم السياسي البريطاني في البحرين إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ببوشهر حول الشؤون الداخلية:

"سلبت في مايو ١٩٣٤ بعض المصابيح للشركة المتحدة الهندية البريطانية للملاحة والبواخر في ميناء خور دبي، بواسطة بعض أقارب سعيد بن مكتوم، وحذرت بريطانيا حاكم دبي انه يجب ان يسترجع البضائع المنهوبة أو يدفع قيمتها بالكامل، وبرغم هذا التحذير البريطاني فإنه لم يسترجع البضائع المنهوبة أو يدفع قيمتها بالكامل، وبرغم هذا التحذير البريطاني فإنه لم يستجاب ولم ينتج عنه أية نتائج ايجابية[٤].

يتابع التقرير قوله بأنه "حدث في شهر سبتمبر عام ١٩٣٤، محاولة لاغتيال الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي، بواسطة أولاد عمه بطي بن سهيل بن مكتوم، وذلك عندما كانوا طلبوا منه أن يقابلهم ليقبضوا عليه ويبعدوه عن

دبي، وعندما فشلت محاولتهم ذلك قاموا بأعمال السلب والنهب وارتكبوا بعض العنف فى أنحاء دبي، فخاف المقيم السياسي البريطاني من أن هذه المحاولة لقتل سعيد قد يؤدي إلى انعدام الأمن مما يؤدى إلى إلحاق الضرر بالمصالح البريطانية والى ترويع أمن الرعايا البريطانيين المقيمين في دبي. ثم أمر المقيم السياسي البريطاني بإرسال قوات جوية للقيام بمظاهرة واستعراض عسكري، لإظهار السيطرة والتخويف، كما قدم لسعيد بن مكتوم أسلحة وذخيرة حربية مما أعطاه قوة وشعبية كبيرة للسيطرة على الوضع الداخلي(٥).

عقد قائد القوات البحرية البريطانية في الخليج العربي فى ١٩٣٥/١/٢٣ اجتماعا مع الشيخ سعيد بن مكتوم على ظهر سفينة "Hawkin" أكد فيها الأخير انه عاون الحكومة البريطانية منذ أعوام كثيرة ومازال وأنه يقوم بدور الوساطة حينما يحدث نزاع بين حكام وشيوخ القبائل في ساحل عمان كما أكد أنه أرغم رعاياه على الوفاء بالتزاماتهم إزاء التجار الهنود من الرعايا البريطانيين ولكن أبناء عمه بطي بن سهيل بن مكتوم أشاعوا أنباء مؤداها انه باع مشيخته للبريطانيين، ويرى سعيد بن مكتوم ضرورة مساعدة بريطانيا له وأكد أنه في إمكانه الاستعانة بأفراد القبائل القوية مثل العوامر والمناصير لتوطيد سلطته ولكنه يخشى من نتائج ذلك فيما لو تعرض التجار الهنود من الرعايا البريطانيين للسلب، ومن ثم كتب المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي رسالة خان صاحب القائم بأعمال الوكالة البريطانية في الشارقة يقول فيها(٦):

"أرجوكم أن تنبهوا الشيخ سعيد بن مكتوم حاكم دبي بأنه يجب عليه ان يمنع أولاد بطى بن سهيل بن مكتوم من الشروع مرة أخرى في تعدياتهم

السابقة وان عليه أن يتخذ الإجراءات اللازمة في هذه المسائل بحيث لا يجعلها تتحول من سيئ إلى أسوأ وحيث يضطر إزاءها إلى طلب مساعدة الحكومة البريطانية كما جرى سابقا".

اضطر الشيخ سعيد بن مكتوم أمام الضغط البريطاني أن يمارس نفوذه بقوة ضد أبناء عمه بطي بن سهيل بن مكتوم، وطلب منهم أن يقسموا له بعدم ارتكاب أعمال السلب أو محاولة اغتياله، ومن ثم تدخل بعض أعيان المشيخة وقاموا بالوساطة بينهما أسفرت عن إيجاد حلول لهذه المشكلة وتمت المصالحة بينهما(٧) وتعيين الشيخ حاكما على منطقة "الديرة" والتي تقع على الجانب الشمالي من خور دبي الذي يفصل بين الجانبين الشمالي "ديرة" والجنوبي "دبي". حيث ذكر المقيم السياسي البريطاني في البحرين في تقريره السنوى الذي رفعه إلى المقيم السياسى البريطاني في الخليج العربي "ببوشهر" عن تلك الأحداث والصراع يقول:

"زار الوكيل السياسي البريطاني في البحرين مشيخة دبي، وبرغم أن الصراع الذي حدث في دبي يعتبر شان داخلي، الا أنه طلب من الشيخ سعيد بن مكتوم بأن يعامل أولاد عمه بطي بن سهيل بن مكتوم ما يراه مناسبا شريطه أن لا يضرب المصالح البريطانية مستقبلا وخاطب التجار الهنود من الرعايا البريطانيين في دبي بأنه إذا كان قد تعرض أي شخص منهم إلى خسارة أو فقدان أو تلف أو تدبير لممتلكاته فيجب عليه أن يطالب بها(٨) .

يتابع المقيم السياسي البريطاني في البحرين تقريره:

"طلب الشيخ سعيد بن مكتوم من أولاد عمه بطي بن سهيل بن مكتوم أن يحضروا إلى منزله، ويحلفوا اليمين أمامه بأنهم سوف يطيعون القانون ويطيعونه مستقبلا ويتوقفوا عن إثارة المشاكل مع التجار الهنود من الرعايا البريطانيين، ثم تطور الأمر فيما بينهم عندما حدثت مشكلة في الليلة الحادية والثلاثون من شهر أكتوبر والأول من نوفمبر واصدر الشيخ سعيد بن مكتوم أمره إلى أبناء عمه بالحضور إلى منزله أو يغادروا المدينة في منتصف النهار في الأول من نوفمبر إذا لم يحلفوا اليمين أمامه وبين أبناء عمه لحل هذا الخلاف والصراع، وبعد مفاوضات طويلة وشاقة بين الجانبين، أثمرت تلك المفاوضات إلى حل سلمي وذلك عندما وافق أولاد عمه بالحضور إلى منزله وأخذو القسم الذي طلبه الشيخ سعيد بن مكتوم ومن ثم تم تعيين الشيخ سعيد بن سهيل حاكما على "ديرة" (٩) .

أثيرت مشكلة ومناقشات فيما بين المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي والتى أغضبت طريقة معالجته للصراع الذي حدث في دبي، قائد القوات الجوية في العراق والذي أعلن أن هذه السياسة التى اتبعها المقيم السياسي البريطاني سوف تضعف من مكانة بريطانيا في الخليج العربي وتهدد أمن وسلامة الطريق الجوى تبعا لذلك، وهذا ما دفع المقيم السياسي ان يكتب تقريرا في ١٩٣٤/١١/١٦ عن الصراع في دبي إلى حكومته في الهند موضحا عن وجهة نظره عن السياسة البريطانية في ساحل عمان والأسلوب الذي اتبعه في معالجته لتلك القضية، وطلب بان تتبع بريطانيا سياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية وان تتجنب القيام بأي عمل لمنع نزاع الشيوخ في

البر، وقال المقيم السياسي أن الاعتراض المشترك من الشيوخ لمنع التسهيلات الجوية للبريطانيين هو خشيتهم من ان يؤدي ذلك إلى إقامة إدارة بريطانية تسيطر عليهم[١٠] .

ايدت حكومة الهند الطريقة التي عالج فيها المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي مشكلة الصراع الذي حدث في دبي وكذلك تدخله لصالح حاكم دبي ضد أبناء عمه وتزويده بالأسلحة والذخائر، مما ادى فيما بعد رضوخ المعارضين للحاكم، ولكن الاعتراض جاء من قبل القوات الجوية البريطانية والتي كانت تصر على سياسية التدخل المباشر ولإنهاء تلك المشكلة عقدت اللجنة الفرعية للشرق الأوسط اجتماعا حضره المقيم السياسي البريطاني المقيم في ساحل عمان لتوضيح وجهات نظره السابقة.

نلاحظ بان كل من حكومة الهند ووزارة الطيران يؤكدان في الدفاع عن وجهة نظرهما المختلفة وتمسكهما بخطاب لورد "كيرزون" الخاص بالسياسة البريطانية الواجب اتباعها في ساحل عمان علما بأن هذا الخطاب كان المرجع الرئيسي في هذه الأمور والذي كان قد ألقاه أثناء رحلته في الخليج في ١٩٠٣/٩/٢٣ حيث اكد مساعد قائد القوات الجوية بان ما تفعله السلطات في ساحل عمان ما هو الا تدخل في الشؤون الداخلية، وقال "انه الآن أصبح وجود القوات الجوية يسمح بإجراء عمليات التدخل سواء في البحر والبر "ثم قال : ان الإجراءات التي قام بها المقيم السياسي أثناء حادثة دبي ليس في الواقع، إلا تدخلا في الشؤون الداخلية ويتمشى تماما مع ما جاء في خطاب لورد "كيرزون" وطلب أن تعاد صياغة سياسة بريطانيا بطريقة أكثر وضوحا

وانه لا يرى ضرورة زيادة الالتزامات البريطانية طالما أن السياسية الحالية كافية لحماية الطريق الجوى أما "رندل" ممثل وزارة الخارجية فقال (١١) :

"لابد من ان نعترف بأن الموقف العام في الخليج العربي وخصوصا من وجهة النظر الدولية قد أصابه تغير جذري وثوري بسبب تطورات فترة ما بعد الحرب، ان خطاب لورد "كيرزون" قد ألقي في زمن كان فيه الخليج العربي بحيرة بريطانية، ولم يكن هناك طيران أو بترول، وكان هناك قليل من التجارة، ونتيجة لذلك لم يكن هناك أي عائق يحد من حرية حكومة الملك في رسم سياستها، أما اليوم فقد اصبح الخليج العربي معبرا دوليا، ويقع حوله دول يحركها شعور قومي قوى، ولهذه الدول مصالحها المهمة والحقيقية في الخليج العربي، كما ان اكتشاف البترول دفع قوى أجنبية إلى الاهتمام بأمور الخليج العربي، وأنه ليخشى إذا ما حاولت حكومة الملك أن تستمر على سياسة عدم التدخل السلبية ضده، أن تضعف قبضتها في المنطقة إلى حد كبير، وسوف تجد نفسها عندئذ واقعة تحت ضغط قوى من دول أجنبية يريد مواطنوها الدخول إلى الخليج العربي بهدف الاستغلال التجاري وإنشاء خطوط طيران".

نلاحظ مما جاء في السابق كيف رسمت الخارجية البريطانية سياسة التدخل في الشؤون الداخلية مع سبق الإصرار تحت دواعي مختلفة، مثل الشعور القومي، والبترول، ودخول الطيران إلى المنطقة، وكذلك منافسة القوى الدولية الأخرى، مما يجب معه تغير الأسلوب القديم، واتباع أسلوب جديد يتمشى مع الواقع الحالي، مع الحفاظ على الجوهر، وهو الأساوب

الاستعماري الاحتكاري المتسلط ضد شعوب المستعمرات أو التـــي تحـت حمايتها ومنها ساحل عمان.

ثانيا: الصراع على الحكم في الشارقة:

تمرد أحد أفراد الأسرة الحاكمة في الشارقة وهو الشيخ عبـد الرحمـن عن حاكم الشارقة الشيخ خالد وقام بالهجوم على مشيخه عجمان فـي عـام ١٩٢٠ واستطاع ان يسيطر على قلعتها في حين لم يوفق حاكم الشارقة فـي الهجوم المعاكس الذي قام به ومن ثم اصدر أمره إلى قواته بالانسحاب إلـى الشارقة ومن ثم توصل إلى تفاهم وعقد صلح مع حاكم عجمان مما اضطـر الشيخ عبد الرحمن الذي قام بالهجوم على عجمان إلى الانسحاب من القلعـة التى استولى عليها ومن ثم طلب اللجوء إلى الوكيل الوطنى البريطـاني فـى الشارقة ومنها اتجه إلى دبي ثم أقام في منطقة "الحيرة" التي تعتبر من أمـلاك الشارقة، وهذا ما دفع حاكم الشارقة الشيخ خالد إلى مهاجمـة الشـيخ عبـد الرحمن[١٢] الذي دخل في املاكه ومحاولة القبض عليه ولكن قـائد القـوات البريطانية في الأسطول الملكي في الخليج العربى تدخل إلى جانب الشيخ عبد الرحمن ومنع حاكم الشارقة من مهاجمته ومن ثم قام بعقد صلح بين الطرفين مما يعني صراحة أنه كان يميل إلى عبد الرحمن ضد الشـيخ خـالد حـاكم الشارقة الذي كان يستاء من التصرفات البريطانية في مشيخته.

أصبح الشيخ عبد الرحمن في مركز أقوى عـام ١٩٢٣، عندمـا قـام بتزويج ابنته للشيخ سلطان بن صقر والذي كان مـن المعـارضين لحـاكم الشارقة الشيخ خالد، وفي العام التالي قدم مساعدته للشيخ سلطان بن صقـر من أجل الاستيلاء على الحكم في الشارقة، ومن ثم طرد الشـيخ خـالد مـن

مشيخته، ونجح بالفعل في مساعدته لزوج ابنته سلطان بن صقر الذي استولى على الحكم في الشارقة بينما كان مكافأة الشيخ عبد الرحمن هو حصوله على الحكم في منطقة "الحيرة"(١٣). ولكن كيف وصل الشيخ سلطان بن صقر إلى الحكم والطريقة التى اتبعها في الاستيلاء على السلطة هذا ما سوف نشير إليه وذلك من خلال التقارير الرسمية للمسؤلين البريطانيين في ساحل عمان والخليج العربى.

تشير هذه التقارير البريطانية بان الشيخ سلطان بن صقر قد استأجر بعض أفراد القبائل بقيادة محكوم بن باروت للإطاحة بالشيخ خالد من الحكم في الشارقة ولكنه يبدو بعد استيلائه على السلطة رفض أن يدفع المبالغ المقررة لهؤلاء المأجورين، مما أدى إلى ظهور هذه المشكلة، وهنا نلاحظ الدور البريطاني كوسيط بين المأجورين وبين الشيخ سلطان بن صقر الذي استولى عن طريقهم على السلطة، وهنا نجد بان بريطانيا لم تلعب الدور المحايد في الصراع على الحكم في الشارقة وأن الدور الوسيط بين الحاكم الذي استولى على السلطة بالقوة المأجورة وبين المرتزقة وبالتالي لم تحافظ على الأمن في المنطقة وانحازت إلي جانب الشيخ سلطان بن صقر ضد الحاكم السابق الشيخ خالد ومن ثم حاولت تغطية تدخلها الخفي أو غير المباشر بطريقة دبلوماسية وهادئة لتعزيز الحاكم الجديد ومنع إعادة الحكم السابق أو قيام اي صراع على السلطة وخاصة من قبل المأجورين.

فقد كتب المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي والقنصل البريطاني العام في "بوشهر" في الثاني من شهر يونيو ١٩٣٩، إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين وارسل نسخة منه إلى الوكيل السياسي

البريطاني في مسقط، وذلك عن مطالبة محكوم بن باروت ضد شيخ الشارقة وجاء فيها:

"فان الصراع على السلطة وما تمخض عنه من نتائج فانه يتضح بأن المسألة مهمة بعض الشيء، أو سوف يكون لها تأثير كبير إذا لم نتمكن من حث وإقناع الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة، لدفع شيء ما من الأموال المقررة، لإقناع الشيخ محكوم بن باروت، مع أنها ليست المطالبة التي يمكن أن نضغط بشأنها بشكل رسمي، فإذا لم تكن هناك معارضة أو يوجد استياء من ذلك العمل، فيرجى إبلاغ الوكيل البريطاني المقيم في ساحل عمان في الشارقة لمساعدة الشيخ محكوم بن باروت، والإبلاغ عن النتيجة المتعلقة في هذه المسألة"(١٤).

نجد هنا كيف تحاول بريطانيا إقناع الشيخ سلطان بن صقر بضرورة دفع التزاماته المالية وما كان مقررا للشيخ محكوم بن باروت الذي نفذ وقام الإطاحة بالشيخ خالد، ومن ثم بدأ يطالب حقه من الأموال المترتبة على تلك العملية وكذلك تطلب من الوكيل البريطاني في ساحل عمان في الشارقة بان يبلغ الشيخ محكوم بن باروت بان الحكومة البريطانية لا يمكنها ان تمارس ضغطها على حاكم الشارقة بهذا الخصوص، وإنما تحاول إقناع الشيخ سلطان بن صقر ان يدفع تلك الأموال بطريقة ودية ومن ثم تطلب من الوكيل إبلاغ السلطات البريطانية عن نتيجة جهوده في حل هذه المسألة، اي ان بريطانيا تحاول إنهاء هذه المسالة بطريقة سلمية دون ان تمارس ضغطها على شيخ الشارقة وتحاول جس نبض الشيخ محكوم بن باروت ماذا يفعلن ومن بعدها

سوف تحاول اتخاذ الإجراءات اللازمة لحل هذه المشكلة حسب سير القضية بحيث لا تخرج عن نطاق سيطرتها(١٥).

رد الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، في السابع من شهر يونيو ١٩٣٩ على رسالة المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في "بوشهر" مع نسخه منه إلى الوكيل السياسي البريطاني في مسقط جاء فيها:

انه إشارة إلى مذكرتكم المؤرخة في الثاني من يونيو عام ١٩٣٩، عن مطالبة الشيخ محكوم بن باروت ضد حاكم الشارقة عن الأموال التي لم يدفعها الأخير له، وانه قبل ان اتخذ الإجراءات اللازمة حول تلك القضية، فإنه يجب أن أشير بأن هناك اعتراض للتدخل في مثل هذه المسائل من قبل الحكومة البريطانية وضباطها نيابة عن أشخاص من المرتزقة والتي يمكن أن نطلق عليهم "القتلة المأجورين" مثل محكوم بن باروت، وأنني أدرك قوة الوكيل السياسي البريطاني في مسقط في مساعدته لحل هذه المشكلة، ولكنني قلق حول إمكانية وجود سابقة خطيرة من هذا النوع في الصراع على السلطة، وبما أن ضحية الاعتداء في هذه القضية المثيرة للجدل كان الشيخ خالد، والذي من المهم ان تكون السلطات البريطانية في المنطقة على بينة من الإجراءات الأمنية الجيدة مستقبلا حتى لا تتكرر مثل هذه الأحداث(١٦).

يتابع الوكيل السياسي البريطاني في البحرين تقريره بقوله:

انه ليست الخطة المناسبة لاتخاذ الإجراء المقترح (يقصد الاقتراح الذي وضعه المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في رسالته السابقة من أجل اقناع حاكم الشارقة دفع بعض الأموال لاسكات الشيخ محكوم بن

باروت) والذي يمكن أن يكون صفقة جيدة إعلامية، ويرفق الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، التقرير المقدم من قبل الوكيل السياسي البريطـــاني في قطر حيث ان هذا التقرير يتفهم المشكلة بطريقـــة اقــرب إلـــى حلــها السلمي[١٧]، وفي الختام يقول الوكيل السياسي البريطاني في البحرين ويتسائل: "هل لي بالحصول على المزيد من تعليماتك على ضوء تلك الملاحظات؟[١٨]"

نلاحظ من تلك التقارير للموظفين البريطانيين، اختلاف وجهات النظــر حول تفسير وحل الأحداث أو الصراع الذي حدث في الشارقة بشأن الاستيلاء على السلطة، وكيف ان الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، يحبذ عـــدم التدخل في مثل هذه الصراعات الداخلية حول السلطة، ويعتبرها شأن داخلـي، ويحاول عدم التورط، او زج السلطات البريطانية في مثل هذه القضايا، وكيف يصف الذين قاموا بالاستيلاء على السلطة بأنهم "قتلة مأجوريين".

يبدى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين قلقه وتخوفه من حـــدوث مثل هذه المشاكل في الصراع على السلطة مستقبلا، باعتباره سابقة خطـيرة، وذلك عن طريق استئجار مجموعة من أفراد القبائل للاستيلاء على الحكـــم، مما يعني مزيد من الفوضى، وعدم وجود الأمن، والاضطراب في الأوضـاع السياسية، وهذا ما لا تريده بريطانيا في المنطقة. كما نلاحظ ايضـــا الـــدور الواضح للوكيل السياسي البريطاني في مسقط، وذلك لكون الشيخ محكوم بـــن باروت من رعايا السلطنة العمانية، كما أن سلطان عمان يبدو كان وراء تلـك الأحداث، وذلك من خلال اهتمامه بهذه القضية، وطريقـــة مســاندته للشـيخ محكوم بن باروت، وهذا ما سوف نلاحظه من خـــلال التقــارير البريطانيـــة القادمة في هذه القضية.

نجد وجهة نظر المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي مختلفة عن الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، حيث يدعم الحاكم الذي استولى على السلطة بالقوة واطاح بالحاكم السابق، ويريد إنهاء تلك المشكلة بالطرق السلمية دون اثارة مشاكل أو متاعب للحاكم الجديد الشيخ سلطان بن صقر ويتعاطف معه حتى يكسبه إلى جانب بريطانيا، وبالتالي يمكنه ان يساوم على هذا الجميل من قبل السلطات البريطانية لهذا الحاكم الجديد الذي استولى على السلطة بالقوة، وبالتالي يكون شيخ الشارقة اقرب إلى السياسة البريطانية من ان يكون معارضا لها كما كان حاكم الشارقة السابق الشيخ خالد.

بعث المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بمذكرة إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين، في السادس عشر من يونيو ١٩٣٩، ردا على ملاحظات الأخير قال فيها:

"أنني أعتقد بان مصطلح "القاتل المأجور" من الصعب اعتباره صحيحا كما هو مستخدم على الشيخ محكوم بن باروت ورجاله، ولكن يمكن أن يطلق عليهم كلمة "جنود الثروة" فهذه الكلمة أو اللفظة أكثر ملائمة على القوة التى استخدمها الشيخ سلطان بن صقر عن طريق بعض المئات من أفراد القبائل الذين جمعهم الأخير للإطاحة بالشيخ خالد حاكم الشارقة السابق وطرده من المشيخة، ثم يخاطب الوكيل البريطاني في البحرين بقوله :إذا كنت صحيحا فيما تقوله بأن الشيخ محكوم بن باروت من "القتلة الماجورين"، فإن هذا يعنى بأن جميع قوات الشيخ سلطان بن صقر يصبحون من "القتلة الماجورين" ويمكن ذلك أن يعم هذا اللفظ ويطلق عليه وعلى قواته"(١٩).

ويضع المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي تصوره لإنهاء هذه المشكلة بقوله :

"أن الجدل الذي أثرته حول تدخلنا لأعادة الشيخ خالد وما يتمخض عنه من نتائج تؤثر سلبا على مصالحنا، فإنها تعتبر اقتراحات جيدة وخاصة فيما يتعلق بامتيازات البترول في الشتاء القادم، وبشكل عام فإنه من الأفضل عدم التدخل في هذا الصراع بعد ما حسم لصالح الشيخ سلطان بن صقر، وسوف يقوم الوكيل السياسي البريطاني في مسقط، بشرح أبعاد تلك القضية لسلطان عمان باعتبارها مسألة خاصة بين الشيخ محكوم بن باروت والشيخ سلطان بن صقر، وان السلطان البريطانية لا تستطيع اتخاذ اية إجراءات في هذه القضية"[٢٠].

نجد هنا كيف يخفف المقيم السياسي البريطاني من "القتلة المأجورين"، إلى "جنود الثروة"، ولا يعتبرهم قتلة بقدر ما يعتبرهم بأنهم "جنود الثروة"، وهى أقرب إلى "المرتزقة"، ولا تعتقد ان هناك فرق كبير بين "القتلة المأجورين" أو "المرتزقة" الذين يقتلون من أجل المال، فكلاهما هدفهما واحد هو "القتل"، وكلاهما يقبض المال من الجهة التي تستعين بهم في أعمال القتل أو الانقلاب أو الإطاحة "بالسلطة الحاكمة"، وهذا يكشف موقف المقيم السياسي البريطاني الموالي إلى الحاكم الجديد.

يحاول المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي أن يقنع ان لم يكن يملي وجهة نظره في هذا "الموضوع على وكيله في البحرين، ليحل وينهى المشكلة حسب موقفه المتعاطف مع حاكم الشارقة الجديد الشيخ سلطان بن صقر، ويمنع من إعادة الحاكم السابق الشيخ خالد، ويعتبر القضية منتهية،

وانه سوف يؤثر سلبا على المصالح البريطانية، وخاصة امتيازات النفط في فصل الشتاء القادم. كما يطلب من وكيله في مسقط أن ينجد سلطان عمان، بأن لا يتدخل في هذا الصراع أو المشكلة، وان بريطانيا تعتبرها مسألة خاصة بين الشيخ محكوم بن باروت والشيخ سلطان بن صقر[٢١].

أرسل الوكيل السياسي البريطاني في مسقط، مذكرة بتاريخ السابع من يونيو ١٩٣٩، إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي، ونسخة منه إلى الوكيل السياسي البريطاني في الخليج العربي، جاء فيه:

"إن عبارة "جنود الثروة" سيكون عبارة الطف، في الرسالة الموقعة من قبل الشيخ عبد الرحمن حاكم منطقة "الحيرة"، والمؤرخة في العشرين من ذي القعدة ١٣٥٤هـ الموافق التاسع عشر من مايو ١٩٣٩، وارفق لكم نسخة من هذه الرسالة، وفيها كان قد تم تحديد المبلغ المستحق وهو مائة روبية لكل واحد من أفراد المجموعة التى قامت بالاستيلاء على السلطة والبالغ عددهم خمسة وعشرون شخصا، وبالتالي فإن المبلغ الإجمالي هو ألفان وخمسمائة روبية[٢٢].

يقول الوكيل السياسي البريطاني في مسقط، بانه تمت إحالة القرار من قبل الوكيل السياسي البريطاني في البحرين لحساب الدفع المستحق والذي تم الاتفاق عليه بين الجانبين الشيخ محكوم بن باروت والشيخ سلطان بن صقر، وذلك مقابل الخدمة المقدمة من قبل اتباعه بعد حصار الشارقة واستيلائه على السلطة[٢٣].

نجد من خلال التقرير الذي قدمه الوكيل السياسي البريطاني في مسقط، بأنه يتفق مع المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي في عبارة "جنود الثروة"، وقد يرجع ذلك باعتبار الشيخ محكوم بن باروت ورجاله من رعايا عمان، وأن عبارة "القتلة المأجوريين"، قد يغضب سلطان عمان، في حين لفظ "جنود الثروة" قد تلطف من العبارة وتجعله أخف.

كما نجد أيضا بان الشيخ عبد الرحمن الذي قام بمساعدته لزوج ابنته سلطان بن صقر الذي عينه حاكم على منطقة "الحيرة" التابعة من أعمال الشارقة، ارسل رسالة إلى الوكيل السياسي البريطاني في مسقط يخبره فيها عن الاتفاق الذي تم عقده بين الجانبين، وبان يلتزم كل طرف بتنفيذ اتفاقه وواجباته على أن يقوم محكوم بالاطاحة بالشيخ خالد، وتسليم السلطة إلى الشيخ سلطان بن صقر، مقابل أن يدفع الأخير أجوره واتعابه بواقع مائة روبية لكل فرد من أفراد العصابة أو المجموعة المأجورة والذى كان يبلغ عددها خمسة عشرة شخصا، ولكن يبدو أن الشيخ سلطان بن صقر بعد استيلائه على السلطة لم ينفذ اتفاقه، في الوقت الذي نفذ الشيخ محكوم بن باروت اتفاقه من جانبه، ولهذا فإن الأخير يطالب بحقه من الشيخ سلطان بن صقر، كما طلب من سلطان عمان وبريطانيا بالضغط على حاكم الشارقة لكي يأخذ حقه ونصيبه من المال.

قدم الوكيل السياسي البريطاني في مسقط شكره إلى الوكيل السياسي البريطاني في البحرين لما يقوم به من جهود لانهاء هذه المشكلة ثم قدم الوثائق اللازمة حول هذه المسائلة وكذلك رسالة الشيخ عبد الرحمن والاتفاق بين الطرفين المتنازعين(٢٤). كما بعث بمذكرة إلى المقيم السياسي البريطاني

في الخليج العربي في السابع عشر من يوليو ١٩٣٩ حول مطالبة الشيخ محكوم بن باروت ضد شيخ الشارقة جاء فيه:

"لي الشرف أن أطلع على مذكرتكم، وبناء على تعليماتكم فقد شرحت وجهة نظركم حول وضع الشيخ محكوم بن باروت في المقابلة التي اجريتها مع صاحب السمو سلطان عمان في الخامس عشر من يوليو، وقد اندهش السلطان من القرار البريطاني وموقفها في هذه المسألة، واظهر انه لا يوجد اي اعتراض للتعامل مع المسألة وفقا للعادة العربية، وفسر لي الطريقة العربية على انها طريقة دبلوماسية يقصد بها التهديد بالسلاح، ثم ناقش سلطان عمان هذه المسألة بالتفصيل ثم قال، انها قضية خاصة بين الشيخ محكوم بن باروت والشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة، وانها سوف لن تؤثر على العلاقات الودية التي ترتبط بين عمان والشارقة، ولقد كان سلطان عمان من وجهة النظر الغربية على حق، ولكننا نتعامل مع العرب وحسب طبيعتهم وعاداتهم، فرئيس القبيلة يحمى رجال قبيلته وهو المسؤل عنهم" (٢٥).

يتضح مما سبق ذكره في التقرير البريطاني بانها ارادت ان تضع سلطان عمان فى الصورة، والإجراءات التي اتخذتها حيال هذا الموضوع، حيث ان المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي لم يمارس ضغط كبير على سلطان بن صقر، لكى يوفي هذا الأخير بوعده ويعطي المبلغ المقرر للشيخ محكوم بن باروت الذي كان من رعايا عمان، كما ان سلطان عمان قد يكون وراءه أو يدعم موقفه، ولهذا فإن السلطات البريطانية بادرت بالاتصال مع سلطان عمان عن طريق الوكيل السياسي البريطاني في مسقط، والذي شرح وجهة النظر البريطانية حول هذه القضية.

ولكن يبدو ان سلطان عمان لم يقتنع بوجهة النظر البريطانية، أو لم يعجبه الطريقة التي عالجت بها بريطانيا، ولذا فإنه كان أكثر ذكاء ودبلوماسية من السلطات البريطانية، فقد عبر عن وجهة نظره بان العرب عادة لهم طريقتهم الخاصة في التعامل في مثل هذه القضايا، وهي انهم يعالجونها بالقوة وباستخدام السلاح في أخذ حقوقهم، كما أنه أعلن موقفه بانه لن يتدخل في هذه القضية، وأن علاقته الرسمية مع الشارقة لن تتأثر بغض النظر عن الطريقة التي تعالج بها بريطانيا هذه القضية وانه يعتبر تلك المسالة خاصة بين الشيخ محكوم بن باروت والشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة.

جاء في المذكرة التي قدمها الوكيل السياسي البريطاني إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي، بقوله: انه للإجابة على تلك الاستفسارات، فما هو متوقع من الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة، وماذا يجب عليه القيام حول هذه القضية، وخاصة إذا ما وصلت هذه المسألة ومطالبة محكوم بن باروت إلى طريق مسدود، وقد يكون سلطان عمان محقا في مطالبه عندما قال : بأنه على الشيخ سلطان بن صقر حاكم الشارقة ان يعترف أولا بالمطالب الشرعية للشيخ محكوم بن باروت، ومن ثم ان يعد وان يوفي المبالغ المقررة عليه وهى لا تتجاوز الفان وخمسمائة روبية، او بما انه "مسلم"، فإنه يجب ان يلتزم بقانون الشريعة الإسلامية، وإذا ما أراد أن يتنصل من الاتفاق والمسؤلية، فعليه ان يحلف اليمين على ذلك(٢٦).

يقول الوكيل السياسي البريطاني في مسقط، انه قد اكد له سلطان عمان، أنه إذا ما تم ذلك فإنه سوف يكون مقتنعا، وسوف يضمن التزام الشيخ محكوم

بن باروت بالقرار، ولكن سلطان عمان ليس مهتما شخصيا في الرجل أو مطالبته، ولكنه مهتم في الإثبات بشكل عملي أمام رعاياه العمانيين، وانه قادر على الحصول لحقوق رعاياه وان يكسب رضاهم، ولقد أبلغت سلطان عمان عن وجهة نظر المقيم السياسي البريطاني والسلطات البريطانية في البحرين وساحل عمان، والتي لا ارى سببا لتعديل وجهات نظري التي عبرت عنها، وانني اقترح بإنهاء المسألة بطريقة مرضية أكثر أهمية مع الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع سلطان عمان نظرا لمصالحنا النفطية وللاعتبارات الدولية، وانني سأكون مسرورا للتعليمات التى تصدر فيما يتعلق بالإجابة التى ستقدم إلى السلطات بشأن هذه المسألة[٢٧].

يبدو أن السلطات البريطانية في الخليج العربي فهمت ما كان يقصده سلطان عمان الذي اجاب لوكيله السياسي في مسقط بالطريقة الدبلوماسية، وكيف ان العرب يأخذون حقهم سواء بالشريعة الإسلامية أو بالقصاص وبالقوة والعنف، وان العربي لا ينسى الثأر ولو بعد حين، وهذا ما فسر لبريطانيا بأنها إذا لم تعالج وتضغط على الشيخ سلطان بن صقر في هذا الموضوع فإن النتيجة تكون غير مناسبة لبريطانيا، وسوف تزداد الأوضاع سوء وكذلك الاضطرابات والصراعات في الوقت الذي كانت بريطانيا تطلع إلى الامتيازات البترولية في فصل الشتاء وبالتالي فإنها تحتاج إلى الاستقرار والأمن في المنطقة وخاصة لعمال ورجال الشركات النفطية.

أمام هذه المعطيات فإنها سارعت بإنهاء المشكلة وحلها بطريقة ودية بين الطرفين والحصول على المبالغ اللازمة وتم دفعها للشيخ محكوم بن باروت، وبذلك انتهى ذلك الصراع والمسألة التى كانت الأولي من نوعها في

استخدام "القتلة المأجورين" أو "جنود الثروة" في الإطاحة بالحاكم والاستيلاء على السلطة بالقوة عن طريق المرتزقة في ساحل عمان في هذا النوع من الصراعات على الحكم والسلطة.

نتائج الدراسة

يجب أن نشير إلى أنه كان هناك أسباب كثيرة لعبت دورا في قيام الاضطرابات وخاصة الصراع على الحكم، وقد يكون من أهم هذه الأسباب او السبب الرئيسى في هذه الصراعات، هو الوجود الاستعماري البريطاني في ساحل عمان، وان هذا الوجود لعب هذا الدور، فبدلا من تكاتف الجهود المبذولة من الجميع لأجل إنهاء الاحتلال البريطاني، واخراج هذا الاستعمار، أو على الأقل اتخاذ الموقف السلبى السلمي من هذا الوجود، اتجه إلى الصراع والمنافسة فيما بين الحكام من أجل الاستيلاء على السلطة، ومن الطبيعى كانت السلطات البريطانية تلعب دورا من وراء الكواليس في مساعدة أحد الأطراف ضد الآخر، أو غض الطرف عن الممارسات العسكرية أو الاستعانة ببعض الأطراف من خارج المشيخة وغيرها من استكمال الصراع. كما كانت تتدخل بريطانيا مباشرا في الصراع أو في خلع حاكم واستبدل حاكم إذا ما كانت المصالح الاستعمارية قد تتعرض لأية مخاطر، وكثيرا ما اتخذت من الألفاظ الإنسانية مثل "تجارة الرقيق" و"القرصنة" و"تجارة الأسلحة" وسيلة لفرض سياستها الاستعمارية ووسيلة لفرض العقاب الجائر من طرف واحد.

تزايد النفوذ البريطاني في ساحل عمان فيما بين الحربين العالميتين وخاصة أثناء الحرب العالمية الثانية وبالتالي ازدادت السيطرة البريطانية في كافة النواحي وخاصة الناحية الإدارية من أجل تشديد القبضة البريطانية في

ساحل عمان والأسباب التي أدت إلى ذلك بالإضافة إلى الأهمية الاستراتيجية، هو بناء القواعد البريطانية في ساحل عمان وخاصة القواعد الجوية والبرية ومخازن الأسلحة كإضافة إلى مجئ شركات البترول مما يستدعي إلى ضبط الأمن الداخلي عن طريق الجهاز الإداري وذلك بعدما تدهورت الأوضاع الداخلية بسبب السياسة البريطانية التي جعلت من ساحل عمان منطقة داخلية مغلقة ومنطوية على نفسها بعدما فرضت عليها العديد من الاتفاقيات ابتداء من اتفاقية السلام العامة ١٨٢٠ حتى اتفاقية المنع والتحريم عام ١٨٩٢، مما أدى إلى تزايد النزاعات والمشاكل الداخلية.

هناك أسباب أخرى إضافة إلى التواجد الاستعماري البريطاني في ساحل عمان، وهذه الأسباب ترجع إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمجتمع ساحل عمان نفسه، وكذلك انقطاعه عن العالم العربي وما يجري في مدنه والعزلة التى فرضها الاستعمار البريطاني، ومنعه من الاتصال مع الأشقاء العرب والتي استمرت حتى الانسحاب البريطاني.

لعب السبب الاقتصادي أيضا دورا بارزا في هذا الصراع، وذلك نظرا لقلة الموارد الاقتصادية، مما جعل البعض يسعى إلى الاستيلاء على السلطة من أجل الحصول على بعض المكاسب المادية، حيث كانت بريطانيا تدفع بعض المعونات التى تساعد الحاكم وأسرته فقط؟ أي كانت المساعدات البريطانية بحد الكفاف، وبالتالي كان الحاكم يعتمد على بعض المساعدات والهبات من شيوخ القبائل، لأن عملية الضرائب لم تكن مجدية ولم تكن كافية لعدم وجود أصلا اقتصاد قوي ينبنى على موارد دائمة ومستمرة الا بعض

الأعمال المهنية الشاقة والتي تعتمد على الجهد البدني مثل الغوص على اللؤلؤ، وهو اقتصاد بدائي.

لجأت بعض أفراد القبائل القوية إلى قطع الطريق، أو القيام ببعض أعمال السلب، أو فرض القوة العربية على القبائل الضعيفة، أو الاعتداء على رعايا البريطانيين الهنود المقيمين في ساحل عمان والذين كانوا يحتكرون التجارة برغم قلة الموارد الاقتصادية، مثلما درسنا عما حدث لسفينة هندية في خور دبي، وكيف تدخلت بريطانيا لمنع تلك الأحداث والطريقة التي عالجت بها الوضع هناك.

الأحداث التي جرت في الشارقة، وقيام الشيخ عبد الرحمن الذي فشل في الصراع مع الشيخ خالد ومن ثم كيف تم زواج ابنته للشيخ سلطان بن صقر ومساعدته في الإطاحة بالشيخ خالد، وكيف تم الاستعانة بالشيخ محكوم بن باروت ورجاله من أفراد القبائل، وذلك باستئجارهم بالمال، وعدم دفع هذه المستحقات مما أدى إلى مشاكل وتدخل السلطات البريطانية في هذا الشأن لإنهاء هذه القضية بحيث أصبحت لها أبعاد إقليمية، فبالإضافة انها كانت خاصة بين كل من مكتوم بن باروت، والشيخ عبد الرحمن والشيخ سلطان بن صقر، فإنها أدت إلى تدخل سلطان عمان في هذه القضية، كما أنها خرجت عن نطاق سيطرة "الوكيل الوطني البريطاني" فى ساحل عمان والمقيم في الشارقة، إلى تدخل كل من الوكيل السياسي البريطاني في البحرين وعمان، إضافة إلى الدور الذي لعبه المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي.

لعب العامل الاجتماعي أيضا دورا مهما في هذا الصراع، ولايمكن ان نغفله في المنطقة، حيث أن جذور المجتمع يعود إليها، خاصة أن مجتمع

ساحل عمان من أشد المجتمعات القبلية في جنوب الشرقي من الجزيرة العربية، وهذا راجع إلى التركيبة الاجتماعية المعقدة لقبائل ساحل عمان، إضافة إلى العقلية القبلية التى تسيطر على هذا المجتمع.

كذلك لا ننسى العامل الثقافي، فبرغم بقاء الاستعمار لفترة طويلة لم يعمل على إقامة المدارس أو يشجع قيام المؤسسات التعليمية والصحية، مما جعل مجتمع ساحل عمان يعيش في "جهل" و "فقر" و"مرض"، وفي ظل هذا الثالوث المرعب تمكن الاستعمار من إدارة ساحل عمان، كما أن مجتمع ساحل عمان عاني الكثير من هذا "الثالوث المرعب"، وكان التخوف البريطاني بان وجود المدارس أو المؤسسات التعليمية والثقافية قد يساعد على التحضر، وان هذا التحضر قد يدعو إلى التخلص من الاستعمار، وبالتالي أدى هذا التأخر إلى مزيد من "الصراع" و"الفوضى" و"الاضطراب" إضافة إلى ما ذكرناه من "جهل" و"فقر" و"مرض".

الهوامش والمصادر

{ الوثائق التي تنشر لأول مرة تحمل ملف رقم:

(15/2/322) (I.OR-R/15/2/617).}

(١) **د. جمال زكريا قاسم** – تاريخ الخليج العربى جـ٣ دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٩٦– ص ٢٦٤.

(٢) **د. محمد مرسي عبدالله**– دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها – دار القلم – الكويت – ١٩٨١– ص ٦٠ وانظر :-

I.OR, R/15/1/14.02414/43,Unrest at Dubai and SNO-Report, 22 January 1935 and Pol. Agent, Bahrain to Pol.Res. 7 November 1934; Rol.Res. to SGI, 16 November 1934.

(٣) **د. جمال زكريا قاسم** – المرجع السابق ص ٢٦٩.

(4)**J.O.R.R/15/2/322**-Conpidential-No:c/290-Political gency-Bohrain, The 2nd may 1935-Form-Captain G.A. Cole, I.A., - Officating Political Agent- Bahrain- to-: The Honourable the Political Resident in the Persian Guld-Bushire.

(5)**I.O.R.R/15/2/322**- ADMINISTRATION REPORT OF THE TURCIAL COAST FOR, 1934.

(٦) **د. جمال زكريا قاسم** – المرجع السابق، ص٢٦٩.

(٧) **د. محمد مرسي عبدالله** – المرجع السابق، ص ١١٣وانظر :

I.O.R.- L/P- and S/10/1273-Memorandum of the Fo to the Cabinet, 10 June 1933 Memorandum of 10-19 June 1933.

(8)**I.O.R-R/15/2/322-INTERNAL** AFFAIRS-1935- Poltical Officer, Trucial Coast-Staikh of Dubai.

(9) I.O.R.- R/15/2/322- Ibid.

(١٠) د. محمد مرسى عبدالله – المرجع السابق ص ٦٠.

(١١) د. محمد مرسي عبدالله – نفس المرجع ص٦١ وانظر:

-CAB,51/3,Meeting No.43,OME sub-Committee, 24 september 1935-pp.1-13.

(١٢) د. جمال زكريا قاسم – المرجع السابق ص٢٦٦.

(13) **F.O.371-16853** Diary No-17 of 1933- Political Agency, Bahrein- News from the Period 1st to 15th Septemeber 1933.

(14) **I.O.R.-R/15/2/617**-Conftidential-No-528-s of 1939- British, Residency & Consulate-General, Bushire. The 2nd June 1939-to:- The Political Agent, Bahrain-Claim of Makoom bin Baroot against the Shaikh of Sharjah.

(15) **I.O.R.-R/15/2/617**-Ibid.

(16)**I.O.R.-R/15/2/617**—Conftidential-No-c/373-22/I.C.- Political Agency, Bahrain, The 1th June 1939-To —The

Honourable The Political Resident in the Persian Gulf-Bushire. P.33.

(17) **I.O.R.-R/15/2/617**-Ibid. p.34.

(18) **I.O.R.-R/15/2/617**- Ibid.p.35.

(19) **I.O.R.-R/15/2/617**- Contidential-No-573-s of 1939, British Residency & Consulate-General, Bushire, The 16th June, 1939-To the Polticial Agent, bahrain. P.36.

(20) **I.O.R.-R/15/2/617**- Ibid.p.37.

(21) **I.O.R.-R/15/2/617**- Ibid.p.38.

(22) **I.O.R.-R/15/2/617**- Conftidential- No-c/129- Political Agency & H.B.M 's Consulate, Muscat, 17th June 1939. To-the Honourable the political Resident in the Persian Gulf, Bushire-p.39.

(23) **I.O.R.-R/15/2/617**- Ibid.p.40.

(24) **I.O.R.-R/15/2/617**- Conftidential-No-C/179. The Political Agent and His majesty's Consul, Muscat, Presents his Compliments to - the political Agent, Bahrain, and has the honour to transmit to his the undermentioned document's.- Dated July the 17th 1939.

(25) **I.O.R.-R/15/2/617-** Contidential - No.c/177- trom-

Captian T.H. Hickinbot tham, O.B.E, Political Resident in the Persian Gulf, Bushire.- July 17th 1939.

(26) **I.O.R.-R/15/2/617**- Ibid.p.43.

(27) **I.O.R.-R/15/2/617-** Ibid.p.44.

المشرفون ἐπιτηρηταί
في مصر في عصر الرومان حتى القرن الثالث الميلادي

د. محمد فهمي عبد الباقي
كلية الآداب – جامعة القاهرة

عندما أصبح من الصعب على الإدارة الرومانية فى مصر أن تجد ملتزمين للضرائب التى تجمع إلزامياً ، وهى الضرائب غير المباشرة كالأعباء الجمركية ، وضرائب البيوع ، وضرائب الدخل على أنواع التجارة ، وغير ذلك ، قامت هذه الإدارة بإنشاء وظيفة جديدة ، سُمىّ القائمون عليها بالمشرفين ἐπιτηρηταί ، ليتولوا تحصيل هذه الضرائب دون إلغاء الملتزمين ، وقد كانوا مسؤولين أيضاً عن العجز الناتج عنها . فلم يكن المشرفون موجودين فى العصر البطلمى[1] ما لبثت هذه الوظيفة الجديدة – كعادة الرومان – أن نجحت ، فمدوا اختصاصاتها إلى ضرائب أخرى متعددة كما سنرى .

والتسمية " مشرف ἐπιτηρητής " وجمعها " المشرفون ἐπιτηρηταί " أتت من الفعل اليونانى ἐπιτηρ - έω ، الذى يعنى "أن يراقب" أو "أن يشرف" [2].

أقدم ظهور لهذه الوظيفة حتى الآن هو عام ٨٨م ، وهو تاريخ الوثيقة PO. I. 174 ، وآخر تاريخ لظهورها – حتى الآن أيضاً – هو عام ٣٠١م ، تاريخ الوثيقة P. Antinoopolis 38 ، حيث عُرف مشرفوها باسم "مشر(ف أو فون) مدينة انتينوبولس العظيمة ἐπιτηρτ... Ἀντινοου Πόλεως τῆς λαμπροτης . وهى وظيفة إلزامية دون أجر [3].

ولدينا وثائق كثيرة لهذه الوظيفة أتتنا من عدة أقاليم فى مصر ، أتت من أنتينوبولس Antinoopolis [4]، ومن إقليم أرسينوى (الفيوم) من أماكن متفرقة به [5]؛ ومن إقليم أتريب Athribit Nome [6]؛ ومن إقليم بوزيرس Busirite nome [7]؛ ومن هيراكليوبولس

Herakleopolis [٨]؛ ومن هرموبوليس ماجنا Hermopolis Magna [٩]؛ ومن إقليم ليكوبولس Lycopolite nome [١٠]؛ ومن إقليم منديس Mendesian nome [١١]؛ ومن إقليم بروسبيت Prosopite nome [١٢]؛ ومن إقليم أوكسيرينيخوس [١٣]؛ ومن أسوان وفيلة [١٤]؛ ومن طيبة[١٥]؛ وأخيراً يوجد عدد كبير من الوثائق لم يظهر فيها المكان [١٦].

في أقدم إيصالات أرسينوى نجد شخصاً واحداً يشرف على ضريبة واحدة [١٧] 7. ἐπιτηρητὴς ὠνῆς ναύλου . وفى وثيقة أخرى من نفس الإقليم نجد اثنين من الأشخاص يشرفان على صناعة الطوب فى الإقليم كله [١٨]. وقد زاد عددهم بالتدريج ، عن طريق الممارسة الفعلية واحتياج العمل وخاصة أن الرومان لا يجدون فى ذلك تكلفة على الدولة ، حتى إنهم فى طيبة أحد عشر مشرفاً . L.5. τῶν ια ἐπιτηρη [τῶν [١٩] وكذلك نجد عددهم قد بلغ تسعة فى أرسينوى "إلى إزيون والمشرفون الآخرون التسعة لتأجير احتكار الصباغة" Ἰσιωνει καὶ τοῖς λοιποῖς ἐπιτηρηταῖ(ς) Θ μισθοῦ βαφικης. [٢٠]. وفى ذكر "وجماعته" لا نستطيع تحديد عددهم سواء بالنسبة للضريبة ، أو القرية ، أو الإقليم . فنجد أن أغلبية وثائق إقليم أرسينوى تذكر اسماً واحداً وجماعته καὶ μετοχοὶ من المشرفين ، ففى إحداها يقول ليساس بن ميثاريون بن ليساس النساج قد دفع إلى سابينوس المسمى أيضاً نينوس وجماعته المشرفين على عقود الضرائب المتضمنة كهنة تبتونيس والقرى المحيطة [٢١].

LL-2-5

Διέγρ(αψε) δι(ὰ)

3 Σαβείνου τα(ῦ) καὶ Νίννου καὶ μετόχ(ων) ἐπιτη(ρητῶν) ἱερα(τικῶν)

4 ὠνῶν Τεπτ(ύνεως) καὶ το(ν) συνκυρα(ουσῶν) κωμῶν Λυσᾶς μυσθαρί(ωνος)

5 Τοῦ Λυσᾶ γερδιοραβ(δισ)τὴς

ثم ذكر بعد ذلك اسم الضريبة والقيمة المدفوعة (LL. 5 – 7). وتكرر ذلك فى عدد من الوثائق [٢٢]؛ وقد أتى الاسم "والمشرفون" مباشرة هكذا [٢٣] Ἀσκλᾶς καὶ ἐπιτηρηταὶ

وفي أسوان وفيلة نجدهم جماعة متحدة واحدة ، تولت تحصيل الضرائب المنوطة بهم لذلك نجدهم جميعاً يحملون لقب "المشرف أو المشرفون لبوابة أسوان المقدسة" فنجد أن وثيقة تذكرة واحدا[٢٤].

1 - [. . . .] η ἐπιτηρητὴς ἱερας πύλης Σοή(νης)

وكان له مساعد يسمى βοηθος في هذه الوثيقة سيرنيوس :

2. διὰ Σερή(νου) βοηθοῦ

وقد كانا مُشْـرفين [٢٥].

1. πλάντας καὶ πανίσκης ἐπιτηρηταὶ

ιἑρ(ας) πύλης Σοή(νης)

وفي عدد من الوثائق يُذكر اسم واحد وجماعته ولهم مساعد [٢٦].

1. Ἀντίοχος κασσιανός καὶ οἱ σύν αὐτῳ

ἐπιτηρητ(αὶ) ἱέρας πύλ(ης) Σοηνη(ς) δια

Φανώφ(εως) βοηθ(οῦ)

وقد يذكر منهم ثلاثة أسماء مع إضافة : وجماعتهم المشرفين ولهم مساعد [٢٧].

1. Ἀντίοχος κασσιανὸς καὶ Ἄρριο(ς) πουλιανό(ς)
2. καὶ Ἰούλιο(ς) Μάξιμος καὶ οἱ συν αὐτοῖ(ς) ἐπιτηρηταὶ ἱερας
3. πύλης Σοήνης διὰ Φανώφεως βοηθο(ῦ).

وفي معظم الوثائق يتولى الشخص الوظيفة هذه لمدة عام ، وفي القليل منها تستمر ثلاثـة أعوام [١٨]، وقد يتجدد لهم ثانية [٢٩] وفي وثيقة (P.Fay CVI) نجد أن مشرفاً في الفيوم يسـمى ماركوس فاليريوس جيمللوس Marcus Valerius Gemellus ، عمل مشرفاً على الإقطاعيـات المصادرة بالقرب من قرى باكخياس وهيفايستا في قسم هيراكليديس من إقليم أرسينوى ، يطلـب إعفاءه من هذا العمل بعد أن عمل فيه أربع سنوات ، حيث أصبح ضعيفاً جـداً ، ويسـتعطفه أن

يحميه بعطفه عليه ، ويأمره أن يتحرر من الواجبات وعندئذ يستطيع أن يتحرر من مسئوليات أعماله . . . بأن يعفيه من الأعباء الإلزامية وخاصة أنه يعمل طبيباً ، وخاصة لهؤلاء الذين اجتازوا الاجتياز مثله، وعندئذ أمارس رحمتك :-

παρὰ τὰ ἀπηγορευμένα ἀχθ[εὶς εἰς ἐπι-
τήρσιν γε[ν]ημα[τ] ογραφουμ[ένων
ὑπαρχόντ[ων πε]ρὶ κώμα[ς βακχ(ιάδα)
καὶ Ἡφαιστιαδα τῆς Ἡρακλ[είδου
μερίδος τοῦ Ἀρσινοίτου τ[ετραε-
τεῖ ἤδη χρόνωι ἐν τῇ χρ[είαι
πονούμενος ἐξησθένησα [. . .
κύριε, ὅθεν ἀξιῶ σαὶ τὸν σω[τῆρα
ἐλεῆσαί με καὶ κελεῦσαι ἤ[δη με
ἀπολυθῆναι τῆς χρείας ὅπ[ως δυ-
νηθῶ ἐμαυτὸν ἀνακτήσ[σθαι ἀ-
πὸ τῶν κο μάτων οὐδεν [. . .
τον καὶ ὁμοιωμ[. . .] ὑποταξα[ι ὅπως
τέλεον ἀπολύονται τῶν λειτουρ-
γιῶν οἱ τὴν ἰετρικὴν ἐπιστή[μην
μεταχειριζόμενοι μάλ[ι]στα [δὲ οἱ δε-
δοκιμασμένοι ὥσπερ κἀγ[ώ . Ἵν'(٣٠)
ὦ εὐεργετημένος .

والوثائق الواردة من أماكن أخرى - غير أسوان وفيلة - كان من النادر أن يظهر فيها "مساعد لهم" (٣١) بينما كان من النادر أن نجد وثيقة من أسوان وفيلة لا يذكر فيها مساعد لهم يسمى βοηθοί (٣٢)، وهى تسمية شائعة ، من النادر استبدالها إلى ἀπαιτητής (٣٣).

ومنتناول الآن المجالات التى مارسوا فيها عملاً ، وهى وإن كانت فى المجال المالى إلا أنها متنوعة . وأول هذه الأعمال هو منح تراخيص استغلال بعض الاحتكارات ، فقد أرسل(٣٤) "سانسيوس بن أورسيوس من قرية نارموثيس فى قسم بولمبو" بالفيوم .

4. παρὰ Σανεσνέως τοῦ Ὀρσευτος τῶν ἀπὸ κώ-

5. μης Ναρμούθεως Πολέμωνος μερίδος

إلى "فيلو وسابينوس المشرفين على الطوب بالإقليم"

2. Φίλωνι καὶ Σαβείνωι ἐπιτηρηταῖς πλίνθου νομοῦ

عارضاً "لو أنى تلقيت تصريحا للعام الحالى ، الخامس عشر من حكم الإمبراطور قيصر نرفا تراجانوس أغسطس جرمانيكوس داكايكوس ، لصناعة وبيع الطوب ، مع حق إعطائه للأخرين ، فى قرية كيركثوإيريس فى نفس القسم مع مبانى مزرعتها ومسطحاتها"

6. ἐπιχωρηθείσης μοι πρὸς μονοῦ το
ενεστὸς πεντε καὶ δεκατον ἔτος
Αὐτοκράτορους καῖσαρος Νερούα Τραιανοῦ
Σεβαστοῦ Γερμανικοῦ Δακικοῦ τῆς πλιν-
10. θοποίας καὶ πλινθοπωλικῆς
καὶ ἑτέροις ἐπιχωρηθεὶς διδόναι
κώμης Κερκεϑοήρεως τῆς

αὐτῆς μερίδος καὶ τῶν ταύτης ἐποι-

κίων καὶ πεδίων.

على أساس "أن أتعهد دفع ثمانين دراخمة فضية إيجـــاراً ، والمبـــالغ الإضافيـــة $\frac{١}{١٠٠}$ ، وتكاليف المزاد العام ، وسأدفع هذا المبلغ على أقساط شـــهرية مـــن شـــهر سباســتوس حتــى كايساريوس " .

ὑφίσταμαι τε-

15. *λέσειν φόρον ἀργυρίου δραχμὰς*

Ὀγδοήκοντα καὶ τῶν τούτων προσ-

διαγραφομένων καὶ ἑκατοστῶν καὶ

κηρυκικῶν, ὧν καὶ τὴν ἀπόδοσιν

ποιήσομαι κατὰ μῆνα ἀπὸ μηνὸς

Σεβαστοῦ ἕως καισαρειιου ἐξ ἴσου

وذلك في حالة "لو كنت موافقـاً 21. *ἐὰν / φαίνηται ἐπεχωρῆσαι* " ثـم كتـب "سانيسينوس ، عمره ستون (عاماً) ، له ندبة على الركبة اليسرى"

22. *Σανεσνεὺς (ἐτῶν) ξ ο(ὐλὴ) γόνατι ἀριστ(ερῷ)*

وقد كتب له هذا الطلب "أناكاستوس كاتب الإقليم ، قمت بهذا العمــل لأن سانيســينوس لا يستطيع الكتابة" .

23 – 24, *καστωρ νομογράφος εἰκόνικα*

φαμένου μὴ εἰδέναι γραμματα.

وفي وثيقة أخرى [٣٥] نجد شخصاً يسمى "أونسوس بن أميرمنوس بن ألكيموس من حـي الجمنازيوم" .

3. *παρὰ Ὀνησίμου Ἀμερίμνου*

4. *τοῦ Ἀλκίμου ἀ[π]ὸ ἀμφό[δ]ου*

5. *Γυμνασαι.*

يوجه طلباً إلى "هيرونينوس وخايرياس والمشرفين الآخرين لضريبة الخنزير"

1. *[Ἡ]ρωνίνῳ καὶ Χαιρέα καὶ τοῖς*

2. *λοιπ(οῖς) ἐπιτ(ηρηταῖς) ὑικῆς*

يبين فيه "أنى أرغب فى أن تمنحونى حق بيع وحفظ اللحم فى الخل فى قريتـــى ثيادلفيـا وأرجياس للعام الحالى الرابع والعشرين . . ."

Βούλομαι ἐπιχω-

6. *ρηθῆναι παρ' ὑμῶν κρεο-*

πολικὴν καὶ ταριχηρὰν κώμης

Θεαδελφείας καὶ Αργειάδος πρὸς

τὸ ἐνεστὸς κδ (ἔτος)

وذلك "على شرط أن أدفع ستمائة دراخمة فضية كإيجار للعام ،ويكون دفعها على أقســاط شهرية متساوية"

θυειν ἐπὶ τῷ

10. *τελέσαι ὑπὲρ φόρου τοῦ ἔτους*

ἀργ(υρίου) (δραχμὰς) ἑξακοσίας ὧν καὶ τὴν

ἀπόδοσιν ποιήσομαι κατὰ μῆνα

τὸ αἱροῦν ἐξ ἴσου.

"وأن يسمح لى أن اؤجر من الباطن إلى جزار آخر بصرف النظر عن دفع إيجـــاراً(؟) ،

وسيكون معى رجل صغير ، لو أن ذلك مقبولاً لتمنحوا لى ترخيصاً"

Οὐκ ἐξέσται δὲ

15. *μοι ἑτέρῳ μαγείρῳ σὺν ἐμοὶ*

[χ]ωρὶς φόρου νεανίσκον ἕνα

[ἐ]ὰν φαίνηται ἐπιχω(ρῆσαι).

(الخط الثانى) "أنا هيرونينوس تسلمت نسخة من هذا الطلب"

(2nd. Hand.) *Ἡρωνῖνος*

6. *[ἔσ]χον τούτ<ου> τὸ ἴσον.*

(الخط الثالث) "أنا ديديموس ، نائب ذويلوس ، تسلمت نسخة من هذا الطلب"

(3rd Hand.) *Δίδυμος*

[δι]ὰ Ζωίλου ἔσχον τούτου

20. *[τ]ὸ ἴσον.*

أما العمل الثانى الذى قام به المشرفون فهو الإشراف على بيع السلع المصادرة لسبب ما عليها من ديون أو لأسباب أخرى . لدينا وثيقة (٣٦) تحوى تقريراً عن بيع مواد متنوعة كانت فى مستودع لشخص يسمى شاريس Chares .

Κζ πατοπ(ωλίου) Χάρη(ος)

προσάνγελμα παντοπωλ(ίου) λα . [. .

Χάρητος

وهذا التقرير موجه إلى "أمونيون وهيفاستاس وليكاريون ، المشرفين فى العام السادس للإمبراطور أنطونينوس قيصر السيد ايبفى ..

Ἀμμωνίωνι καὶ Ἡφαιστᾶι

καὶ Λυκαρίωνι ἐπιτηρητ(αῖς) (ἔτους) ς

5. Ἀντωνείνου καίσαρος τοῦ κυρίου Ἐπε[ί]φ [. .

ثم تلى بعد ذلك أسماء السلع المتنوعة وأوزانها والقيمة التى بيعت به كل سلعة ، وكذا أسماء الذين اشتروها ثم جمع المال ، وكانت جملته "أربعاً وثلاثون دراخمة وأوبل واحدة ، ودُفع هذا المبلغ إلى أمّونيون وهفايستوس وليكاريون ، المشرفين".

23. / (δραχμαὶ λδ (ὀβολός ?)

24. αἳ καὶ μετεβλήθ(ησαν) Ἀμμωνιώνι καὶ Ἡφαιστ(ᾶ) καὶ Λυκαρίω(νι) ἐπιτηρηταῖς.

ولقد وقع على هذا التقرير الشخص الذى تولى البيع "وقّعت أنا ، كلوديوس ديونسيوس"

25. Κλαύδ(ιος) Διονύσιος σεση(μείωμαι)

وثالث أعمالهم هو الإشراف على أنواع من العقود . وفى مقدمة هذه العقود عقود الدين التى تتم عن طريق البنك . ففى إحدى الوثائق المؤرخة فى عام ١٥٤م. [٣٧] يقول آخذ القرض "أقر أنى أخذت منك عن طريق بنك هيراكس وهيئة المشرفين فى سرابيوم فى مدينة أوكسيرينخوس تحت إشراف مارتياس ، الذى قدم (للبنك) ستمائة دراخمة فضية من العملة الإمبراطورية ، الإجمالى ستمائة دراخمة".

ll. 6 – 11; Ὁμολογῶ ἔχειν

παρὰ σοῦ διὰ τῆς ἐπὶ τοῦ πρὸς Ὀξυρύγχων πόλει ςαραπείου Ἱέρακος καὶ τῶν σὺν αὐτῷ ἐπιτηρητῶν τραπέζης ἐπακολ[ο]υ θοῦντος Μαρτιάλλις ὑπόσχεσιν δεδωκότος ἀργυρίο[υ

σεβαστοῦ νομίσματος δραχμὰς ἑξακοσίας γείνονται ἀργυρίου δραχμαὶ ἑξακόσιαι κεφαλαλίου.

وتلى ذلك تفاصيل العقد .

وفى الوثيقة التالية المؤرخة فى عام ١٦٢م. (٣٨) نجد أن المستدين يقول : "أعترف أننى تلقيت منك . . . خلال بنك سيرابيوم فى أوكسيرينيخوس لفانياس ، الكاهن الرئيسى السابق ، وبطلميوس ، المشرفان المتزاملان مع أوداسيوس بولينوس ، المبلغ الأساسى ستمائة دراخمة فضية . . ."

ll. 6 – 13 *Ὁμ[ολογῶ ἀπέχειν παρὰ σοῦ ἀποδιδ[ό]ντος ἑκυ-σίως πρὸ προθεσμί[α]ς διὰ τῆς ἐπὶ τοῦ πρὸς Ὀξυρύγχων πόλει Σαραπείου Φανίο[υ ἀρχιερατεύσαντος καὶ Πτολεμαίου τῶν σὺν Αὐδασίῳ Παυλείνῳ ἐπιτηρ[η-τῶν τραπέζης ἀργυρίου δραχμὰς ἑξ[α-κοσίας κεφαλαίου . . . . .*

وأشرفوا كذلك على عقود الزواج ففى الوثيقة SB. 9372 المؤرخة فى القرن الثانى الميلادى ، وهى تحوى بقايا عقد زواج ، حيث جرى تحت إشراف نفس الموظفين المذكورين فى الوثيقتين السابقتين

-ἐ Ὁμολογ [γῶ κατὰ προσφώνησιν Διονυσίου κα... ..ι[ος] δι' ἐπιτηρτῶν τῆς περὶ τοῦ πρὸς Ὀξυρύγχω

[πόλει] Σαραπίου τραπέζης

وجرى بعد ذلك تفاصيل العقد .

رابعاً : وكان لهم دور فى الإشراف على دور السجلات والوثائق ؛ فقد تولــوا الإشــراف على دار وثائق هادريان فى أنتينوبولـــس [٣٩]. 8/9, ὑπὸ τοῦ Ἀδριανῆς βιβλιοθήκης ἐπιτηρτοῦ

خامساً : أما الدور البارز لهم فكان فى مجال الضرائب ، وقاموا فى هذا المجــال – إلــى جانب الإشراف – بتحصيل الكثير منها . وسأستعــرض هذه الضرائب مرتبـــة ترتيبــاً أبجديــاً يُونانياً :

(١) ἐπιτηρηταὶ ἀγορανομειου

ἐπιτηρηταὶ τελους ἀγορανομ(ίας)

وجد هـــؤلاء المشرفـــون فى عدد من الوثائق الواردة من ثينيتيـــس Thinites [٤٠]، ومن أوكســيرينيخوس [٤١]، ومن هيراكليديس [٤٢]، وأرســـينوى [٤٣] . وأقدم ظهور لهم عــام ٩١ / ٩٢م. فــى أوكســيرينيخوس [٤٤]، حيــث نجـد أن "ســـــرابيون المعيـــن مشـــرفاً ' 1 - 2 Σαραπίων Ὀκα(τα) ϑεστάμενος ἐπιτηρητης '، أصدر أمــراً " إلـــى الأجورانوموس 2/3 τῷ ἀγορανόμῳ " بتسجيل بيع عبد [٤٥]. ووجدوا فى وثيقة يشرفون على عقود التزام السوق (الأجورا) [٤٦]، والاشراف على بيع أمتين [٤٧]. وفى إقليم هيراكليديس قــاموا بالاشراف على نقل الملكية ، وفرض الضرائب عليها ، وكذلك تــأجير امتيــازات معينـــة فـــى السـوق [٤٨]. وقاموا فى إيصـــال – غير معلـــوم المكـــان –بتحصيـل قيمـــة ضريبـــة نقــل الصيــادين [٤٩].

1 Δέκος καὶ μ(έτοχοι) ἐπτιηρητ(αὶ) τέλους ἀγορανομίας

παρὰ σοῦ ὑπὲρ τέλος μεταβολ(ῶν) ἁλιέων

δραχ(μὰς) τέσσαρες . (γίν) (δρ.) δ. (ἔτους)

κγ Ἀντωνίνου

καίσαρος τοῦ κυρίου παχὼν ις .

ἄλλας δραχ(μὰς) δύο. (γίν) (δε). Δίκος σεσημ(είωμαι)

(٢) *ἐπιτηρηταὶ ἁλιευτικων <?> καὶ δρυμοῦ Θεαδελφείας καὶ Πολυδεοκείας*

المشرفون على ضريبة الصيادين وعلى الأحراش فى ثيادلفيا وبولوديوكياس [٥٠].

(٣) *ἐπιτηρηται βαλανείου*

المشرفون على الحمامات [٥١].

وكان للحمامات ضريبة تعرف باسم *βαλανευτικόν* ، منذ العصر البطلمى ؛ وكانت تجمع بالرأس ؛ ولم يكن لها فى العصر الرومانى نفس الأهمية التى كانت لها فى العصر البطلمى . وكان الهدف منها تشغيل وصيانة الحمامات . وقد تولى تحصيلها فى طيبة البراكتوريس *πράκτωρ* مع ضريبة الرأس *λαογραφία* [٥٢].

ويرتبط بهذه الضريبة جماعة أخرى من المشرفين ظهروا فى طيبة وهم :

ا – المشرفون على ضريبة شونة المعبد [٥٣].

ἐπιτηρηταὶ τέλους θησαυροῦ ἱερῶν

ب - المشرفون على شونة المعبد (٥٤).

ἐπιτηρηταὶ θησαυροῦ ἱερῶν

وكان ذلك منذ عام ٨٨ / ٨٩ م (الثامن من حكم دومتيان) . وهـم شـاركوا الملـتزمين *τελῶναι* ، الذين تولوا تحصيلها منذ العام الأول للإمبراطور جالبا ٦٨ م (٥٥).

(٤) *ἐπιτηρητης βασιλίου στατίωα*

المشرف على المحطة الملكية (٥٦).

وقد وجد هذا المشرف وهذه المحطة فى إقليم بوزيريس ، وقد حصلوا الضريبة الخاصـة بذلك :

23. *Δημητριανοῦ ἱππέως τῷ εἰς τὴν β[α]σιλίου στατιωνα ἐπιτηρητῇ* (٥٧)

(٥) *ἐπιτηρηταὶ γερδιακόν*

ἐπιτηρηταὶ τέλους γερδιων

المشرفون على ضريبة النساجين (٥٨)

فرضت ضريبة على النساجين ، كانت ذات قيم مختلفة ، وقد اختلف الدارسون حول فئات هذه الضريبة ، وإن كنت أرى أن قيمة الضريبة تختلف باختلاف ما ينسجه النسـاج مـن حيـث النوع والكم ، وتبعاً لما عنده من أنوال ونوع النسيج (٥٩).

وتولى هؤلاء المشرفون تحصيل الضريبة على النساجين ، وكتابة الإيصالات لهم ، مثلمـا ظهر من الإيصالات المذكورة فى هامش ٥٨ بالصفحة السابقة ؛ ومثال ذلك هذا الإيصال الكامل:

O. Ont. Mus. 144 (A D. 193)

Πρεμαῶ καὶ

Μέτοχοι ἐπιτ(ηρηταὶ)

[τέλ(ους)] γερδ(ίων) Πε-
4 [τ]εμενώφει Φθου-
μίνι(ος) ἔσχ(ομεν) παρὰ σοῦ
ὑπερ μην(ὸς) Θὼθ {τὸ κ}
τὸ καθῆκον τέλ(ος).
8 (ἔτους) β" Θὼθ α

(٦) ἐπιτηρηταί γραφείου μητροπόλεως
المشرفون على مكتب الكتابة للعاصمة (عاصمة الإقليم أرسينوى) [٦٠].

تولى هذا المكتب إعداد الوثائق العامة والخاصة للمواطنين الذين يطلبون إنجازها لهم ، وذلك فى مقابل أتعاب يدفعها صاحب الوثيقة ، ولا شك أن الأتعاب تختلف باختلاف طبيعة الوثيقة وحجمها [٦١].

(٧) ἐπιτηρηταί γενή(ματος) Γαΐου Δομιττιόν κλερος
المشرفون على إنتاج إقطاعية جايوس دوميتوس [٦٢].

ἐπιτηρητης γενή(ματος) κτησεως μοσχιανῆς
المشرف على إنتاج إقطاعية موسخيانوس [٦٣].

ἐπιτηρηταί γενματογραφουμένων ὑπαρχόντων
المشرفون على الملكيات المصادرة [٦٤]. وقد يعرفون أيضاً باسم "المشرفون على الملكيات المصادرة لعاصمة الإقليم" .

ἐπιτηρηταί κτημάτων γενη(ματογραφη θέντων μητρηπ(όλεως)
وعرفوا أيضاً بـ "المشرف على الإنتاج" [٦٥].

ἐπιτηρητης γενήματος

وأخيراً "المشرف على إنتاج الملكيات" [٦٦].

ἐπιτηρητης γενημάτων ὑπαρχ(οντων)

ولا شك أن إخضاع الإقطاعيات والملكيات للإشراف الرسمى ناتج عن المصادرة بسبب تراكم الديون عليها [٦٧].

(٨) ἐπιτηρηταὶ δρομοῦ κώμης Θεάδελφειας

المشرفون على أحراش قرية ثيادلفيا [٦٨].

(٩) ἐπιτηρητὴς ἐγκυκλίου

المشرف على ضريبة البيع [٦٩].

وهى ضريبة من أيام البطالمة ، تفرض على بيوع الملكية الحقيقية ، وكانت قيمتها بنسبة ١٠% [٧٠].

(١٠) ἐπιτηρηταὶ ἐλαικ[ο]ῦ ἀπο κωμης καρανίδος

" المشرفون على ضريبة الزيت بقرية كارانس [٧١].

ويعرفون أيضاً باسم "المشرفـ(ين) على ضريبة الزيت والأعباء الأخرى"

ἐπιτηρητὴ . . . ἐλαικης καὶ ἄλλωνπροσοδων [٧٢].

و "المشرفون على ضريبة الزيت والدهنيات الأخرى "

ἐπιτηρηταὶ ἐλαικοῦ καὶ ἄλλων πιασμάτων [٧٣]

(١١) ἐπιτηρητης ἐξαγωγῆς

المشرف على الصادرات .

كانت تفرض ضريبة بمقدار خمس دراخمات شهرياً للتصريح بالتصدير [٧٤].

وقد يرتبط بذلك "مشرف بوابة الخروج والدخول"

ἐπιτηρητης Εξπύλη καὶ ἐξανοδέμου [٧٥].

(١٢) ἐπιτηρητὴς τῶν ἐπιστολῶν [٧٦]

" المشرفون على الرسائل"

وهم الذين يقومون بإنجاز الوثائق الرسمية فى مقابل أتعاب لإرسالها إلى الإسكندرية [٧٧].

(١٣) ἐπιτηρηταὶ ἐριοκαρτῶν καὶ γναφαλλολογων

"المشرفون على قص الصوف وجمع الجزات" .

وكذلك نجد "المشرفون على ملتزمى ضريبة تجار الصوف" [٧٨].

(١٤) ἐπιτηρηταὶ ἡγεμονικῶν ἐπιστυλω καὶ ἄλλων[٧٩]

"المشرف على خطابات الوالى والأمور الأخرى"

(١٥) ἐπιτηρηταὶ ἡγεμονικῶν πολοίων καὶ ἄλλων[٨٠]

"المشرف على قوارب الوالى والأشياء الأخرى"

(١٦) ἐπιτηρητὴς ἡπηκτικου[٨١]

"المشرف على الترميم أو إصلاح الأحذية" .

(١٧) ἐπιτηρητὴς θήρας ἰχθύας ὑδάτων αἰγιαλοῦ[٨٢]

"المشرف على الصيد فى شواطئ المياه"

كانت هذه الضريبة فى قسم بوليمون بأرسينوى . وكان يتولاها قبلاً الملتزمون μισθωταί ، وهى ضريبة تحصل على الصيد من على الشاطئ [٨٣].

(١٨) *ἐπιτηρητὴς θυιῶν καὶ τελωνικῆς ἀτελείας*[٨٤]

"المشرف على شجرة سيدار Cedar وضريبة الإعفاءات"

وضريبة الإعفاءات *τελωνικῆς ἀτελείας* ضريبة نادرة وكانت عينية [٨٥].

(١٩) *ἐπιτηρηταὶ ἱερατικῶν ὠνῶν*[٨٦]

"المشرفون على عقود الضرائب بما فيها الكهنة (من تبتونيس) "

وقد تولى هؤلاء المشرفون جباية الضرائب التى على التجـــارة [٨٧]. وكذلـك تحصيـل "الضريبة العامة" *δημοσία* [٨٨].

(٢٠) *ἐπιτηρηταὶ Ἱρας πύλης Σοήνης*

"المشرفون على بوابة أسوان المقدسة "

قام هؤلاء المشرفون بتحصيل ضرائب متعددة ، مع تحرير إيصالاتها ، وذلك بـدلاً عـن الملتزمين والبراكتوريز ، سواء كانت ضرائب مباشرة أو غير مباشـرة [٨٩]. ومـن بيـن هـذه الضرائب التى قاموا بتحصيلها وتحرير إيصالات لها ضريبـــة الباروسيا *παρουσία* [٩٠]، واللاأوجرافيا *λαογραφία* [٩١]، والبنتاكوس *πεντηκοστη* [٩٢]. هذا إلى جـــانب إشـرافهم على الممتلكات المصادرة *γενηματογραφουμένων ὑπαρχόντα* [٩٣].

(٢١) *ἐπιτηρηταὶ ἰχθυηρᾶς δρυμῶν*

المشرفون على الصيد فى الأحراش

ἐπιτηρηταὶ τέλους ἰχθυηρᾶς δρυμῶν

المشرفون على ضريبة الصيد فى الأحراش

ἐπιτηρηταὶ ἰχθυηρᾶς δρυμῶν καὶ θηρινῶν[٩٤]

المشرفون على الصيد فى الأحراش والبر .

كان هؤلاء المشرفون يتولون الإشراف على الصيد في الأحراش وفي البر ، وهي ملك للدولة . كان ذلك في الفيوم عامة وفي قريتي تبتونيس وكيركسيس بقسم بوليمون [٩٥].

(٢٢) *ἐπιτηρητὴς κατακομιδης καὶ ποραπoομῆς βιβλίων ὑπερ καταπομιτης μηνιαίου ?* [٩٦]

"المشرف على إحضار الورق شهرياً تبعاً للإجراءات"

(٢٣) *ἐπιτηρητὴς καταλοχισμῶν* [٩٧]

"المشرف على ضريبة تحويل ملكية الأراضي الكاتيوكية "

ويتم هذا التحويل عن طريق الإرث أو التخلي ، وكان محصلو هذه الضريبة يعرفون باسم *δημοσιῶναι τέλους καταλοχισμῶν καὶ ἄλλων νόμων* [٩٨].

(٢٤) *ἐπιτηρητὴς καταφράκτων* [٩٩]

" المشرف على الزينة "

(٢٥) *ἐπιτηρηταὶ καταχωριξέτωσαν* [١٠٠]

" المشرفون على تنظيم الوثائق "

(٢٦) *ἐπιτηρηταὶ καθηκοντα* [١٠١]

"المشرفون على ضريبة كاسيكونتا "

وهي ضريبة تدفع بمقدار ثابت على أراضي المعابد وأراضي الجند [١٠٢].

(٢٧) *ἐπιτηρηταὶ κοματορίας καὶ φορου κηρυκίας* [١٠٣]

" المشرف على المزاد العلني وتكاليفه"

(٢٨) *ἐπιτηρηταὶ κοπῆς τριχιός καὶ χειρωναξίου* [١٠٤]

" المشرفون على ضرائب قص الشعر والتجارة "

وقد حصّــلوا ضريبة الديموسيا *δημοσία* على التجار [١٠٥].

(٢٩) *ἐπιτηρηταὶ κριθης τῆς παραχῆς* [١٠٦]

"المشرفون على إمدادات الشعير"

(٣٠) *ἐπιτηρηταὶ κτημάτων γενηματογραφουμένων μητροπολεως* [١٠٧]

" المشرفون على إنتاج مزرعة عاصمة الإقليم "

وتولوا تحصيل متأخرات النبيذ للدولة

- *ὑπὲρ ὧν ὀφειλετε δημοσιον οἴνου κολοφωνία*

وقاموا أيضاً بتقييم الثمر عند الحصاد :

- *ὑπὲρ τιμῆς φοινίκων γενήματος*

(٣١) *ἐπιτηρητὴς (αἰ) τοῦ μνημονείου* [١٠٨]

المشرف (المشرفون) على (التقارير) الشهرية .

(٣٢) *ἐπιτηρηταὶ μισθου βαφίκης* [١٠٩]

" المشرفون على احتكار التصبيغ (أعمال الصباغة) "

(٣٣) *ἐπιτηρητὴς τοῦ Ναναίου* [١١٠]

" المشرف على دار وثائق نانيوم Nannaeum"

(٣٤) *ἐπιτηρηταὶ νομῶν* [١١١]

" المشرفون على الإقليم "

(٣٥) *ἐπιτηρηταὶ νομῶν αἰγιαλοῦ* [١١٢]

" المشرفون على المراعى الساحلية "

(٣٦) *ἐπιτηρηταὶ νομαρχιας*

" مشرفو النومارخية "

حيث كانت الأحياء الجمركية يشرف عليها النومارخ [١١٣].

(٣٧) *ἐπιτηρηταὶ νομῶν καὶ δρυμοῦ Θεαδελφείας καὶ πολυδευκείας*[١١٤]

المشرفون على المراعى والأحراش فى قريتى ثيادلفيا وبولوديوكيا .

وقد تولوا الإشراف وتأجير مراعى الدولة فى الأحراش والشواطئ والسهول [١١٥]، لذلك حصلوا ضريبة الصيادين فى قريتى ثيادلفيا وبولوديوكيا معاً أو ثيادلفيا وحدها [١١٦]. ويرتبط بهم المشرفون على مراعى فيلوتريا : *ἐπιτηρηταὶ νομῶν φιλοτερίδος* [١١٧].

(٣٨) *ἐπιτηρηταὶ ξενικὴ πρακτορία* [١١٨]

" المشرفون على جميع الدين من الأجانب "

(٣٩) *ἐπιτηρητὴς οὐσιακῶν ἐδαφων* [١١٩]

"المشرف على الإقطاعيات السهلية (المستوية) .

(٤٠) *ἐπιτηρηταὶ οὐσιακῶν μισθώσεως* [١٢٠]

"المشرفون على إنتاج الإقطاعيات "

(٤١) *ἐπιτηρηταὶ οὐσιακῶν κτηματῶν μισθώσεως* [١٢١]

"المشرفون على إنتاج ملكيات الإقطاعيات "

(٤٢) *ἐπιτηρηταὶ οὐσιακοὶ (οὐσιακῶν)* [١٢٢]

"المشرفون على إقطاعية الدولة "

(٤٣) *ἐπιτηρηταὶ πεντηκοστης λιμένος Σοήνης* [١٢٣]

"المشرفون على تحصيل ضريبة ميناء أسوان ٢% " [١٢٤].

(٤٤) ἐπιτηρηταὶ πλίνθου νομου [١٢٥]

"المشرفون على ضريبة صانعى الطوب فى الإقليم"

(٤٥) ἐπιτηρηταὶ προθμείου ἁλιευτικῶν πλοίων [١٢٦]

"المشرفون على ضريبة النقل بالقوارب"

(٤٦) ἐπιτηρηταὶ τῶν προσόδων κατέστησεν [١٢٧]

"المشرفون على ضريبة تخزين الإيراد"

(٤٧) ἐπιτηρηταὶ πύχης βαχιάδος ὑπο πιπτούσης [١٢٨]

"المشرفون على محطة الرسوم الجمركية فى باكخياس"

(٤٨) ἐπιτηρητὴς συναλλιαγματων [١٢٩]

"المشرفون على (ضريبة) تسجيل العقود"

(٤٩) ἐπιτηρητὴς στεφανικῶν [١٣٠]

"المشرف على ضريبة التاج"

وضريبة التاج أصلها بطلمى ، ولكنها ازدادت أهمية فى العصر الرومانى وخاصة فى القرن الثانى الميلادى ، ولم يكن المشرف يتولى تحصيلها ، وإنما اقتصر دوره على الإشراف فقط ، حيث تولى جمعها البراكتوريس [١٣١]، وإن كانوا قد حصلوها فى هرموبولس ماجنا [١٣٢].

(٥٠) ἐπιτηρηταὶ στυπτηρία [١٣٣]

"المشرفون على احتكار الشبة"

(٥١) ἐπιτηρηταὶ τέλους ἐγκυκλίου [١٣٤]

"المشرفون على بيوع الملكيات"

وقد تولى تحصيلها المشرف ، وشاركه أحياناً البراكتوريز [١٣٥].

ارتبط بهذه الضريبة ، ضريبة أخرى هى ضريبة المزادات العامة التى أشرف عليها المشرفون :[١٣٦]

ἐπιτηρηταὶ τέλους ἐγκυκίου καὶ κομακτορες

وكذلك

ἐπιτηρηταὶ τέλους ἐγκυκίου ἀνδραπόδων καὶ πλοίων[١٣٧]

(٥٢) ἐπιτηρηταὶ τέλους (τέλος) ἐπιξένων[١٣٨]

"المشرفون على تحصيل الضريبة على الأغراب"

(٥٣) ἐπιτηρηταὶ τέλους ἑρμηνίας[١٣٩]

" المشرفون على ضريبة السمسرة "

(٥٤) ἐπιτηρηταὶ τέλους ἡπητῶν[١٤٠]

" المشرفون على ضريبة الخياطين "

(٥٥) ἐπιτηρηταὶ τέλους (ὠνῆς) πελωχικοῦ[١٤١]

" المشرفون على ضريبة تغليف الخبز "

(٥٦) ἐπιτηρηταὶ τιμαῆς οἴνου καὶ φοινίκων[١٤٢]

" المشرفون على أراضى الكرم والنخيل "

(٥٧) ἐπιτηρηταὶ τέλους χειρωναξίου[١٤٣]

" المشرفون على ضريبة الحرفيين "

(٥٨) ἐπιτηρηταὶ τῶν προσοδων[١٤٤]

" المشرفون على الدخل "

(٥٩) ἐπιτηρηταὶ τῆς ἐπὶ τοῦ προς Ὀξυρύγχων πολείον [١٤٥]
τραπεξης

" المشرفون على بنك سارابيوم القريب من مدينة أوكسيرينيخوس "

(٦٠) ἐπιτηρηταὶ τελωνικῶν [١٤٦]

" المشرفون على ضريبة الرسامين "

وفرضت هذه الضريبة على إنتاج الرسامين أو عند بيـــع لوحاتـــهم [١٤٧] وتوجـد كلمــة τελωνικῶν غير مكتملة فى إيصالين [١٤٨].

(٦١) ἐπιτηρηταὶ τραπέξης [١٤٩]

" المشرفون على ضريبة البنك "

(٦٢) επιτηρητια τεσσακοστης [١٥٠]

" المشرفون على ضريبة $\frac{١}{٢}$ ٢ % "

(٦٣) ἐπιτηρηταὶ τῶν δημοσίων [١٥١]

" المشرفون على ضريبة الديموسيا "

وهى ضريبة للدولة على التجار والمستأجرين ، وفى الديون ، وقد تستخدم أحياناً للإشـــارة إلى الضرائب التى على التجارة [١٥٢].

(٦٤) ἐπιτηρηταὶ ὑικῆς [١٥٣]

" المشرفون على ضريبة الخنزير "

(٦٥) ἐπιτηρηταὶ ὑπαρχόντων οἰκου πόλεως Ἀλεξανδρῶν [١٥٤]

" المشرفون على الملكية الخاصة لمدينة الإسكندرية "

(٦٦) *ἐπιτηρηταὶ ὠνῆς ναύλου* [١٥٥]

" المشرفون على ملتزمى ضريبة النــولون (أتعاب النقل) "

(٦٧) *ἐπιτηρηταὶ ὠνῆς* [١٥٦]

" المشرفون على بيع جزات الصوف "

كتب المشرفون تقريراً عما تم تحصيله كل فى مجاله المسؤول عنه وذلك كل خمسة أيام . ففى وثيقة [١٥٧] موجهة إلى حفظه السجلات العامة :

1. *βιβλιοφύλ(αξι) δη οσίων λόγ[ων]*

من المشرفين على ضريبة الصيد فى الشواطئ المائية فى قسم بوليمون (أرسينوى) للعــام السادس عشر من حكم الإمبراطور قيصر أنطونينوس السيد :

2. *Παρα . . .*

5. *ἐπιτηρτ(ῶν) θήρας ἰχθύα[ς]*

ὑδάτων αἰγιαλοῦ Πολ(έμωνος) μ[εριδος]

τοῦ ις (ἔτους) Ἀντωνίνου καίσα[ρος]

τοῦ κυρίου

يسجلون فيه أنهم "كتبوا تقريراً عن الإيصالات (أى ما تم تحصيله) من ٢٦ إلى ٣٠ مــن شهر . . ."

κατ[ε]χωρισ[α]-

μεν ὑμεῖν λόγ{ον τῶν ἀπὸ τῆς]

10. *κς ἕως λ τ[ου . . .]*

وعليهم أن يكتبوه بانتظام حتى وإن لم يحصلوا شيئاً . ففى وثيقة كتب [١٥٨] المشرفان إلى استراتيجوس قسم هيراكليديس : أنهما لم يطرأ تغييراً فى التحصيل من التزام ضريبة قصاصى الصوف وجامعى الجزى فى الفترة الممتدة من ١٦ إلى عشرين (شهر توت) عام ٢٢ من حكم ماركوس أوريليوس كومودوس أنطونينوس أغسطس .

2 *Ἀρπκρατίωνι στρα(τηγῷ) Ἀρσι(νοίτου)*

Ἡρακλείδου μερίδος

παρὰ Ἡρωνίνου καὶ Ζωίλου

5. *ἐπιτηρητῶν ἐρι<ο>κ(αρτῶν) καὶ γνα-*

φαλ(λολόγων) . δηλοῦμεν μηδὲ<ν> περι-

γεγ ο [νέ]ναι ἀπὸ τῆς προκιμέ-

νης ἐπιτηρ[ή]σεως ἀ[πὸ] μη[νὸς] Θὼθ τοῦ ἐν(εστῶτος)

κβ [ἔτους] ἀπό ις ἕως κ. Ἡρω-

νεῖνος ἐπιδέδωκα· (2nd. Hd.) *Ζωίλος*

ἐπιδ[έ]δωκα.

وكانت أعمالهم تخضع للإشراف والمراجعة المالية . فنجد أحد المشرفين [١٥٩] من عاصمة إقليم أوكسيرينخوس أخضعت ممتلكاته للمصادرة بسبب ما عليه من دين ، فكتب إلى الإستراتيجوس يشكو من ذلك على الرغم من أنه منذ ما تسلمه هو وزميله . حيث كان عليه متأخرات ٣ تالنت ١,٢٥٣ دراخمة والأعباء الإضافية مرسلة من الخزانة العامة Fiscus . ويقول أن البراكتور أمر بمصادرة ممتلكاته حتى يسدد الدين للخزانة :

11. *Φρον* / - *τισαι δέ τὸν π μου κατασχων ἄχρι οὗ*

δη διελυ[ή-]

12. σῳ τὰ ὀφειλόμενα τῷ ταμείῳ

ولا شك أن هؤلاء المشرفين كانوا يستغلون وظيفتهم فى زيادة الأعباء علـــى المموليـن . فنجد فى إحدى الوثائق محاولتين وغى لهما الممولون ، وقاوموها . وكان الصباغون والقصارون فى إقليم أرسينوى هم الملتمسون فى رفه الزيادة عنهم . ففى المحاولة الأولى (١٦٠).اجتمعوا عندما قرر المشرف ماكسيموس زيادة الأعباء الضريبية عليهم التى قررها الوالى ، الـــذى رفـــع إليــه التماسيهم ، فأعادهم إلى الحاكم الأعلى للإقليم (إيستراتيجوس) ، فأسند مراجع حســـابات الإقليــم (إكلوجست) ، وأمره بتدقيق التقارير الحسابية عن العشرين عامـــاً الأخيـــرة . وعندمـــا كتـب تقريـــره لم يزد ما عليهم من أعباء ، واستمروا يسددون حتى الوقت الحـــالى (١٦١). والمحاولـــة الثانية أتت من المشرف الجديد ، الذى يرغب فـــى الزيـــادة ، فأســـرعوا بتقديـــم التماســـاً إلـــى الاستراتيجوس (١٦٢).

الحواشى

(1) Wallace, Taxation in Egypt from Augutus to Diocletian. Madison, Wisconsin. 1937. p. 288; Wilcken, GO. I.p. 599; Grundz. p. 215; Lewis, Inventory of Compulsory services, (= Papyrologia Florautina, XI) pp. 22 – 31 ; PO. L 1.3614, NN. 8 – 10.

(2) Liddle, Scott and Jones, Greek – English Lexicon ἐπιτηρ - ἐω ; SPP. XII. 114.2 ; Preisigke, III, S. V. ἐπιτηρητής , Abschnitt 8 p. 116.

(3) N. Lewis, op. cit. p. 24 ; Pleit. 11.

(4) SB. V. 7601 (AD. 135); P. Antinoopolis, 38 (AD. 301) .

(5) P. Mert. II 64 (AD. 104/5) Tebtynis; P. Fay. XXXVI (AD. 111 – 2) Narmouthis; P.Mert. I. 15 (AD. 114) Bacchias ; O.leid 118 (AD. 117 – 18) ; PAthen, 29 (AD. 121) Theadelphia ; PHamb. I. 6 (AD. 129) Hephaistias ; PSI. X. 139 (About 134 AD) Tebtynis; PTebt. 305 (AD. 105 – 7); PSI. X. 735 (About 138 AD.) Theadelphia ; PAmh. LXXVII (AD. 139) Dime; PFay. CVI. (AD.140) Bacchias and Hephaistias; SB. 697 (AD. 145); SB. 10206 (AD. 148) Theadelphia and Polydeudikia ; PWISC. 37 (AD. 148) Theadelphia ; POSL. III. 91 (AD. 149) Theadelphia ; BGU. 293 (AD. 150), 478 (AD. 159) ; PTebt. 539 (AD. 151); BGU. 2468 (AD. 158) ; SB. 10985 (AD. 154 – 6) Tebtynis ; BGU. 458 (AD. 155) Theadelphia ; P.Fay. LXXXVII (AD. 155) Kasr el Banat ; BGU. 1895, SB. 4416 (AD. 157), Tebtynis ; PMich. Inv. 178 Theadelphia and Argias, P. Tebt. 602 (AD. 161) ; SB. 10986 (AD. 161 – 2) PTebt. 287 (AD. 161 – 9); PVindob G. 24922 (AD. 164) Apias; SB. 10987 (AD.171) Tebtynis ; PRyl. 98 (AD. 172) ; SB. 10761 (AD. 173) Theadelphia SB. 10292, (AD. 176); SB. 9635 (AD. 176) Karanis ; P. Freiburg 60 (AD. 181) Herakleides ; SB. 10923 (AD. 183), PMich. XII. 628 (AD.

183) Theadelphia and Argias; Plond III n. 924 (AD. 187 – 8), Soconopai Nesus; PFam. Tebt. 46 (prob. 193 – 4 AD.) ; P. Coll. Youtic I. 31 (AD. 199) Herakleides; Chr. II 200 (AD. 224), BGU. 480; SB 5670 (2nd. or 3rd. cent. AD.); Pflor. III 380 (About 514) Aphrodites.

(6) PO. IV. 712 (Late 2nd. cent. AD.).

(7) P. Flor. I. 78 (AD. 157).

(8) P. Vindob. Sal. 6 (AD. 192) ; SB. 5274 (AD. 225) ; BGU. III 989 (AD. 266).

(9) P. Flor. I.3 (AD. 153) ; 28 (AD. 179) ; P Mey. 681.3. II. 19, 26 (AD.) ; SB. 4298 (AD. 204) ; PLips. 3 (AD. 293).

(10) PO. XXVII. 2472 (AD. 119).

(11) P. Ryl. II. 215 (2nd. cent. AD.); 217 (Late 2nd. cent. AD.).

(12) P.Brux. 21 (AD. 175 or 207 / 8).

(13) PO. XXVII. 2472 (AD. 119) ; PO. III. 520 (AD. 143) ; PSI. III 160 (AD. 149) ; PO. XXXIV, 2722 (AD. 154) ; PO. VIII. 1132 (AD. 162) ; P. Mich. XI. 616 (AD. 182); CPG. I. 35 (AD. 187) ; PO. I. XCI (AD. 187); PO. XVII (AD. 229) ; PO. 519 (2nd. cent. AD.); SB. 9372 (2nd. cent. AD.); PO. LI. 3614 (3rd. cent. AD.) PO. LI 3616. (3rd. cent. AD.); P. Giss. I. 100 (3rd. cent. AD): PSI. 165 (6th. cent. AD.).

(14) SB. X. 10311 (AD. 15) ; SB AV p. 175 nr. 21 (AD. 120) ; SB. 9604 nr. 10 (AD. 126 – 127) ; OLeiden, 118 (AD. 129 / 30) ; SB. 9604, 18 (AD. 130) ; O. Strass. 284 (AD. 131) ; SB. 9604. 19 (AD. 131) ; SB. AV 171 (AD. 135); SB. 9545. 19 (AD. 136); SB. Ar. b (AD. 167); SB. 9605, 24 (AD. 173); O. Strass. 250 (1 – 2nd. cent. AD.) . Without date : P. Imperial 6, SB. AV. 30; SB. 4360; O. Strass. 284, SB. 8679.

(15) P Mert. III, 102 (AD. 129 / 30); Chr. I. 412 (AD. 131) = SB. 10583; O. Strass. 273

(AD. 36 / 7); O. Strass. 284 (AD. 168); SB. XII. 10778 (AD. 183 or 184 / 5); SB. 10310 (2nd. cent. AD.); SB 10270 nr. 50 (AD. 221 – 229).

(16) P. Berli. Leihg. I (AD. 117); SB 4353 (AD. 121); OBodl. 1693 (AD. 150), O. Strass. 449 (AD. 150); PMert. II, 70 (AD. 159); OLeid. 138 (AD. 161), O. Amst. 50 (Between AD. 138 – 161); O.Ont. Mus. 133 (AD. 164); PSI. 160 (AD. 165); P. Petaus 75, 76, 78, 88 (AD. 184); OLeid. 144 (AD. 189); O.Ont. Mus. 164 (AD. 190); O.Ont. Mus. 189 (AD 191); O.Ont. Mus. 143 (AD. 180 – 192); O.Ont. Mus. 32, SB. AIV. 123 (AD. 194); O.Ont. Mus. 146 (AD. 195); BGU. 1900 (AD. 195); SB. 9210; P.Mil II. 38; SB. 9447; OLeid. 392, 393; Chr. I. 302 (2nd. cent AD.); OOnt. Mus. 164 (After AD. 212); BGU. II. 362 (AD. 215); SB. 9007 (3rd. cent. AD.); O.Ont. Mus. 154 (2nd. or 3rd. cent. AD.).

(17) P.Mert. II. 70 (AD. 104 - 5).

(18) P. Fay. XXXVI (AD. 111 - 2).

(19) P. Mert. III. 102 (AD. 129 / 30).

(20) P. Ryl. I. 98 (AD. 172).

(21) P. Tebt. 305.

(22) Chr. I 442, PSI. X. 139; O.Strass. 273; SB. 697.6; BGU. I. 293, 7; PO. XXXIV, 2722; SB. 10985; PFay. LXXXVII; BGU. XIV, 2295; SB. 10986; PO. VIII, 1132; SB. 10778; PO. I, XCI = CPG; P.Colle. Youtie, I, 31; PAmh. CXIX; PO. XVII, 2116; PFay. XXIII; SB. 9372; PTebt. 455; SB. X, 10310.

(23) O. Strass. 489.

(24) SB. 6.

(25) SB. X, 10311, SB. AV p. 177. 30.

(26) OLeid. 118.2; (181) = Wo 151; SB. 9604.18; SB. AV 171; SB. 9545.19; SB. 4360.

(27) SB. 9604. 11, O.Strass. 284 وإيصالات أخرى SB. 9604.14.

(28) PSI. 274. 21 = W. Chrest. 276; OTait, 728, 729, C. 62.

(29) Heid. 274, 275, 284, 285, O.Wilb. 40, 41, 42.

(30) P.Fay. CVI. (About AD. 140).

(٣١) ورد في : P. Lond. III p. 135, Pop. 924 .

(32) SB. 9604. II. and see Wallace, Taxation, p. 229.

(33) WO. II 291, 1460 and see Wallace, op. cit. p. 300.

(34) P.Fay XXXVI. (AD. 111 – 2).

(35) P. Mich. XII. 628 (= Proceeding of the international congress Pap. pp. 63 – 68. (AD. 183).

(36) PO. III. 520.

(37) PO. XXXIV. 2722.

(38) PO. VIII. 1132.

(39) P. Antinoopolis, 38.

(40) P.Koln. I. 84 (AD. 143)

(41) PO. XXXVII. 2856 (AD. 91/2); P.Koln I. 228 (AD. 176); PO. XIV. 1706 (AD. 207).

(42) SB. 5154 (AD. 199); SB. 5274 (AD. 255); SB. I. 4370 (AD. 22819), SB. 5163, 5164, 5165 (Without date).

(43) O.Leid. 138 = WO. 1330 (AD. 160); O.Leid.139 = WO. 1331 (AD. 161).

(44) PO. XXXVII. 2856.

(45) LL. 3 – 18.

(46) P.Koln. 228.

(47) PO. XIV. 1706.

(48) Wallace, Taxation, pp. 227, 237; El Mosalamy. Public Notice concerning of epiteresis of the one Zyteros. Proceeding of the XVI int. Congr. Popyrology. Chico, 1981 (= ASP. 23) 215 – 229, pp. 217 f ;

سيد أحمد على الناصرى ، النلس والحياة من مصر زمن الرومان ، القاهرة ١٩٩٧ ، ص١٤٥ وهـ ٢٧.

(49) P.Oslo, III, 92.

(50) Wallace, op. cit. p. 221; PSI. III. 160 (AD. 149).

(51) P.Amh. 64 (AD. 107).

(52) Wallace, Taxation, pp. 157, 159, 188, 223, 240, 303, 345, 375.

(53) O.Strass. 489 (AD. 168); OAmst. 51 (Last Quarter of 2nd cent.) O.Ont. Mus. II 131 (AD. 164).

(54) O.Strass. 273 (AD. 13617).

(٥٥) سيد أحمد على الناصرى ، المرجع السابق ، ص٣٦٥ ، وانظر :

J. Shelton, List of *Τελῶναι* and *Επιτηρηται* of the Temple Granary at Thebes. ZPE 76. 1989; Wallace, op. cit. pp. 157 – 158, 77 – 84, 240, 302, 303, 479; and the comment in OAmst. 51; O.Ont.Mus. II. 131.

(56) P. Flor. I. 78 (AD. 157).

(٥٧) كانت الضريبة المفروضة تسمى (*ιωνος*) *σταт* وكان يحصلها البراكتوريز فى أسوان وفيلة انظر :

Wallace, Taxation, pp. 148, 298, 423 Note 52.

(58) OLeid. 388 (AD. 98 – 117); BGU. VII. 1532 (AD. 141 / 2); PTebt. 603 (AD. 148); O.Ont. Mus. II 289 (AD. 191); O.Ont. Mus. 143 (AD. 180 – 192), O.Ont. Mus. II. 144 (AD. 193); O.Ont. Mus.] . 32 (AD. 194); O.Ont. Mus. II. 146 (AD. 195); O. Leid. 146 (AD. 196); O.Leid. 147 (AD. 196); O.Ont. Mis. II 147 (AD. 198); O.Ont. Mus. II. 154 (AD. II / III rd.. cent.) O.Ont. Mus. II 164 (After 217 AD.).

(59) See, Wallace, op. cit. 194 – 199; 436, 453, 480, 483, 484.

(60) BGU. VIII. 1607.

(61) Wallace, Taxation, pp. 236, 309.

(62) BGU. 1896.

(63) P.Mich. XI. 616.

(64) P. Fay. 304; SB. 4416, BGU. XIV. 2287; BGU. I. 851; POslo III. 117.

(65) O.Strass. 449.

(66) BGU. 1897.

(67) Wallace, Taxation , p. 309; Rostowzew, Kolonate, 138; WB. III, 116; Oretel, Liturgie. p. 241.

(68) PSI. 458.3 .

(69) Chr. I. 392.

(70) Wallace, Taxation , pp. 206 – 231

(71) P. Mich. IX. 544 = SB. 9635.

(72) P. Tebt. 539 and See, Wallace, op. cit. p. 308.

(73) SB. 9636 and See, Wallace, op. cit. p. 186.

(74) PSI VII. 870 (2nd / 3rd. cent. AD.) and See, Wallace, op. cit. p. 271.

(75) SB. IV 7342.

(76) Archiv. Pap. 4. 18, 123.

(77) Wallace, Taxation , p. 279.

(78) P. Freiburg 60 = GDP. 60.

(79) BGU. 2295 and See, Wallace, op. cit. p. 211.

(80) PO.Li . 3615.

(81) OBodl. 1046.

(82) BGU. XI. 2468; PLond. III p. 135, N. 925.

(83) Wallace, Taxation , p. 446. note 26.

(84) BGU. 199 V.

(85) Wallace, op. cit. p. 29.

(86) PSI. X. 139; SB. 10985, 8; SB. 10986, SB. 10987, P.Fam. Tebt. 46; PTebt 455, 602.

(87) P. Tebt. 305.

(88) Wallace, op. cit. p. 308.

(89) Wallace, op. cit, pp. 288, 292.

(90) SB. X. 10311.

(91) SB. 9604, 11; OLeiden, 181; SB. 9604, 10, 18; O.Strass. 284; SB., 545, 19; SB. AV. 171.

(92) O.Strass. 284.

(93) SB. 4360, 9905, 24.

(94) P. Fay. 42 (a) Verso; P. Tebt. II, 359, P.Athen. 116.

(95) Wallace, Taxation , pp. 220, 221.

(96) BGU. 362 II, 14 = W. Chr. 96. and See, Wallace, op. cit. , p. 320.

(97) Wallace, op. cit. 446.

(98) Wallace, Taxation , pp. 66, 67, 232, 233, 310, 450.

(99) SP. V. 97.

(100) PO. XXXIV. I. LL. 4 – 5 (AD. 127).

(101) OLeid. 118, PTebt. 608, WO. 1185.

(102) Wallace, op. cit. pp. 4, 11, 105, 271, 329, 330.

(103) P. Strass. 135 = SB. 8017; and see Wallace, op. cit., pp. 230, 232.

(104) P. Amh. 119, Chr. I. 392.

(105) Wallace, Taxation , p. 308.

(106) Chr. I. 412, SB. X. 10583, Chr. I 392.

(107) OBodl. 989, 1693, 990; PLips. 376, OBodl. 1693 O.Ont. Mus. I. 25.

(108) P. Fuad. 36 and see , Wallace, op. cit., pp. 270, 477.

(109) P. Ryl. II. 98, 217. 11.

(110) PO. I. XXIV. Col. II. L. 5 / 6.

(111) SB. AIV. 143 I , 7.

(112) P. Ryl. II. 98a and see, Wallace, Taxation , p. 72.

(113) P.Amh. LXXVII = WChr. 277, and see Wallace, op. cit., pp. 260, 268.

(114) PSI. VII 735; SB. 10206; PAthen. 242. SB. 10206 = P.Wisc. 37, POsl III. 91.

(115) Wallace, op. cit., pp. 72, 309.

(116) PSI. III. 160.

(117) BGU. 478.

(118) PO. IV. 712 = W. Chrest. 231; BGU. VII. 1573.

(119) P. Geneve 38 .

(120) P. Petaus, 75; SB. 5670, P. Berlg. I. 13. 16.

(121) P. Petaus. 76, 77, 78.

(122) P. Athen . p. 116 N. 2; SB. I. 5670 ; SB. 10761.

(123) O.Strass. 250; OBodl. 10890, 1093, 1090, 1091. 1092. O. Leid. 149, 393.

(124) Wallace, Taxation , p. 300.

(125) P. Fay. 36 = WChr. 316.

(126) P.Coll. Youtie I. 317; OBodl. p. 113, Chr. I. 392.10

(127) BGU. 480.

(128) P. Mert. I. 15. 4.

(129) P. Vindob sal. 6.

(130) P.Hamb. 81.

(131) Wallace, Taxation , pp. 282, 316.

(132) P. Strass. 23.

(133) BGU. III. 697 = W.Chr. 321, and see, Wallace, op. cit., 189, 211, 309, 443, 461.

(134) SB. V. 7601.

(135) Chr. I. 392.

(136) PO. XII. 1593.

(137) O.Bodl. 1098.

(138) O.Bodl. 1134.

(139) PO. XXVII. 2472 and see, Wallace, Taxation , pp. 263, 465.

(140) O.Bodl. 1045, A 120, and Wallace, op. cit., pp. 202, 303.

(141) BGU. 1062 = W.Chr. 276 and see Wallace, Taxation, p. 222.

(142) SB. 10778.

(143) P. Tebt. 30, 287.

(144) SB. 4416.

(145) PO. I. XCI; SB. 9372.

(146) BGU. 10 – 1, 328 II. 17.

(147) Wallace, Taxation, pp. 164, 223.

(148) OLeid. 144. 2, 392. 1.

(149) P. Flor. I, 3.12, SB. I. 4298; SB. I. 4360, 4416, P.Giss. I. 100. 14, P. Lips. 3.16.

(150) P. Yale Un. 1238v.

(151) SB. VI. 9007. 15.

(152) Wallace, op. cit., pp. 222, 223, 308, 321, 430, 434.

(153) P.Mich. XII. 628; SB. 10423; P. Mich inv. 178 (in cong. of Pap. XII pp. 63 – 68).

(154) P. Wisc. 37 = SB. 10206.

(155) P. Mert. 11. 70.

(156) BGU. XIV. 2295, 5.

(157) BGU. XV. 2468.

(158) P. Freiburg 60.

(159) P. Mich.XI. 616.

(160) P. Tebt. 287 (AD. 161 – 9).

(161) LL. 1 – 9.

(162) LL. 10 – 11.

حركة الاسترداد في عهد فرديناند الأول ملك قشتالة وليون ١٠٣٥-١٠٦٥م/ ٤٢٦-٤٥٧هـ

د/ محمد محمود أحمد النشار
كلية الآداب - جامعة طنطا

اختلف المؤرخون في تحديد مفهوم كلمة حركة الاسترداد (١) "La reconquista" هل هي تشمل مقاومة كل غاز لشبه الجزيرة الإيبرية من القوى الأجنبية، التي نزحت إليها أم أنها تقتصر على مقاومة المسلمين، الذين فتحو شبه الجزيرة (٧١١م) حتى طردهم منها وانتهاء وجودهم السياسي في ١٤٩٢م. والواقع أن الرأي الثاني هو الفكرة السائدة لدى معظم المؤرخين، حيث أن القوى الأجنبية الأخرى، اشتركت في بعض الصفات والديانات مع أهالي شبه الجزيرة الإيبيرية، انتهت باندماجهم معا وأصبح سكان أسبانيا خليط من هذه الشعوب، ولذلك كان الرأي السائد والأرجح هو الحروب التي شنها الأسبان لطرد المسلمين من الأندلس(٢).

وجدير بالذكر أنه إذا كان المؤرخون قد أشاروا إلى بداية حركة الاسترداد، عندما أحرز "بلاى" انتصارا فى مناوشة مع المسلمين، فى معركة كهف كوفادونجا(٣) Covadonga ، إلا أنها لم تكن ظاهرة ملموسة إلا في عهد الملك فرديناند الأول حيث خطا بها خطوات كبيرة، جعلته لأول مرة يفرض كملك مسيحى سيطرته السياسية على المسلمين فى شبه الجزيرة الإيبيرية، اعتمادا على انقسامهم وظهور دويلات الطوائف بعد سقوط الدولة

الأموية فى ٤٢٢هـ / ١٠٣١م ، وما تلاها من نشوب المنازعات والمنافسات والحروب بينهم.

حقيقة أنه عقب سقوط الخلافة مباشرة، كانت وفاة سانشو الكبير ١٠٣٥م ملك نافار، وتوزيع المملكة على أبنائه الأربعة[٤]، ونشوب الحروب الأهلية بين أولاده والتى استمرت فترة طويلة[٥]، حتى نجح الملك فرديناند الأول ملك قشتالة وليون فى السيطرة على مملكة أبيه، ومن ثم بدأ يفرض سطوته السياسية والعسكرية على المسلمين، من خلال حروبه للاستيلاء على أراضيهم بمدنها وقلاعها.

وجدير بالذكر أن الصورة العامة لحركة الاسترداد، والملك فرديناند، تأتى من خلال التفاعلات والعلاقات مع الممالك الإسلامية الأربع الرئيسية المجاورة له آنذاك: وهم بنو ذى النون فى طليطلة، وبنو هود فى سرقسطة، وبنو الأفطس فى بطليوس، وبنو عباد فى أشبيلية، قد تشابكت العلاقات بين هذه الممالك الاربع ما بين حروب وتحالفات، تغيرت وتبدلت فيها المواقع مما جعل فرديناند ينتهز الفرصة ويتدخل مرة متحالفا مع أمير ضد آخر، ومرة لحسابه الخاص حيث اعتمد فى تنفيذ سياسته الاستردادية على تشجيع الخصومات وتأجيجها بين الممالك الأربع، والسعى إلى الكسب على حسابها حتى حقق أكبر الإنجازات.

وجدير بالذكر أن سياسته تجاه دول الطوائف فى فترة حكمه تنقسم إلى قسمين : الأولى الفترة من ١٠٣٥م وحتى ١٠٥٥م حيث كان مشغولا بالحروب الأهلية مع أخوته، ومحاولات توحيد مملكة أبيه، ولذلك كانت

علاقته بالمسلمين علاقة مراقبة وحذر، وتدخل فى النزاعات، وفرض الجزية دون الاهتمام بضم مدن وقلاع إسلامية إلى أراضيه بشكل ملموس، أما بالنسبة للقسم الثانى وهى الفترة من ١٠٥٥م إلى وفاته ١٠٦٥م ، فقد قام خلالها بشن حملات عسكرية هدفها الأساسى الاستيلاء على الأراضى والمدن والقلاع الإسلامية. ويمكن القول أن حركة الاسترداد قد تبلورت بشكل ظاهر ملموس فى هذه الفترة.

أما بالنسبة لعلاقته بالمسلمين فى الفترة الأولى من حكمه (١٠٣٥م-١٠٥٥م) فإنها عاصرت - كما أشرنا - سقوط الخلافة الأموية، وبداية عصر دول الطوائف، فقد أصبح فرديناند ملكا على قشتالة بعد وفاة أبيه(٦)، وبعد ذلك بسنتين سطع نجمه حيث ضم مملكة ليون إلى حكمه، خاصة بعد مقتل صهره برمود الثالث، فى موقعة تامارون Tamaron ١٠٣٧م، التى أعقبها بحصار مدينة ليون واقتحامها، واحتفل بوضع التاج على رأسه، وأصبح بذلك أقوى حكام الممالك المسيحية الاسبانية حيث كان أخوته الثلاثة يحكمون ممالك صغيرة المساحة(٧).

وقد نشبت الحروب الطويلة بين الملك فرديناند وأخيه جارثيا ملك نافار ولم يغب خلالها عن ذهن الملك فرديناند ممالك دول الطوائف، وما بينها من حروب ونزاعات(٨)، ومحاولة استغلالها من خلال تقديم المساعدات مقابل الجزية، وفرض النفوذ، وذلك بالتدخل فى أحداث الصراع الطويل بين المأمون صاحب طليطلة (٩)، وسليمان بن هود صاحب سرقسطة والثغر الأعلى(١٠)، على المنطقة الواقعة بين قلعة أيوب حتى وادى الحجارة، والتى بدأت بهجوم أحمد بن سليمان بن هود فى ٤٣٦هـ/١٠٤٤م على تلك المناطق

وحدثت المعركة فى وادى الحجارة بينه وبين المأمون، وهزم فيها الأخير[١١]، مما دفعه إلى إرسال سفارة إلى الملك فرديناند، يطلـــب مســاعدته، مقــابل الاعتراف بسيادته ودفع الجزية.

وجدير بالذكر أن طلب التحالف مع ملك مسيحى ضد ملك مسلم كــان اتجاها جديدا، كما أشار ليفى بروفنسال حيث بــدأ ظــهور تفــوق الممــالك المسيحية الإسبانية لأول مرة على المسلمين، فبعد أن كانت هذه الممالك تطلب الهدن والأحلاف مع المسلمين، اصبح المسلمون هم الذين يطلبونها[١٢]، ولكن هذا الاتجاه الجديد يساير الأوضاع الجديدة للمسلمين، لأنقسامهم إلـــى عـدة دويلات (فكان لابد من الصراع والتنافس والمصالح التى تعدت حدود الجنس والدين) فما كان من فرديناند إلا أن استجاب، وأرسل فرقـــة توجــهت إلــى أراضى سليمان بن هود، وبدأت فى النهب والسلب والقتل، وكان آنذاك وقـت الحصاد للمزروعات، مما دفع الجيش القشتالى إلى حصـــد الغــلات الـذى استغرق شهرين، ثم عادوا إلى بلادهم محملين بالغنائم والأســرى والسـبايا. ويوضح لنا ابن عذارى أن كل هذه الغارات التى استمرت شهورا، وســليمان بن هود متحصن بحصونه، ولم يحاول صد هذه الغــزوة[١٣]، اللــهم إلا أنــه حاول كسب ود الملك فرديناند، لكى يترك التحالف مع المأمون ويتحالف معـه هو، وأرسل لذلك كثيرا من الأموال والهدايا إليه طالبا أن يقــوم بمســاعدته بالهجوم على أراضى ابن ذى النون، ومن الجدير بالذكر أن ابن عــذارى[١٤] يشير إلى أن ابن هود حاول أن يجتذب أيا من الأخوين (فرديناند وجارثيــا) معتمدا على العداء والصراع الناشب بينهما، ولكن كان الأقوى هو فرديـنــاند بالإضافة إلى جذبه إلى صفه ليترك التحالف مع المأمون.

وقد استجاب الملك فرديناند لدعوة سليمان بن هود، وخرج بجيشه ونجح فى التوغل داخل إقليم طليطلة، حتى وصل إلى وادى الحجارة وقلعة النهر[١٥]. واغار على المدن والقلاع وسلب ونهب، ما كان يجده فى طريقه، فماذا كان موقف كل من أهل طليطلة وحاكمهم المأمون؟ . اتهمهم ابن عذارى بالجبن والتخاذل[١٦] حتى أنهم أرسلوا إلى سليمان بن هود يستنجدون به، ويطلبون الصلح ويناشدون فيه نخوته الإسلامية[١٧]، فاستجاب لهم ولكنه كان متظاهرا بالاستجابة. إذ أشار ابن عذارى إلى أنه خرج بجيشه، ومعه فرقة من النصارى (المتحالفين معه)، ويقصد بهم فرقة من جيش الملك فرديناند وتوجهوا إلى مدينة سالم[١٨]، وحاصروها، وقتل كثير من المدافعين عنها. ولكن قرر أن يسارع بالاستيلاء على الحصون المجاورة، التى كان قد انتزعها منه من قبل ابن ذى النون، وصال وجال فى تلك المنطقة[١٩]، فما كان من المأمون إلا أن يتحالف مع المعتضد ابن عباد، صاحب اشبيلية، ضد سليمان بن هود، الذى وعد بالمساعدة، ولكنه انشغل فى صراعه وحروبه مع ابن الأفطس، ولم يقدم المعونة التى ترجها المأمون[٢٠]. ولذلك سارع المأمون إلى محاولة نجدة مدينة سالم، ومقاومة هجمات ابن هود، فتوجه إلى المدينة، وتحصن فى داخلها حيث وجد أنه لا قبل له بمقاومة جيوش ابن هود، فأسرع بطلب النجدة من الملك جارثيا، الذى وجدها فرصة لمناوءة أخيه، وفى الوقت نفسه البحث عن المكاسب، وإحداث نوع من توازن القوى (حيث كان فرديناند متحالفا مع ابن هود) ولذلك خرج جارثيا بجيشه وتوجه إلى الثغر الأعلى - أراضى بن هود المجاورة له بين تطيلة ووشقة - وعاث فى تلك المناطق، ثم حاصر قلهرة، ونجح فى الاستيلاء عليها (٤٣٧هـ/١٠٤٥م) [٢١].

وجدير بالذكر أن الملك فرديناند، كان لا يمكن أن يترك هجمات أخيه على أراضى حليفه ابن هود، وحتى لا يحقق مكاسب على حسابه وحساب حليفه، ولذلك قرر الاستجابة لنداء ابن هود، وتوجه بجيشه للإغارة على أحواز طليطلة، وأصبح حرا طليقا فى تحركاته فيما حول طليطلة[٢٢]، حيث كان المأمون متواجدا بجيشه فى مدينة سالم، مدافعا عنها ضد ابن هود، فلما علم بالخبر، خرج تحت ضغط جنوده لمواجهة الملك فرديناند، ولكن عجز عن ذلك، وأصبح موقفه وموقف أهل طليطلة سيئا جدا فلم يجدوا بدا من إرسال سفارة إلى الملك فرديناند، يطلبون الهدنة والصلح ويعرضون دفع الجزية له، ولكنه اشترط عليهم شروطا صعبة، وفرض أموالا كثيرة فردوا عليه بأنه لو كانت لديهم أموال لأنفقوها فى جمع جيوش من البربر، تساعدهم فى الدفاع عن بلادهم، فما كان من الملك فرديناند إلا أن رد عليهم بقوله :

"أما قولكم لا تقدرون على هذه الأموال، فذلك محال فلو كسف سقوف بيوتكم لبرق ذهبا لكثرته، وأما استدعاؤكم البرابرة فأمر تكثرون به علينا، وتهددونا به ولا تقدرون عليه مع عداوتهم لكم، ونحن قد صمدنا إليكم وما نبالى من أتانا منكم، فإنما نطلب بلادنا التى غلبتمونا عليها قديما فى أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضى لكم، وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم فارحلوا إلى عدوتكم، واتركو لنا بلادنا، فلا خير لكم فى سكناكم معنا بعد اليوم، ولن نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم".[٢٣]

ويتضح من خلال رد الملك فرديناند السابق، إصراره على التمسك بسياسة الاسترداد، وأن هدفه الرئيسى، هو طرد المسلمين من الأندلس، وهى السياسة التى خطط لها منذ بداية حكمه، ويتضح أيضا من أسلوبه مدى علمه

بأوضاع المسلمين فى دويلات الطوائف، وما وصل إليه حالهم من الضعف، وإن كان يرى أوضاعهم الاقتصادية جيدة خاصة وأنهم خلال مطالبة بعضهم له بالمساعدة والعون ضد أخوانهم، كانوا يعرضون عليه الأموال الكثيرة والتى لا تأتى إلا من ازدهار الأوضاع الاقتصادية والتى ترتبط أيضا بازدهار الحضارة فى عصر دول الطوائف.

وأمام رفض الملك فرديناند فى التهادن والتصالح مع المأمون، واستمراره فى مساعدة سليمان بن هود، لجأ المأمون إلى تجديد التحالف مع جارثيا ضد بنى هود فى سرقسطة، والذى توجه بجيشه فى ٤٣٦هـ/١٠٤٦م إلى أراضى الثغر الأعلى، وعاث فيها تخريبا وسلبا ونهبا[٢٤].

وهكذا دواليك كانت سلسلة الهجمات المتبادلة، واستعانة كل من المأمون وسليمان بن هود بالملكين فرديناند وجارثيا، واللذين اغتنما هذه الفرصة وقاما بفرض النفوذ وجمع الجزية، والسلب والنهب فى غارتهم، دون القيام بضم أراضى جديدة لمملكتهما على حساب المسلمين بشكل ملموس.

وجدير بالذكر أن سليمان بن هود قد توفى ٤٣٨هـ/١٠٤٦م ولكن لم ينقطع التعاون بين مملكة سرقسطة ومملكة نافار، حيث أن خليفته المقتدر أحمد بن هود (٤٣٨-٤٧٤هـ) (١٠٤٦-١٠٨١م) قد أرسل فرقة من الجنود لمساعدة الملك جارثيا، وأخيه راميرو ملك أرجوان، ضد الملك فرديناند حيث اشتبك الأخوان ومعاونوهم فى معركة شديدة، فى سبتمبر ١٠٥٤م وهى Atapuerca حيث قتل جارثيا فى المعركة، وانتصر الملك فرديناند،وفرت الجيوش النافارية والاراجونية، ولم يتعقب جيش الملك فرديناند بالمطاردة إلا

حلفائهم المسلمين حيث انتقم منهم بالقتل والأسر[٢٥]، وذلــك اتباعــا لأوامــر فرديناند بعدم مطاردة الجيوش المسيحية، حقنا لدمائهم وأن تكون المطـــاردة فقط للمسلمين[٢٦].

وهكذا نجد أن الملك فرديناند الأول قد اتبع فى سياسته، قبـــل فــرض سيطرته على الممالك المسيحية، وانتهاء الحروب الأهلية مع أخيه جارثيا ملك نافار، يعتمد على الإيقاع بملوك الطوائف، والقيام بحملات من أجــل فــرض النفوذ والاستيلاء على مغانم تعينه فى أهدافه من أجل تأكيد وتوطيـــد نفــوذ مملكته، ولذلك كانت حملاته ضد المســـلمين لا تتعــدى الســلب والنــهب، واستغلال النزاعات بين المسلمين وتنميتها - كما أشرنا من قبل - لم ينجـــز فى تلك الفترة فتوحات بضم أراضى إلى مملكته إلا فى الفـــترة الثانيــة مــن حكمه.

وفى هذه الفترة التى تبدأ من ١٠٥٥م بعد مقتل أخيه جارثيـــا وانتــهاء الحرب مع نافار (١٠٥٤م) أصبحت مملكته ممتدة الأطراف[٢٧]، بدأ يســـتعد لدور جديد فى علاقته بالمسلمين، وهى مرحلة الغزو والفتح وضم الأراضـــى الإسلامية إلى مملكته، فكانت أول مشاريعه مهاجمة الأراضى المتاخمة لـــها وهى أراضى لوزيتانيا (البرتغال) [٢٨] التى تقع ضمن مملكة بطليـــوس لبنـــى الأفطس[٢٩]. ولذلك جهز جيشا ضخما فى ١٠٥٥م وتوجه إلى نهر الدويـــرة، واخترق أراضى إقليم لوزيتانيا (وهى ما يطلق عليها حقول القوط) وهاجم سيا Cea (Cena) واستولى عليها ثم استولى على قلعة جويا Govea وبعـــض القلاع المجاورة وطرد سكان بعضها وترك البعض الآخر بعد دفـــع الجزيـــة والخضوع له[٣٠]. وكانت هذه البداية لسلسلة هجماته فى تلك المرحلة.

أما عن حملته الثانية على البرتغال (١٠٥٧-١٠٥٨م) فقد حدث خلاف بين المؤرخين حول ما تم فتحه أولا وهل هى مدينة بازو (بيزيه) Visea [٣١] أو لاميجو (لميقة) [٣٢] Lamego، وجدير بالذكر أن المدونات الأقرب إلى الأحداث، اشارت أولا أنه فى ١٠٥٧م قد توجه الملك فرديناند إلى مدينة بازو، لينتقم لمقتل-حماه الملك ألفونسو الخامس أمام أسوارها ١٠٢٨م[٣٣]، وكانت هذه المدينة تشتهر بقوة حاميتها من رماة السهام، ولذلك قرر أن يتوجه إليها أولا، وفعلا تم حصارها ولكن لم يستطع الاقتراب من أسوارها، لهطول السهام عليهم من المسلمين المدافعين عنها، وكانوا مهرة فى التسديد مما دفعه إلى الانسحاب، قليلا[٣٤]، وأمر بعمل تروس مغلفة بالخشب والتسلح بالدروع المثلثه، وتجهيز فرقة من المسلحين بالمقاليع، ثم أرسل قوات استطلاع إلى كل مداخل المدينة، لكى تختار منطقة الهجوم، ثم أمر الفرسان بالرمى بالمقاليع تجاه المدينة، حتى يشغلوا رماة السهام، وتتقدم إحدى الفرق إلى أبواب المدينة. واستمر القتال لعدة أيام دون توقف، حتى نجحوا فى اقتحام المدينة، وكان دخولهم مصحوبا بالقتل والأسر والنهب، وقد أشارت جميع المصادر الإسبانية إلى أنه قد نجح فى أسر الفارس الذى رمى الملك ألفونسو الخامس بالسهم، الذى قتله، وأمر بقطع يديه ورجليه وثمل عينيه مع التعذيب الشديد حتى توفى [٣٥].

ثم توجه الملك فرديناند بعد ذلك إلى لاميجو (لميق) وهى المدينة ذات الموقع الحصين فى ١٠٥٨م، والتى حاصرها بالآلات والقلاع الخشبية، واشتد القتال، واستولى عليها بعد عدة أيام بعد أن نجح فى فتح ثغرة فى الأسوار نفذ منها جيشه إلى داخل المدينة، وبدأت قواته فى القتل والسلب والنهب، وأسر

العديد من رجالها الذين أبقاهم من أجل أعادة بناء الكنائس، وجمع الكثير من الغنائم ووزعها على الكنائس والأديرة والفقراء(٣٦).

وجدير بالذكر أنه من خلال استعراض المصادر والمراجع والاختلاف حول أى من المدينتين فتح أولا: نجد أن المصادر المعاصرة وأهمها مدونة راهب سيلوس، قد اشارت إلى أن مدينة بازو هى التى فتحت أولا فى ١٠٥٧م، وأن مدينة لاميجو فتحت بعدها. بالإضافة إلى أن مدينة بازو تعتبر أكثر أهمية، كذلك الرغبة فى الانتقام من أهلها لمقتل حماه الملك الفونسو الخامس أمام أسوارها، إلى جانب أن بازو اقرب المدن إلى حدود مملكته ولذلك كان من الطبيعى الاتجاه أولا إلى بازو.

وبعد الاستيلاء على لاميجو، توجه الملك فرديناند إلى القلاع المجاورة، وكان أولها قلعة القديس خوست San Justo (كما أشار راهب سيلوس) وسانت مارتين Sainte Martin (كما اشارت المدونة الاولى لتاريخ اسبانيا العام وسندوبال) وهما يقعان على نهر ملوية Malua وهما قلعتان قويتان جدا، ثم اتجه إلى ما يجاورهما من قلاع، واستولى عليها وهى قلاع تاروكا Tarouca وترابنكا Travonca وبنيلابا Penalva وقلاع أخرى. وقد سوى بعض هذه القلاع بالأرض، حتى لا يستخدمها المسلمون مرة أخرى ضدهم، والبعض الأخر أسكن بها المسيحيين، لأجل أن يكونوا سدا منيعا ضد غزوات المسلمين(٣٧).

والسؤال الذى يحتاج إلى إجابة : ما إذا كان رد فعل مملكة بطليوس وبنو الأفطس وحكامها لهذه الهجمات منذ ١٠٥٥-١٠٥٨م على أملاكها؟.

وباستعراض للمصادر المعاصرة، نجد أن محمد بن عبدالله بن الأفطس، والذى تلقب بالمظفر، كان قد دخل فى صراعات وحروب عديدة ضد المعتضد بن عباد فى اشبيلية، حتى عقد الصلح بينهما فى ٤٤٤هـ/١٠٥١م[٣٨]، والحروب التى قامت بين المظفر وبين المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة وهى معارك متفرقة فى تواريخ مختلفة[٣٩]. فنتيجة لخوف المظفر من هجوم المأمون بن ذى النون والمعتضد بن عباد على أراضيه، بالإضافة إلى ضعفه نتيجة للحروب الطويلة معهما، فإنه لم يقم بصد حملات الملك فرديناند أو إرسال قوات للدفاع عن تلك المناطق، خاصة وأن هذه المناطق كانت شبه منعزلة عن مملكة بطليوس ولها شبه استقلال[٤٠]، بالإضافة إلى اعتماد المظفر على أن حصون هذه المنطقة قوية، ويبدو أنه أكتفى بعرض الجزية على الملك فرديناند.

وأنه أثناء انشغال الملك فرديناند فى الحرب ضد المسلمين فى البرتغال، فإن بعض الأفراد من مملكة طليطلة ومملكة سرقسطة، قد هاجموا أراضى الحدود القشتالية الليونية من أجل السرقة والنهب، كما أشار ساندوبال وقتلوا وأسروا الكثيرين، وهذه المنطقة هى علي خط نهر الدويرة فى طرف جبال شقوبية، ولذلك بعد انتهاء حملاته ضد البرتغال قرر معاقبة كل من مملكتى طليطلة وسرقسطة[٤١].

ولذلك توجه فى عام ١٠٦٠م[٤٢]، بحملة ضخمة ضد كل من المملكتين، وهاجم بجيشه أولا القلاع التابعة لمملكة سرقسطة، فاستولى عليها وهى غرماج Gormaz (ويطلق عليها أحيانا شنت استبين) وهى فى منطقة البة والقلاع (San Esteban de Gormaz) (Santistevan) ثم استولى على

مدينة معبر الملك Vada del Rey ثم مدينة برلانجا Berlanga. وكان المسلمون فى هذه المدينة قد فوجئوا بحصار العدو، الذى نجح فى إحداث ثغرات بالسور، بعد عدة أيام من الهجوم على جميع الجوانب، وقد هربوا وتركوا أفواجا من الأطفال والنساء[٤٣]. ويشير المؤرخ مارتين إلى أن هجمات المقتدر بن هود أمير سرقسطة ضد مدينة طرطوشة (والتى احتلها عام ١٠٥٩) [٤٤]، فقد شجعت هذه الحروب الداخلية للملك فرديناند لكى يستولى على القلاع السابقة، واستمر الملك فرديناند فى خططه بالاستيلاء على المدن والقلاع، حيث استولى على قلعة أجيلار Aguilera.

أشارت المصادر الاسبانية إلى أن فرديناند استولى على قلعة شنتمرية الشرق Santa Maria[٤٥]، وقد اتفق ابن الكرديوس مع المصادر الاسبانية على ذلك بقوله "فاحتوى على حصون كثيرة منها شنتمرية بلد ابن رزين"[٤٦]. والواقع يبدو أنه فرض عليها الجزية، ولكن لم تضم إلى أملاكه (حيث استمر بها حكم بنى رزين حتى دخل المرابطون مدينة شنتمرية) ثم واصل حملاته، حتى استولى أيضا على قلعة جورموز Guermoz (Guermezes)، التى سواها بالأرض، وهدم كل أبراج الحراسة التى اقامها المسلمون على جبل بانتاجو Parentago (Parrantagon) وايضا كل ما يحيط بها [٤٧].

ثم استولى على ثلاث قلاع قوية فى أودية Bargararas (Bargecotex) و Horcecores وايضا واصل حتى وادى كارثينا Caracena حتى ضاحية مدينة سالم، وقد سوى كل هذه القلاع بالأرض ولم يتوقف حتى وصل إلى حقول طرسونة، حتى كانتبريه وانتصر على المسلمين

فى هذه الحقول، والتى كانت بها حاميات قوية[٤٨]، فلم يجد المقتدر بن هـــود بدا لوقف حملات الملك فرديناند إلا بدفع الجزية سنة ١٠٦٠م[٤٩].

وقد أشارت مدونة راهب سيلوس ولوقا التوى[٥٠]، إلى أن بعض الفـرق الإسلامية من اقليم السلت ايبرى ومملكة طليطلة، قد هاجمت أراضى مملكته، ولذلك أمر الملك فرديناند بتجهيزات ضخمة لقوات من الفرسان ورماة السـهام من كل مملكته، لكى يهاجم اقليم قرطاجنـــة (Cartagena) Cartejena [٥١]، ومملكة طليطلة، فىعام ١٠٦٢م ولكن الإشارة إلى اقليم قرطاجنة يؤدى إلـــى التساؤل، لأن هذا الاقليم هو اقليم بلنسيه، وقرطاجنة تعتبر ميناء لمدينة بلنسية لأنها تبعد مسافة ٦٤كم، وهذه المنطقة تقع فى الجنوب الشـــرقى مـــن شـــبه الجزيرة وهى منطقة بعيدة جدا عن الممالك المسيحية، لأنها فى عمق اراضى المسلمين جنوبا، وفى نفس الوقت ليست مجـــالا لنشـــاط وحمـــلات الملـــك فرديناند، ولكن الهجمات جاءت من منطقة السلت إيبرى، وهى منطقة وســـط شرق شبه الجزية . وفى المنطقة المحيطة ببلنسيه والمجاورة لحدود الممـــالك المسيحية، وكانت منطقة نشاط واسع لحملات الملك فرديناند، ومما يؤيد رأينـــا فى عدم تأكيد الهجوم على منطقة قرطاجنة، أن الملك فرديناند توجه بحملتـــه إلى مملكة طليطلة، وما ذكر من مواقع حملاته فهى منطقة طليطلة.

وقد توجه الملك فرديناند بجيشه - كما أشرنا - إلى مملكة طليطلة حيث وصل إلى جبال أوكا Oca وأونيا Ona (Onya) واستولى على كل المواشى والغلات فى حقول هذه الجبال ثـــم توجـــه إلـــى حصـــار أوديـــة طلمنكـــة Talamanca[٥٢] وبسيدا Vcede واستولى على كل ما فى هذه الأودية مـــن ممتلكات المسلمين، ودمر حقولهم وأسر من بها من المسلمين، بعـــد جمعـــه

للأبقار والمواشى والغلات وكل الثروات، بدون أن يعطى هدنة للمســلمين أو لجنوده[٥٣].

وجدير بالذكر، أن ابن الخطيب، اشار إلى تلك الأحـــداث، وأن الملــك فرديناند كان يتعمد ترك المسلمين حتى تتضج مرزوعاتهم ثم يغــير عليــهم، ويجمعها على ظهور البغال إلى بلاده[٥٤].

ثم واصل الملك فرديناند تقدمه، حتى وصل إلى وادى الحجارة، ومدريد (مجريط) وكل القلاع الواقعة على ضفاف أنهار خراما Jarama وهنــاريس Hernares، التى ضمها بحصار قلعة النهر (الكالا دى هناريس Al Cala de Henares) والتى كانت تدعى قديما (Complutense) فمــا كــان مــن المسلمين إلا أن تحصنوا داخل أسوارها ، فى حين قام الملك فرديـنـــاند بعــد استيلائه على كل ممتلكاتهم خارج القلعة، بضرب أسوارها بـــالآلات، حتــى نجح فى إحداث ثغرة فى سورها، مما دفع المدافعين إلى الاســراع بســدها، وأرسلوا يستنجدون بالمأمون ملك طليطلة، ويطلبون إنقـــاذهم خاصـــة، وأن القلعة التالية بعدهم هى طليطلة ذاتها[٥٥].

فما كان من المأمون الذى رأى عجزه عن مقاومة الملك فرديناند إلا أن أرسل إليه يناشده السلام، وجمع كثيرا من الأموال والهدايا، وتوجه بنفسه إلـى مقابلته، وقدم إليه كل ما جمعه، وأعلن اعترافه بالخضوع والتبعية مع دفـــع الجزية ووافقه فرديناند[٥٦]، وعاد محملا بالغنائم والأموال، التى منح كثـــيرا منها إلى الأديرة والكنائس[٥٧].

وهكذا أجبر كل من ابن الأفطس فى بطليوس، والمأمون فى طليطلة، والمقتدر بن هود فى سرقسطة، على دفع الجزية والخضوع للملك فرديناند الأول ولكن سرعان ما امتنع ابن الافطس عن دفع الجزية، ويفسر ذلك ابن عذارى عندما أشار إلى أنه من الأمراء امتنع ابن الافطس عن دفع الجزية، ولذلك ارسل الملك فرديناند جيشا مكونا من عشرة آلاف فارس، حيث كانت وجهته مدينة شنترين(٥٨)، أهم مدن مملكة بطليوس، فلما علم ابن الافطس، اسرع إليها قبل قدوم الجيش المسيحى، الذى وجد قائده صعوبة فى الاستيلاء على المدينة المشهورة بحصانتها، فقرر التفاوض مع ابن الافطس، والتقى الاثنان على نهر التاجة، حيث كان ابن الافطس راكبا زورق، والقائد المسيحى راكبا فرسه يخوض به الماء، وتفاوض الاثنان، فطلب القائد المسيحى ضرورة دفع الجزية، ولكن تمنع ابن الافطس، وبعد شد وجذب وافق على دفع خمسة آلاف دينار جزية سنوية(٥٩).

وجذير بالذكر أن ابن عذارى لم يشر إلى العام الذى وقعت فيه تلك الحملة، ولكن من خلال سير الأحداث نجد أنها بعد حملة ١٠٦٢م على طليطلة، لأن ابن عذارى اشار عندما رفض ابن الافطس دفع الاتاوة من بين جميع أمراء الثغور) والمقصودين هما أميرا سرقسطة وطليطلة، والأخير دفع الجزية فى عام ١٠٦٢م، ولذلك نرى أن هذه الحملة تكون فى نهاية ١٠٦٢م وبداية ١٠٦٣م.

حقيقة أن المصادر الأولية الاسبانية، لم تشر صراحة إلى هذه الحملة ولكن اشارت مدونة راهب سيلوس، وأيضا ساندوبال، أنه قبل حملة الملك فرديناند على أراضى أشبيلية فى ١٠٦٣م، فإن الملك فرديناند كان قد توجه

إلى اقليم لوزيتانيا، وقام ببعض الحملات ضد مدنها، لاجبارها على دفع الجزية[٦٠]. ومما يؤكد هذا أن المؤرخ فرناندز أشار إلى أن هذه الحملة على البرتغال كانت فى ربيع سنة ١٠٦٣م[٦١].

أما عن حملته الشهيرة ضد أراضى ابن عباد، حيث توجه بجيش ضخم إلى أراضى الوادي الكبير، وقد كشفت لنا المصادر عن الغرض منها، حيث كان يرغب فى إحضار أجساد القديسين ولكن لا نتفق معها فى أنها السبب الرئيسي للحملة، ولكن من أهم أسبابها أن دولة بنى عباد هى أقوى وأكبر دول الطوائف فى الأندلس، وأن فرديناند رأى أنه فرض سيطرته على الممالك الثلاث (سرقسطة - طليطلة - بطليوس) دون أهم هذه الممالك، والتى تعتبر لها الزعامة على باقى دول الطوائف، ولذلك لكى تكتمل سيطرته وفرض زعامته على شبه الجزيرة الايبرية، كان لابد من فرض سيطرته على مملكة بنى عباد،والاعتراف بتبعيتها له ودفع الجزية رمز هذه التبعية.

وقد دخل الملك فرديناند فى أراضى الوادى الكبير مدمرا كل ما يقابله، من أودية وقلاع وحقول، مستوليا على كل ثروات تلك المناطق، مما دفع المعتضد ابن عباد إلى طلب السلام، وجاء إلى الملك فرديناند مقدما الكثير من الهدايا والأموال، عارضا دفع الجزية مثلما فعل باقى ملوك الطوائف فى الأندلس، وحينئذ دعا الملك فرسانه، وعقد مجلسا طالبا النصيحة من مستشارية، الذين رأوا أن يدفع المعتضد جزية سنوية، وأن يسلم إلى السفراء، الذين سيوفدهم ملك قشتالة جثة القديسة العذراء خوستا، التى استشهدت زمن الاضطهاد الرومانى، فاستجاب المعتضد لهذه الشروط[٦٢]، وإن كانت السفارة

التى ارسلها لم تعثر على جسدها ونقلت بدلا منها جسد القديس إيزادور وبعض أجساد القديسين[٦٣].

وهكذا نجد أن الملك فرديناند قد فرض الجزية والخضوع على الممالك الأربعة الرئيسية فى الأندلس، كما أشارت المدونات الأسبانية في عام ١٠٦٣م[٦٤].

وكانت مملكة سرقسطة مطمع لكل الممالك المسيحية المجاورة، فكل منها يعتبرها إمتداد طبيعى لمملكته، فنجد أن ريموند برنجير الأول يفرض الجزية على لاردة، وراميرو الأول ملك اراجون يهدد سرقسطة نفسها، ويحاول فرض الجزية على بعض المدن الإسلامية التابعة لها، ولذلك انتهز فرصة انشغال أخيه بغزوة أشبيلية، وسار لمهاجمة المسلمين فى سرقسطة ووشقة وتطيلة[٦٥].

وكانت مفاجأة للمسلمين لأنهم أخذوا على غرة، ولذلك طلبوا المساعدة من صاحب الجزية عليهم الملك فرديناند، الذى لبى نداءهم الا أنه لم يرغب فى قطع غزوته على أشبيلية، ولذلك أرسل ولى عهده سانشو على رأس جيش لمساعدة مسلمى سرقسطة ضد أخيه[٦٦]، حيث التقيا فى معركة جراوس Grados-grous والتى انهزم فيها الجيش الاراجونى ولقى الملك راميروا مصرعه[٦٧].

وكان كل ما يخشاه الملك فرديناند، أن تسقط سرقسطة فى أيدى أخيه وهى كانت مطمحه إلى حين .

أما أهم انجازات الملك فرديناند التى ختم حكمه بها هو الاستيلاء على المدينة الهامة قلمرية[٦٨]. والتى أشارت جميع المصادر إلى أهميتها، فهى أعظم القواعد الإسلامية فى شمال غربى الأندلس، وأقوى مدينة فى تلك المنطقة، وتعتبر عاصمة للأقليم ومدينة مهمة للعبادة المسيحية[٦٩]، وكانت سجالا بين المسلمين والمسيحيين، حيث كان الملك الفونسو الثالث (٨٦٦-٩١٠م) قد استردها من المسلمين عام ٨٧٨م وعمر ما حولها[٧٠]، حتى استردها المنصور بن أبى عامر فى ٣٧٥هـ -٩٨٧م فى حملاته المشهورة [٧١]، وبقيت فى ايدى المسلمين، حتى قرر الملك فرديناند الاستيلاء عليها لكى يكمل فتوحاته حتى نهر الونديجو. خاصة وأن مستشاره ششند المستعرب قد نصحه بضرورة الاستيلاء عليها، وهو الخبير بالشئون العربية حيث خدم ابن عباد[٧٢] من قبل.

ويشير أمريكو كاسترو[٧٣]، إلى الجانب الدينى فى حملات الملك فرديناند الأول، حيث تشير المدونات المعاصرة بتفاصيل وافرة عن رحلته إلى مدينة شانت ياقب، لالتماس البركة والمساعدة. فزار قبر القديس الراعى وقضى ثلاثة أيام فى الصلاة والعباد، وكما أشار راهب سليوس بأنه تم عقد مجلسا للصلاة، وكان الحلم والقديس شانت ياقب، الذى وعده بأنه يمنحه هذه المدينة لتعود للمسيحيين[٧٤].

وقد استعد الملك فرديناند الأول بجيش ضخم، وآلات حصار وقلاع خشبية، وعدد كبير من المهندسين، لكى يواجه أسوار مدينة قلمرية القوية[٧٥]. والتى خيم أمام فى ٤٥٦هـ -٢٠ يناير ١٠٦٤م[٧٦]، وبدأ الحصار وكان

يعتمد أساسا فى خطته على تجويع المدينة، حيث أنه من الصعب اقتحامها وهى بهذه القوة والحصانة.

واستمر الحصار وكانت أثناءها قد تعرضت مؤن الجيش القشتالي للنفاذ، وفى لحظة قرر الملك فرديناند الانسحاب، ولكن تدخل الفارس السيد الكمبيادور الشهير بالاتصال برهبان دير لورفان Lorvan القريب، والذين أمدوه بكل ما يتاجونه من الغلال، والتى سعد بها الملك فرديناند (واعتبرها مساعدة من الله) وهكذا ازدادت معنويات جيشه فى حين عانت المدينة من الجوع[٧٧].

وبعد حصار شديد دام ستة أشهر، اشتد فيها القتال، ونجح الجيش المسيحى فى إحداث ثغرات فى أسوار المدينة، وتيقن حاكمها راندة من عدم وصول نجدات، ورغبة فى نجاته هو وأسرته فإنه قد أرسل إلى الملك فرديناند سرا على أن يخرج هو وعائلته من المدينة، وهو ما نفذه وخرج فى الليل إلى معسكر الملك فرديناند، وأصبح أهل المدينة لم يجدوا قائدهم[٧٨]، مما أدى إلى هبوط الروح المعنوية لدى سكان المدينة، خاصة وأنه أصبح الأمل ضعيفا فى النجدة أو المقاومة، لاسيما بعد أن تمكن الجوع من سكانها بشكل كبير.

أما عن رواية الاستيلاء على المدينة فنجد الروايات الإسلامية والإسبانية تختلف فى بعض التفاصيل، وتتفق فى البعض الآخر، فنجد الرواية الإسلامية تشير إلى أن سكان المدينة، عندما رأوا فرار حاكم المدينة رانده إلى المعسكر المسيحى، فإنهم طلبوا التسليم مع منحهم الأمان فلم يوافق الملك

فرديناند، الذى علم بنفاذ الأقوات، فكثف فى هجومه على المدينة حتى اقتحمها عنوة، فقتل من قتل وسبى من سبا[٧٩].

أما الراوية الإسبانية فإنها تشير إلى بعض التفصيلات بأن الجيش المسيحى هاجم بقوة بالآلات الخشبية (الإبراج) حتى نجح فى إحداث ثغرة فى سور المدينة ، وعندما عجز المسلمون عن سد الثغرة أو الدفاع، طلبوا إيقاف القتال وذلك فى ٩ من يوليو[٨٠]، وحينئذ أمر الملك فرديناند بإيقاف القتال، حتى يرى ماذا يريدون، وحينئذ خرج المسلمون من المدينة، يرجون الملك أن تسمح لهم بالخروج ومعهم أولادهم ونساؤهم، ويتركون كل أملاكهم ولا يأخذون إلا نفقات الطريق، فوافق الملك ودخل المدينة[٨١]، ولكن حامية المدينة رفضت التسليم، واستمرت فى الدفاع عنها حتى نفذت الأقوات، وعندئذ نجح الجيش المسيحى فى اقتحام القلعة، واسر كل من كان بها من الحامية. والذين بلغ عددهم على حد قول بعض المصادر خمسة آلاف وخمسمائة أسير[٨٢]، وذلك كان فى يوم الجمعة ٢٣ يوليو سنة ١٠٦٤م، ودخلها الملك فى احتفال كبير فى ٢٥ يوليو نفس العام[٨٣].

والواقع أن اختلاف بعض المصادر فى تاريخ الاستيلاء على المدينة ما بين ٩ يوليو و ٢٣ يوليو، فإن من تبنوا تاريخ ٩ يوليو على أساس استلام سكان المدينة ودخولها كان فى هذا اليوم، أما من يرى تاريخ ٢٣ يوليو فعلى أساس أن المدينة استسلمت يوم ٩ يوليو ولكن سقوط القلعة فى المدينة والاستيلاء الكامل عليها كان فى ٢٣ يوليو.

وجدير بالذكر أن سقوط قلمرية كان كارثة بالنسبة للمسلمين فماذا كـــان رد فعلهم؟ نجد أن بنى الأفطس لم يحركوا ساكنا من أجل ارســـال نجـدات لمساعدة سكان المدينة، وقد وقفوا مكتوفى الايدى، ويبدو أنه لنفــس السـبب السابق عدم القدرة على مواجهة جيش فرديناند، وفى وفى الوقت نفسه الخوف من هجوم المعتضد بن عباد على أراضيهم، وكان رد الفعل الوحيد هو عندمـا حضر رانده حاكم المدينة إلى المظفر ابن الافطس، ووبخه وأمر بقتلـــه(٨٤)، نتيجة لتخاذله فى الدفاع عن المدينة .

وهكذا عندما اكتملت فتوحات فرديناند فى أراضى المسلمين الواقعة بين نهرى دويرة ومنديجو كون منها كونتية البرتغال(٨٥)، وعيـن عليـها ششـند المستعرب حاكما عليها. وهكذا أجبر الملك فرديناند المسلمين علـى الـنزوح جنوبا وطردهم حتى منطقة حدود نهر مونديجو.

أما أخر حملات الملك فرديناند الأول، فكانت ضد بلنسية ، والواقـع أن من أهم أسبابها الأحداث التى مرت بها المنطقة من حادثة بربشتر، واسـتيلاء الحملة الصليبية عليها سنة ١٠٦٤م، وعجز المقتدر عن انقاذها، مما أدى إلـى استنفار شعور المسلمين وأمرائهم فى الأندلس للجهاد. واجتمـع كثـير مـن المسلمين فى فرق من مختلف الممالك، وكانت هذه الهضبة قد جعلت الحماسة تشتعل تجاه المسيحيين، وكان لابد من حدوث تطورات هامـة تتضـح فـى الأسباب المباشرة التى أشارت إليها المصادر الإسبانية لحملة الملك فرديـناند، فقد أعقبت الحماسة ضد المسيحيين أن تم اضطهاد المستعربين. وفـى نفـس الوقت كانت بعض الفرق الإسلامية من مملكة سرقسـطة، هـاجمت بعـض الأراضى لملك قشتالة فرديناند الأول، بالإضافة إلى تحالف المقتدر بن هـود

أمير سرقسطة مع المعتضد فى أشبيلية، ولذلك قطع الجزية عن الملك فرديناند[٨٦].

ونتيجة لهذا قرر الملك القيام بحملة تأديبية فى ٢٥ يناير سنة ١٠٦٥م ضد مملكة سرقسطة، حيث توجه بجيشه إلى اراضيها الجنوبية (وهو الاقليم القديم السلتِ ايبرى Celtiberica) مدمرا الكثير من القرى والمزارع والقلاع، حتى وصل إلى مدينة بلنسية[٨٧]، حيث بدأ حصارها وفى المقابل بدأ الارتباك داخل أسوار المدينة، ولكن أهلها أسرعوا بالتحصن خلف الأسوار، وعندما وجد الملك فرديناند صعوبة فى الاستيلاء على المدينة، لجأ إلى الحيلة، حيث تظاهر بالانسحاب نحو الشمال إلى موقع يدعى بطرنة، مما دفع غرور البلنسيين إلى الخروج بقيادة عبد الملك لمطاردة الفارين، ولكن كمن القشتاليون، ثم فاجئوا البلنسيون، وهزموهم وأمعنوا فيهم قتلا وأسرا، مما دفع الباقين إلى الارتداد إلى مدينتهم، يتبعهم الملك فرديناند، وتحصن فلول البلنسيين فى داخل المدينة، وعاد القشتاليون محاصرة المدينة، مما دفع المأمون للاسراع لنجدة صهره عبد الملك على الرغم من خضوعه لفرديناند ودفع الجزية له، ولكن حدث أن فرديناند قد شعر بالمرض، فقرر التراجع بقواته إلى ليون، حيث توفى بعد قليل فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٠٦٥م[٨٨].

وجدير بالذكر أن توجهه لحصار مدينة بلنسية، هل كان لحسابه الخاص، أم مساعدة للمأمون صاحب طليطلة والذى كان على خلاف وصراع مع زوج ابنته، وحاكم بلنسيه عبد الملك بن عبد العزيز بن أبى عامر حفيد المأمون[٨٩].

ونجد أن الرأى الأول هو الأقرب إلى منطقة الأحداث، حيث أنـــه فـــى حملته المذكورة، قد وصل فى تحركه حتى مدينة بلنسيه، فرأى محاصرتـــها والاستيلاء عليها، خاصة وأنه يعلم أحوالها وأحوال العلاقة بين عبـــد الملـــك وصهره، ولذلك أراد انتهاز هذه الخلافات وتوسيع دائرة ملكه، ولكن يبـــدو أن بعض المؤرخين نادوا بالرأى الثانى لسببين: الأول أن هناك اشارة غامضـــة لابن عذارى من أن المأمون استعان بفرقة من النصارى فى حروبه ضد عبـد الملك، والثانى أنه أعقب معركة بطرنة استيلاء المأمون علـــى بلنســـية(٩٠). ولكن بتحليل الرأى الثانى نجد أن ابن عذارى نفسه اشار إلـــى أن المـــأمون أسرع إلى نجدة بلنسية، عندما حاصرها الملك فرديناند، بالإضافـــة إلـــى أن اشارة ابن عذارى غامضة، ويشير إلى أنها "فرقة من النصارى" ويمكـــن أن تكون من إحدى الممالك الاسبانية الأخرى المتصارعة مع الملـــك فرديـنـــاند، ويبدو أن المؤرخين فسروا الفرقة بأنها تابعة لفرديناند على أساس أن المأمون يتّبع فرديناند، ويدفع له الجزية ولذلك نرى أن الرأى الأول هو الاقرب إلـــى منطقة الأحداث وتؤكده المصادر نفسها.

وهكذا يعتبر الملك فرديناند الأول من أهم ملوك اسبانيا، حيـــث بـــدأت حركة الاسترداد تتبلور فعليا على يديه، ونجح فـــى اســـتقطاع كثـــير مـــن الاراضى والمدن والقلاع الإسلامية، وفرض سيطرته علـــى أكـــبر ممـــالك الطوائف الإسلامية، وأجبرهم على دفع الجزية له والاعتراف بالسيادة، وكـــان يحلم بطرد المسلمين من شبه الجزيرة قاطبة، ويتضح ذلك فى القـــول الـــذى أشرنا إليه من قبل عندما طلب منه أهل طليطلة الصلح ورد عليهم بأنه يريـــد طردهم من هذه البلاد، ويأمرهم بالرحيل إلى العدوة، لأنه لن يتركـــهم حتـــى ينفذ ذلك، وتتضح زعامته لشبه الجزيرة أنه قبيل وفاته أعطى لسانشو الكبـــير

قشتالة، وحقوق الجزية على مملكة سرقسطة، وخص الفونسو الابـن الثـانى بليون واشتوريا وحقوق الجزية على مملكة طليطلة، وخص الابـن الثـالث جارثيا بجيلقية والبرتغال وحقوق الجزية وعلى مملكتى اشبيلية وبطليوس[٩١].

ويتضح من ذلك أن الملك فرديناند الأول، أصبحت له الكلمة العليا فـى شبه الجزيرة الايبيرية، سواء على الممالك المسيحية أو الممالك الإسـلامية. وقد اشار راهب سليوس بنفس النص "قد أصبحت كلمة الملك فرديناند علـى كل اسبانيا هى العليان ويخضع له كل المسلمين"[٩٢]. ولذلك لقـب بفرديـناند العظيم El Mono وكان يطلق عليه اسم الامبراطور نتيجة لرئاسـته العليـا على شبه الجزيرة بممالكها، خاصة وأن هذا اللقب ارتبط بمن يحكـم مدينـة ليون.

ولذلك وما تم استعراضه من غزواته وحملاته واستلاءاته على المـدن والقلاع الإسلامية، يمكن أن نقرر بأن الملك فرديناند، قد تبلورت على يديـه حركة الاسترداد، ويعتبر من أول وأكبر من حقق إنجـازات ضخمـة ضـد المسلمين ، أضافت إليه شهرة كبيرة بين ملوك الممالك الإسبانية، وفى الوقـت نفسه يعتبر عهده حدا فاصلا بين مقاومة المسلمين، والدفاع عـن وجودهـم وكيانهم وبين بداية تطور فكرهم من الاستعداد لتغيير استراتيجيتهم، وبدايـة الهجوم، وتنفيذ حركة الاسترداد بشكل ملموس، وهدف واضح، وكل ذلك لمـا حدث للمسلمين من سقوط الخلافة الأموية وانقسامهم وتناحرهم فيما بينهم.

هوامش البحث

(١) كان الإطار الأول لمفهوم حركة الاسترداد يعنى جهود الإسبان وكفاحهم ضد القوى الأجنبية المختلفة، التى تقاطرت على شبه الجزيرة منذ بداية عهد الفينيقيين حتى انتهاء الوجود الإسلامى بها (حسين مؤنس، فجر الأندلس، القاهرة ١٩٥٩م، ص ٣١٠). أما الإطار الثانى، هذه الحروب التى شنها الإسبان ضد المسلمين فى الأندلس منذ (٧١١-١٤٩٢م) واستمرت زهاء ثمانية قرون حتى إنهاء وجودهم السياسى بالأندلس.

Martin, J1: La Peninsula en la Edad Media, Barcelona 1978, p.229.

(٢) حقيقة أن هناك بعض الاعتراضات على استخدام مصطلح حركة الاسترداد ولكن يجوز استخدامها لأن هذه الحروب شنها الإسبان على أساس أنهم يستردون ما فقدوه إلى حوزة المسيحية مرة أخرى ولهذا أطلقوا عليها هذه التسمية، وجدير بالذكر أن ابن الخطيب استخدم هذا المفهوم عندما أشار فى كتابة أعمال الاعلام عن وضع المسلمين بعد سقوط الخلافة بقوله "ومن لدن تفرقة شمل الإسلام وانشقت عصاه - وتبددت كلماته ولم يكن هم عدو الإسلام إلا استرجاع البلاد والأقطار" أعمال الإعلام، بيروت ١٩٥٦، تحقيق/ ليفى بروفنسال، ص ٢٤١.

وأنظر تحليلنا لهذه الحروب هل هى حركة استرداد أم حروب صليبية، محمد النشار : البابوية وفرنسا على مسرح الحروب الصليبية فى الأندلس - مجلة اتحاد المؤرخين العرب ١٩٩٦م "ندوة الإطار التاريخى للحركة الصليبية" ص ٣-٤.

(٣) بالغ المسيحيون فى إطلاق أهمية كبيرة على هذه المعركة واعتبروها بداية حقيقة لانتصارات الإسبان والواقع أنها أضفت عليها الكثير من الهالات والاساطير وهى لم تكن إلا مناوشة أو غارة مسيحية على فرقة إسلامية ولمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة أنظر :

Cronica de la corona de Aragon, Barcelona, 1919, p.1. حسين مؤنس، بلاى وميلاد استوريس، فصلة من مجلة كلية الآداب – المجلد الحادى عشر – الجزء الأول – مايو ١٩٤٩م ، ص ٩–١٠.

(٤) كان قد أعطى جارثيا مملكة نافار وفرديناند مملكة قشتالة وجليقية وراميرو مملكة أراجون وجونزالو مقاطعتى سوبراب وريباجورث.

- Cronica de la Corona de Aragon, p.5; Principe de Viana: Cronica de los Reyes de Navarra, Valencia 1971, pp.58-61; Zurite, J. : Anales de la Corona de Aragon, Ti, Zaragoza 1976, pp.52-60; CF.also: Caalaghan, J.E.:A history of Medieval Spain, London 1975, p. 194.

(٥) كانت قد بدأت هذه الحروب بمقتل جونزالو، فضم مقاطعتى سوبراب وريباجورث إلى مملكة اراجون، ثم قامت الحروب بين راميرو، الذى كان يطمع فى مملكة نافار ضد أخيه جارثيا. وبدأت الحروب سجالا بينهم ثم انتقل الصراع بين نافار وقشتالة وهى أطول وأشهر هذه الحروب، حتى انتهت ١٠٥٤م بمقتل جارثيا، وأصبح فرديناند له الكلمة العليا على الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة الإيبيرية، ولمزيد من التفاصيل عن هذه الحروب انظر:

- Cronica Najerense, Valencia 1966. Pp.95-96; Cronica Navarras, Vcalencia 1964, p.26 ; Primera Cronica general de España, Editorial gredos 1955, pp. 484-485; cf. Also: Herculano, A, Historia de Portugal, TI, Lisboa 1980, pp. 221-222.

- محمد عبدالله عنان، دول الطوائف، القاهرة ١٩٨٣، ص ٣٧٨ : ٣٨١.

(٦) تعتبر أول نشأة لقشتالة عندما أصبحت كونتية مستقلة عن المملكة الليونية الاشتورية على يد فرنان جونثالث Fernan Gonzalez عندما كافح ضد الملك راميرو من أجل استقلاله بحكمها في منتصف القرن العاشر الميلادى.

- Martin, Op.Cit., pp. 203-205.

- دوزى: المسلمون فى الأندلس - الجزء الثانى، ترجمة د. حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤، ص ٤٠-٤٥.

ولكنها انتقلت إلى حكم شانشو الكبير ملك نافار، الذى كان متزوجا من البيرة أخت جارثيا ابن سانشو جارثيا، كونت قشتالة، حفيد فرنان جونثالث وعندما تلقى جارثيا مصرعه فى ليون استولى سانشو على قشتالة بصفته وريث لعرشها عن طريق زوجته، وندب لحكمها ولده فرديناند الأول.

- Tarapha, F. : Chronica de España, Barcelona 1562, p.110; C.F. also : Valdeon : J.: EL Reino de castilla en la Edad Media, Bilbao 1972. Pp. 26-27; Riu : R.M., Manual de

Historia de España Edad Media 711-1500, Madrid 1989, p. 208.

- عنان ، دول الطوائف، ص ٣٧٧. وهناك رأى لبالدون يذكر أن فرديناند قد لقب بكونت، وكان تابعا لأخيه جارثيا ملك نافار، وأنه لم يتلقب بلقب ملك إلا فى ١٠٣٧م عندما ضم ليون،

- Valdeon, Op.Cit., p. 2-9.

(٧) كان الملك سانشو الكبير قد طمع فى مملكة ليون، ونجح فى انتزاع الكثير من اراضيها. وعندما رأى النبلاء فى ليون ضعف ملكهم برمود، أقنعوه بمهارة أن يزوج أخته سانشا بفرديناند ابن الملك سانشو، وأهداهما كدوطة للزواج الأراضى ما بين سيا cea ونهر بيسورجو Pisuergo ولكن بعد وفاة الملك سانشو تنكر برمود لو عوده، وأراد أن يسترد ما أهداه إلى أخته، وعندما علم فرديناند دعى أخاه جارثيا ملك نافار والتقوا فى معركة تامارون، التى هزم فيها برمود، وجرح، ثم توفى متأثرا بجراحه.

- Rofrigo, Jimenez de Roda: Historia de las hechos de España, Madrid 1982, p.229; Anales Complutense, C.L. R. Ti Valencia 1913, p.323; C.F. also : Callaghan, Op.Cit., p.136; Fernandez, L.S.: Historia de España, Edad Media, Madrid 1970, p.164.

(٨) وخير توضيح لذلك ما ذكره ابن الكرديوسى عن تلك الفترة وعند ذلك انقطع اسم الخلافة من الجزيرة ودارت الدوائر المبيرة، وفسد حال الرائس والمرؤس وارتفع كل خامل وخسيس وثار الثوار، واشتعلت بكل مكان النار

وظهر العدو غاية الظهور ولاسيما على الاطراف والثغور "تاريخ الأندلس ووصفه لابن الشباط تحقيق د. أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ١٩٧١، ص٦٨. وأشار أيضا ابن الخطيب بقوله "ومن لدن تفرق شمل الإسلام وانشقت عصاه وتبددت كلماته ولم يكن هم عدو الإسلام إلا استرجاع البلاد والأقطار واستضافة العمالات وافتتاح القلاع والاستيلاء على الثغور تارة فى سبيل المشارطة والاستجارة وتارة فى سبيل المسالمة والمتاركة وتارة بالغلاب والمنازلة وقد وقع من ملوكهم التكالب والتنافس. أعمال الإعلام، ص ٢٤١. وفى اضافة أخرى "وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التحاسد والتنافس والغيرة، ما لم يجعله بين الضرائر المترفات والعشائر المتغايرات، فلم نتصل لهم فى يد الله ولا نشأ على التعاضد عزم ولا توجه إلى الاستكثار قصد" أعمال الإعلام، ص ٢٤٤.

(٩) تعتبر مملكة طليطلة من أكبر وأهم دول الطوائف، حيث تتمتع بموقع استراتيجي هام وتشمل مساحة كبيرة من قلب الأندلس وحدودها من الغرب مملكة بطليوس، ويحدها قورية وترجالة نحو الشمال الشرقى حتى قلعة ايوب وشنتمرية الشرق، والتى يحدها من الشرق مملكة سرقسطة وتمتد فيما وراء نهر التاجة متأخمة لحدود قشتالة، وجنوبا بغرب حتى حدود مملكة قرطبة عند مدينتى المعدن والموور ويتوسطها عاصمتها طليطلة، ومن أهم مدنها مدينة سالم، ووادى الحجارة، وقونقة، ووبذة واقليش، ومورة، وطلبيرة وترجالة وغيرها.. ومؤسسها أبو الحسن بن يحيى بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذى النون، ولمزيد من التفاصيل عن دولة بنى

ذى النون أنظـــر: ابــن عــذارى، البيــان المغــرب، الجــزء الثــالث/ ١٩٨٣،ص٢٢٧: ٢٨٣، ابن بسام الشنتريني: الذخيرة فى محاســن أهـل الجزيرة، القسم الرابع، المجلد الأول ، تحقيق، احسان عبـــاس، بـيروت، ١٩٧٩، ص ١٤٢ : ١٦٩، عنان: دول الطوائف، ص ٩٤ - ١١٨، ليفـى بروفنسال ، نفس المرجع، ص ١٢٢-١٢٣.

(١٠) كانت مملكة سرقسطة أو الثغر الأعلى من أعظــم دول الطوائــف، إذ كانت ذات مساحة مترامية. وترجع أهميتها إلى أنها كانت بؤرة الأحداث إذ تقع بين الممالك المسيحية الإسبانية، فمن الشرق كتالونيا والشمال الغربـــى مملكة نافار ومن الجنوب والغرب مملكة قشتالة، وتشمل عدة مدن هامـــة أهمها: طرطوشة وأعمالها، وسرقسطة وأعمالها، وأفراغه ولاردة وقلعـــة أيوب، وطركونة، وتطيلة ووشقة وبربشتر، ومؤسسها سليمان بـــن هـود المستعين، وتلقب ابنه أحمد بالمقتدر. ولمزيد من التفاصيل انظر:

ابن عذارى ، البيان، جــ٣، ص ٢٢١-٢٣٢، عبد الواحـــد المراكشـى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، الدار البيضـــاء، ١٩٧٨م، ص ١٠٦-١٠٧، عنان، دول الطوائف، ص ٢٦٤-٢٩٦.

(١١) ابن عذارى، البيان، جــ٣، ص ٢٧٧-٢٧٨، عنان، دول الطوائــف، ص٩٨.

- Lamax, D.W: La reconquista, Barcelona 1984, p.74.

(١٢) ليفى بروفنسال، الإسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة د. السيد عبـــد العزيز سالم وآخرون ، القاهرة ١٩٥٦، ص١٤٢.

(١٣) ابن عذارى، البيان، جــ٣، ص٢٧٨. عنان، دول الطوائف، ص ٩٩.

- Lamox, Op.Cit., Loc cit.

(١٤) ابن عذارى، البيان، جـ٣، ص١٧٩.

(١٥) قلعة النهر Alcala de Henares وهى تطلق عليها أحيانا قلعة عبد السلام أو قلعة هناريس واسمها القديم هو Complutense وهى حاليا قرية تقع شرق مدريد.

(١٦) وقد اشار ابن عذارى أيضا إلى تقاعس المسلمين فى الدفاع عن أراضيهم بقوله وصب الله تعالى على أهل الثغور من الجبن عن العدو ما لا كفاء له فلا يكاد أحد منهم يلقى نصرانيا فى قرار من الأرض، الا ويوليه الدبر غير مستحى من الله سبحانه من الفرار أمامه، حتى تعود أعداء الله ذلل منهم فلا يعيرون حبلهم شيئا، فذهبت أكثر أموال أهل طليطلة بتكرار الغارات عليهم وفشت جوانحهم، وجلا كثير من اهل ضياعهم وأطرافهم إلى قاعدتهم. البيان، جـ٣، ص٢٨٠.

(١٧) فدخلوا عليه ووعظوه وذكروه بالله سبحانه وعرفوه بما تهيأ للعدو من النصر والظفر على المسلمين وما أفسده من بلادهم وما ظفرت به أيديهم من أموال المسلمين "ابن عذارى: البيان، جـ٣، ص٢٨٠.

(١٨) مدينة سالم Medinaceli وهى شمال مدريد بنحو ١٥٣كم فى الطريق بين مدريد وسرقسطة. وهى مدينة قديمة عرفت فى العصر الرومانى باسم Ocilis، لما فتح العرب اسبانيا عمر هذه المدينة زعيم مغربى مصمودى اسمه سالم بن ورعمال المصمودى، الذى يحتمل أن يكون من قادة الرعيل الأول وقام بفتح اسبانيا. ومنذ ذلك الوقت عرفت المدينة باسم هذا القائد سالم. انظر هامش رقم ١، ص ٦٠ لأحمد مختار العبادى فى تاريخ

الأندلس لابن الكرديوسى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٧١ وقد أشار إليها أبو الفدا بأنها قاعدة الثغر الأوسط الأندلسى وهى مدينة جليلة وبها قبر المنصور بن أبى عامر، تقويم البلدان، باريس، ١٨٩٠، ص١٧٨،١٧٩.

(١٩) ابن عذارى: البيان، جـ٣، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٢٠) ابن عذارى: البيان، جـ٣، ص٢٧٨-٢٧٩، عنان : دول الطوائف، ص ٩٩.

(٢١) ابن عذارى: البيان، جـ٣، ص ٢٨١.

(٢٢) وكان يساعد جيش الملك فرديناند آنذاك عبد الرحمن بن إسماعيل بن ذى النون آخو المأمون والثائر عليه. ابن عذارى: البيان، جـ٣، ص٢٨١، عنان: دول الطوائف، ص ١٠٠.

(٢٣) ابن عذارى: البيان، جـ٣ـ ص ٢٨١-٢٨٢.

(٢٤) ابن عذارى: البيان، جـ٣، ص٢٨٢.

(25)Elcronicon del silense, P.125, Primera Cronica.., pp.284-485; Cronicas Navarras, p.26; CF: also Pidal : La España del cid, Buenos Aires, 199, pp.77-78; Lafuente, Op.Cit, p.2669; Herculano, Op.Cit., pp. 221-222.

(٢٦) اشباخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، تاج القاضى، ١٩٤٠، ص ١٧-١٨.

(٢٧) اشار رودريك الطليطلى إلى أنه بعد وفاة أخيه أصبحت السلطة العليا على اسبانيا ومملكته ضمت جليقية واشتوريا وليون وقشتالة وناخر Najera والابرو (نهر) وأراضى من نافار بين نهر الابرو وجبال البدينية.

- Radrigo, Op. Cit., p.232.

(٢٨) يطلق البرتغاليون أحيانا فى العصر الحديث على بلدهم اسم لوزيتانيا مما يدل على الارتباط الاقليمى بين هذه التسمية واسم "البرتغال" وإن كانت حدود لوزيتانيا تفوق حدود البرتغال الحالية من حيث المساحة. ولمزيد من التفاصيل انظر:

- Gómez Y Guevara : Lusitania, Santiago de Chile 1977, pp. 1-30; Mar......... , pp.19-23.

(٢٩) من أهم ممالك الطوائف وهى تشمل مساحة كبيرة من الأراضى، تحدها جنوبا جبال الشارات الكبرى (سيرامورينا) التى تفصلها عن مملكة بنو عباد فى أشبيلية وتحدها من الشرق مملكة طليطلة ، وتبدأ أراضيها من مثلث نهر وادى بانه غربا حتى المحيط الاطلنطى، وتشمل اراضى البرتغال حتى مدينة باجه فى الجنوب وعاصمتها بطليوس وتشمل عدة مدن عامة مثل مارده ويابرة واشبونه وشنترين وشنترة وقلمرية وبازو وغيرها، لمزيد من التفاصيل . انظر: ابن عذارى: البيان، جـ٣، ص ٢٣٥-٢٤٠، وعبد الواحد المراكشى، ص ١١١-١١٢، عنان : دول الطوائف، ص ٨١-١٩٣.

(30)El Cronican del Silense, p.129, Rodrigo Op.Cit, p. 232, Sandoval, Op. Cit., p.4, also: Serrao, Op.Cit., p.66; Lafuente: Op. Cit., p.270.

(٣١) بعض المصادر والمراجع التى أشارت إلى الاستيلاء على بـــازو فـــى ١٠٥٧م هى بالإضافة إلى المصادر الأساسية لأحداث فتح بازو.

- Cronica Najerense, pp.97-98; Primera Cronica general de España., p.486; CF. Also: Serrao, Op.Cit., p.66.

- عنان : دول الطوائف، جـــ٣، ص٣٨٣.

(٣٢) المصادر والمراجع التى أشارت إلى فتح لاميجو أولا فى ١٠٥٧م.

- Chronicon Conimbricense, p.330; Chronicon Compostelano, p.57; Cronica de Godos, p.256; Chronicon, Compiutense, p.55; CF. Also : Livermore: Portugal p. 26.

(٣٣) كان الفونسو الخامس ٩٩٩-١٠٢٨م ملك ليون قد قام بغزوات عديـــدة ضد اراضى المسلمين. المجاورة له وخاصة شمال البرتغال واستولى علـى بعض الأراضى، وتوجه إلى حصار مدينة بازو، ولكن اصيب بسهم مسموم أثناء الحصار، مما أدى إلى وفاته.

- Rodrigo, Op. Cit., p.212, Lomax, op.cit., p.72.

(34) El cronicon del Silense, pp.129-130; Sandoval, Op.Cit., pp.4-5; Primera Cronica, p.486; Lucas de Tuy, op.cit., p.

348 CF. Also: Lafuente, op.cit., p.271; Stephens, H.N.: Portugal, London 1891, p.14.

(35)El Cronicon del Silense, p.131; Rodrigo, op.cit.,p.233; Lucas de Tuy, op.cit., p.348; CF. Also: Lafuente,, op.cit., p.270; Stephens, op.cit., p.14; Serrao, op.cit., p.66.

(36) El Cronicon del Silense, p.131; Rodrigo, op.cit.,p.233; Sandoval, op.cit., p.5; primera Cronico, p.486; CF: also: Lafuente, op.cit., p.270, Martin y Dolores, op.cit., p.271.

- عنان : دول الطوائف، ص ٣٨٣.

(37) El Cronicon de Silense, p.131-132; Primera Cronica, p.486; Sandoval, op.cit; Chronicon Luistono, E.S.T. 14 Madrid 1959, p.404; CF.also: Serrao, op.cit., p.67; Livermore, H. A. new history of Portugal, Cambridge 1976, p.39.

- عنان : دول الطوائف، ص ٣٨٣. اشباخ، جـ١، ص١٥.

(٣٨) ابن عذارى : البيان، جـ٣، ص٢٣٤-٢٣٥. عنان: دولة الطوائف، ص٨٥.

(٣٩) ابن عذارى: البيان، جـ٣، ص٢٣٧. عنان : دول الطوائف، ص٨٥.

(٤٠) عنان : دول الطوائف، ص٣٨٣.

(41) Sandoval, op.cit., p.5.

(٤٢) لم يشر كثير من المؤرخين إلى سنة هذه الحملة بدقة إلا أنه فى المدونه الأولى لتاريخ اسبانيا اشارت إلى أنها فى العام الخامس والعشـــرين مـن حكمه أى (١٠٦٠م) وبيبال أيضا يشير إلى نفس عام ١٠٦٠م.

- Pialal, La España, p.86.

(43)El Cronicon del Silense, p.141; Primera Cronica, p.488; Sandoval, op.cit; Loc cit; Cronica Najerense, p.101; CF: also: Lafuente, op.cit., p.270; Riu, op.cit., p.208.

(44) Marin, op.cit., p. 332.

كان المقتدر بن هود يريد استخلاص طرطوشة من الصقالبه وضمـــها إلـى مملكته، وانتهز الفرصة عندما قامت ثورة فى طرطوشة ضد حاكمها الفتى النبيل، فزحف عليها المقتدر فى قواته، وسلمها إليه النبيـــل فـى الحـال؛ وانتهت بذلك دولة الفتيان الصقالبه ٤٥٢هـ/١٠٦٠م. (ابن عذارى: البيان، جـ٣، ص ٢٥٠ و ٣٠٢).

(٤٥) شمنترية الشرق أو سهلة بن رزيـــن وتعـرف الان باسـم الـبراثين Albarracin وهى تقع فى نفس الاقليم القديم السلت أيـبرى، وتقـع إلـى الشمال الغربى من مدينة بلنسية وغربى Teruel وشرقى وادى الحجـارة، وكان يحكم هذه المدينة عز الدولة ابو حامد هذيل بن خلـــف بـن رزيـن (٤٠١-٤٥٠هـ) ثم خلف ابنه أبو مروان عبد الملك بن هذينة بن رزيـن، الذى ظل يحكم هذه المدينة إلى أن مات (٤٩٦هـ).

أنظر هامش رقم (٥) للدكتور / أحمد مختار العبادى، فى تاريخ الأندلـس لابن الكرديوسى، ص ٧٥، ولوصف هذه المدينة انظر: الحميرى: صفـة

جزيرة الأندلس، ص١١٤-١١٥. ولمزيد من التفاصيل عن هذه الامـــارة الصغيرة . أنظر : دول الطوائف ، ص ٢٥٣-٢٥٩ لعنان.

(٤٦) ابن الكرديوس : نفس المصدر ، ص٧٥.

(47) El Cronicon del Silense, p.141; Lucas de Tuy, op.cit., p.352.

(48) Sandoval, op.cit., p.6; Primera Cronice, p.488; CF, also: Lafuente, op.cit., p.270.

(٤٩) فقد اشار ابن عذارى إلى ذلك بقوله "ثم أن الروم دمرهم الله اســتطالت أيديهم فى مدة ابن هود على بلاد المسلمين بالثغر الأعلى فأخذ معهم ابـــن هود فى اعطاء الجزية وصالحهم فأخذ الطاغية ما الذى رتبه عليه وقســمه على رعيته وعلى أهل عسكره" البيان، جـ٣، ص٢٢٨-٢٢٩.

- Lomax, op.cit.,p. 75.

(50) El Cronicon del Silense, p.141; Lucas de Tuy, op.cit., p.352.

(٥١) قرطاجنة (الخلفاء) كما أشار الحميرى فهى من كورة تدمير وهى ميناء لمدينة مرسية وهى مدينة قديمة أزلية لها ميناء ترسو فيها المراكب الكبـار والصغار. وهى اقليم يسمى الفندون وهى فى داخل الولاية القديمـــة التـى تسمى تدمر.

- الحميرى: صفة جزية الأندلس، ص ص ١٥١-١٥٢.

(٥٢) أشار الحميرى إلى مدينة طلمنكة بقوله "ميدنة ثغــر الأندلــس، بناهــا الأمير محمد بن عبد الرحمن منها أحمد بن محمد بن عبدالله بن لــب بــن

يحيي المعافرى الطلمنكى المقرى وبينها وبين وادى الحجارة عشرون ميلا: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٨.

(53) El Cronicon del Silense, p.143; Sandoval, op.cit., p.6; Primera Cronica, pp.488-489; CF. Also: Pidal, La España, p.88; Valdeon, op.cit., p.29; Fernandez, op.cit., p.172.

- عنان : دول الطوائف، ص ٣٨٣.

(٥٤) وقد اشار ابن الخطيب إلى سياسة فرديناند الثانى عند قوله "لما استولى ملك قشتالة اذونش بن فرذلند على مدينة طليطلة دار ملك الروم وعلى الثغر الجوفى، وانتظمت له البلاد، وقد كان أخوه شانجة وأبوه فرذلند قبله، راضى له ذلك بما القى بكلكله على صاحبها يحيى بن دنون الملقب بالمأمون ٤٤٥ هـ ونازله وألح عليه وضعف أمر المسلمين حتى لم يقدروا إلا على التحصن والاحتجاز وكان من شأن الطاغية أن يترك المسلمين باحواز الموضع الذى قد قصد ويخليهم وما يريدونه من معايشهم فإذا كثرت الغلات، استكثر من الاحتشاد، وفرض على رعيته أمما من الفلاحين لضم الاقوات، فيحاول كل منها ما كان المسلمون يستفيدون لأنفسهم وينقل ذلك على ظهور محلاته ورعيته إلى ثغوره المجاورة لبلاد المسلمين لميز بها محلاته عند الحاجة لذلك وضرب الجزية عليهم بما شاءه. أعمال الأعلام، ص ٢٤٣.

(55)El Cronicon del Silense, pp.143-145; Primera Cronica, p.489; CF. Also: Herculano, op.cit., p.223; Riu, op.cit., p.208.

- عنان : دول الطوائف، ص٣٨٣.

(٥٦) اشارت المدونة الأولى إلى تمنع الملك فرديناند فى الموافقة فى بـــادئ الأمر بحجة أن كل ما يقوله المسلمون لا ينفـــذوه. Primera Cronica, p.489.

(57) Lucas de Tuy, op.cit., pp.352-535; Sandoval, op.cit., Loc cit., Cronica Majerense, p.102; CF. Also: Lafuente, op.cit., pp.270-271.

(٥٨) إحدى المدن الهامة التى تتمتع بموقع جغرافى واستراتيجي واقتصـــادى هام جعلها تحتل مكانة بارزة على مدار التاريخ فى شبه الجزيرة الايبيريـــة فهى تقع على الضفة اليمنى لنهر التاج فوق ربوة مرتفعـــة أمـــام منحنـــى نصف دائرى للنهر تبعد ستة وأربعين ميلا شمال مدينة لشبونه ولذا فـــهى تتمتع بحصانة طبيعية لوجودها على قمة جبل عال وبأسفلها المزارع علـــى طول النهر الذى يستدير بها استدارة السوار بالمعصم ونظـــرا لخصوبـــة اراضيها فكانت من المدن الزراعية ذات الثراء الفائق مما جعلـــها هدفـــا لأطماع المسيحيين. انظر محمد الشقار: تأسيس مملكة البرتغال، مؤسســـة عين، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٥٩. وانظر لمزيد من التفاصيل الادريســـى: صفة المغرب واراضى السودان ومصر والأندلس، تحقيق دوزى امستردام ١٩٦٩، ص١٨٦، أبو الفدا : تقويم البلدان، ص ١٧٢-١٧٣. الحمـــيرى: نفس المصدر، ص١١٣.

(٥٩) ابن عذارى: البيان، جـــ٣، ص٣٣٨، عنان: دول الطوائف، ص٨٦.

Martin y Dolores: Historia de Extremadura, t.2, badajoz 1985, pp.271-272.

(60) El Cronicon del Silense, p.147; Sandoval, op.cit., p.10.

(61)Fernandez, op.cit. p.173.

(٦٢) El Cronicon del Silense, p.147; Primera Cronica, p.490; Lucas de Tuy, op.cit., pp.354-355; CF.also: Pidal: El Imperio Hispánico y Los Cinco Reinos, Madrid 1950, p.91; Lafuente, op.cit, p.271.

- دوزى: المسلمون فى الأندلس، جـ٣، ترجمة د.حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٤٥، ص٧٩-٨٠.

(٦٣) الواقع أن المصادر الإسبانية افاضت فىالحديث عن هذا الموضوع لتأكيد الجانب الدينى فى حياة الملك فرديناند الاول وخاصة أن معظم المؤرخين وعلى رأسهم راهب سيلوس كانوا رهبان أو رجال دين ولمزيد من التفاصيل عند هذا الموضوع أنظر :

▪El Cronicon del Silense, pp.147-151; Lucas de Tuy, op.cit., pp.355-357; Cronica Najerense, pp.102-106; CF. Also: Pidal: La España, pp.88-89; Lafuente, op.cit., p.271.

▪دوزى : نفس المرجع، ص ص ٨٠-٨١.

(64)Chronicon Compostellano, E.S.T.23, Madrid 1850, p.327.

▪وانظر : نفس المصدر فى مجموعة مدونات اللاتين لحركة الاسترداد.

- Las Cronicas Latianas de la Reconquista traduccion por Huici, A.M., RI, Valencia 1913, p.85; Cronicon de los Reyes Leoneses, p.323; CF. Also: Pidal : El Imperio, pp.90-91.

(٦٥) كانت هذه المدن تدفع الجزية لاراجون ثم تحولت عنها لتغدو كل مملكة سرقسطة تابعة لملك قشتالة فرديناند كما أشرنا. أشباخ: نفـــس المرجـــع، جـــ١، ص١٩.

(66) Cronicas Navarras, Valencia 1964; p.26; C.F.also: Callaghan, op.cit., p.196.

- أشباخ: نفس المرجع، جـــ١ن ص١١. عنان، دول الطوائف، ص ٢٨٠.

(67) Primera Cronica, p.475; C.F.also: Fernandez, op.cit., p.175; Lomax, op.cit., p.80.

(٦٨) قلميزة (قلمرية) Coimbra أشار إليها الحميرى بقوله "بـــالأندلس مـــن بلاد برتغال بينها وبين قورية أربعة أيام، وهى على جبل مستدير وعليـــها سور حصين ولها ثلاثة ابواب وهى فى نهاية من الحصانة، وهى صغـــيرة متحضرة عامرة كثيرة الكروم والتفاح والقراسيلو مكانها فـــى رأس جبـــل تراب لا يمكن قتالها وهى على نهر أرجـــاء" صفـــة جزيـــرة الأندلـــس، ص١٦٤.

(69) El Cronicon del Silense, p.133; Tarapha, op.cit., p111; Cronica Najerense, pp.98-99; Lucas de Tuy, op.cit.,p. 349.

(70) Rodrigo op.cit., p.182, CF. Also: Martin Y Dalores, op.cit., p.267.

(71)Chronicon Complutense, p.55. Cf. also: Peres, D. Como Nasceu Portugal, Porto 1931, p.53; Livermore, Portugal, Un. Press 1973, p.26; Serrao, op.cit., p.65.

ابن عذارى : البيان، جـ٣، ص٢٣٨.

(٧٢) من أشهر الشخصيات لتلك الفترة هو ششند المستعرب، وقد أفاضت المصادر الإسلامية والإسبانية عن هذه الشخصية، حيث أنه قد أسر وهو صغير من هذه المنطقة فى غزوة القاضى ابن عباد ضد ابن الافطس، وربى فى بلاط ابن عباد وأعجب به المعتضد، واستخدم فى السفارات بينه وبين الملك فرديناند، ثم مالبث أن انضم إلى خدمة الملك القشتالى. والذى قربه لمعرفته باللغة العربية وأحوال المسلمين ودائم النصح له كوزير. وأصله من مقاطعة بيرة فى شمال البرتغال. ولمزيد من التفاصيل انظر: ابن بسام: الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، م٤، بيروت ١٩٧٩، ص ١٦٥-١٦٦. عنان : دول الطوائف، ص٥٨، ص٣٨٥. وهناك بحث مستقل بذاته عن هذه الشخصية لبيدال.

Pidal, El Conde Mozarabe Sisande Davidis, Y la Palitica de Alfonso VI con Taifas, Al Andallis vol.12, 1947, pp.30-39.

(73)Castro, A., La realidad historico de España, Mexico 1987, p.291.

(74) El Cronicon del Silense, p.133; Rodrigo, op.cit., p.233; Lucas de Tuy, op.cit., p.349; Cronica Najerense, pp.99-100.

(75)Rodrigo, op.cit., Loc cit., Primera Cronica, p.487.

(٧٦) Pidal, La España, p.94، عنان : دولة الطوائف، ص ٣٨٤. وقـد أشار لافوتى إلى العام خطأ حيث أشار إلى أنه فـى ١٠٥٨م. Lafuente, op.cit., p.270.

(77) Rodrigo, op.cit., p.233; Primera Cronica, p.487; Sandoval, op.cit., pp.12-13; CF.also: Pidal, La España, p.95.

(٧٨) ابن عذارى، البيان ، جـ٣، ص ٢٣٨-٢٣٩، عنان: دول الطوائـف، ص٨٦.

(٧٩) ابن عذارى: البيان، جـ٣، ص٢٣٩، عنان: نفس المرجع والصفحة.

(٨٠) فى رواية أخرى ٧ من يوليو.

Cronicon Compostelano, p.57; CF.also: Castro, op.cit., p.291.

(81)El Cronicon del Silense, p.139; Rodrigo, op.cit., p.233; Primera Cronica, p.487; Sandoval, op.cit., pp. 13-14; Lucas de Tuy, op.cit., p.349; Cf, also: Lafuente, op.cit., p.270.

(82)Cronicon compostelano, p.57; Cf.also : Pidal, La España, p.95.

- دوزى: تاريخ المسلمين، جـ٣، ص ٧٠٢.

(83)Pidal, La España, p.95; Serrao , op.cit., p.67.

- وجدير بالذكر أن المصادر المسيحية قد اضافت كثير من الــهالات حــول الاستيلاء على قلمرية حيث حضور أحد الحجاج من بيت المقدس لزيــارة قبر القديس شانت ياقب والحلم الذى رآه والحديث من القديس شانت يــاقب له عن قرب سقوط المدينة واشتراك القديس نفســه فــى المعــارك ضــد المسلمين والواقع - كما أشرنا من قبــل - أن مؤرخــىّ هــذه المدونــات معظمهم من الرهبان ورجال الدين ولذلك خلطوا كثــيرا مــن الأســاطير والرؤيا الدينية بالأحداث التاريخية وقد اشارت إلى تلــك الأســاطير كــل المصادر التى تعرضت لأحداث الاستيلاء على قلمرية.

(٨٤) ابن عذارى : البيان، جـ٣، ص٢٣٩، عنان : دول الطوائف، ص٨٧.

(85)El Cronicon del Silense, p.139; Cronicon Complutense, p.55; CF.also: Herculano, op.cit., p.236; Peres: Op.cit., p.53; Merea, P. De "Portucale" (Civitar) ao Portugal de D. Henrique, Porto 1944, p. 25.

(86)Rodrigo, op.cit., p.236; Lucas, op.cit., p.360, Sandoval, op.cit., p.15, CF., also: Fernandez, op.cit., p.174; Pidal, La España. P.100.

- عنان : دول الطوائف، ص ٢٢٤.

(٨٧) اشار عنان إلى أن عبد العزيــز المنصــور ٤١١-١٠٢١ /١٠٦١م-٤٥٢هــ) وهو والد عبد الملــك علــى علاقــة طيبــة بملــوك اســبانيا المسيحية،وخاصة الملك فرديناند الأول وأنه استعان بفرق من النصارى فى حروبه ضد مجاهد العامرى، ولم نجد اشارة واضحة لهذه الحروب، ولكــن لا نستبعد كما أشار على أساس أن جدته ترجع إلى نسب هؤلاء. (عنــان: دول الطوائف، ص٢٢٢-٢٢٣).

(٨٨) ابن عذارى: البيان، جــ٣، ص٢٥٢-٢٥٣، عنــان: دول الطوائــف، ص٢٢٤ وقد اشارت أيضا المصادر والمراجع الاسبانية إلى نفس التفاصيل مع اختلافات صغيرة.

Cronica Najeranse, p.108; Sandoval, op.cit., p.15; CF.also: Pidal, La España, pp.100-101; Fernandez, op.cit., p.174; Lafuente, op.cit.,p.271.

- دوزى: نفس المرجع والجزء، ص ٨٢-٨٣.

(٨٩) كان عبد الملك صهرا للمأمون بن ذى النون ، وكان قد أساء السيرة مع زوجته بالإضافة إلى صفاته السيئة، ولذلك غضب منه المأمون بسبب ذلك، بالإضافة إلى أن المأمون كان قد طلب منه أن يرسل إليه فرقة من الجنــد لمساعدته فى حروبه، ولكن عبدالملك اعتذر مما أضمر له الشر.

-ابن عذارى : البيــان، جـــ٣، ص٢٥٥،٢٥٣، عنــان : دول الطوائــف، ص١٠١.

(٩٠) هناك روايتين أشارت اليهما المصادر لاستيلاء المأمون على بلنســية: الأولى أنه جاء إلى بلنسية زائرا لصهره، فاستقبله ولكن المأمون دبر كمينا،

وقبض عليه واستولى على بلنسية، والرواية الأخرى استعانته لغزو بلنسية بفرقة من النصارى، وهزيمته لعبد الملك ووقوعه في الأسر. الرواية الاولى والثانية.

- أنظر : ابن عذارى ، البيان، جـ٣، ص ٢٢٦-٢٢٧، ٣٠٣، عنان، دول الطوائف، ص ١٠١-١٠٢. أما الرواية الثانية فقط أشار إليها اشباخ:نفس المرجع، ص ٢١.

(91) El Cronicon del Silense, 161; Cronicon de las Reyes Leoneses, p.323.

جميع المصادر السابقة اشارت إلى نفس التقسيمات.

(92) El Cronicon del Silense, p.155.

اولا : المصادر الإسبانية

Carlos Principe de viana : "Cronica de los Reyes de Navarra" Valencia 1971.

"Chronicon Conibricense" España Sagrada, T.23, Preparar Por Henrique Florez, Madrid 1850.

"Chronicon Lusitano" Espana Sagrada, t.14 Preparar por Henrique Florez, Madrid 1905.

"Cronica de la Corona de Aragon": Barcelona 1919.

"Cronica dos Godos Apendice Brandao, Cronica de Conde D.Henrique, D. Teresa E Infante D. Alfonso, Porto 1944.

"Cronicas Najerense": Edicion Eindices por Antonio Ubieto Arteta, Valencia 1966.

Cronica Navarras" Edicion Eindices por Antonio ubieto Arteta, Valencia 1964.

"Las Cronicas Latianas de la Reconquista"

1- Anales Complutenses.

2- Cronicon Complutense. Cronicon Compostelano.

3- Cronicon de los Reyes Leoneses. Tomo 1, Valencia 1913.

4- EL Cronicon del Silense (Cronicon del Monje Silense) Tomo 2, Vcalencia 1913.

5- El Cronicon del Silense (Cronicon del Monje Silense) Tom 2, Valencia 1913.

Lucas de Tuy : "Cronica de España" Madrid 1926.

"Primera Cronica General de España": T.2, Publicada por Ramon Menendez Pidal, Editorial Gredos, 1955.

Rodrigo : Jimenes de Rada : "Historia de las hechos de España" Madrid 1982.

Sandoval : F.P.: "Historia de las Reyes de Castilla Y de Leon" Pampelona 1634.

T. Arapha F.: "Chronica de España" Barcelona 1562.

Zurita J. : "Anales de la Corona de Aragon" Tomo 1, Zaragoza 1976.

ثانيا: المصادر العربية

ابن بسام : (ت ٥٤٢هـ-م١١٤٧م) ابو الحسن على الشنتريفى : "الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة" القسم الرابع المجلد الأول تحقيق / إحسان عباس، بيروت ١٩٧٩.

ابن الخطيب : (٧٧٦هـ/١٣٧٤م) لسان الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالله . " أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام" تحقيق ليفى بروفنسال، بيروت ١٩٥٦.

ابن عذارى: (ت ٧١٢هـ/١٣١٢م) أبو عبدالله محمد المراكشى. "البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب" الجزء الثالث تحقيق/ إحسان عباس، بيروت ١٩٨٠.

ابن الكرديوسى: (عاش فى القرن السادس الهجرى، الثانى عشر الميلادى) ابو مروان عبد الملك بن الكرديوسى . "تاريخ الأندلس لابن الكربوسى ووصفه لابن الشباط" تحقيق د.أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٧١م.

أبو الفدا: (ت٧٣٠هـ/١٣٣١م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل. "تقويم البلدان" باريس ١٨٩٠م.

الادريسى : (ت ٦٥٠هـ/١٢٥٢م) الشريف محمد بن عبد العزيز. "صفة المغرب واراضى السودان ومصر والأندلس ووصف افريقيا واسبانيا" تحقيق /دوزى ، امستردام ١٩٦٩م.

الحميرى (عاش فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى) ابى عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم. "صفة جزيرة الأندلس" تحقيق /ليفىبروفنسال، القاهرة ١٩٣٧م.
عبد الواحد المراكشى : (ت ٦٦٩هـ/١٢٧١م) محى الدين عبد الواحد بن على. "المعجب فى تلخيص أخبار المغرب" تحقيق د. محمد سعيد العريان- القاهرة ١٩٦٣.

ثالثا: المراجع الأوربية

Callaghan, J.E. A history of Medieval Spain" London 1975.
Fernandez, L.S: "Historia de España" Edad Media, Madrid 1970.
Gomez Y Guevara : "Luistania Santiago de Chile 1977.
Herculano, A.: Historia de Portugal T.1, Lisboa 1980.
Lafuente , M.: Historia General de España T.I, Barcelona 1879.
Livemore,H.:
1- Portugal Un. Press 1973.
2- A new history of Portugal Cambridge 1976.
Lomax, D.W. : La Reconquista Barcelona 1984.
Martin , J.L. : La Peninsula en la Edad Media Barcelona 1978.

Martin, Y Dolores : Historia de Extremadura T.2, Badajoz 1985.

Martin, O: Historia de Portugal , Vol.1 (N.D.)

Merea, P. : De Portucale (Civitas) ao Portugal de D. Henrique Porto 1944.

Peres, D.:Como nasceu Portugal Porto 1931.

Pidal, R.M. :

1- EL Imperio Hispanico y las Cinco Reinos Madrid 1950.

2- La España del Cid Buenos Aires 1939.

3- El Conde Mozarabe Sisande Davidiz y la Politica de Albonso VI Con las Taifes Al-Andalus, Vol.XII, 1947.

Riu, M.R. : Edad Media 711-1500, Madrid 1989.

Serroa, J.V. Historia de Portugal, vol.I, Lisboa 1976.

Stephens, H.M. : Portugal London 1891.

Valdeon, J. : El Reino de Castilla en Edad Media, Bilboa 1972.

رابعا: المراجع العربية والمعربة

اشباخ : يوسف "تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين" الجزء الاول، القاهرة ١٩٤٠.

حسين مؤنس : دكتور:

١- فجر الأندلس القاهرة ١٩٥٩.

٢- "بلاى وميلاد اشتوريس وقيام حركة المقاومة النصرانية فى شمال اسبانيا" فصلة من مجلة كلية الأداب - المجلد الحادى عشر، الجزء الأول، مايو ١٩٤٩.

- دوزى : "تاريخ المسلمين فى الأندلس" الجزء الثانى والثالث، ترجمة د. حسن حبشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤-١٩٩٥م.

- محمد عبدالله عنان : "دول الطوائف" القاهرة ١٩٨٨م.

- محمد محمود النشار : دكتور :

١- "تأسيس مملكة البرتغال" مؤسسة عين القاهرة، ١٩٩٥م.

٢- "البابوية وفرنسا على مسرح الحروب الصليبية فى الأندلس القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى" اتحاد المؤرخين العرب ١٩٩٦" ندوة الإطار التاريخى للحركة الصليبية".

- ليفى بروفنسال : دكتور "الإسلام فى المغرب والأندلس" ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم وآخرون، القاهرة (بدون تاريخ).

السّكة الإسلامية في مصر

(٢١هـ-٢٥٤هـ)

(دراسة تاريخية)

د/ مني حسن محمود

كلية الآداب - جامعة القاهرة

المقدمـــة :

ليس من شك من أن الإسلام ثورة كبرى فى تاريخ الإنسانية وقد حـور الاقتصاد من أثقال الميراث القديم وطبق فلسفة التسامح وأخـــذ المجتمعـات بشيء من الأناة وأعطاها الاستقرار المطلوب ، وما دخل بلد من البـــلاد إلا وصحبـــه الاستقرار والحفـــاظ على الأوضـــاع بما لا يتعـارض مع روح الإسلام وتقاليده ، وصحبه ثورة اقتصادية عميقة الجذور فلم يعمـــد إلى تغيير مفاجئ ترتبك معه الأسواق ويسود الغلاء وينتشر عـــدم التـوازن الاقتصادي .

ومن أهم قواعد الاقتصاد الإسلامي في مصر عقب الفتح أنـــه أبـدى السماحة النادرة مع أهل الذمة كما أبقى تقاليدهم وحياتهم الخاصـــة ، أبقـى على العملة وأدى إلى ازدهار اقتصادي بعيد المـــدى وحـرر مصـر مـن الطاغوت البيزنطي فانتعشت الأسواق وارتفع مستوى الدخل وأقبـــل النـاس على التجارة في ظل طمأنينة اقتصادية عميقة الجذور .

لهذا رأيت أن دراسة العملة فى مصر من الفتح العربي حتـــى ظـــهور الطولونيين مصدرا بالغ الأهمية فى تأكيد هذه المفاهيم ودراسة واعية للتطـور الاقتصادي والسياسي .

ولم اعتمد فقط على كتب المؤرخين المسلمين مثل المقريــزى أو ابــن خلدون أو البلاذرى وإنما رجعت إلى مجموعـــات السـكة الموجـودة فـي المتاحف الإسلامية وما قام به المتسشرقون من دراسة مجموعات السكة كمـا وجدت فى المتاحف العالمية مثل متحف الفن الإسلامي فـــي مصـــر ومتحـف باريس ، ومتحف برلين ، ومكتبة المتحف البريطاني فى لندن ومكتبة الارمتيـاج فى موسكو وغيرها من المجموعات المتناثرة شرقاً وغرباً واستخلصوا منـــها تاريخ هذه العملة : النقوش التي حملتها أوزانها نسبة العيار فيها تـــأكيداً لمـا سبق أن ذكرت .

تطور السّـكة في مصر :

(أ) عصر الراشدين :

دخلت مصر بعد الفتح دائرة النفوذ العربى فى عهد الخليفة عمــر بــن الخطاب بعد أن أتم فتحها عمرو بن العاص فى نحو سنتين (١١ ذو الحجة ١٨ إلى ذو الحجة ٢١هـ/١٢ ديسمبر سنة ٦٣٩م - نوفمبر سـنة ٦٤١م)[١]، فتمـــت بذلك تبعيتهـــا للدولة العربية بالمدينـــة المنورة ، وأصبحـت أحوالها تتـــأثر بما يحدث فى عاصمـــة الخلافـــة نفســـها أو مـا يحـــدث فى غـــيرها من الأمصـــار الإســـلامية الأخـرى ، فانتقال الأمة العربيـــة من عصر الراشدين إلى العصر الأموى ثم العباسـى لم يكن مجرد تغير فى الأسر الحاكمـــة إنما كان تطوراً جذرياً فى الحيـــاة السياسية ، تطوراً فى تطبيق مبادئ الإسلام وفى الحيـــاة الاقتصاديـــة وفـى معاملة الشعوب الخاضعة وفى نظم الحكم[٢] .

وإذا أردنا أن ندرس تاريخ السكة فى مصر الإسلامية علينا ألا نغفل ما كان يجرى فى أرجاء الدولة العربية . كما يجب أن نهتم بالسكة المضروبة فى أرجائها « فإن مصر لم تزل منذ فتحت دار إمارة وسكتها إنما هى سكة الخلافة من بنى أمية ثم بنى العباس[٣] » . وهنا يصح التساؤل ماهى السكة التى تداولها الناس فى مصر زمن الخلفاء الراشدين ؟ وهل حفظت لنا مجموعات النقود بقية منها ، وهل كان للخلفاء الراشدين سكة إسلامية صرفه وقبل الإجابة على هذا وذاك ينبغى أن نلقى الضوء أولا على العملة السائدة قبل زمن الراشدين .

فقد ذكر المؤرخون[٤] أن العملة التى كانت متداولة فى بلاد العرب قبل الإسلام هى العملة البيزنطية من الدينار وأقسامه[٥] ، والعملة الفارسية من الدرهم وأقسامه[٦] ، يقول البلاذرى « دنانير هرقل ترد على أهل مكة فى الجاهلية ، وترد عليهم دراهم الفرس البغلية ، فكانوا لا يتبايعون إلا على أنها تبر وكان المثقال عندهم معروفة الوزن ، وزنه اثنان وعشرون قيراطا إلا كسرا ، ووزن العشرة دراهم سبعة المثقال فكان الرطل اثنى عشر أوقية وكل أوقية أربعين درهماً »[٧] .

فبلاد العرب فى الواقع كانت تجاور نطاق الدراهم من ناحية ونطاق الدينار من ناحية أخرى ، فاستفاد العرب من ذلك لاشتغالهم بالتجارة بالأخص قبيلة قريش التى جمعت فى يدها ثروات طائلة وأصبحوا ملوك المال والتجارة، ليس فى المجتمع المكى فحسب وإنما فى المجتمع الشمالى والجنوبى أيضا[٨] فعادت عليها فوائد كبيرة الأهمية ، فقد خالطوا أقواماً من

ذوى الحضارات القديمة كالروم والفرس ، ولم تخضع لأى منها[٩] ، واكتسبوا من اشتغالهم بالتجارة . تثقيف عقولهم فأتقنوا الكتابة والقراءة والحساب[١٠] ، والمكاييل والموازين ، وعرف تجار مكة نظام الأمانات والودائع ونظام الصكوك وغير ذلك مما يتطلب العمل بالتجارة لذلك أصبح القرشيون وسطاء للتجارة بين الشرق والغرب[١١] ، فكان تجارها يفدون إلى بلاد فارس كما يفدون إلى بلاد الروم يقول المقريزى« وكانت نقود العرب فى الجاهلية التى تدور بينها الذهب والفضة لا غير ، ترد إليها من الممالك دنانير الذهب قيصرية من قبل الروم ، ودراهم فضة »[١٢] ، وكان لابد من قبول هاتين العملتين فى نفس الوقت ، لذلك درت عليهم هذه التجارة كميات كبيرة من الدنانير والدراهم حتى ازدهرت مكة وأصبحت مركزا للصيرفة[١٣] ، وقد وجدت مجموعة من الصيارفة كانت تزود التجار بالعملات الأجنبية كما كان التجار الأجانب من فرس وروما ن وأحباش وغيرهم يترددون على مكة فبعضهم استقر فيها مقابل دفع الضريبة لحمايتهم ولحفظ أموالهم وتجارتهم يقول الأزرقى « وكان يعشرون من دخلها من تجار الروم كما كانت الروم تعشر من دخل منهم إلى بلادها للحصول على رخصة دخول إلى بعض أسواق الشام »[١٤] . وقد اعتمدت الدولة البيزنطية على تجارة مكة فى كثير من شئونها[١٥] ، وقد ارتبطت مكة أيضا بعلاقات تجارية مع بلاد فارس فقد لعب أبو سفيان دورا كبيرا فى توطيد العلاقة مع فارس فقد استطاع مقابلة كسرى والحصول على إذن منه بالتجارة مع بلاده[١٦] ، لذلك استخدم العرب فى تجارتهم الدنانير البيزنطية والدراهم

الفارسية معاً ، وخصوصاً أن البيزنطيين والفرس طبقاً للمعاهدة التى عقدت بينهما فى سنة ٥٣٣هـ[١٧] والتى تقضى بأن يضرب الساسانيون نقوداً من الفضة فقط وألا يتخذوا عملة ذهبية سوى العملة الرومية.

وبعد ظهور الإسلام وهجرة الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة المنورة وقيام الدولة العربية قام الرسول الكريم بتنظيم أمور الجماعة الإسلامية فيها تنظيما دقيقاً من خلال الصحيفة والتى اعتبرت بمثابة دستوراً للدولة الجديدة[١٨] هدفها الأول الدعوة إلى الإسلام وأنهم أمة إسلامية واحدة والدفاع عن المسلمين وكيانهم ومجتمعهم ضد عدوهم فى ذلك الوقت هم كفار قريش ، فقد عمد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى محاربة قريش وإلى تقويض الأساس الاقتصادى الذى يقوم عليه التفوق القرشى[١٩] ، إذ أن القرشيين كانوا قد أحسوا بالفزع سلفاً بما تنطوى عليه الهجرة من نتائج اقتصادية[٢٠] ، فهذا يعنى انتقال الخبرة التجارية من مكة بعد أن كانت حكراً لقريش ، ثم هو فرار رأس المال الذى كان يساهم فى رخاء الاقتصاد القرشى ، وقد وضحت فى هذه الحرب الاقتصادية كما ذكرها ابن هشام[٢١] ما كان من اتجاه المسلمين إلى التعرض لعير قريش ومحاولة الاستيلاء عليها كجزء من هذه الحرب الاقتصادية وأبو سفيان زعيم المعارضة فى طريقه من بلاد الشام إلى مكة ومعه الأموال ما قيمه المؤرخون بنحو خمسين ألف دينار[٢٢] ، وكان الدينار فى هذا الوقت قيماً والمال على هذا المقدار ثروة ضخمة[٢٣] ، فالرسول عليه أفضل الصلاة والسلام يدرك أهمية العامل الاقتصادى فى السلم والحرب لأنه

عليه السلام قد اكتسب خبرة فى مجـــال التجارة وذلك قبل البعثـة النبويـة الشريفة لذلك أقر التعامل بالدينــار البـيزنطى[٢٤] والدرهـم الفارسـى فـى المعـــاملات التجارية وتقدير الزكاة والخــراج لأن هـــذه النقـود كانت معروفة ومتداولة من قبل الإســلام بين العرب جميعا ، يقول البـلاذرى : « فأقر رسول الله ﷺ ذلك وأقره أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ »[٢٥] وكمـا أقر الرسول عليه الصلاة والسلام هذا النوع من السكة عمل أبو بكـر بسـنة الرسول الكريم فى التعامل بهذه السكة ذات الصور الآدمية والكتابة البهلويـة واليونانية ولم يغير منها شيئا ، ولما استخلف عمر ابن الخطــاب ، وبـدأت حركة الفتوحات الإسلامية الواسعة شرقا وغربا[٢٦] وانتشر العــرب صـوب الشمـــال[٢٧] فاتحين وانساحت جيوشهم فى بـــلاد الفرس والروم ولــم يغير ذلك من الوضع القائم شيئاً وظلت العملة الفارسية والبيزنطية مسـتخدمة بين العرب(٢٨) .

ولكن ما هذه النقود التى يشير إليها المقريزى وغيره مـن المؤرخيـن وينسبونها إلى الخلفاء الراشدين ؟ والحقيقة إن إبقاء الدولة العربية فى عـهد الراشدين على السكة القديمة المتداولة[٢٩] كان نابعا من سياسة عامة للدولـة العربية فى هذا العصر ، وهى الإبقاء على النظم المحلية نظم الحكم وأسـاليبه كما هى دون أن يُدخِلِه تغيير يذكر فى جميع الأقاليم المفتوحة[٣٠] لأن الدولـة كانت فى هذه المرحلة تهدف أخذ الشعوب الخاضعة لها بالرفق والأنـــاة وأن تتيح للإسلام أن يتسرب تسربا بطيئا خالى من الطفرة أو العنـــف استـهداءا بتعاليم الإســـلام وسنة نبينا المصطفى عليه الصلاة والسلام التى تمنـح الشعوب الداخلـــــة فــى ذمـة المسـلمين مزيـدا مـن

الحريات السياسة والدينية[٣١] والاقتصادية لذلك حافظ الراشدون على نظام السكة القديمة وقوائم الجزية والخراج في جميع الولايات المفتوحة[٣٢] ، وأن الحكومة الإسلامية بالمدينة المنورة كانت تتعامل بالدينار البيزنطى وكذلك بالدراهم الفارسية[٣٣] وهذا الأمر يحمل معه تطوراً عظيماً فى التجارة العالمية والداخلية لأن تغير العملة يؤدى إلى ارتباكات اقتصادية كبيرة[٣٤] قد تصيب التجارة الدولية بأفدح الأخطار ، وهذا الاستقرار فى النظام النقدى يؤدى إلى الاستقرار فى الحياة الاقتصادية[٣٥] ، لذلك كان عصر الراشدين له طبيعته الخاصة التى أملت عليه أسلوبه الخاص وسياسته الخاصة فى حكم البلاد الإسلامية عامة لأن هذا العصر هو استمرار للعصر النبوى الشريف ، وكان دور الدعوة العالمية إلى الإسلام والتطبيق العملى لمبادئ الإسلام فى بيئات غير عربية ، وكان هذا التطبيق من حيث نجاحه أو فشله يتوقف عليه مستقبل الإسلام كله[٣٦] ، ولأن الدولة العربية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب بدأت تتكامل[٣٧] ومبادئ الإسلام بدأت تنتشر لذلك كانت الدولة فى حاجة إلى تقاليد إدارية وفى حاجة إلى خليفة ذى قدرة على التنظيم ، وكان عمر بن الخطاب هو المنظم الحقيقى للدولة العربية[٣٨] ، لذلك حافظ عمر على النقود المتداولة فى ذلك الوقت وأقرها بالوضع التى كانت عليه دون أى معارضة .

فإن Walker[٣٩] فى مجموعته عن النقود العربية الساسانية قد أشار إلى دراهم ضربت فى بلاد فارس تحمل أسماء بعض الولاة العرب مكتوبة باللغة البهلوية وتفسير ذلك أنه لابد للعرب بعد انهيار امبراطورية الفرس

البهلوية وتفسير ذلك أنه لابد للعرب بعد انهيار امبراطورية الفرس كلية من أن تكون لهم عملة يتداولها الناس فى بلاد الفرس والعراق ولم يكن أمامهم إلا دور الضرب القديمة[٤٠] لتخرج لهم الدراهم على غرار الدارهم الفارسية وحافظوا كذلك على أماكن الضرب المنتشرة فى بلاد فارس ويقال أن عددها قد بلغ ١١٨ دار لسك العملة الساسانية ، وقد ظهرت أسماء بعض مناطق الضرب على السكة الإسلامية بعد ذلك[٤١] .

فأبقوا الدرهم على حاله فى نقوشه وصوره ، ولكنهم لكى يميزوه عن الدراهم القديمة نقشوا أسماء بعض الولاة بالبهلوية أو نقشوا " باسم الله " أو " الله أكبر " أو رسموا هلالاً لتعتبر سكة فارسية إسلامية[٤٢] . وكان لابد من أن يفعلوا هذا لحل المشاكل العديدة التى واجهتهم الناجمة عن عدم استطاعة الدولة فى ذلك الوقت أن تتخذ لنفسها سكة عربية تقف أمام السكة العالمية الراسخة منذ قرون[٤٣] ، وفى هذا من ناحية أخرى تأييد لأقوال المقريزى فيقول : «حتى استخلف أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وفتح الله على يديه مصر والشام والعراق لم يعترض لشىء من النقود بل أقرها على حالها ... فضرب حينئذ عمر رضى الله عنه الدراهم على نقش الكسروية وشكلها بأعيانها ، غير أنه زاد فى بعضها " الحمد لله " وفى بعضها " محمد رسول الله " وفى بعضها " لا إله إلا الله وحده " وفى آخر مدة عمر وزن كل عشرة دراهم ستة مثاقيل " ، فلما بويع عثمان بن عفان رضى الله عنه ضرب فى خلافته دراهم نقشها " الله أكبر "»[٤٤] .

وقد أشار بعض المؤرخين[٤٥] إلى أن خالد ابن الوليد حاول أن ينقش اسمه على السكة فى سنة ١٧ هـ فأثار غضب عمر بن الخطاب ويرجع ذلك لحزمه وصرامته مع عماله على الولايات المفتوحة وكان يراقبهم مراقبة دقيقة[٤٦] لأن هؤلاء الولاة والعمال لم يكونوا قوادا عسكريين فحسب أو مجرد حكام إداريين ، وإنما كانوا دعاة إلى الإسلام وتطبيق مبادئه لذلك كان يراقب أحوالهم المالية خوفا من أن يجرف سلطان الحكم تيار الدين الجديد فى هذه الفترة بالذات .

وفى هذه الفترة من ١٧ هـ حتى نهاية عصر الراشدين أيضا ضربت الدراهم ذات الطراز الساسانى فى دمشق تحمل كلمة جايز بلغ وزنها ٥,١٠ جم وقطرها ٢٢ملم كما ضرب بدمشق دراهم أخرى وزنها ٣,٧٠ جم قطرها ١٨ ملم كما ضربت دراهم ذات طراز ساسانى فى مدينة حمص وكانت تحمل لفظ بسم الله وتبلغ وزنها ٣,٣٦ جرام ، وقطرها ٢١ملم إضافة إلى دراهم أخرى ضربت فى مدينة حمص كان وزنها ٣,٨٥ جم وقطرها ٢٤ ملم، ولم يذكر عليها اسم الولاة[٤٧].

ولكن هل فعل العرب مثل ذلك فى مصر ؟ والواقع أن الدولة البيزنطية لم يتقوض صرحها بعد ضياع الشام ومصر ، وظل قلبها النابض فى القسطنطينية يحمل لواء المقاومة ، وظلت دور السكة فى الأناضول والبلقان تصدر الدينار البيزنطى المعهود والمشهور بين العرب[٤٨] والذى ظفر كما رأينا بتقديرهم وإعجابهم . فكانت مصر فى عهد الراشدين بيزنطية

فى نظمها وظلت [٤٩] تابعة لنطاق الدينار البيزنطى الذى كان يشمل الشام ومصر وبلاد المغرب[٥٠].

يقول ارشيبالد: « إن العرب استمروا يطبقون الأنظمة الإدارية الرومانية البيزنطية حتى نهاية القرن السابع من ذلك نظام الضرائب مع بعض التغيير والعملة الذهبية وثمة أمثلة عديدة على ذلك ولا سيما مصر فالمعروف أن العرب استولوا على دور سك النقود التابعة للحكومة البينزنطية وعلى المصانع ومصانع ورق البردى وظلت العلامات الخاصة التى تشير إلى الثالوث المقدس باقية على إنتاج البردى العربى فى القرن السابع وهى نفس العلامات التى وجدت على ما أنتجته بيزنطة منه منذ البداية»[٥١] لذلك كان الخلفاء الراشدون يهدفون من احتفاظهم بكل ما هو موروث فى الأقاليم المفتوحة إلى تكوين دولة إسلامية عالمية ينعم المسلمون فى ظلها على اختلاف ألوانهم بحقوق متكافئة تتفيأ الشعوب الداخلة فى كنفها ظلال الأمن والطمأنينة والسلام[٥٢] وتطبيقا لذلك وجدنا فى مصر أن الجزية والضرائب وإيجار الأراضى وأجور العمال وسائر المعاملات كانت تدفع بالدنانير الذهبية وأقسامها[٥٣] .

وتعرف الدنانير فى أوراق البردى اليونانية باسم Soledus ، وتؤيد رواية مؤرخى الفتح[٥٤] ما ذكرته أوراق البردى فقد جاء فى نص الصلح الذى عقد بين العرب والبيزنطيين أن الجزية تدفع بالدينار يقول ابن عبد الحكم : « وأذعن أهل مصر للصلح فرضت عليهم الجزية خمسين ألفا إذا

هبط ماء نهرهم وكل منهم مسئول عما يأتيه سراقهم من أعمال العنف ومن لم يدخل فى هذا الصلح أدى ما على غيره من الجزية من تلقاء نفسه وتحت مسئوليته وإذا نقص ماء النيل نقصت الجزية تبعا لهذا النقصان ومن رضى من الروم والنوبيين بهذا الصلح عومل كغيره من أهل مصر ، ومن أبى وأراد الخروج أمن على نفسه حتى يبلغ مأمنه أو ترك بلادنا وستجمع الضرائب على أقساط ثلاثة كل ثلث منها على حدة ... وعلى عهد الله وعهد رسوله وعهد الخليفة أمير المؤمنين وعهد المؤمنين .... شهد على ذلك الزبير وولده عبد الله ومحمد وكتبه وردان »(٥٥) . مما يدل على أن العرب كانوا يتعاملون بالعملة الذهبية ولم يغيروا نظام النقود فى مصر وبقى الدينار البيزنطى أساسا للتعامل فى مصر(٥٦) وبسعر السوق المصرية فى مجال البيع والشراء احتراما للأوضاع الاقتصادية فى البلاد وتسامحا منهم فى المعاملة ولذلك استقرت أوضاع مصر وانتعشت أحوالها لأن الدولة لم تكن تغالى فى الجباية زمن القحط مراعاة للمبدأ الذى ورد فى معاهدة الأسكندرية من تمشى الضريبة مع الأوضاع الاقتصادية(٥٧) ، ومما ساعد على انتعاش الأحوال الاقتصادية فى مصر فى عهد الراشدين أيضا القضاء على طبقة الاقطاعيين من الروم والأجانب الذين أذلوا فلاحى مصر ، فقد نزعت أرضهم وغادر البلاد أغلبهم(٥٨) وعادت الأرض لمن يفلحها وكان من نتيجة هذا إحياء الطبقة الوسطى وتحرير رقيق الأرض والقضاء على مزارعى الضياع الكبيرة(٥٩) وكان ذلك مدعاة لاستقرار اقتصادى عظيم ولموجة من الرخاء لم تعرفها البلاد من قبل وهذا تأكيداً لقول المقريزى: « فجبيت أول عام اثنا عشر ألف ألفا ألفا دينار، وقد روى أنها جبيت ستة عشر ألفا ألفا

دينار وهما روايتان معروفتان فأقر ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه »[٦٠] فكان دخل الخلافة من ذلك اثنى عشر مليونا أو ستة عشر مليون دينار[٦١] فى العام مما يدل على الرخاء الذى ساد فى مصر فى هذه الفترة.

وقد ذكر Quatremere أن الكاتب القبطى بشندى Picendi أسقف قفط الذى عاصر فتح العرب لمصر كتب إلى أساقفه أمته يقول : « إن العرب أخذوا النقود الذهبية المنقوش عليها الصليب المقدس وصور السيد المسيح ومسحوا الصليب وكتبوا عليها اسم نبيهم محمد الذى يتبعون تعاليمه واسم خليفه نبيهم ونقشوا الاسميين معا على النقود الذهبية »[٦٢] .

والواقع إنا لا تجد لهذه الرواية تأييدا فى مجموعات النقود[٦٣] ، ولايبعد أن يكون العرب قد حاولوا نقش أسماء عربيةعلى الدنانير دون أن يخل ذلك بقيمة الد . أو ينقص وزنه[٦٤] ، ويبدو أن الخلفاء الراشدين قد سمحوا أيضا للولاة فى مصر كما سمحوا للولاة فى الأقاليم الأخرى بضرب سكة على نفس وزن وطراز السكة السائدة فى الإقليم[٦٥] ، وقد أمتد هذا الأمر أيضا إلى النقود المساعدة الأخرى كالدراهم الفضية أو البرونزية[٦٦] والتى استخدمت فى مصر من قبل الفتح العربى وعرفت بالسكة المساعدة Monnaie d'appoint [٦٧] وقد استخدمت هذه النقود فى الحياة اليومية والمعاملات الداخلية ، وأيضا نقش عليها بعض الكلمات العربية مثل "باسم الله" وكلمة " جايز " أو " طيب " أو " جيد " تنقش على الدراهم ضمانا لقيمتها[٦٨] ومن الطبيعى أن يستمر هذا الحال فى مصر حتى إصدار عبد الملك بن مروان للعملة الإسلامية فيما بعد .

إذن كان الدينار البيزنطى هو العملة السائدة فى مصر زمن الخلفاء الراشدين[٦٩] فقد ذكرى المقريزى : « إن مصر من بين الأمصار ما برح نقدها المنسوب إليها قيم الأعمال وأثمان المبيعات ذهب فى سائر دولها جاهلية وإسلاما يشهد لذلك بالصحة أن خراج مصر من قديم الدهر وحديثه إنما هو الذهب[٧٠] . وتؤيد أوراق البردى وقطع الأورستراكا ماذكره المقريزى إذ تشهد كلها بأن الجزية والضرائب وإيجار الأراضى وأجور العمال وسائر المعاملات كانت تدفع بالدنانير الذهبية وأقسامها[٧١]، فقد غمرت الدنانير البيزنطية الأسواق المصرية نتيجة لدفع أثمان أوراق البردى التى كانت الدولة البيزنطية تستهلك جزءا كبيرا منه وظلت تستورده من مصر التى احتكرت صناعته بعد الفتح الإسلامى[٧٢] .

(ب) العصر الأموى :

على أن الدولة الإسلامية لم تنعم بالاستقرار الذى يهئ للحضارة أن تضرب جذورها وتؤتى أكلها منذ وفاة عمر بن الخطاب[٧٣] ، فقد اضطربت الأوضاع السياسية فى عهد الخليفة عثمان بن عفان واندلعت الثورات والفتن فى معظم الأقاليم[٧٤] وتفسير ذلك أنه فى هذه الفترة بدأت تظهر طبقة من المحاربين أو المقاتلين الذين جاءوا مع الجيوش الإسلامية وشاركوا فى الفتح واستقر هؤلاء فى الأقاليم المفتوحة وكانوا من مختلف القبائل العربية مثل «قبائل بنى بكر بن وائل وعبد القيس وسائر ربيعة والأزد وكندة وتميم وقضاعة وغيرهم وكانت لهم فى الفتوحات قدم فكانوا يرون ذلك لأنفسهم»[٧٥]. وهؤلاء قد نمت أعدادهم بصورة كبيرة فى هذه الأمصار ، فلما هدأت عمليات الفتوح فى عهد عثمان بدأت هذه الطبقة تتمتع بشىء من

هدأت عمليات الفتوح فى عهد عثمان بدأت هذه الطبقة تتمتع بشىء من الهدوء والراحة وبدأت تشتغل فى السياسة[(٧٦)] وتشارك فى الأحداث السياسية بل كانت ترى أن الغنائم التى حصلت عليها يجب أن تعود إليها وأن العطاء يعطى لشيوخ الصحابة فقط ويحرم منه شباب قريش الذى لم يشارك فعليا فى عمليات الفتوحات الإسلامية وألا ترسل هذه الأموال إلى بيت المال وإنما تعود مباشرة لهؤلاء المحاربين[(٧٧)] فانبعثت الثورة ضد عثمان فى جميع الأمصار الإسلامية وكانت أول ثورة على حكم عثمان ظهرت فى مصر بقيادة محمد ابن أبى حذيفة[(٧٨)] الذى تزعم طبقات المحاربين بها وأعلن خروجه على عثمان وطرد الوالى عبد الله بن سعد ، غير أن وللأسف هؤلاء الثوار خرجوا من مصر ورحلوا إلى الحجاز ليشتركوا فى الثورة كما اشتركوا فى مقتله[(٧٩)] .

وبعد مقتل عثمان[(٨٠)] تم مبايعة على بن أبى طالب بالخلافة من بعده[(٨١)]، ولاشك أن اضطراب الأمور بالحجاز والعراق ومصر والشام وشيوع الفتن يشيع فى البلاد الاضطراب الاقتصادى وإلى فوضى العملة واضطرابها وخصوصا أن الدولة العربية لم تكن قد اتخذت سكة موحدة فتركت للعمال حرية التصرف بضرب الدراهم بأسمائهم وكان عثمان قد ضرب دراهم نقش عليها « الله أكبر» ولعل ما جنب مصر وبلاد الشام هذه الفوضى أن الدينار البيزنطى ظل العملة السائدة التىتساعد على ضبط ميزان الأسعار واستقرار الأمور[(٨٢)] .

وبعد مبايعة على بن أبى طالب بالخلافة لم تتوقف الفتن والثورات فى العالم الإسلامى إلا أن هذا لم يمنع أن يضرب على بن أبى طالب دراهم بالبصرة سنة ٤٠هـ نقش عليها على الوجه : « الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » ومركز الظهر : « لا إله إلا الله وحده لاشريك له » طوق الوجه : « بسم الله ضرب هذا الدرهم بالبصرة فى سنة أربعين » طوق الظهر : « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »[٨٣] .

وقضت أمة العرب نحو خمس سنوات فى فتن وحروب متصلة بين على ابن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان[٨٤] ، انتهت بمقتل على على يد الخوارج وتولى الخلافة من بعده ابنه الحسن «٤٠-٤١هـ» والذى تنازل عن حقه فى الخلافة لمعاوية حقنا لدماء المسلمين[٨٥] ، فآلت الخلافة لمعاوية وبذلك بدأ العصر الأموى .

وأثناء هذا الصراع كان معاوية يعرف أهمية مصر فى هذه المرحلة الحرجة فهو يطمع فى أن يستولى عليها[٨٦] لذلك أرسل إليها عمرو بن العاص الذى استطاع أن يتخلص من محمد بن أبى بكر عامل على بن أبى طالب على مصر[٨٧] فوليها عمرو بن العاص للمرة الثانية[٨٨] ، وبالرغم من هذه الأحداث السياسية والاضطرابات على أرض مصر إلا أن الدينار البيزنطى ظل محتفظا بقميته وظلت الأموال المفروضة على مصر تقدر وفقا له ، وقد ذكر المؤرخون[٨٩] أن الجزية التى كانت تحمل من مصر إلى دار الخلافة الأموية بدمشق تحمل ذهبا دنانير بيزنطية[٩٠] مما يدل على استتاب

الأمور الاقتصادية بها ، وأن مجموعات النقود لم تذكر لنا دينارا واحدا ضرب فى عهد معاوية بمصر. وظلت الشارات البيزنطية وصورة هرقل وأبنائه تنقش علىالدينار ووظلت تكتب بعض الكلمات العربية مثل « جليز » أو « طيب » أو نقش « بسم الله » على البدراهم الفضية أيضا .

بالرغم من إشارة المقريزى إلى محاولة معاوية من نقش صورته على الدينار المتداول فى دمشق يقول المقريزى « وضرب معاوية أيضا دنانير عليها تمثال متقلدا سيفا ، فوقع منها دينار ردئ فى يد شيخ من الجند فجاء به إلى معاوية ورماه به وقال يا معاوية : إنا وجدنا ضربك شر ضرب فقال له معاوية لا حرمنك عطاءك ولاكسونك القطيفة»[٩١] ويبدو أن هذه المحاولة لم يكتب لها البقاء أو النجاح بدليل أنه لم يصلنا فى مجموعات النقود أى شكل بهذه الصورة[٩٢] . أما عن الدراهم المتداولة فى العراق وبلاد فارس فى عهده يقول المقريزى[٩٣] : « فلما اجتمع الأمر لمعاوية بن أبى سفيان وجمع لزياد بن أبيه الكوفة والبصرة قال يا أمير المؤمنين أن العبد الصالح عمر بن الخطاب رضىالله عنه صغر الدرهم وكبر القفيز وصارت تؤخذ عليه ضريبة أرزاق الجند ، وترزق عليه الذرية طلبا للإحسان إلى الرعية، فلو جعلت أنت عيارا دون ذلك العيار إزدادت الرعية به مرفقا ومضت لك به السنة الصالحة فضرب معاوية عند ذلك السود الناقصة من ستة دوانيق فتكون خمسة عشر قيراطا تنقص حبة أو حبتين وضرب منها زياد ابن أبيه وجعل وزن كل عشرة دراهم سبعة مثاقيل وكتب عليها فكانت تجرى مجرى الدراهم »[٩٤] .

وقد ذكر Walker أن ولاة معاوية بالعراق كانوا يضربون الدراهم وينقشون أسماؤهم عليها[٩٥]، ولعل بعض هذه الدراهم كانت تحمل إلى مصر فتروج فيها إلى جانب العملة الذهبية البيزنطية[٩٦].

ويبدو أن الدولة الأموية منذ عهد معاوية جعلت مصر كإمارة خاصة ومستقلة منذ وليها عمرو بن العاص للمرة الثانية[٩٧]، وأن تتنازل الخلافة الأموية عن خراج مصر فى أغلب الأحيان من أجل أهميتها وكونها ركيزة هامة لنفوذها فإن أحسن اختيار ولاتهم على مصر كان فى ذلك الاستقرار لمصر وبلاد الشام واستمر هذا الأمر حتى عهد عبد الملك بن مروان حتى تفرغ الخلافة للمشاكل التى واجهت الدولة وهددت كيانها ووجودها لأن الأمور لم تستقم لبنى أمية بعد معاوية بن أبى سفيان، فقد قامت الفتنة الزبيرية سنة ٦٣ هـ[٩٨] بالحجاز وامتدت السنتها إلى العراق سنة ٦٧ هـ بل أصابت مصر أيضا حين أعلن ابن الزبير نفسه خليفة على المسلمين[٩٩]، وأقام الخطبة ونقش اسمه على السكة[١٠٠]، وقد ذكر Walker أن هناك دراهم فارسية عليها اسم عبد الله بن الزبير واسم أخيه مصعب[١٠١]، وقد أكد المقريزى هذه الرواية بقوله: « فلما قام عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما بمكة ضرب الدراهم المستديرة وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحا غليظا قصيرا ضرب الدراهم المستديرة، وكان ما ضرب منها قبل ذلك ممسوحا غليظا قصيرا، فدورها عبد الله ونقش على أحد وجهى الدراهم " محمد رسول الله " وعلى بالآخر " أمر الله بالوفاء والعدل " وضرب أخوه مصعب

بن الزبير دراهم بالعراق وجعل كل عشرة منها سبعة مثاقيل وأعطاها الناس فى العطاء»[١٠٢] .

ولعل عامل عبد الله بن الزبير على مصر عبد الرحمن بن جحدم قد استقدم بعض هذه الدراهم لتروج فى مصر فى ذلك العهد[١٠٣] أيضا .

والحقيقة أن أحوال مصر الاقتصادية لم تتأثر[١٠٤] بتغير الأحوال السياسية فى دار الخلافة أو المشاكل التى تواجهها وذلك لثبات وزن الدينار الذهبى البيزنطى الذى لم يهتز لأى زوبعة تحدث فى داخل مصر أو خارجها[١٠٥] مما ساعد على رخاء أحوالها الاقتصادية عكس ما كان يدور فى دار الخلافة وما يتبعها من الأقاليم من الأزمات الاقتصادية التى تتعرض لها من جراء عدم ثبات وزن الدرهم الفارسى والتغيرات[١٠٦] التى تلحق به تبعا للظروف السياسية والاقتصادية .

فلما انتهت فتنة ابن الزبير بمصرعه واستقام الأمر لبنى أمية مرة أخرى وآلت مقاليد الخلافة إلى عبد الملك بن مروان[١٠٧] الذى اضطر إلى إجراء بعض الإصلاحات والتطورات فى الحياة السياسية والاقتصادية فرضتها ظروف وجوده السياسى إذ رأى هذه الفوضى الضاربة أطنابها فى العالم الإسلامى ، فهناك ثورات عديدة وانقسامات سياسية داخل الأمة الإسلامية فأخذ على عاتقه تصحيح ووضع الأمور فى نصابها فقضى على الثورات وأعاد الوحدة إلى الدولة الأموية ، وامتدت إصلاحاته إلى تعريب الدواوين[١٠٨] وخصوصا ديوان الخراج ومعنى ذلك أن اللغة العربية أصبحت لغة الوثائق الحكومية ولغة الدولة وقد أدت هذه السياسة إلى اشتراط معرفة

العربية عند تولى الوظائف وكان على الموظفين الذين لايعرفون هذه اللغة أن يتركوا الوظائف لمن يجيدها مما أدى إلى سرعة انتشار اللغة العربيــة فــى البلاد المفتوحة[١٠٩] وأيضا كان من جهود عبد الملك فى إرساء دعائم الوحـدة والاستقـــرار فى الدولة الإسلامية إصـــداره عملة إســـلامية[١١٠] لأول مرة يقـــول المقريزى : « فلما استـــوثق الأمر لعبـد الملـك بـن مروان بعــــد مقتل عبد الله ومصعب ابنى الزبير ، فحص عـــن النقـود والأوزان والمكاييل ، وضــــرب الدنانير والدراهم فـــى سنـــــة ســت وسبعين من الهجرة ، فجعـــــل وزن الدينار ، اثنين وعشرين قيراطـــا إلا حبــــة بالشــــام ، وجعل وزن الدرهم خمســــة عشـر قيراطـا سـوى والقيراط أربع حبات وكل دانق ، قيراطين ونصفا»[١١١] . فالعملة متباينة فــى قيمتها وأشكالها وأحجامها وأوزانها[١١٢] ، فكــانت هــذه محاولــة لإصــلاح الأوضاع الاقتصادية وتحقيق الاستقلال الاقتصادى بدلا من الاعتمــاد علــى العملات الأجنبية ، وبصفة خاصة الدينار البيزنطى[١١٣] ، فأجمعت المصــادر على أن عبد الملك بن مروان أول من وحد السكة الإسلامية وضرب دينــارا عربيا إسلاميا[١١٤] ، ولعل مجموعات النقود تنهض لتأييد هذه الأقوال فلم يرد فى أحدها دينار عربى إسلامى يرجع إلى ما قبل عبد الملك ابـــن مـــروان ، فأول الدنانير الأموية فى مجموعة ليـــن بـــول دينـــار ســـنة ٧٧هــــ[١١٥] ، والمجموعة الألمانية دينار سنة ٧٨هــ ، سنة ٧٩هــ . ولكــن هــذا بــدوره يجعلنا نتساءل عن الأسباب الدقيقة التى دفعت عبد الملك إلـــى إجــراء هــذا التغير وهل كان ذلك مظهرا لسياسة إصلاحية اقتصادية أم كان الأمـــر كمــا ذكره المؤرخون[١١٦] نتيجة لسوء العلاقة بينه وبين الدولة البيزنطية[١١٧] .

يخيل إلينا أن اتساع الدولة فى عهد عبد الملك بن مـــروان واســـتئناف حركات الفتوح وتوغل العرب فى أفريقية[١١٨] وغيرهـــا ، جعـــل الإصـــلاح الاقتصادى من ألزم ما يكون إذ تتيح للدولة لونا من ألوان الاستقرار المـــادى على الأقل فإن تنوع العملة يؤثر فى جباية الأموال وتحصيل الخراج والجزية وبالتالى يؤثر فى بيت المال فى وقت كان لابد فيه من البذل والإنفـــاق[١١٩] ، كما أن الاتفاقية السائدة بين الأمويين والبيزنطيين القاضية بتبادل القراطيـــس المالية لم تعد تلائم الظروف الجديدة فقد ذكر Walker [١٢٠] : « أن عبد الملك قد احتاج مالا فطلبه من الدولة البيزنطية[١٢١] فأبت فاضطر إلى سك الدينـــار الإسلامى » ، يقول المقريزى: « وكان سبب ضرب عبـــد الملـــك الدنـــانير والدراهم كذلك ، أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان قال له : يا أمـــير المؤمنين إن العلماء من أهل الكتاب الأول ، يذكرون أنهم يجدون فى كتبـــهم أن أطول الخلفاء عمرا من قدس الله تعالى فى در ـمـــه فعـــزم علـــى ذلـــك ووضع السكة الإسلامية وقيل إن عبد الملك كتب فى صدر كتابه إلـــى ملـــك الروم : « قل هو الله أحد وذكر النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر التـــاريخ ، فأنكر ملك الروم ذلك وقال : إن لم تتركوا هذا وإلا ذكرنا نبيكم فى دنانيرنـــا بما تكرهون .. فعظم ذلك على عبد الملك واستشار الناس ، فأشار عليه يزيـــد بن خالد بضرب السكة وترك دنانيرهم »[١٢٢] .

مهما يكن من شىء فإن إتخاذ عملـــة إســـلامية وتعريـــب الدواويـــن وإصلاحها كان لابد منه كى تستقيم الأحوال وتسير الفتوح سيرتها الطبيعيـــة ويضبط بيت المال[١٢٣] ، كما أن ذلك يتلاءم مع التطور البشرى والحضـــارى

فإن الدولة قد مضى على تأسيسها نحو قرن واحتكت بمدنيات عريقة في بيئات راقية فكان لابد من هذا الإصلاح وقد كان .

والمتأمل في مجموعة الدنانير المنسوبة إلى الأمويين ابتداء من عبد الملك بن مروان والتي ذكرها لين بول[١٢٤] يلاحظ أن للعملة الأموية الجديدة طابع خاص ، فالدينار لا يحمل إلا سنة الضرب فقط ، فلم يذكر فيه اسم البلد التي ضرب فيها ولا حتى اسم الخليفة نفسه[١٢٥] ومن تفسير ذلك أن يقال : أن السلطة المركزية القوية المركزة في يد الخليفة القابض على زمام الأمور في دمشق[١٢٦] كانت تحول بين الوالي وبين نقش اسمه[١٢٧] ، وقد يقال في تعليل ذلك أيضا أن الدينار الذي كتبت عليه آيات من القرآن وذكر عليه اسم الرسول[١٢٨] صلى الله عليه وسلم قد يكون من غير مظاهر التقوى أن يعمد الخليفة إلى حشر اسمه في الدينار، ومثال على ذلك الدينار رقم ١ في مجموعة لين بول سنة ٧٧ وزنه ٤,٢٧ جرام على النحو التالي[١٢٩] :

على الوجه : لا إله إلا الله وحده لا شريك له	الظهر : الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد
طوق الوجه : « محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله	طوق الظهر : بسم الله ضرب هذا الدينار في سنة سبع وسبعين .

وقد حفلت مجموعات لين بول بالدنانير الذهبية التي تم سكها في عهد عبد الملك والتي تميزت بأوزانها الثابتة ما بين ٤,٣٠ إلى ٤,٢٧ جرام[١٣٠] .

ويبدو أن تعريب الدنانير البيزنطية منذ عهد عبد الملك قد مرت بعدة مراحل بدأت بالإبقاء على الدنانير اليزنطية وعليها صورة هرقل ووليه هرقليوناس وقسطنطنين مع الإبقاء على الحروف اللاتينية وتحوير الشارات المسيحية بحذف رأس الصليب ليجعله يمثل حرف (T)[١٣١] ثم كتب على القائم فى ظهر الدينار بخط بارز بإتجاه عقرب الساعة (بسم الله لا إله إلا الله وحده لا شريك له - محمد رسول الله)[١٣٢] وأصبحت رموز السك على اليمين مثل حرف B وعلى اليسار حرف (I) وهذا الدينار أتت به مجموعة Walker رقم ٥٤[١٣٣] ، أما المحاولة الثانية للتعريب : فقد ظلت صورة هرقل وولديه على الدينار وإزالة الصلبان وتحويلها إلى كرات صغيره وحول القائم على اليمين حرف(I)[١٣٤] وعلى اليسار حرف (B) وحول القائم «بسم الله لا إله إلا الله وحده .. محمد رسول الله» ووزن هذا الدينار ٤،٥٠٠ وقطره ١٩ملم[١٣٥].

أما المرحلة الأخيرة فقد مرت بفترتين بدأت بحذف صورة العائلة الامبراطورية من الدنانير وحلت محلها صورة الخليفة عبد الملك على الدينار عارى الرأس مفروق الشعر على جانبى رأسه حتى كتفيه وله ذقن مطلقة ويلبس عباءة ويقبض فى يمينه على السيف وحول الصورة فى إتجاه عقرب الساعة نقش«بسم الله لا إلا الله وحده لاشريك له محمد رسول الله»وذلك فى دينار رقم٢١من مجموعة برلين[١٣٦]،ويبدو أن هذا الطراز بدأ نقشه منذ سنة ٧٤هـ وطبقا لرواية البلاذرى « يقول ضرب عبد الملك شيئا من الدنانير فى سنة أربع وسبعين ثم ضربها سنة خمس وسبعين » ، وقد استمر ضرب الدنانير على هذا المنوال حتى سنة ٧٧هـ فلما علم الإمبراطور البيزنطى

جستنيان الثانى بهذا الأمر رفض قبول هذا النوع من الدنانير المعربة ونقض المعاهدة التى كانت بينهما ، وقامت الحرب بين الطرفين وخرج عبد الملك منتصراً[١٣٧] ومنذ ذلك الحين بدأ عبد الملك التعريب الكامل للدينار العربى بكتابة آيات قرآنية على الوجه والظهر أى طراز عربى خالص لا يحمل إلا الكتابات العربية فنقش على الوجه (لا إله إلا الله وحده ... محمد رسول الله)، وعلى الظهر « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد » مثل دينار رقم ٢٩٥ فى مجموعة برلين[١٣٨] ، ورقم ١ فى مجموعة لين بول ، وهكذا تصبح سنة ٧٧هـ حداً فاصلاً بين الطراز الانتقالى للدنانير الذهبية ذات الكتابات العربية وصورة الخليفة ثم الطراز العربى الخالص ، ومنذ ذلك الحين بدأ سك النقود العربية ذهبية أكانت أم فضية أم نحاسية على منوال العملة الذهبية .

ويلاحظ فى الدنانير الأموية أنها تكاد تكون على وزن واحد فى العصر الأموى كله فمعظمها لايزيد على٤,٣٠جراما أو تقل عن٤,٢٥جراما[١٣٩] اللهم إلا فى حالة الدنانير المخروقة أو البالية ، فنجد مثلا فى عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦/٩٦هـ)[١٤٠] إن الدنانير التى ضربت فى عهده وذكرتها مجموعة برلين[١٤١] جميعها نفس الوزن السابق مثل دينار رقم ٣٣٣ سنة ٨٨هـ ٤,٢٥ جرام قطر ١٩ملم[١٤٢] ودينار رقم ٣٣٤ سنة ٨٩هـ وزنه ٤,٢٥ جرام قطر ٢٠ملم[١٤٣] ورقم ٣٣٥ سنة ٩١هـ وزنه ٤,٢٦ جرام وقطره ١٩ملم[١٤٤] وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على أن الدولة الأموية قد نعمت بالاستقرار الاقتصادى بعد عبد الملك

نعمت بالاستقرار الاقتصادى بعد عبد الملك فاستقامت العملة وقل التزييف وانتشر الرخاء فى أثر الفتوح وزادت ثروات الناس[١٤٥] .

ويبدو أن الحاجة قد اقتضت ضرورة إيجاد عملة ذهبية أقل من الدينار فى عهد الوليد فضرب نصف الدينار وثلث الدينار[١٤٦] لأن الدراهم الفضية فيما يبدو كان من السهل الغش فيها والتلاعب بها ، ولم نجد لهذه الكسور وجودا فى عهد عبد الملك مما حدا بنا إلى القول بأنها ضربت منذ عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فقد أشار لين بول إلى نصف دينار ضرب فى سنة ٩٢هـ بأرقام ١٧، ١٨[١٤٧] وعليه نفس العبارات التى على الدينار الأموى.

الوجه	الظهر
لا إله إلا الله وحده	بسم الله الرحمن الرحيم
محمد رسول الله أرسله	ضرب هذا النصف سنة ثمنين وتسعين
الله بالهدى ودين الحق	

وكان وزن هذا النصف ٢,١٣ جرام .وضرب ثلث الدينار سنة ٩٤ برقم ٣٣٨ فى مجموعة برلين وزنه ١,٥٢ جرام وقطر ١٤ملم[١٤٨] .

وظل الدينار الأموى محتفظا بقيمته ووزنه حتى آخر عصر بنى أمية ففى عهد آخر خلفائها مروان بن محمد بن مروان (١٢٧ - ١٣٢هـ) فقد سك دينار ذهبى رقم ٥٧٧ فى مجموعة برلين سنة ١٣٠هـ وزنه ٤,٢٥ جرام وقطره ٢٠ملم[١٤٩] ودينار رقم ٥٧٨ سنة ١٣١ هـ وزنه ٤,٢٦ جرام قطر ٢٠ملم[١٥٠] ودينار رقم ٥٧٩ سنة ١٣٢ وزنه ٤,١٢ جرام قطره

١٩ملم[١٥١] ويلاحظ ثبات وزن العملة الذهبية فى عهد مروان بن محمد برغم الأحداث الجسام التى شهدتها الخلافة فى عهده وكان أشدها خطرا هى الثورة العباسية ولكن بالرغم من ذلك لم يتأثر وزن الدنانير الذهبية وهذا إن دل علىشيء إنما يدل على سيطرة الخلفاء على سك هذه الدنانير والمحافظة عليها من الغش والتزييف والتى أصبحت قيمتها تنافس الدينار البيزنطى فى ذلك الوقت .

وكان ضرب الدنانير الأموية يتم فى دمشق عاصمة الخلافة أو فى مصر لذلك كان من الصعب التمييز بين الدنانير التى ضربت فى دمشق أو فى مصر لأن كلاهما يخضع للمظهر الإسلامى العام الذى حدده إصلاح عبد الملك للسكة فاتخذت عبارات الدنانير وتشابهت أوزانها وأصبحت[١٥٢] تسير على وتيرة واحدة كما رأينا .

أما مصر فلابد أن العملة الإسلامية الجديدة قد جاءت إلى مصر الإسلامية وكان واليها إذ ذاك عبد العزيز بن مروان ٦٠ / ٨٤هـ[١٥٣] أخو الخليفة عبد الملك ولعل عهد الدينار البيزنطى قد انقضى وحل الدينار الجديد محله وجرى بين الناس واستقامت الأحوال الاقتصادية فى مصر[١٥٤] والشام على الأقل ، وقد وجدت بعض هذه الدنانير الإسلامية فى مصر[١٥٥] الذى ينحصر وزنها ما بين ٤,٢٥ جرام حسب أوزان مجموعة دار الكتب المصرية أو بين ٤,١٣ جرام و ٤,٢٦جرام حسب أوزان متحف الفن الإسلامى[١٥٦] وقد سمح عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز بضرب دنانير ذهبية فى مصر باسم عبد الملك ، فكان

ذلك بداية لظهور سلسلة من السكة الذهبية على الطراز الإسلامى فى مصر[١٥٧] . وقد انعكس هذا الرخاء على مصر فى عهد هذا الوالى التى كانت أمارته أشبه بالملك منها بأى شىء آخر فكانت فترة حكمه من أزهى الفترات التى حكمت فيها مصر[١٥٨] من قبل الولاة الأمويين وحفلت كتب التاريخ بالحديث عما تم على يد هذا الأمير وخلفائه[١٥٩] من اصلاحات عظيمة أساسها استقرار الأحوال الاقتصادية ورخاء البلاد فى ذلك الوقت بمصر .

وأما فيما يتعلق بالنقود النحاسية أى الفلوس العربية البيزنطية فقد ضربت فى العصر الأموى على يد حكام الأقاليم وفقا لاحتياجات شعوبهم باعتبارها نقودا مساعدة[١٦٠] فاستخدمت الفلوس النحاسية أو البرونزية إلى جانب الدينار الذهبى فقد ظهرت سلسلة السكة النحاسية العربية بعد تعريب الدينار ولا تختلف هذه الفلوس النحاسية كثيرا عن الفلوس البيزنطية[١٦١] إلا فى النقوش العربية التى كتبت عليها مثل كلمة « على يدى » كانت تكتب على الوجه فى هامش خارجى وكانت تسبق اسم الوالى أو عامل الخراج وفى الوسط « دار السك »[١٦٢] ، وعلى الظهر فى هامش دائرى كتابة تشير إلى أن هذه الفلوس صدرت بأمر الخليفة او يذكر اسم الخليفة دون الإشارة إلى أمره وأحيانا أخرى لا يكتب دار السك أو اسم العامل ويكتفى فقط بنقش " محمد رسول الله "[١٦٣] .

وفى مجموعة النقود المحفوظة ، بمتحف برلين نرى مجموعة من الدراهم الأموية يذكر فيها اسم دار الضرب لأول مرة[١٦٤] ، والسبب فى ذلك أن الدينار كان يضرب فى دمشق فى البداية ثم يوزع على كافة الأمصار

الإسلامية لاستعماله أما الدراهم وكسورها فقد كان يترك أمر ضربها للولاية نفسها حسب حاجتها من العملة ولذلك نجد دراهم كثيرة مضروبة بالبصرة والكوفة وأردشير واصطخر والتيمرة ودربجرد ، وسابور وسجتان ، الأهواز[١٦٥] واسط ، وهمذان ، ودمشق ، والديبل وجى وتفليس والبصرة وأرمينية[١٦٦] .

ولكن هنالك ظاهرة غريبة تحتاج إلى تفسير وهى خلو المجموعات الفضية من دراهم مضروبة بمصر ، ولا نستطيع أن نقول أن مصر الأموية كانت أقل شأنا من غيرها من الأمصار الإسلامية الأخرى بل إن مصر زمن الأمويين كانت بمثابة الدرة فى تاجهم وكانوا يحرصون عليها أشد الحرص[١٦٧] ، أما تفسير ذلك على ما اعتقد أن الدراهم كانت تحمل إلى مصر من دمشق لقربها من دار الخلافة ، ولو ضربت دراهم بمصر لما خلت مجموعات النقود من ذكرها ، ولكن مجموعة[١٦٨] النقود الألمانية ورد فيها ذكر درهم لعهد يزيد بن عبد الملك رقم ٤٨٢ ضرب بإفريقية سنة ١٠٣هـ[١٦٩] ورقم ٤٨٤ ضرب بأفريقية سنة ١٠٤هـ[١٧٠] ، ودرهم رقم ٥١٠ ضرب بإفريقية سنة ١٠٦هـ[١٧١] ورقم ٥١٢ ضرب سنة ١٠٨هـ ، درهم رقم ٥٠٨ ضرب بأفريقية سنة ١٢٢هـ[١٧٢] وقد ذكر لين بول درهما ضرب بأفريقية أيضا سنة ١١٢هـ[١٧٣] .

وتفسير ذلك أن ولاية مصر والمغرب كانت تعقد لوال واحد فى ذلك العهد لقربها من ناحية ولأهمية مصر لمن يريد أتمام الفتوح بالمغرب والأندلس ، ففى سنة ١٠٣ هـ ولى يزيد بن عبد الملك بشر بن صفوان على

مصر وأفريقية[١٧٤] . فلما سار بشر إلى المغرب استعمل على مصر حنظلة بن صفوان ولذلك ضربت الدراهم بأفريقية ولابد أنه قد شاع استعمالها فى مصر أيضا ، وفى سنة ١١٢ هـ فقد استعمل الخليفة هشام ابن عبد الملك عبيد بن عبد الرحمن على مصر والمغرب فكان عامله على مصر عبيد الله بن الحبحاب ولذلك ظلت دراهم أفريقية تستعمل فى مصر أيضا . وفى سنة ١٢٢ عاد حنظلة بن صفوان إلى ولاية مصر والمغرب مرة أخرى فظهر أثر ذلك فى النقود وشاع استعمال هذه الدراهم بمصر كذلك[١٧٥] .

وفى أواخر أيام الدولة الأموية حدث فى النقود كما حدث فى أحوال الدولة نفسها تطور هام جدا ، فلأول مرة نجد عملة أموية ينقش عليها اسم والى من الولاة فقد ذكر لين بول عملة رقم ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥[١٧٦] ضربت بالفسطاط سنة ١٣٢هـ باسم الوالى عبد الملك بن مروان بن موسى[١٧٧] بن نصير والى مصر فى ذلك الوقت .

والمتأمل فى تاريخ الدولة الأموية فى ذلك العهد يجد أن أمورها قد اضطربت غاية الاضطراب وأن الدعوة العباسية فشت بخراسان والعراق وأن مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين[١٧٨] كان مشغولا بمدافعة أبى مسلم الخراسانى ، فلابد أن هذه الظروف جميعها قد اعطت هذا الوالى من السلطان والشعور بالذاتية ما جعله ينقش أسمه على السكة الأموية بمصر ، وقد ذكرت عملة نحاسية أخرى ضربت بالإسكندرية سنة ١٣٢هـ[١٧٩] باسم

هذا الأمير عبد الملك بن مروان وأيضا وجدت عملة نحاسية أخرى ضربت بالإسكندرية سنة ١٣٢ هو باسم هذا الأمير عبد الملك بن مروان[١٨٠] .

(جـ) العصر العباسى :

وفى سنة ١٣٢هـ انهار صرح المقاومة الأموية وبويع لأبى العباس عبد الله بن محمد بن على (١٣٢ - ١٣٦هـ) ولقب بالسفاح وأخذ العباسيون يتعقبون الأمويين فى مصر وفى كل قطر إسلامى بقيت لهم بقية من نفوذ[١٨١].

وبانتصار العباسيين وانتقال الخلافة إلى البيت الهاشمى تدخل الدولة الإسلامية دورا جديدا من تاريخها فقد نقلت العاصمة إلى بغداد وأصبحت الغلبة للموالى من الفرس الذين أقاموا الدولة الجديدة بمالهم ودمائهم[١٨٢]، كما أن السلطة المركزية تغيرت عن ذى قبل وأخذت عوامل الجنس واللغة والدين التى استكانت زمنا لبنى أمية ترفع رأسها وأخذت[١٨٣] بعض الولايات النائية تستشعر النفوذ والميل إلى الاستقلال عن العباسيين[١٨٤] .

وجملة القول أن الطابع العربى الصرف الذى كان يميز الدولة الأموية قد انقضى عهده ، والأرستقراطية العربية الحازمة قد انقلبت إلى بيروقراطية فارسية إسلامية[١٨٥] ، وقد تركت ظروف العصر العباسى الأول ونجاح خلفائه فى توطيد النظام الداخلى وحرص هؤلاء الخلفاء على كبح الثورات واستتباب الأمن والتصدى للمشكلات الأولية أثرا عميقا فى ناحية من أهم

نواحى الحياة الاقتصادية وهى التجارة الداخلية والخارجية فاستطاعت القبض على ناصية الميزان التجارى فى العالم الوسيط وتثبيت أقدامها فى الجهات التى تفيض بالمنتجات الشرقية [١٨٦] بحكم اتخاذهم بغداد عاصمة لهم واتجاهها ناحية المشرق فأصبحت وريثة نشاط الفرس التجارى فى ميدان الشرق الأقصى وأخذت تنظمه وتنميه وأيضا نظمت شرايين التجارة التى تحملها إلى أراضى دولة الروم ، كل هذه الأمور ساعدت على نشاط التجارة الداخلية فى العصر العباسى الأول نشاطا عظيما وانعكس على كل البلدان الإسلامية التابعة لها[١٨٧]، وقد ظهر صدى ذلك كله فى السكة الإسلامية فإن مجموعة نقود العباسيين حافلة بالدنانير الذهبية والدراهم الفضية[١٨٨] وتفسير ذلك أيضا أن سياسة المركزية الشديدة التى كانت الدولة الأموية تنتهجها قد تغيرت فى عهد العباسيين الذين أعطوا الولايات حق ضرب النقود الذهبية بعد أن كانت لا تضرب فى عهد الأمويين إلا فى مصر ودمشق ، يقول المقريزى " وأتت دولة بنى العباس فضرب عبد الله بن محمد السفاح الدراهم بالأنبار وعملها على نقش الدنانير وكتب عليها السكة العباسية "[١٨٩].

فقد استمر ضرب الدنانير الذهبية للدولة العباسية فى كل من مصر ودمشق على نفس النمط الأموى السابق وبنفس العبارات المسجلة على السكة الأموية مع إضافة بعض التغيير الطفيف فقد نقشوا فى وسط الدينار محمد رسول الله[١٩٠] بدلا من " قل هو الله أحد الله الصمد" ولم يكتب الخلفاء العباسيون أسماؤهم على الدنانير الذهبية طوال هذه الفترة حتى عهد الخليفة هارون الرشيد والأمين [١٩١] وقد

أتت مجموعات النقود بأمثلة عديدة على ذلـــك فمجموعــة برليــن ذكــرت دينار رقم ٦٠٣ سنة ١٣٣هـ [١٩٢] فى عهد الخليفة الســفاح ولــم ينقــش اسمه على العملة ونقش عليـــه :

	على الوجه		الظهر
وسط :	لا إله إلا الله	وسط :	محمد رسول الله
	الله وحده		
	لا شريك له		
	محمد رسول الله أرسله	محيط :	بسم الله ضرب هذا
محيط :	بالهدى ودين الحق		الدينار سنة ثلث وثلاثين
	ليظهره على الدين كله		ومائة

وقد استمر ضرب الدنانير الذهبية على هذا المنوال فى عــهد الخليفــة المنصور ولكن لوحظ على المجموعات التى أتت بها مجموعـــة ليــن بــول ومجموعة برلين أن أوزان الدنانير الذهبية فى عهد المنصور كانت تتــأرجح ما بين ٣,٨٢جرام[١٩٣] إلى ٤,٢٥ جرام [١٩٤] وتفسير ذلك أن العملة ما هــى إلا انعاكس للأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة فالدولة العباسية كــانت لا تزال مضطربة ولم تتوطد أركانها بسبب الثورات الداخلية مثل ثــورة عمــه عبد الله ابن على العباسى الذى خرج عن طاعة المنصور وبايع لنفسه ، إلــى جانب الثورات فى بلاد فارس ثم ثورات العلويين فى الحجاز[١٩٥] ولم يقـــف

الأمر عن هذا الحد بل بدأت غارات البيزنطيين تشتد على أرض الدولة العباسية فى عهد المنصور واستولوا على ملطية ولم تتوقف غارات البيزنطيين على الحدود الإسلامية منذ ذلك الحين. إلى جانب اهتمامه بالانشاء والتعمير فبنى مدينة بغداد سنة ١٤٥ هـ وانتهى بناؤها سنة ١٤٩هـ وكذلك تم بناء مدينة الرصافة سنة ١٥١هـ[١٩٦] فكل هذه الأحداث قد استنزفت من خزانة الدولة العباسية الكثير من الأموال وبالتالى تؤثر على السكة المتداولة ، لكن سرعان ما عاد الاستقرار وازدهرت الأحوال فى عهده يقول السيوطى (وفى ثمان وأربعين ومئة توطدت الممالك كلها للمنصور وعظمت هيبته فى النفوس ودانت له الأمصار) [١٩٧] وقد انعكس ذلك أيضا على عهد ابنه المهدى (١٥٨ - ١٦٨ هـ)[١٩٨] فظلت أوزان الدنانير التى ضربت فى بداية عهده غير ثابتة الأوزان لأنه جاء إلى الحكم والبلاد منهوكة القوى من كثرة ما أريق فيها من دماء لذلك اتخذ سياسة اللين ليداوى الجروح والنفوس فاستمال الناس واسترضاهم فأعاد إليهم الأموال التى صادرها أبوه من قبل وكسب رضى العلويين وأمر لهم بأرزاق وصلات وعاد الهدوء إلى البلاد حتى نهاية حكمه مما انعكس على السكة[١٩٩] التى ضربت أواخر عهده فارتفعت أوزانها من ٣,٩٠ جرام إلى ٤,٢٥ جرام فقد أتت مجموعة برلين ببعض الدنانير التىضربت فى عهد المهدى مثل دينار رقم ٧٧٧ سنة ١٦٧هـ [٢٠٠] ورقم ٧٧٨ سنة ١٦٨[٢٠١] هـ تتراوح وزنها ما بين ٤,٢٥ ، ٤,٢٠[٢٠٢] جرام ، ثم بدأ اسم الخليفة ولقبه يذكر على العملة الذهبية ابتداء من عهد هارون الرشيد[٢٠٣] وابنه الأمين [٢٠٤] والدليل على ذلك الدينار رقم ٩٣٠ سنة ١٧٠هـ، رقم ٩٣١ ، سنة ١٧١هـ فى عهد هارون وأيضا دينار رقم ١٢٤٥ سنة ١٩٥هـ من مجموعة برلين [٢٠٥] ، ولا نستطيع أن نجد

١٢٤٥ سنة ١٩٥هـ من مجموعة برلين [٢٠٥] ، ولا نستطيع أن نجد لذلك تعليلا مقبولا إلا أن التمسك بأهداب السنة القويمة قد قل أثره عن ذى قبل إذ يعتقد أن الخلفاء الأمويين صانوا ذكر أسماءهم على الذهب على حين نجد هارون يذكر اسمه على العملة الذهبية ، فأتت مجموعات النقود بعدد وفير من العملات الذهبية التى سكت فى عهده [٢٠٦] ، ومن أمثلة ذلك دينار رقم ٩٤٩ سنة ١٩١هـ فى مجموعة برلين [٢٠٧] نقش عليه :

الظهر

مركز وهامش

محمد رسول الله

ما أمر به عبد الله

هارون أمير المؤمنين

وهذه الوفرة فى كميات الدنانير الذهبية والتى أتت بها مجموعات النقود تعكس مدى ازدهار واستقرار الأحوال فى عهد هارون يقول ابن خلدون " كان الرشيد يغزو عاما ويحج عاما ويصلى كل يوم مائة ركعة ويتصدق بألف درهم وإذا حج حمل معه مائة من الفقهاء لينفق عليهم" [٢٠٨] ، وقد أضاف الأمين نقش " ربى الله " على الدينار الذهب .

يقول المقريزى : « فلما كان شهر رجب سنة إحدى وتسعين ومئة نقصت الدنانير الهاشمية نصف حبة ، ومازال الأمر فى ذلك كله عصرا يجوز جواز المثاقيل ، ثم ردت إلى أوزانها حتى كان أيام الأمين محمد بن هارون

الرشيد ، فصير دور الضرب إلى العباس بن الفضل بن الربيع ، فنقش في السكة بأعلى السطر ربى الله ومن أسفلها العباس بن الفضل[٢٠٩] وذلك في الدينار رقم١٢٤٤سنة١٩٤هـ، كذلك أدخل الخليفة المأمون (١٩٨/٢١٨هـ)[٢١٠] بعض التغيرات فى نقش الدنانير والدليل على ذلك الدينار رقم ١٣١٢ سنة ٢٠٨هـ[٢١١] فظهرت الآية القرآنية التى تميز السكة العباسية منذ ذلك الوقت ونصها :

	الوجه	الظهر
المركز	لله	محمد
	الأمر من قبل	رسول الله
	ومن بعد	
	ويومئذ يفرح	
	المؤمنون بنصر الله	
هامش	بسم الله	أرسله بالهدى ودين الحق
	ضرب هذا الدينار	ليظهره على الدين كله
	فى ثمان ومائتين	ولو كره المشركون

فالعبارة الأولى سجلت على وجه الدينار فى هامش إضافي آخر إلى الخارج حول هامش الكتابة الذى ينص على تاريخ الضرب ومكانه وأكملت العبارة القرآنية على هامش ظهر الدينار بعد أن كانت تسجل فى هامش الوجه[٢١٢] ، وسيظهر مكان الضرب فى الدينار رقم ١٣١٣ سنة٢٠٠هـ[٢١٣] ومكان ضربه بمصر وهناك عدد من الدنانير التى ضربت فى مصر فى عهد الخليفة المأمون ، مثل دينار رقم ٥٥٥ ،

٥٥٦ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢[٢١٤] يقـــول المقريـــزى : « وضرب المأمون دنانير ودراهم وأسقط منها اسم أخيه محمد الأميـــن ، فلـم تجز مدة ، وسميت الرباعيات وكان ضربه لذلك وهو بمرو وقبل قتل أخيـــه »[٢١٥] . أما فى عهد المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧هـ)[٢١٦] فاتســـع قطـر الدينار قليلا عن الدنانير العباسية السابقة التى كان يتراوح قطرها مـــا بيـن ١٨ملم أو ١٩ ملم زاد إلى ٢١ ملم[٢١٧] حتى يســـتوعب جميـع العبـارات المنقوشة على الدنانير السابقة وأضاف (لله الأمر المعتصم بالله) مثل دينـــار رقم ١٤٣٦ سنة ٢٢٥هـ[٢١٨] وصل قطره ٢٠,٥ ملم ، ودينار رقـــم ١٤٣٧ قطره ٢١ ملم[٢١٩] ، ودينار رقم ١٤٣٨ قطره ٢١ ملم[٢٢٠] ويبدو أن صفات المعتصم التى اتصف بها من شجـــاعة وحزم وبطش وقوتـــه الجســمانية أعطته صفاته العسكرية الحازمة فقد حكم البلاد حكما استبداديا فقد قبض بيـد من حديد على عماله ووزرائه[٢٢١] وبالرغم من ذلك لم يغفل أمر الخلافـــة وسيطر عليها سيطرة تامة فقد صادر المعتصم أملاك وزيره أبـــى العبـاس الفضل بن رمضان بن مروان وحصل على مبلغ كبير مـــن الدنـــانير وذلـك عقابا له وانعكس ذلك على العملة فلم يصل إلينا نقود نقش عليها اسم ولاة أو وزراء فى عهده لذلك عادت المركزية[٢٢٢] الشديدة أيضا فـــى عـــهده علـى الإشراف على سك النقود مثلما فعل عبد الملك بن مروان من قبـــل . ومنـذ ذلك التاريخ ظهرت أسماء الخلفاء فقط على العملـــة الذهبيـــة حتـى عـهد المعتمد[٢٢٣] وظهرت أسماء مدن جديدة لسك العملة الذهبية مثل مدينة الســـلام فى دينار رقم ١٤٣٧ سنة ٢٢٤[٢٢٤] وفى عهد الواثق ظهرت مدينة سر مـــن رأى على السكة مثل دينار رقم ١٤٥٠ سنة ٢٣٢ هـــ[٢٢٥] ، دينـــار رقــم ١٤٥٠ سنة ٢٣٢هـ ضرب فى صنعاء[٢٢٦] دون تغيـــير لنقـــوش هـــذه

ضرب فى صنعاء [٢٢٦] دون تغيير لنقـوش هذه الدنانير يقول المقريـــزى : « وما برحت النقود على ما ذكر أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكـل » [٢٢٧] وفى عهد المتوكل على الله ظهرت أسماء مـــدن جديـدة أيضـا علـى الدنانير الذهبية مثل مدينة المتوكلية مثال ذلـــك دينــار رقــم ١٤٦٣ سـنة ٢٤٧هـ [٢٢٨] ومنذ ذلك الحين بدأت الخلافة يخيم عليها الضعف وازداد نفـوذ الأتراك [٢٢٩] الذين عملوا على تمكين سلطانهم على الخليفة المتوكل لأنهم كان لهم الفضل فى وصوله إلى الخلافة سنة ٢٣٢هـ فأحاطوا به ، وتدخلوا فى شئونه ولما حاول أن يوقف هذا التيار قتلوه سنة ٢٤٧هـ ويعلق المقريـــزى على هذه الأوضاع بقوله " لما قتل المتوكل وتغلب الموالى مـــن الأتـــراك ، وتناثر ملك الخلافة وبقيت الدولة العباسية فى الترف وقوى عامل كل جهـــة على ما يليه وكثرت النفقات وقلت المجابى ، بتغلب الولاة علـــى الأطـراف وحدثت بدع كثيرة من حينئذ [٢٣٠] »

وقد ظهر صدى هذه الأحداث على العملة فلم نجد إسم المنتصر بـــالله (٢٤٧ـ٢٤٨هـ) على العملة الذهبية لأنه قتل بعد ستة أشهر من توليــه [٢٣١] الخلافة ، وفى عهد المستعين بالله (٢٤٨هـ - ٢٥٢ هـ) اســتمر ضـــرب النقود الذهبية بنفس النقوش [٢٣٢] مثل دينار رقم ٦٠٢ سنة٢٥١ هـ ضـــرب بالشاش [٢٣٣] ، ودينار رقم ٦٠٣ سنة٢٤٩ ضرب بمصر ، [٢٣٤] ويلاحـــظ أن مدينة البصرة تظهر لأول مرة كمكان لسك الدينار وذلك فى سنة ٢٥٠ هـــ رقم ١٥٠٠ [٢٣٥] فى دينار واستمر هذا الأمر فى عهد المســـتعين أيضــا ، وفى هذه الفترة من تاريخ الدولة العباسية حدث فى النقود كـــا حـدث فـى أحوال الدولة نفسها من الضعف فبدأت أوزان الدنانير تقل بصــــورة كبـيرة

الدولة نفسها من الضعف فبدأت أوزان الدنانير تقل بصورة كبيرة وذلك في عهد كل من المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ) والمهتدى بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ) ففى عهد المعتز وصل وزنه إلى ٣,٩٤ جم ثم قل إلى ٢,٩٥ جم ورقمه ١٥٢٧ سنة ٢٥٦ هـ [٢٣٦] ففى عهد المهتدى [٢٣٧] دينار رقم ١٥٢٨ سنة ٢٥٦ هـ وزنه ٢,٩٣ والغريب أن قطره وصل الى ٢٤ ملم [٢٣٨] ويبدو أن زيادة حجم الدينار بهذا الشكل حتى يوحى أن الخلافة مازالت قادرة على سك عملات ذهبية ذات قيمة .

كما أن أسماء ولاة العهود بدأت تذكر على العملة الذهبية منذ عهد هارون الرشيد [٢٣٩] فقد عهد بالخلافة لأبنائه من بعده الأمين ثم المأمون ثم المؤتمن [٢٤٠] وكتب بذلك صحيفة أشهد فيها القضاة والفقهاء وأكابر بنى هاشم هو وعلقت فى الكعبة يقول الطبرى [٢٤١] " وكان الرشيد عقد لابنه محمد ولاية العهد يوم الخميس فى شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة وسماه الأمين وضم إليه الشام والعراق فى سنة خمس وسبعين ومائة ثم بايع لعبد الله المأمون بالرقة فى سنة ثلاث وثمانية ومائة وولاه من حد همذان إلى آخر المشرق ثم بايع القاسم ابنه وسماه المؤتمن ولاه الجزيرة والثغور والعواصم . وقد أشهد هارون الرشيد الفقهاء والقضاة على هذه البيعة وعلق الصحيفة بالكعبة أثناء وجوده فى بلاد الحجاز للحج وكان بصحبة أبنائه الثلاثة وقواده ووزرائه وقضاته سنة ستة وثمانين ومائة" [٢٤٢] وظهر صدى ذلك على العملة الذهبية فأتت مجموعة لين بول بدينار رقم ٤٢٠ سنة١٨٢ هـ عليه اسم الأمين(٢٤٣) نقش عليه :

مما أمر به الأمير
الأمين محمد بن أمير
المؤمنين

وبعد وفاة هارون تولى الأمين الخلافة وقامت الفتنة بينه وبين أخيه المأمون بسبب خلعه أخاه من ولاية العهد وتولية ابنه موسى العهد من بعده ونكث بالميثاق الذى أخذه عليه أبوه الرشيد مما أشعل الفتن والثورات فى أنحاء العالم الإسلامى وانقسم الناس بين مؤيد له ومعارض يقول السيوطى (" ولما بلغ المأمون عزل أخيه القاسم قطع البريد عن الأمين وأسقط اسمه من الطراز والضرب ثم إن الأمين أرسل إليه يطلب منه أن يقدم موسى على نفسه ويذكر أنه سماه الناطق بالحق فرد المأمون ذلك وأباه ، وأخبر الأمين بامتناع المأمون فأسقط اسمه من ولاية العهد وطلب الكتاب الذى كتبه الرشيد فأحضر ومزقه وقويت الوحشة ، ولما تيقن المأمون خلعه تسمى بإمام المؤمنين وكوتب بذلك ") [٢٤٤] وتنهض مجموعة النقود بتأييد هذه الرواية ففى مجموعة لين بول دينار ضرب فى سنة ١٩٦ هـ رقم ٥٣٤[٢٤٥] ونقش عليه:

الخليفة

محمد رسول الله

المأمون

ودينار رقم ٥٣٥ سنة ١٩٧[٢٤٦] ودينار رقم ٥٣٧ سنة ١٩٨ هـ نقش عليه المأمون الإمام[٢٤٧] وبذلك خلع طاعة أخيه الأمين قبل وفاته فى محرم سنة ١٩٨ هـ[٢٤٨] وقد نقش "خليفة المتوكل اسم ابنه المعتز بالله[٢٤٩] ولى عهده على العملة الذهبية أيضا إذ تؤيد مجموعات النقود الأحداث التى طرأت

على الخلافة العباسية منذ خلافة المتوكل (٢٣٢- ٢٤٧ هـ) وهـى بداية ازدياد نفوذ الأتراك واستبدادهم بشئون الخلافة وقد حاول المتوكل أن يوقف هذا التيار فعقد البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد ، وهم (محمد ولقبه المنتصر بالله، وأبو عبد الله محمد ولقبه المعتز بالله ، وإبراهيم ولقبه المؤيد بالله) وعقد لكل واحد منهم لواءين أحدهما أسود وهو لواء العهد والآخر أبيض وهو لواء العمل وقسم إدارة الدولة بينهم متبعا فى ذلك التقسيم الذى جرت عليه الخلافة العباسية منذ عهد المهدى[٢٥٠] وبذلك حرم المتوكل الأتراك مما كان فى أيدهم من الولايات والمناصب الكبرى وأراد التخلص منهم نهائيا ولكن ابنه المنتصر كان يشايعهم لأنه كان ينقم على أبيه قسوته على العلويين، لذلك كان يعطف عليهم وبسبب هذا التعارض فسد الجو بين الولد وأبيه فعزم المتوكل على إجراء تغيير فى ولاية العهد بتقديم المعتز على المنتصر فى ولاية العهد[٢٥١] بل أضاف إليه فى سنة ٢٤٠هـ خزن الأموال فى جميع الآفاق ودور الضرب وأمر أن يضرب اسمه على الدنانير والدراهم وقد أيدت مجموعات النقود هذه الأحداث فمجموعة برلين أتت بدينار رقم ١٤٦٥ سنة ٢٤٢ وزن ٣.٩٣ والقطر ٢١ ملم[٢٥٢] ونقش عليه اسم المعتز وضرب بمصر سنة ٢٤٢ أما الدينار رقم ١٤٦٣ سنة ٢٤٧هـ أيضا نقش عليه اسم المعتز ضرب بالمدينة المتوكلية وزنه ٤,١٥ القطر ١٥,٥[٢٥٣] ، وكان هذا العمل مفترق طريق فى حياة الخلافة العباسية فى ذلك الوقت ، فانضم المنتصر إلى الأتراك وشايعهم على أبيه وأصبح كل طرف على أهبة الاستعداد بالفتك بالطرف الآخر وانتهى هذا الأمر بقتل المتوكل على يد الأتراك ثم أقبلوا إلى ابنه المنتصر وبايعوه بالخلافة كما أحضروا أخويه

المعتز والمؤيد فأجبروهما[٢٥٤] على مبايعته واستعملوا العنف مع الغاضبين وقد بلغ سلطان الأتراك ذروته بأن أمروا المنتصر أن يخلع أخويه من ولاة العهد حتى يحولوا بينهما وبين الوصول إلى منصب الخلافة فقد سيطر الأتراك عليه سيطرة كاملة ثم انقلبوا على المنتصر وقتلوه بعد خلافته بستة أشهر وهذا يفسر لنا أن مجموعة برلين ولين بول لم تذكر أى دينار ضرب فى عهده[٢٥٥] .

ومنذ ذلك الحين بدأ تدخل الأتراك فى شئون الخلافة بل الاعتداء عليهم بالعزل والقتل كما رأينا ، ولم يستطع الخلفاء التغلب على الأتراك إلا بعد أن استعانوا بالعناصر الأخرى الموجودة فى بغداد مثل قوة الديلم التى بدأت تصل بغداد وتشارك فى الأحداث ونمت حتى استطاعت آخر الأمر أن تقهر النفوذ التركى وتحتل مكانه[٢٥٦] .

ولم ينقش أسماء ولاة العهود على الدنانير الذهبية فقط وإنما نقشت أسماؤهم على الدراهم الفضية أيضا منذ أيام الخليفة المنصور فقد نقش اسم ابنه المهدى على الدرهم رقم ٢٨٩[٢٥٧] الذى ضرب بالرى سنة ١٤٠هـ وفى عهد الخليفة المهدى كتب اسم ولديه موسى الهادى على الدرهم رقم ٣٥٧ سنة ١٦٧هـ[٢٥٨]، كما ذكر اسم هارون على درهم ضرب بأرمينية سنة ١٦٩ ورقمه٣٩٣ ،٣٩٦،[٢٥٩] ، وكذلك ضرب درهم بأفريقية عليه نقش هارون ولى عهد المسلمين سنة ١٧٠هـ[٢٦٠]، وفى عهد هارون الرشيد كتب اسم الأمين على درهم رقم ٥١٦ لسنة ١٩٠هـ[٢٦١] ، ونقش الأمين اسم ابنه على الدرهم رقم ٥٣٣ سنة ١٩٤هـ[٢٦٢] كما ذكره من قبل على الدينار

الذهبي بعد خلع أخيه المأمون من ولاية العهد يقول المقريزى : « فلما عهد الأمين إلى ابنه موسى ولقبه الناطق بالحق المظفر بالله ضرب الدنانير والدراهم باسمه[٢٦٣] » وهذا مطابق لما ذكرته مجموعة برلين فى الدرهم رقم ٢٦٢ لسنة ١٩٤هـ[٢٦٤] .

محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

مما أمر به الأمير الناطق بالحق

موسى بن أمير المؤمنين

بدمشق سنة أربع وتسعين ومائة

وقد تكررت هذه الظاهرة أى نقش أسماء ولاة العهود على الدراهم بعد ذلك ، ففى الدرهم رقم ١٤٥٢ سنة٢٢٨هـ[٢٦٥] نقش باسم المهدى محمد بن الواثق ، وفى الدرهم رقم ١٤٦٧ سنة ٢٤٦ هـ[٢٦٦] ، ورقم ١٤٧٠ سنة ٢٣٧هـ بدمشق نقش عليها باسم المعتز بن المتوكل[٢٦٧]، وفى عهد المستعين نقش اسم ابنه العباس على الدراهم رقم ١٥٠٨ سنة ٢٤٩هـ[٢٦٨] بمدينة السلام ودرهم رقم ١٥٥٨ سنة ٢٦٠هـ باسم جعفر ابن المعتمد[٢٦٩] وقد ظهرت أماكن الضرب على الدراهم الفضية فى العصر العباسى مثل العصر الأموى[٢٧٠] .

وظهر صدى سلطة الأمراء واستبدادهم بأقاليمهم فى النقود العباسية بصورة جلية . فقد بدأت أسماء الولاة تذكر فى النقود الذهبية منذ عهد الرشيد وذلك يتفق مع منطق الحوادث فى ذلك الوقت يقول المقريزى : « فلما صير هارون الرشيد السكة إلى جعفر بن

يحيى البرمكى كتب اسمه بمدينة السلام ، وبالمحمدية من الرى على الدنانير والدراهم »[٢٧١] ودرهم باسم روح بن حاتم سنة ١٧١ هـ بأفريقية[٢٧٢] ، ودرهم باسم محمد بن هرثمة العكى رقمه ٩٧٥[٢٧٣] تولى إفريقية سنة ١٨٠ هـ ، ودرهم باسم محمد بن يزيد سنة ١٨٦ هـ[٢٧٤] وكذلك فى عهد الأمين ذكر اسم الفضل بن ربيع[٢٧٥] على درهم ١٢٥٣ سنة ١٩٥هـ فى مجموعة برلين[٢٧٦]، ودرهم رقم ١٢٧٨ سنة ١٩٥هـ[٢٧٧] ضرب بالمحمدية[٢٧٨] وعليه اسم الفضل ابن طاهر.

فلم يكتف ولاة الأقاليم بذكر أسمائهم على السكة بل نجد أن الوزراء ذكرت أسماؤهم أيضا ، ففى عهد المأمون نقش اسم الفضل بن سهل ذى الرياستين فى العملة رقم ٥٤٠[٢٧٩] ، ٥٥٣[٢٨٠] ، ٥٥٥[٢٨١] ، ٥٥٧[٢٨٢] ، ٥٦٣[٢٨٣] فى مجموعة لين بول فقد فوض المأمون إدارة البلاد إلى وزيره الفضل بن سهل ذى الرياستيين[٢٨٤]

وهكذا رأينا أن الأحداث التى انتابت الدولة العباسية منذ قيامها لها أثر واضح فى السكة الإسلامية بوجه عام وفى النقود المضروبة بمصر بوجه خاص[٢٨٥] فما كاد مروان بن محمد آخر الخلفاء من بنى أمية يفر إلى مصر من وجه العباسيين حتى جاءوا إليه متعقبين فادركوه عند بوصير من أعمال الفيوم فقتلوه وثبتوا نفوذهم بمصر[٢٨٦]، وظهرت العملة فىمصر لأول مرة تحمل الطابع العباسى الجديد فقد نقشوا فى وسط الدينار والدراهم « محمد رسول الله»[٢٨٧] ، فقد أورد لين بول فلسا رقم ٨٥٠ ، ٨٥١ يرجع إلى سنة ١٣٢ كتب عليه اسم عبد الله بن يزيد أبو عوف [٢٨٨]. ومن الغريب أن نجد هذا الوالى يكتب اسمه هكذا « مما أمر به الأمير عبد الملك بن يزيد»

[٢٨٩] على حين أن العـــادة جرت على أن يكتب الوالى اسمه مجردا كـــأن يذكر مثلا « يزيد » كما هو الحال فى الدرهم رقم ٣٦١ سنة ١٥٩ هـــ [٢٩٠] و إبراهيم بن صالح كما هو الحـــال فى الفلس رقم ٨٦٣ ســنة ١٦٧هـــ بمصر وإذا كانت المجموعة الأموية قد خلت من النقود المضروبـــة وعليـــها اسم مصر فإن مجموعـــة نقـــود العباســـيين حافلـــة بدنـــانير ودراهـــم وفلوس[٢٩١]. ضربت بمصر[٢٩٢] وتفسير ذلـــك أن العباســـيين قـــد أعطـــوا الولايات حق ضرب النقود الذهبية بأسمهم فضربت النقود فى مصـــر، ولأن مصر ما زالت من أهم وأغنى الولايات العباسية وكانت تعتمـــد عليـــها فـــى المحافظة على النفوذ العربى فى المغرب وحوض البحر المتوسط [٢٩٣]، وقـــد ظلت مصر تتعامل بالعملة الذهبية المتداولة في دار الخلافة العباسية بنفـــس النمط لأن الدولة ظلت تعتمد على مصر والشام فى ضرب الدنانير الذهبيـــة [٢٩٤] ، إلى أن حدث تطور فى نظام السكة العباسية عندما أمر الخليفة هارون الرشيد أن يكتب اسمه واسم ابنه الأمين على السكة الذهبية [٢٩٥] ، كما وهـــب هذا الحق للوزراء والولاة وعمال الخراج والمال ، يقول أنســـتانس « فكـــان ينقش اسم الخليفة فى صدر النقد ثم يليه اسم عامله ثم عامل عامله مع تســـمية الخليفة المستقل باسم أمير المؤمنين لتميـــيزه عـــن ســـواه » [٢٩٦] وتنـــهض مجموعات النقود لتأييد هذا القول بأن الدنانير الذهبية المتداولة فى مصر منـــذ دخول العباسيين حتى عصر هارون الرشيد لم يكتب عليها اســـم أى خليفـــة عباسى [٢٩٧] ، وأيضا مجموعة النقود الموجودة بمتحف الفن الإسلامى بمصـــر حافلة بدنانير ذهبية كثيرة مؤرخة منذ سنة ١٣٣هـــ حتى ســـنة ١٧٢م دون ذكر اسم الخليفة عليها[٢٩٨] حيث بدأت تظهر أسماء الوزراء والعمـــال علـــى العملة الذهبية بجوار اسم الخليفة[٢٩٩]وأول من تمتع بهذا الحق فىمصـــر علـــى بن موسى العباسى كان واليا على مصر فى عهد الخليفة الهادى سنة ١٩٦هـــ

على مصر فى عهد الخليفة الهادى سنة ١٩٦هـ [٣٠٠] ، ولما بويع هارون بالخلافة سنة ١٧٠ هـ [٣٠١] أقر على بن سليمان عليها فظل بها حتى سنة ١٧١هـ فأتت مجموعة لين بول بدنانير ذهبية ضربت فى سنة ١٧١هـ برقم ٩٣١ [٣٠٢] وفى سنة ١٧٢هـ دينار رقم ٤٠٢ [٣٠٣] ، وسمح هارون الرشيد أيضا لعمر بن غيلان عامل خراج مصر [٣٠٤] بضرب دنانير ذهبية ووضع اسمه مع اسم الخليفة مما يدل على أهمية هذه الوظيفة ومكانتها لدى الخلافة العباسية .

ووضح ذلك أيضا فى الدينار رقم ٤٠٣ سنة ١٧٢ هـ ، رقم ٤٠٤ سنة ١٧٣ هـ وكتب عليهما اسم عمر وذلك فى ولاية محمد بن زهير الأزدى (١٧٢-١٧٣هـ)[٣٠٥]، ثم ظهر اسم داود بن يزيد [٣٠٦] على الدينار رقم ٤٠٨ سنة ١٤٧هـ [٣٠٧] واسم موسى بن عيسى (١٧٥-١٧٦هـ) [٣٠٨] على دينار رقم ٤١٠ سنة ١٧٥ هـ[٣٠٩] بعد توليه إمارة مصر للمرة الثانية، وتكررت هذه الظاهرة فى عهد الوالى العباسى إبراهيم بن صالح فى ولايته الثانية على مصر [٣١٠] على العملة رقم ٤١١ سنة ١٧٦هـ ويلاحظ أن العباسيين فى هذه المرحلة استخدموا بعض الأساليب التى أستخدمها الراشدون من قبل وهى كثرة عزل الأمراء ونواب الخليفة وتغييرهم بصفة مستمرة حتى لا يؤدى طول بقائهم إلى استقلالهم بالقسم الغربى من الدولة[٣١١] واكن حدث منذ عهد المأمون أن تطور نظام الولاية تطورا خطيرا فقد تطور إلى اقطاعية لها سلطانها ونفوذها الكبير بعد أن ضعفت السلطة المركزية فى بغداد نتيجة للفتن والحروب التى تخللت عصر الأمين وأوائل عصر المأمون، ذلك أن نواب الخليفة بدأوا يقيموا فى بغداد بصفة مستمرة ومنحوا سلطات كبيرة كأنها سلطات الخليفة فقد خطب لهم على

سلطات كبيرة كأنها سلطات الخليفة فقد خطب لهم على المنابر وكتب أسماهم على النقود أسوة بالخليفة [٣١٢] وظهر أثر ذلك فى مصر فى عهد الولاة الولاة الذين كانوا بمصر زمن الفتنة بين الأمين والمأمون فقد ساد الاضطراب فى مصر ما بين مؤيد ومعارض لهما [٣١٣] ، ولم ينتهى هذا الأمر بمقتل الأمين وتولية المأمون الخلافة بل تطور الأمر فى هذه البلاد إلى نزاع بين بعض القواد للاستئثار بالسلطة فيها والاستقلال بأمورها وكادت مصر فى أثنائها أن تكون مستقلة عن الخلافة لا ترسل إليها الخراج والأموال ولا ترضخ فيها لأوامر الخليفة ولا تقبل العمال الذين يوليهم (٣١٤) ، وقد تغلب على كل ناحية فيها قائد أو زعيم وظهر صدى ذلك فى العملة فى مصر فظهرت أسماء عدد من هؤلاء الولاة بجوار اسم المأمون تأكيدا على استقلالهم اسميا عن الخلافة [٣١٥] مستغلين هذا الاضطراب ، وقد بدأ هذا الأمر يظهر منذ سنة ١٩٦ هـ عندما سمح المأمون لعباد بن محمد بن حيان[٣١٦] أن ينقش اسمه على الدينار رقم ٥٣٤ سنة ١٩٦ [٣١٧]هـ فوضع اسمه مع المأمون وذلك لدوره فى خلع طاعة الأمين فى مصر والدعوة للمأمون[٣١٨] ، ثم توالى ظهور أسماء الولاة فى عهد المأمون منتهزين فرصة اندلاع الثورات ضده فى العالم الإسلامى وانشغاله بالقضاء عليها حتى ذلك الوقت فظهر اسم الوالى المطلب بن عبد الله الخزاعى[٣١٩] على الدينار رقم ٥٣٧ سنة ١٩٨ هـ[٣٢٠] والعباس بن موسى ابن عيسى العباسى[٣٢١] على الدينارين ٥٣٨ ، ٥٣٩ سنة ١٩٨ هـ[٣٢٢] .

ثم ظهر اسم الوالى المطلب للمرة الثانية سنة ١٩٩هـ فى دينار رقم ٥٥٥ ضرب بمصر(٣٢٣) ، وهنا يظهر اسم مصر للمرة الأولى على

العملة فى العصر العباسى وتتكرر هذه الظاهرة أى ظهور اسم مصر على العملة[٣٢٤] واسم الوالى السرى بن الحكم الذى تولى أمر مصر (٢٠٠إلى ٢٠٥هـ)[٣٢٥] وظهر ذلك فى العملة رقم ٥٥٦ سنة ٢٠٠هـ[٣٢٦] نقش عليه اسم السرى واسم عبد الله بن طاهر لأن المأمون قد أعطى له ولاية الجزيرة والشام ومصر والمغرب يقول اليعقوبى « ولى المأمون عبد الله ابن طاهر الجزيرة والشام ومصر والمغرب وصير إليه جميع أهلها وأمره بمحاربة المتغلبين بها »[٣٢٧] وظل اسم السرى وطاهر على العملات رقم ٥٥٩ سنة ٢٠٢هـ[٣٢٨] ورقم ٥٦٠ سنة ٢٠٣هـ[٣٢٩] وظهر اسم مصر والمغرب على هذه العملات مثل دينار رقم ٥٦١ سنة ٢٠٤هـ[٣٣٠] . أيضا تأكيدا لسلطة عبد الله بن طاهر على مصر والمغرب . وبعد وفاة السرى سنة ٢٠٥هـ تولى أبنه محمد بن السرى أمر مصر حتى سنة٢٠٦هـ[٣٣١] وظهر ذلك فى العملة رقم ٥٥٤ سنة ٢٠٥هـ[٣٣٢] فقد نقش اسم محمد بن السرى عليها وكذلك اسم طاهر ، ثم تولى عبيد الله بن السرى ولاية مصر بعد وفاة أخيه سنة ٢٠٦هـ حتى سنة ٢١١هـ[٣٣٣] فقد نقش اسمه على العملة رقم ٥٦٢سنة ٢٠٩هـ[٣٣٤] تأكيدا لخضوع مصر كلها له ماعدا الإسكندرية التى كانت تحت يد الأندلسيين الذين جاءوا إلى مصر أثناء اشتعال الفتن بها بل شاركوا فيها[٣٣٥] لذلك قدم عبد الله بن طاهر بن الحسين من الشام موفدا من قبل الخليفة المأمون ليقضى على تلك الفوضى التى سادت فى مصر منذ إحدى عشر سنة[٣٣٦] .

فلما وصل عبد الله بن طاهر إلى مصر فى ولاية عبيد الله بن السرى لدعاه إلى السمع والطاعة فقبل عبيد الله ذلك[٣٣٧] ، ثم خرج عبيد الله من مصر سنة ٢١٠ هـ ، وهكذا عادت مصر بفضل مجهودات عبد الله ابن طاهر ولاية خاضعة للخلافة العباسية [٣٣٨] ومن مظاهر ذلك لم نعد نسمع عن اسماء ولاة أو عمال تذكر على العملة الذهبية منذ عهد المعتصم وذلك لأن السلطة المركزية القوية المركزة فى يد الخليفة المعتصم القابض على زمام الأمور فى بغداد كانت تحول بين الوالى وبين نقش اسمه على العملة الذهبية مثلما حدث فى عهد المأمون [٣٣٩] ، والدليل على ذلك مجموعة من العملات الذهبية فى متحف الفن الإسلامى بمصر والتى ضربت فى عهد المعتصم نقش عليها اسمه ومكان الضرب فى مصر مثل دينار رقم ٢٢٢٧٥ سنة٢١٨ هـ ، ٢٢٢٧٦ سنة٢٢٠ هـ ، ودينار رقم ٢٢٢٧٧ سنة٢٢٣ هـ وعليه اسم المعتصم حتى نصل إلى الدينار رقم ٢٢٢٨٠ سنة٢٢٦ هـ[٣٤٠] ومعظمها ضرب بمصر ، وكذلك فى عهد الواثق فكل مجموعات العملات الذهبية فى متحف الفن الإسلامى خلت من أسماء العمال أو الولاة وظل اسم الواثق عليها مثل دينار رقم ٢٢٢٨١ سنة٢٢٧ هـ ضرب بمصر[٣٤١] وأيضا هناك دينار ضرب فى دمشق باسم الواثق سنة٢٣١ هـ فى هذه المجموعة أيضا وظلت السكة الذهبية تضرب بمصر بإسم العباسيين حتى كان آخر الدنانير رقم ٢٣٥٣٧ سنة٢٥٤ هـ[٣٤٢]. ثم انقطع ذكرها بعد ذلك بسبب قيام الدولة الطولونية واتخاذ أحمد بن طولون وخلفائه من بعده دنانير نقشوا أسماءهم عليها .

ويبدو أن ولاة مصر فى فجر السكة العباسى كان يعقد لهم على المغرب[٣٤٣] كذلك فقد ذكر لين بول درهما ضرب مدينة العباسية بالمغرب سنة ١٥٩[٣٤٤] باسم يزيد بن حاتم الذى ولى مصر من سنة ١٤٤ إلى سنة ١٥٢[٣٤٥] ويبدو أيضا أن يزيدا هذا ظل بالمغرب من سنة ١٦٠هـ حتى سنة ١٦٧هـ لأن المجموعة الألمانية قد ذكرت درهما رقم ٧٩٤ سنة ١٦٧[٣٤٦] باسم يزيد كما يبدو أيضا أنه عزل فى بعض الأحيان فقد ورد فى الدرهم رقم ٧٩٢ سنة ١٦٢هـ فى المجموعة الألمانية اسم محمد بن مقاتل العكى ورقم ٧٩٤ سنة ١٦٥هـ[٣٤٧] بجوار اسم هارون ولى عهد المهدى وقد عاد يزيد إلى أفريقية مرة أخرى فقد ورد اسمه فى الدرهم رقم ٩١٩ سنة ١٧٠هـ ، وقد انفصلت ولاية مصر عن المغرب طول عهد الرشيد ، فقد ورد فى النقود المنسوبة إليه سنة ١٧٠هـ اسم روح بن حاتم سنة ١٧٣ درهم رقم ٩٦٦[٣٤٨] ونصر بن حبيب المهلبى فى الدرهم رقم ٩٦٩ سنة ١٧٥هـ[٣٤٩] والفضل بن روح بن حاتم فى الدرهم رقم ٩٧٤ سنة ١٧٩هـ ومحمد بن مقاتل العكى فى الدرهم رقم ٩٧٥ سنة ١٨٠هـ[٣٥٠] تولى أمر المغرب للمرة الثانية .

وقد ظل محمد بن مقاتل العكى يلى أفريقية من قبل الرشيد فقد ورد اسمه فى الدرهم رقم ٤٦١ سنة ١٧٧هـ المضروب بالعباسية بالمغرب[٣٥١] حتى ولاية إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ هـ .

وقد عادت ولاية المغرب إلى أمير مصر مرة أخرى فى عهد المأمون فقد ذكر لين بول دينارا رقم ٥٦٣ سنة ٢٠٢هـ[٣٥٢] عليه اسم المغرب واسم السرى وهو السرى بن الحكم ، وهناك درهم آخر ورد ذكره فى المجموعة

الألمانية برقم ١٣١٤ سنة ٢١٠هـ[٣٥٣] ضرب بمصر باسم السرى الذى ولى مصر مرتين فى عهد المأمون مرة من سنة ٢٠٠ إلى سنة ٢٠١هـ[٣٥٤] ، ومرة أخرى من سنة ٢٠١ إلى سنة ٢٠٥هـ وقد ظل هذا الأمير يلى مصر حتى سنة ٢٠٥هـ[٣٥٥] كما ذكرت من قبل فقد ذكر لين بول دينارا رقم ٥٦٤ سنة ٢٠٥هـ[٣٥٦] عليه اسم المغرب ومذكور فيه اسم السرى وهنالك درهم آخر برقم ١٣٨٥[٣٥٧] ضرب بمصر وعليه اسم السرى بن الحكم كما أن الرواية التاريخية تتفق مع النقود فى هذا الشأن فقد ذكر أن ولايته انتهت سنة ٢٠٥هـ[٣٥٨] .

وظلت الدراهم تضرب بمصر باسم العباسيين حتى كان آخر الدراهم التى ورد ذكرها بمجموعة لين بول سنة ٢٥٩هـ[٣٥٩] ثم انقطع ذكرها بعد ذلك بسبب قيام الدولة الطولونية .

دنانير أمويه

فلوس نحاس امويه في مرحلة التعريب



١) فلوس نحاس امويه في مرحلة التعريب عليها صورة الامبراطور هرقل و ولديه حذف رأس الصليب و وضع كرة بدلا من الصليب و كتب باتجاة عقرب الساعه بسم الله و لا اله الا الله وحده ، محمد رسول الله .

٢) نقشت صورة عبد الملك بنصفه العلوي و أخيرا صورته واقفا متقلدا سيفه و حوله عبارة محمد رسول الله

دنانير أمويه


وجه

دينار سنة ٧٩ هـ


ظهر


وجه

دينار سنة ١١٤ هـ


ظهر

دنانير أمويه



وجه



ظهر

ثلث دينار سنة ٩٤ هـ

دنانـيـر عباسـيه


وجه


ظهر

دينار عباسي سنة ١٣٣ هـ



ظهر دينار عباسي سنة ١٧٥ هـ

دنانير عباسيه



نقش عليه اسم الوالي موسي بن عيسي سنة ١٧٥ هـ



ظهر دينار سنة ١٩٣ هـ (نقش عليه الخليفه الامين)

دنانـيـر عباسـيه



ظهر دينار سنة ٢١٩ هـ (نقش بأسم الخليفه المعتصم بالله)



ظهر دينار سنة ٢٢٧ هـ (نقش بأسم الواثق بالله)

هوامش البحث

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها - نشره وصححه هنرى ماسيه - طبعة مجلس المعارف الفرنساوى سنة ١٩١٣ ص : ٥١ ـ ٧١ .
أبو الحسن البلاذرى : فتوح البلدان - مراجعة محمد رضوان - دار الكتب العلمية بيروت ص :٢١٤ ، جلال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة جـ١ - الطبعة الأولى - دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩ م ص : ٤ ، ٥
يقول ابن عبد الحكم « فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن عمر لذلك فعقد له على أربعة الآف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخمس وثلثهم من غافق٧ » - ص : ٥١ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص ٧١ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٢ ص : ١٧ . وابن خلدون : تاريخ ابن خلدون جـ٢ ، تحقيق شكيب ارسلان سنة ١٩٣٦م ، ١٣٥٥هـ ، مطبعة النهضة ص : ٣٤٧ ، ٣٦٨ .

(٣) تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد المقريزى - شذور العقود فى ذكر النقود « المسمى بالنقود الإسلامية » ط٥ - منشورات الشريف الرخى قم إيران - ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧ م ص : ٢٣ .

(٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص : ٧١ ، أبو الحسن البلاذرى فتوح البلدان ص:٤٥٢ المقريزى: النقود الإسلامية ص:٤، ٧ ، وابن خلدون ص : ١٦٨ : ١٧٢.
John Walker, M. A: A Catalogue of the Arab-Sassanian cions - London. 1941. P.17.

(٥) يقول " رنسيمان " " ينسب قوزمة (قوزماس) " ملاح الإقاليم الهندية رخاء التجارة الإمبراطورية ونجاحها إلى سببين هما المسيحية والعملة . وعلى حين أن الفوائد التى يمكن أن تعود من المسيحية على التجارة قد تكون موضع التشكك . فإن عملة الإمبراطورية كانت دون أدنى ريب مرتكزا لا يتنازع فيه اثنان . فإن تلك العملة ظلت محتفظة بقيمتها سليمة لم يمسسها سوء من عهد قسطنطين الأول ٣٣٧ - ٣٦١م إلى عهد نيقيفوروس بوتانياتس الثالث ١٠٧٨ / ١٠٨١م " أى مدة تزيد على ستة قرون ، وكانت الدولة البيزنطية تقوم على نظام العملة المعدنية ذات الصنف الواحد ، وكان أساس العملة هو رطل الذهب - وكانت العملة المعيارية وهى النوميسما تساوى منذ عهد قسطنطين واحدا على اثنين وسبعين ($\frac{1}{72}$) من الرطل من الذهب - وهى تعادل ٤٠، ١٤ فى المائة من الفرنكات الذهبية - وكانت النوميسما تنقسم إلى ٢ ميلياريسيا، وكل من هذه تنقسم بدورها إلى اثنى عشر فلسا 'Poholles' " لذلك استطاعت بيزنطة أن تسيطر على كلا العالميين المتحضر والبربرى من خلال عملتها الذهبية المضمونة.
ستيفن رنسيمان:الحضارة البيزنطية ترجمة عبد العزيز جاويد - مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦١م ، ص ٢١٠ .

نورمان باينز : الإمبراطور البيزنطية ترجمة د. حسين مؤنس - لندن ١٩٤٩ - ص١٦٥ ص ٣٢٠ أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارة ترجمة أحمد محمد عيسى ومحمد شفيق غربال - مكتبة النهضة العربية ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، ص١٩٥ .
عبد الرحمن فهمى محمد:فجرا السكة الإسلامية - دار الكتب المصرية ١٩٦٥م ص١٤ .
R. A. G. Carson : Coins - Ancient - Mediaeval and Modren . P.195.
انستاس الكرملى:النقود العربية وعلم النميات القاهرة سنة ١٩٣٩م-ص ٨٩،٩٠.

(٦) الدرهم كلمة فارسية معربة من " درم " ومن اليونانية دراخما ، وكانت الدراهم الفارسية فى فجر الإسلام عبارة عن قطعة مستديرة من الفضة وهو ٦ دوانق والدانق $\frac{1}{6}$ المثقال والمثقال ٢٤ قيراط ، وكانت الدراهم فى الجاهلية خفافا وثقالا من ضرب الأعاجم فمنها ما هو وزن ٢٠ قيراط وما هو وزن ١٢ وما هو وزن ١٠ ، وعلى أحد وجهيها rev = Reverse " الوجه " نقش يمثل الجزء العلوى من صورة كسرى الفرس الذى أمر بضربها ويظهر وجهه فى وضع جانبى « بروفيل Profile وقد علا رأسه التاج الساسانى المجنح وعلى الوجه الأخر rev. = Reverse حارسان مدججان بالسلاح أو واقفان بدونه ويمكن اعتبارهما كاهتين وبينهما معبد النار اللذان يسهران على حراسته وخدمته، وتشير الكتابات البهلوية المنقوشة على الدراهم إلى اسم الملك ، كما تشتمل على عبارات دعائية لأسرته ، وفى الهامش الخارجى توجد ثلاثة أو أربعة أهلة، وفى داخل كل هلال نجمة إشارة إلى كوكب الزهرة عند تقابلها مع القمر وهو رمز للرخاء عند الشرقيين ، بينما كتابات الظهر تشير إلى مكان الضرب وتاريخه :
John Walker , M . A : A Catalogue of the Arab - Seassanian coins - London 1941 . P. 17 . 19 - 162 .
John Porteous : Coins in History - London - P . 19 - 20 - 24 .
R . A . G Carson : Coins Ancient - Mediaeval and Modern - London P . 474 .
عبد الرحمن فهمى : فجر السكة الإسلامية : ص : ١٢ ، ١٣ انستاس الكرملى : النقود العربية ص٩٠.
وداد القزاز : المسكوكات المكتشفة فى موقع الحبيبة الأثرى ما بين ١٩٧٨ - ١٩٨١ فى تل الغريرى وتل النص - مقال بمجلة المسكوكات - العددان ١٠ - ١١ ص٢٩ .

(٧) البلاذرى : فتوح البلدان ص : ٤٥٢ ، والمقريزى : النقود الإسلامية ص : ٤ .

(٨) ابن سعد : الطبقات جـ ١ ص : ٨٧ . ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٢ ص ٢١ ، نورمان باينز : الإمبراطورية البيزنطية ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .
وأحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة ص : ١٥٨ ، ١٥٩ جوستاف لوبون: حضارة العرب ، ترجمة عادل زعتر ص : ٥٥٣ ، كان لمكة مركز دينى محترم فى نظر سائر العرب فحرمة البيت اكسبت مكة حرمة ومكانة ممتازة بين العرب وهذه المكانة هيأت لقريش الزعامة الدينية والأدبية كما أنها استغلت هذه المكانة فى السيطرة على التجارة بين الشام واليمن ، مما عاد عليهم بالثروة الكبيرة والمنزلة الرفيعة .

(٩) ابن هشام : السيرة م١ ، ص : ١٣٢ الزبيرى : نسب قريش ص : ٢٠٩ ، وابن حبيب : المنمق ص : ١٧١ .

(١٠) محمود شكرى الألوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب - بيروت دار الكتب العلمية جـ ٣ ص : ٣٦٨ ، وابن هشام السيرة م ص : ١٨٨ ، وجوستاف لوبون : حضارة العرب ص : ٥٥٣ .

(١١) شمس الدين محمد بن أبى بكر المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم بيروت مكتبة الخياط - ص ٢٨٣ ، ١٨٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ص : ١٧٦ ، ١٨٠، ابن سعد : الطبقات جـ ١ ص : ٨٣ ، ابن حبيب المنمق ص : ٤٤ ، وابن الجوزى : المنتظم جـ ٢ ص : ٢١٥ ، أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة ص : ٥٧٠ ، وجواد على المفصل جـ ٧ ص : ٣٠٤، وموريس جودفروا : النظم الإسلامية ترجمة فيصل السامرا ، وصالح الشماع الطبعة الثالثة ص : ٢١٨ : ٢١٩ .

(١٢) المقريزى : النقود الإسلامية ص : ٤ ، وابن خلدون : المقدمة ص ١٠ ، ١٥ - طبعة باريس - قسم ٢ - المجلد الأول .

ويضيف المقريزى « وكان وزن الدراهم والدنانير فى الجاهلية مثل وزنها فى الإسلام مرتين ويسمى المثقال درهما والمثقال دينارا ولم يكن شىء من ذلك يتعامل به أهل مكة فى الجاهلية ، وإنما كانت تتعامل بالمثاقيل وزن الدراهم وزن الدنانير وكانوا يتابيعون بأوزان اصطلحوا عليها فيما بينهم وهى الرطل وقيل أن المثقال منذ وضع لم يتغير فى جاهلية أو إسلام " ص ٤ ، ٥ .

(١٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص : ٤٥٢ ، جواد على : المفصل جـ ٤ ص : ٢٠٢ ، وأحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة ص : ٣٧٤ .

(١٤) الأزرقى : أخبار مكة جـ ١ ص : ١٦٠ .

كان للبيزنطين بيوت تجارية فى مكة يستخدمونها للشئون التجارية - كما كان لأهل مكة أيضا بيوتا فى الدول التى يتاجرون معها .

(١٥) احتكر الفرس التجارة الشرقية المارة ببلادهم وخاصة تجارة الحرير وكانوا يفرضون عليها ضرائب باهظة ولم يسمحوا بوصولها إلى الدولة البيزنطية وكان احتكار الفرس للتجارة الشرقية ومغالاتهم فى قيمة الضرائب ورفع الأسعار من الأسباب التى روجت تجارة مكة وقوت مركزها لدى البيزنطيين فاحتكر أبو سفيان هذه التجارة خاصة . الاصطخرى : المسالك والممالك تحقيق محمد جابر الحسينى - القاهرة وزارة الثقافة والإرشاد القومى ١٣٨١هـ / ١٩٦١ م ص : ١٦١ - نورمان : الإمبراطورية البيزنطية ص : ٢٧١ ، ٢٧٢ ، وعبد العزيز سالم : الدولة العربية ص : ٢٥٠ ، أرشيبالد لويس : القوى البحرية ص : ١٢٦ .

(١٦) ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٢ ص : ٢١ أشار أبو سفيان على أصحابه قائلا " إنا مسيرنا على ملك جبار لم يأذن لنا فى القدوم عليه وليست بلاده لنا بمتجر ؟ ولكن أيكم يذهب بالعير ؟ فإن أصبت فنحن براء من دمه وإن غنم فله نصف الربح فتوجه غيلان بن سلمة ومعه بعض البضائع فاشتراها كسرى مما شجع أبو سفيان أن يقابل كسرى نفسه واستطاع بحنكته ودهائه أن يقضى على الخوف والتردد الذى كان مسيطرا على هؤلاء التجار فعندما قابل كسرى أهدى إليه خيلا وأدما فقبل كسرى الخيل ورد الأدم ثم أعطاه وسادة فتعجب أبو سفيان من هذه الهدية وعندما خرج من

ثم أعطاه وسادة فتعجب أبو سفيان من هذه الهدية وعندما خرج من عنده:قال هذا حظى من كسرى هرمز، فما مر على أحد إلا وبهر بهذه الوسادة حتى سلمت إلى خازن كسرى مقابل ثمانمائة إناء من ذهب وفضة . الأفغانى : أسواق العرب ص: ١٠٠ ، ١٠٢. كانت الأدم اليمنية أهم السلع التى تاجرت بها قريش وجعلتها فى مقدمة الهدايا التى كانت تهديها إلى الملوك والأمراء المقدسى - أحسن التقاسيم : ص ٨٧ .

(١٧) قام صراع بين الفرس والروم وذلك فى عهد جستينان الأول الذى استطاع أن يلحق الهزيمة بملك الفرس قباد الأول الذى توفى فى سنة ٥٣٢هـ فعرض ابنه وخليفته كسرى الأول أنوشروان الصلح مع جستينان الذى وافق على الفور لأنه كان مشغولا فى ذلك الوقت بمشروعات لاستعادة أقاليم الإمبراطورية فى الغرب وأبرمت الاتفاقية فى سنة ٥٣٣هـ وكانت فى صالح البيزنطيين مما حدا بهم أن يفرضوا على الفرس ضرب نقودا من الفضة فقط ولا يتخذوا عملة ذهبية سوى العملة الرومية وهذا الأمر لم يشمل الفرس فقط وإنما هو أيضا يحرم على شعوب أخرى كثيرة لأن ملك الفرس إذا ضرب مثل هذه السكة الذهبية فلن تقبلها منه الشعوب التى تتاجر معه ولو كانوا من رعاياه أو حتى من الغرباء عن الامبراطورية الرومانية الشرقية . وقد غضب جستينان الأول من ملك الفرنجة حين ضرب مسكوكات ذهبية باسمه وصورته لأن أباطرة الدولة البيزنطية لم يسمحوا لأحد غيرهم أن يضرب مسكوكات ذهبية على أى طراز غير طرازهم .

رنسيمان : الحضارة البيزنطية ص : ٢١٠ ، عبد الرحمن فهمى : فجر السكة ص١٥. وليم لانجر: موسوعة تاريخ العالم جـ ٢ ت ترجمة د/ مصطفى زيادة ص : ٤٧٢. د.سيد أحمد الناصرى الروم مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٩٣ ص ١٠٨ ، د. أسمت غنيم : إمبراطورية جستنيان سنة ١٩٩٧م ص٤١ . سميرة نورى الروان : النقود الذهبية البيزنطية المعروضة فى المتحف العراقى - مجلة المسكوكات مجلة علمية تبحث المكسوكات - العددان ٨ - ٩ سنة ١٩٧٧ - ١٩٧٨م ص ١٢٢ .

R.A.G.Carson:Coins Ancient-Mediaval and modern - P.179 - 180 .
John portrous : Coins in History Coinim - london - p. 19, 20

(١٨) ابن هشام : السيرة م ١ ص : ٤٨١ ، ٥٠٥ ، ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ص : ٧٢ ، وابن كثير البداية والنهاية جـ ٢ ص:١٧٥ وابن خلدون:تاريخ جـ٢ ص : ١٨٨، ١٨٩.

(١٩) ابن هشام : السيرة م ١ ص : ٥٠٥ ، وابن خلدون : تاريخ جـ ٢ ص : ١٩٤ .

(٢٠) حسن محمود : الدولة العربية الإسلامية - ١٩٨٩ : ١٩٩٠م ص : ١١٢ ، وإبراهيم القاسم رحاحلة : النقود ودور العرب فى الإسلام فى القرنين الأولين مكتبة مدبولى ١٩٩٩ م ص : ٢٦ .

(٢١) ابن هشام : السيرة م ١ ص : ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، الواقدى : المغازى جـ ١ ص : ٢٨ الطبرى : تاريخ الرسل جـ ٢ ص: ٢٣ ، ابن حزم جوامع السيرة ص : ١٠٧ .

(٢٢) ابن هشام السيرة : م ١ ص : ٦٠٧ ، ٦١٨ صممت قريش على تحديها للمسلمين فى تمرير تجارتها فى أراضى يثرب منتهكة بذلك حق السيادة

اليثربية ، فكان لزاما على النبى صلى الله عليه وسلم أن يقف موقفا حازما يحفظ على دولته حدودها ويصون كرامتها ، ففى سنة ٢هـ / ٦٢٣م سنة فكر المسلمون فى اعتراض قافلة قريش التجارية القادمة من بلاد الشام وكان رئيسها أبو سفيان بن حرب، ولما علم الرسول عليه الصلاة والسلام بقدوم القافلة جمع المسلمين وقال لهم : « هذه عير قريش فيها أموالهم لعل الله أن يغنموها » ولما علم أبو سفيان بهذا الأمر سير ضمضم بن عمرو الغفارى إلى مكة وأمره أن يأتى قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم، فلما وصل إليهم نهض أهل مكة مسرعين لنجدة قافلتهم ، واضطر أبو سفيان أن يغير طريق القافلة نحو الساحل بعيدا عن جيش المسلمين ثم أرسل إلى قريش يقنعهم بعدم خروجهم بعد أن أنقذ القافلة لكن زعماء قريش صمموا على الخروج إلى بدر لمقابلة المسلمين وإرغامهم على الاعتراف بقوة قريش وقدرتهم على تمرير هذه التجارة فى أراضيهم ولكن الله سبحانه وتعالى يخيب ظنهم بانتصار المسلمين عليهم فى غزوة بدر فى ١٧رمضان ٢هـ : فبراير ٦٢٢ م .

ابن هشام السيرة : م ١ ص ٦٢٦ - الواقدى : المغازى جـ ١ ص : ٤٣ - ابن الجوزى المنتظم جـ ٣ ص : ١٠٢ ، الطبرى : تاريخ الرسل جـ ٢ ص : ٢٨٠ ابن كثير البداية والنهاية جـ ٣ ص : ٢٦٥ ، وابن خلدون جـ ٢ ص : ١٩٥ .

(٢٣) د. حسن أحمد محمود : الدولة العربية : ص١١٢ ، ١١٣ .

(٢٤) إن لفظ دينار مشتق من اللفظ اليونانى اللاتينى Denarius - Aureus وهو اسم وحدة من وحدات المسكوكات الذهبية وهو من الذهب فقد كان يزن ٤,٢٥ جرام ولم يكن يتعامل به على أساس قيمته النقدية وإنما كان يتعامل به فى مصر البيزنطية وزنا وكذلك كان الحال فى شبة جزيرة العرب للمبالغ التى تزيد عن الأوقية الواحدة ، أما إذا قلت المبالغ عن ذلك فإن الدفع يكون بالعدد لا بالوزن ويسمى المثقال من الذهب دينارا وهو مستدير كالدرهم ولكنه أقل منه قطرا وعليه نقش الامبراطور البيزنطى الذى ضربه والدليل على ذلك أن القطع الذهبية التى وصلت إلينا نجد على أحد وجهى القطعة صورة هرقل واقفا بكامل وجهه ويحيط به الشاعرات المسيحية « الصليب » ويعلو التاج رأسه ممسكا بيده اليمنى صليبا طويلا ويحمل فى يده اليسرى كرة ، وعلى الوجه الآخر نجد الرمز النقدى M وفوقها شعار المسيحية أو الصليب . وقد ذكر Carson فى كتابه عن الدنانير البيزنطية أن الامبراطور هرقل قد أصدر عملته وعليها صورته فى الفترة من الممتدة من ٦١٠ -٦١٣ م ثم أضاف صورة ابنه هرقل قسطنطنيين من ٦١٣-٦٣٨م ثم وضع صورة ابنه الثانى هيرقليانوس على الدينار بجواره وأصبح الثلاثة على عملة واحدة منذ سنة ٦٣٨م ص ٢٠٣ .

John Porteous : Coins in History - P . 24 .

R. A . G Carson : Coins Ancient - Med - Mod - P . 479 .

وعبد الرحمن فهمى - فجر السكة الإسلامية ص ١٣ ، رنسيمان : الحضارة البيزنطية ص٢١٠.

(٢٥) البلاذرى : فتوح البلدان ص : ٤٥٢ . وعبد الرحمن فهمى : فجر السكة ص : ١٣ سميرة النورى الروان : النقود الذهبية البيزنطية المعروضة فى المتحف العراقى - مجلة المسكوكات - مجلة علمية تبحث المسكوكات - العددان ٨ ، ٩ سنة ١٩٧٧ م

مجلة المسكوكات - مجلة علمية تبحث المسكوكات - العددان ٨ ، ٩ سنة ١٩٧٧ م - ١٩٧٨ ص : ١٢٢ .

(٢٦) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٥٣ .

(٢٧) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص : ٥٦ ، ٥٧ . وابن خلدون : تاريخ جـ ٢ ص : ٣٠٦ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣

(٢٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص٤٥٢ .

(٢٩) ابن خلدون:تاريخ جـ ٢ ص:٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٨ ، وابن عبدالحكم ص : ٣٤ ، ٣٥.
وارشيبالد لويس : القوى البحرية ص ١٩٥ Walker : P . 154 - 155 :
M. Henri Lavoix : Catalogue Des Monnaies Musulmanes - Paris 1887 No - 12
وموريس غودفروا : النظم الإسلامية ص : ١٤٠ ، ١٤١ .

(٣٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص : ٩٠ ، ٩١
والبلاذرى : فتوح البلدان ص : ٢١٦ .
وجوستاف لوبون : حضارة العرب ص : ٢١٦ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٣١٨ .
وموريس غودفروا : النظم الإسلامية ص : ١٤٣ .

(٣١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص : ٦٢ .
ذكر ابن خلدون نص فيه وصية أبى بكر الصديق للمسلمين عند أنفاذه بعثه أسامة تبين سياسة المسلمين عند فتح أى أقليم " أوصيكم بعشرة فاحفظوها على : لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الطفل ولا الشيخ ولا المرأة ولا تعقروا نخلا ولا تخونوا ولا تقطعوا شجرة ، ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيرا إلا للأكل ، وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له "
ابن خلدون : تاريخ جـ٢ ص ٣٧٢ ، ٣٧٣.

(32) M. Henri Lavoix : No. 3 .

(٣٣) المقريزى : النقود ص : ٤ ، ٥ ، وابن خلدون : المقدمة ص ٢٠ .

(٣٤) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ص : ١٢٤ .
وإبراهيم القاسم : النقود ودور الضرب فى الإسلام ص : ٢٩ .

(٣٥) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ص : ٨٨ .

(٣٦) وهناك نص أورده ساويرس بن المقفع فى كتابه سير الأباء البطاركة يبين فيه أسلوب المسلمين فى معاملة الشعوب الخاضعة لهم يقول : « أن هرقل أقام أساقفة بلاد مصر كلها إلى أنصنا وكان يبلى أهل مصر ببلايا صعبة كمثل الذئب الخاطف كان يأكل القطيع الناطق ولا يشبع - وفى تلك الأيام رأى هرقل مناما وقيل له أنه ستأتى عليك أمة مختونه وتغلبك وتملك الأرض فظن هرقل أنهم اليهود ... ومن بعد أيام يسيرة قام رجل من العرب من نواحى القبلة مكة ونواحيها اسمه محمد فرد عباد الأوثان إلى معرفة الله وحده وأن يقولوا أن محمد رسوله ، وأمته وصلت إلى دمشق والشام وعبروا الإردن وكان الرب يخذل جيش الروم قدامهم لأجل أمانتهم الفاسدة والحروم التى حلت بهم لأجل مجمع خلقدونيه من الأباء الأولين ... فلما تمت عشرة

سنين للمسلمين من مملكة هرقل والمقوقس وهو يطلب بينامين البطرك وهــو هــارب منه من مكان إلى مكان مختفى فى البيع الحصينة أنفذ ملك المسلمين سرية مع أميــن من أصحابه يسمى عمرو ابن العاص ... فنزل عسكر الإسلام إلى مصر بقوة عظيمـة فى اليوم الثانى من بووئه وهو الرابع من دنكسطنين من شهور الروم وكــان الأمــير عمرو قد هدم الحصن وأحرق المراكب بالنار وأذل الروم وملك بعض البلاد وكــانت أمته محبة للبرية وبعد انتصار عمرو على الروم مضوا إلى عمرو وأخذوا أمانا علــى المدينة لئلا تنهب وهذا العهد الذى أعطاهم أياه محمد رئيســـهم ســموه النــاموس » ص:١٠٨.

(٣٧) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص : ١٠٨ ، وابن خلدون : تاريخ جـ٢ ص : ٣٣٦ .

(٣٨) يقول السيوطى : « هو أول من سمى أمير المؤمنين وأول من كتب التــاريخ مــن الهجرة وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سن قيام شهر رمضان ، وأول من عس بالليل .. وأول من فتح الفتوح ومسح الواد وأول من حمل الطعام من مصر فى بحــر أيلة إلى المدينة وهو أول من استقضى القضاة فى الأمصار وأول من مصر الأمصار: الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر » . السيوطى : تاريخ الخلفاء ص : ١٠٨ . وابن خلدون : جـ٢ ، ٣٣٦ .

(39) John Walker: P. 3, Lavoix: No. 13. وجوستاف لوبون: حضارة العرب ص: ٤٩٨

(40) Walker P. 37 ،. أرشيبالد لويس : القوى البحرية ص : ١٢٠

(41) Walker : p. 1, 3, 6. عبد الرحمن فهمى : فجر السكة الإسلامية ص١٣

(٤٢) كان يكتب باسم الله بهذا الشكل : بسم الله ✡ ، أو يكتب بسم الله ✡ ربى المقريزى : النقود الإسلامية ص : ٣٠ ، ٣١ و Walker : p. 12, 13, 15.

(43) John Porteous:Coins in History-London P.23,24,Carson:p.476.

(٤٤) المقريزى : النقود الإسلامية ص : ٨ .

(٤٥) انستاس الكرملى : النقود العربية ص : ٩١ هــذه المقولــة نقلــها انســتاس عــن المؤرخ ملر يقول : « أنه وجد بعض النقود كانت قد ضربـــت فــى طبريــة ســنة ١٥ أو ١٦ هـ وعلى نفس نقش الدنانير الروميــة تمامــا وأبقــى عليــها الصليـب والتــاج والصولجــان وعلــى أحــد وجهيــها اســم خــالد بــالحر.ف اليونانيــة XAAED وهذه الأحرف (Bou) (Iy) وأن د/ ملــر ظــن أن هــذه الأحــرف مقتطعة من كنية خالد بن الوليد "أبو سليمان" وقد يكــون عــزل خــالد عــن قيــادة الجيوش لهذا السبب ، وهــذا مطــابق لبعــض النقــود التــى ذكرتــها مجموعــات السكة أن أقدم عملة فى مجموعــة Lavoix والمجموعــة الإلمانيــة مؤرخــه بــ سنة ١٧هـ ، ويرى انستاس أن عزل خــالد جــاء بعــد فتــح الشــام والقــدس - عموما ظل خالد بن الوليد على ولائه للخليفة عمر بـــن الخطــاب وعزلــه حتــى لا يفتن الناس به ابن خلدون جــــ ٢ ص: ٣٠٧ وأيضــا هــذا يتمشــى مــع سياسـة الدولة فى عصر الراشدين من عـــزل أو اســتبدال الــولاة حتــى لا يــؤدى طــول

بقائهم إلى نوع من الاعتداد بالنفس ، فعزل عثمان بن عفـــان عمـرو بـن العـاص عن مصر رغم فضله ورغم الجهود التى بذلها واستبدل به عبــد الله بـن سـعد . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص : ١٧٨ ، الكندى : الولاة والقضاة ص : ٣١ ، أبـو المحاسن النجوم الزاهرة جـ١ ، ص : ١٠٠ ، ابن خلدون : تاريخ جـ٢ ص : ٣٦٨ ، والمقريزى : الخطط جـ ١ ص : ١٦٧ . Lavoix : P. 1

Heinrich Nützel : Katalog der Orientalischen Munzen, I : [Die Münzen der Ostlischen Konigliche, zu Berlin], Berlin , 1898 - P:5,6

(٤٦) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص : ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، كان عمر بـن الخطاب يراقب الولاة عن طريق إرسال الجواسيس ليكونوا عيونا لـه علـى سياسـة عماله مثل محمد بن مسلمة الأنصارى الذى أرسله إلى مصر لمراقبة أحوال عمرو بن العاص ويسمع أية شكاوى من المصريين أو حتى من العرب الفـاتحين وإبلاغـه أول بأول ، وابن خلدون : تاريخ جـ٢، ص : ٣٣٦ .

(47) Lavoix : P. 2 , 3 , 4 , 5 . Nützel : p. 5, 6, 7. Walker : p. 5, 7, 8, 9, 15, 17, 27.

(٤٨) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ص : ١٢٠

R .A .G : Carson : Coins P . 187 - 196 , 476, 477.

(٤٩) نورمان : الامبراطورية البيزنطية ص : ٣٥٩ وارشيبالد لويس ص : ١٢٠ .

(٥٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص : ٤٩ ، ٥٠ .

(٥١) ارشاليد لويس : القوة البحرية ص : ١٢٠ .

(٥٢) والدليل على ذلك النص الذى أورده يوحنا النقيوسى فيقول : « كان عمرو يرقى كل يوم فى عمله ويأخذ الضرائب التى حددها ولم يأخذ شيئا من مال الكنائس ولم يرتكـب شيئا ما سلبا أو نهبا وحافظ عليها طوال الأيام » وفى هذا تطبيقا لسياسة الدولة العربية المحافظة على العهود والمواثيق حتى يشيع الأمن والطمأنينة بيـن كافـة الشـعوب : يوحنا النقيوسى : فتح مصر ، مخطوطة حققها عمر صابر ص : ٢٠٧ .

(٥٣) المقريزى : النقود : ص : ٢١ . وقد وجدت بعض هذه الدنانير البيزنطيـة (التـى كانت قد استخدمت فى هذه الفترة) بالمتحف العراقى حيث يضم حوالـى ٣٧٥ نقـدا بيزنطيا وأول هذه الدنانير فى هذه المجموعة برقم ٦٤٥٥ . ووزنـه ٤.٤٠٠ جـرام قطره ٢٠ملم ضرب بالقسطنطينية باسم الامبراطور هيراقليوناس ٦١٠-٦٤١م وعليه نفس الإشارات التى سبق أن ذكرتها وكذلك نقد آخر باسم الامبراطور هرقـل أيضـا وزنه ٤,٧٠٠ جرام قطره ٢١ ملم ورقمه ٥٧٨٨ والعملة الثالثة عليه صورة هرقل فى الوسط وابنه هرقل قسطنطين فى الجهة اليمنى وفى الجهة اليسرى فى هـيرا قليـوس ابنه الثانى ، وأيضا يضم متحف الفن الإسلامى بمصر عدد من الدنـانير البيزنطيـة التـى كانت مستخدمة فى مصر قبل الفتح مثل دينـار رقـم١٧٥٧٩/٦،١٧٥٧٩ ، ١٧٥٧٩/٦ ، ٢١٤٣٥.

وقد ذكر Walker فى مجموعته نقود باوزان أخرى فقد وصف دينار برقم f مـن الذهب وزنه ٤,٤٦ جرام قطر ٢٠ ملم ص : ١٧ لوحة رقم ١ عليه صـورة هرقـل بالوسط وعلى يمينه ابنه هرقل قسطنطين وعلى اليسار ابنـه هـيراقليوس ، سـميرة

نورى الرواف : النقود البيزنطية الذهبية المعروضة فى المتحف العراقى ص : ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩ – مجلة المسكوكات – مجلة علمية تبحث فى المسكوكات ، العددان ٨ ، ٩ سنة ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ . Walker : p. 17

(٥٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص : ٦٥ ، الكندى : الولاة والقضاة ص٨،٩، والبلاذرى : فتوح البلدان ص : ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص : ١٧ ، وابن خلدون : تاريخ جـ ٢ ص : ٣٤٧ ، ٣٤٨.

(٥٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ص: ٧٧ ، البلاذرى: فتوح البلدان ص: ٢١٨، يوحنا النقيوسى : مخطوطة حققها عمر صابر تحت عنوان « مصر فى مخطوطة يوحنا النقيوسى » ص : ٢٠٧ وساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة ص : ١٠٨، ١٠٩ ، وابن خلدون : تاريز جـ٢ ص٣٤٩ .

(٥٦) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ص : ١٢٠ ، ١٢١ ، موريس غودفرا : النظم الإسلامية نقله للعربية فيصل السامر وصالح الشماع ص : ٣٠٨ .

(٥٧) يقول يوحنا النقيوسى :" وأقصى عمرو ميناس وعين يوحنا بدله ، وميناس هذا زاد على المدينة الضرائب التى حددها عمرو ٢٢,٠٠٠ دينار ذهب إلى ٣٢٠٥٧ (اثنين وثلاثين ألفا وسبعة وخمسين " دينار ذهب ، فلما علم عمرو بن العاص بهذا الأمر أقدم على عزل ميناس وهذا يؤكد الروح السمحة فى التعامل مع أهل مصر والمحافظة على العهود والمواثيق .

يوحنا النقيوسى : " مخطوطة حققها عمر صابر تحت عنوان مصر فى مخطوطة يوحنا النقيوسى ص ٢٠٨ .

(٥٨) يقول ابن عبد الحكم : « ترحل من الأسكندرية فى الليلة التى دخلها عمرو بن العاص وفى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى وكان عدة من بالأسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل وبقى من بقى من الأسارى ممن بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستة مائة ألف سوى النساء والصبيان » ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص: ٧٤.

(٥٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص : ١٦٢ ، لأن الدولة العربية فى عهد الراشدين كانت لها سياسة اقتصادية واضحة نفذت فى جميع البلاد التى فتحها العرب فالدولة لم تكن تسمح للجند الاشتغال بالزراعة أو ملكية الأرض إنما يفرضون لهم العطاء للتفرغ للجهاد لأنهم لم يكونوا يزرعون الأرض بأنفسهم إنما كانوا يعتبرون الأرض الزراعية ملكا عاما للدولة على أن تنزل عن حق حيازة الأرض لأصحابها الحقيقين من أهل الذمة الذين عاهدوهم وعاقدوهم فأسندت الأرض لفلاحيها الأصليين نظير دفع الخراج نقدا أو عينا ولم يكن يتجاوز عشر المحصول يقول ابن عبد الحكم : « إن عمر بن الخطاب أمر مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد يتقدمون إلى الرعية أن عطاهم قائم وأن رزق عيالهم سائل فلا يزرعون ولا يزارعون » ص : ١٦٢ - الماوردى : الأحكام السلطانية ص : ١٨٧ .

(٦٠) المقريزى : النقود ص : ٢٣ ، وابن عبد الحكم : فتوح البلدان ص : ٧٢ . وابن خلدون تاريخ جـ٢ ص٣٤٨ .

(٦١) محمد عبد الله عنان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية - الطبعة الثانية - مكتبة الخانجي القاهرة سنة ١٩٦٩ م ، ص : ٨١ . وأرشيبالد : القوى البحرية ص١٦٠، ٢٢٦.

62)Quatremere:Memoires-georaphiques et Histoireques sur l'Egypte, T,I,P.343

ود / سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ص : ٥٩ .
وعبد الرحمن فهمى : فجر السكة ص ٢٨ ، ٢٩ .

(63) Lane Poole : P : 4,5, Lavoix : P : 2 , 20 , Nützel P : 5,6,7, Miles : Rare Islamic Coins. P : 19 - New Yuork - 1950.

(64)Nützel : P : 5,6,7, Lavoix : 1,2,3, 12,13 Walker : P : 17 .
يبدوأن هذه الكتابة علىالنقود الذهبية التىكانت تسك فىانطاكية والإسكندريةأى نقود ذهبية محلية وليس الدينار البيزنطى المحمول من القسطنطينية .

(٦٥) أنستاس الكرملى : النقود العربية ص : ٩٠ .

(٦٦) وجدت قطع برونزية من الفلوس البيزنطية على أحد وجهى القطعة صورة هرقل واقفا بكامل وجهه ويحيط به الصليب ويعلو التاج رأسه ممسكا بيده صليبا طويلا ويحمل فى يده اليسرى كرة وعلى الوجه الآخر نجد الرمز النقدى M وهو يعبر عن ٤٠ نومية وفوقها شعار الصليب ، وتحمل هذه السكة اسم دار السك بدمشق بحروف يونانية " دوماس " DAM والسنة ١٧ مكتوبة بحروف يونانية أيضا وهى أقدم نموذج وصل إلينا . Nützel P : 5,6 . Lavoix : P : 1,2
أنستاس الكرملى :النقود العربية ص: ٩٠، وعبد الرحمن فهمى : فجر السكة ص:٣٠.

(٦٧) عبد الرحمن فهمى : فجر السكة الإسلامية ص : ٣٠ ، ٣٢ ، : Carson : P 199ويضيف عبد الرحمن فهمى فى كتابه بأنه قد ظل التعامل بالنقود اللاتينية البيزنطية كما هى فى مصر بين سنوات ١٧هـ و سنة ٢١ ، ٢٣ هو ويظهر ذلك من البردية المؤرخة سنة ٢٢هـ ، ٢٥ ابريل سنة ٦٤٣ من عهد الأمير عبد الله بن جابر إلى صاحب كورة هيراكليو - بوليس ويبدو أن هذا الأمير هو ابن عمرو بن العاص وكنيته أبو جابر وأن هذه الفلوس كانت تضرب بالإسكندرية .
الكندى : الولاة والقضاة ص : ٥ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة - ط١ ص : ١٠٠ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ص : ٧٢ ، ٧٤ وابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ص ٥٠ .

(68) Nützel : P : 5,6,7, Lavoix : P : 1,2,3. Walker : p. 3.
عبد الرحمن فهمى : فجر السكة ص : ٢٨ ، ٣٠ .

(٦٩) فى بداية القرن السادس الميلادى أعاد جنيستان الأول (٥٢٧١ - ٥٦٥م) ضرب سكة مصرية خاصة بالإسكندرية وهى عبارة عن قطع مستديرة تحمل الحرفين IB وكانت تمثل ١٢ نميا Nummia أو بالتقريب تساوى ١/٢٤ من القيراط فهى بذلك تمثل أدنى أجزاء السكة المقدرة على أساس السوليدوس Solidus ، وقد استمرت هذه

العملة الإقليمية قائمة حتى بعد الفتح العربى لمصر وكان يرمز لها بـالرمز السابق تمييزا لها عن العملة الواردة من قلب الدولة البيزنطية وهى العملة القانونية العالمية والتى لها قوة إبراء غير محدود فى التجارة الدولية لذلك كثرت كمية الذهب التى وجدت فى مصر قبل الفتح نتيجة لتجارة مصر فى أوراق البردى مع الدولة البيزنطية وهذه العملة الذهبية الخاصة بمصر كانت تخضع لرقابة صارمة ، لذلك استطاع ولاة مصر بعد الفتح أن ينقشوا على هذه العملة المحلية كتابات عربية لأنها كانت تسك فى مصر فى دار السك بالإسكندرية ، لذلك يبدو أن رواية بشندى أسقف قفط السابقة فيها شيء من الصحة فالدينار البيزنطى يشبه اليوم العملات الدولية المتداولة مثل الدولار والاسترلينى .

عبد الرحمن فهمى : فجر السكة الإسلامية ص : ٢٨ ، ٣٠ ، أرشالبيد لويس : القوى البحرية ص : ١٩٥ و . Lavoix : P : 12,13, Carson : P : 196 , 199

(٧٠) المقريزى : النقود ص : ٢١ ، البلاذرى : ص : ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

(٧١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص : ٧٢ ، البلاذرى : ص : ٢١٨ ، وابن خلدون : أوراق البردى جـ٣ ص: ٣٤٨ ، د/ سيدة الكاشف :مصر فى فجر الإسلام ص : ٩٥، وعبد الرحمن فهمى : فجر السكة ص : ٢٨. وأرشيبالد لويس : القوى البحرية ص ١٦٠ ، ٢٢٦ .

(٧٢) ظلت قراطيس مصر تحتل الصدارة فى قائمة الصادرات إلى بيزنطة حتى القرن العاشر الميلادى حين ظهرت صناعة الورق فى سمرقند ، يقول الثعالبى : « كواغد سمر قند وهى من خصائصها التى عطلت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أنعم وأحسن وأرفق ولا تكون إلا بسمرقند » وقد أنشأ الخليفة المعتصم العباسى مصانع الورق فى عدة مدن وجلب لها الأساتذة والصناع من مصر . الثعالبى : ثمار القلوب ص ٤٣١ ، البلازدى : فتوح البلدان ص : ٢١٨ ، وابن الأثير: الكامل جـ ٢ ص ٤٥٢ ، وابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ١٧٨ ، أرشيبالد لويس : القوى البحرية ص:١٢٠،١٨٩ ، وعبدالرحمن فهمى : فجر السكة ص : ٢٨.

(٧٣) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ص : ٢٥ ، وابن خلدون : تاريخ جـ٢ ص : ٣٦٣ .

(٧٤) ابن خلدون : تاريخ جـ٢ ص : ٣٦٣ .

(٧٥) نفس المصدر السابق ص : ٣٦٣ ، ٤٨٣ .

(٧٦) يقول ابن خلدون : « لما استكمل الفتح واستكمل للملة الملك ونزل العرب بالأمصار فى حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة والكوفة والشام ومصر ، وكان المختصون بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم والاقتداء بهديه وآدابه المهاجرين والأنصار من قريش وأهل الحجاز ، ومن ظفر بمثل ذلك من غيرهم ، وأما سائر العرب فلم يكونوا بتلك الصحبة بمكان إلا قليل منهم - وبدأت عروق الجاهلية تنفض ، ووجدوا الرياسة عليهم للمجاهدين والأنصار من قريش وسواهم فأنفت نفوسهم منه ووافق أيام عثمان فكانوا يظهرون الطعن فى ولاته بالأمصار والمؤاخذة لهم باللحظات والخطرات والاستبطاء عليهم فى الطاعات والتجنى بسؤال الاستبدال منهم والعزل ويفيضون فى النكير على عثمان وفشت المقالة فى ذلك من أتباعهم وتنادوا بالظلم من الأمراء فى

جهاتهم وأنتهت الأخبار بذلك إلى الصحابة بالمدينة فارتابوا لها وأفاضوا فـــى عـزل عثمان وحمله على عزل أمرائه » جـ٢ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

(٧٧) الكندى : الولاة والقضاة وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ١ ص : ٩٣ ، ٩٤ .

(٧٨) ابن خلدون : تاريخ جـ٢ ص ٣٩٥ وابن قتيبة : الإمامة ص ٣٤ .

(٧٩) البلاذرى : فتوح البلدان ص : ٢٢٩ ، وأبو المحاسن : النجزم جــ١ ص : ٩٢ ، ٩٤ وابن قتيبة : الإمامة ص : ٣٤٦ ، ٣٤٧ وابن خلدون جـ٢ ص ٣٨٦ .

(٨٠) الكندى : الولاة والقضاة ص :١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ص : ٤٦، ٤٧ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ١ ص ٩٣ وابن خلـدون : تـاريخ جـ٢ ص : .

(٨١) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ص:٤٧، ٤٨ وابن خلدون : تاريخ جـ٢ ص: ٢٠٤.

(٨٢) أرشالبيد لويس : تاريخ القوى البحرية ص : ١٩٥ ،

(83) M. Henri Lavoix : Catalogue des momnaies Musulmanes - Paris : No : 14 .

(٨٤) يقول ابن قتيبة ثم لما كان من أمر الحكيمن ما كان ، واختلف أهل العــراق علــى على وبايع أهل الشام معاوية بالخلافة ، فأراد معاوية صرف عملة إلى مصر لما كـان يرجو من الاستعانة على حروبه بخراجها ص : ٤٤٨ .

(٨٥) بعد مبايعة الحسن بالخلافة رأى أنصارعلى قتال معاوية والخروج إليه فى الشام أملـ الحسن فكان من رأيه عدم جدوى خروجه لمحاربة معاوية ، لأنه يعرف خذلان أهــل العراق لأبيه من قبل وأنه لا يستطيع الاعتماد عليهم لذلك تنازل عن الخلافة لمعاويــة «على ان تكون لمعاوية الإمامة ما كان حيا فإذا مات فالأمر للحسن فلما تم صلحــهما صعد الحسن إلى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس أن الله هدى أولكــم بأولنا وحقن دمائكم بآخرنا وكانت لى فى رقابكم بيعة تحاربوا من حاربت وتســالمون من سالمت وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه » ، وقد استقر الحسن بعد ذلك بالمدينـة المنورة وظل بها حتى توفى فى سنة ٥١ هـ . ، فلما علم معاوية بوفاته جعـل ابنــه يزيد وليا للعهد مما أثار عليه أهل الحجاز وعلى رأسهم عبد الله بن الزبير .
ابن قتيبة : الإمامة ص : ١٣٦ ، ١٣٧ ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٥ ص : ١٥٨ ، ١٥٩ ،وابن الأثير الكامل جــ ٣ ص : ٢٠٣ ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، الكندى الولاة والقضاة ص : ٣١ .
وابن سعيد : الطبقات الكبرى ص : ٣٢ ، وابــن كثـير البدايـة والنهايـة جــ٨ ص:١١٧.

(٨٦) ابن خلدون : تاريخ جـ٢ ص : ٤٤٩ .

(٨٧) ابن خلدون : تاريخ جـ٢ ص : ٤٤٩ .

(٨٨) الكندى : الولاة والقضاة ص : ٣١ ، ٣٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جــــ ص ١١٣ حتى ١٢٢ .

(٨٩) ابن عبد الحكــم : فتــوح ص : ١٠٢ . المقريـزى : النقــود ص : ٢٢ ، ٢٣ ، البلاذرى: الفتوح ص : ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

---

(٩٠) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ص ١٩٥ .
ود. سيدة الكاشف مصر فى فجر الإسلام ٦٩. Walker: P. 17 - Lavoix 14, 15.
(٩١) المقريزى : النقود ص : ٩ . Lavoix : p. 15
(٩٢) أنتساس الكرملى : النقود العربية ص : ٢١ . Walker : p. Lavoix : p. 14
(٩٣) المقريزى : النقود ص : ٨ . Lavoix : p. 16
(٩٤) المقريزى : النقود ص : ٩٢٨ . وكان لمعاوية نقش خاص يختم به أوامره كتب عليه لا قوة إلا بالله الحق المبين » .
Vom Freiherrn Hammer - Purgstall : Abandlung - Uber die Siegel der Araber, Perser und Turken - p. 5.
(95) Walker : P. 12, Orimtalischem Munzen : P. 27 - 28, Miles : Rar Islamic coins: p2 , 3, 4, 5,
(٩٦) د/سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام ص٥٩ ، Lavoix:p.1,2.2.11. 12.13
(٩٧) يقول الكندى ثم وليها لمعاوية بن أبى سفيان ثانيا وكان دخوله إلى مصر فى شهر ربيع الأول من ثمان وثلاثين وجمع إليه معاوية الصلاة والخراج فى ولايته هذه وتوفى عمرو بن العاص فى شوال سنة ثلاث وأربعين »، وكان عمرو بن العاص يتصرف فى مصر تصرف الحاكم المستقل فيعين العمال على البلاد الخاضعة لحكمه مثل برقة وكان يجبى الأموال فينفق منها على الاصلاحات العامة والجنود وما يفيض من هذه الأموال تعود له ويمد الخلافة بالأموال إذا لزم الأمر . ومن هؤلاء الولاة الذين أعطوا نفس اختصاصات عمرو بن العاص فى مصر عتبه بن أبى سفيان « ٤٣ - ٤٤ هـ » ، ثم عقبة بن عامر بن عيسى « ٤٤-٤٧ هـ » تولاها بعد وفاة عتبه، ومسلمة بن مخلد « ٤٧-٦٢ هـ » ، ثم عبد العزيز بن مروان « ٦٥-٨٤هـ».
الكندى : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٩ أبو المحاسن النجوم الزاهرة : ط ١٢٦ ، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٧.
وابن سعيد : الطبقات جـ٥ ص:٢٣٦ ولابن كثير: البداية والنهاية جـ ٩ ص ٥٨ ، ٥٩ وابن خلدون جـ٣ ، ص١٢٦ ، ١٢٧
(٩٨) ابن قتيبة: الإمامة ص: ٩ ، ١٥. تم القضاء على عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ هـ ، وابن خلدون : جـ ٣ ص : ١٢٧ .
(٩٩) يقول أبو المحاسن : « وتوفى يزيد بن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير الناس لبيعته وقامت أهل مصر بدعوته وسار منهم جماعة كثيرة إليه فبعث عبد الله ابن الزبير عبد الرحمن بن جحدم أميرا على مصر » : النجوم الزاهرة جـ١ ص : ١٥٧ ، ١٥٨ .
(١٠٠) المقريزى : النقود ص : ٩ وابن قتيبة : الإمامة ص : ١٤ ، ١٥ .
Walker P . 42- 103 - 102 , Lavoix : p17 .
(١٠١) البلاذرى : فتوح البلدان ص : ٤٥٤ .
Walker : P . 28 ,30 , 42, Miles , Rare - Islamic Coins p. 14.

نقش مصعب على الدرهم « مصعب حسبه الله » بالبصرة . وهناك دراهم ذكرتها المجموعة الألمانية مثل درهم رقم ١٤٤ سنة ٦٣هـ ضرب باصطخر ، ودرهم رقم ١٨٢ سنة ٦٩هـ ضرب بكرمان . Nützel : P . 39 - 48

(١٠٢) المقريزى : النقود ص : ٩ ، ١٠ وانستاس الكرملى : : النقود ص : ٩٤ وابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص : ١٤ يقول ابن قتيبة : « وكان عبد الله بن الزبير استعمل الحارث ابن عبد الله أبى ربيعة على البصرة فلما قدمها قيل له أن الناس يقطعون الدراهم حتى يجعلونها كأنها أصفار فقال لهم هلم بسبعة ثقال فقال هذه بعشرة فزنوا كيف شئتم»وقتل مصعب أمام جيش عبدالملك الذى قاده بنفسه سنة٧٢هـ،ابن قتيبة ص:١٤، ١٥.

(١٠٣) الكندى : الولاة والقضاة :جـ١ ص : ٤١ ، ٤٥ ، أبو المحاسن النجوم : جـ١ ص: ١٥٨، ١٥٨ ، درهم رقم ١٩٠ سنة ٧٠ هـ نقش عليه باسم الله ربى وعليه هلال وبداخله نجمة ونقطة . Nützel : Oriental - Munzen P . 39, 51 . Walker . P . 42 .

(١٠٤) ظلت مصر فى عهد بنى أمية معينا فياضا للأموال والغلال ، ولم تكن الخلافة الأموية لتغفل أمرها إذا أن كل ضرر يحيق بها لابد وأن يؤثر من ناحية أخرى فيما تجبيه الخلافة من مصر ، يقول ابن أياس « مصر خزائن الأرض كلها ولو زرعت كلها لوفيت بخراج الدنيا بأسرها ، ولوضرب بينها وبين سائر بلاد الدنيا بسور ستغنى أهلها بما فيها من الغلال وغير ذلك عن سائر البلاد » . لذلك اهتم ولاة بنى أمية فى مصر بالأراضى الزراعية وبناء الجسور وحفر الترع وتطهيرها لأنه كان من المعروف اعتماد مصر فى الرى على النيل لذلك زاد الاهتمام بإقامة الجسور والسدود لحماية الأرض الزراعية من فيضان النيل طوال عصر بنى أمية .
ابن حوقل صورة الأرض ص : ٩٧ ، والاصطخرى المسالك والممالك ص : ٨ ، المقريزى الخطط جـ١ ص : ٢٢ ، المسعودى التنبيه والاشراف ص : ٢٢ .

(١٠٥) والدليل على ذلك ما ذكره أرشيبالد لويس « أن الرحالة الأوربى «أركولف» الذى زار مصر سنة ٦٧٠ م سنة ٥٠ هـ قال أن الإسكندرية غدت ملتقى تجارة العالم وتوافدت عليها أعداد غفيرة من التجار لشراء ما بها من بضائع وذلك لحرية التجارة بها ، وهذا يفسر ما بلغته مصر من رخاء فى عهد الدولة الأموية . وهذه الفترة كانت فى عهد مسلمة بن مخلد (٤٧-٦٢ هـ) وقد جمع معاوية له ولاية مصر والمغرب » . الكندى : الولاة والقضاة ص: ٢٢٣ ، أبو المحاسن جـ١ ص : ١٢٥ ،١٥٣ ، وأرشيبالد لويس: القوى البحرية ص : ١٢٦ .

(١٠٦) ابن قتيبة:الإمامة والسياسة ص:٢٣، الطبرى : تاريخ الرسل جـ٦ ص : ١٨٨ . وابن الأثير الكامل جـ ٤ ، ص : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(١٠٧) عندما تولى عبد الملك الخلافة سنة ٦٥هـ بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم كانت الأمة الإسلامية مقسمة على النحو التالى : عبد الملك ، تتكون دولته من الشام ومصر ، ودولة عبد الله بن الزبير فى الحجاز والعراق ، ويحكمها من مكة ، وأقام الخوارج الأزارقة دولة فى الأهواز ، وللخوارج النجدات دولة فى اليمامة امتدت حدودها إلى اليمن وحضرموت ووصل نفوذها إلى الطائف ، أما الشيعة فكادت أن تقوم لهم دولة

بالعراق تحت رعاية المختار بن أبى عبيد الثقفى ، وقد برهن عبد الملـــك عـــن فـــهم عميق لطبيعة هذه الصراعات ومن ثم أتقن التعامل معها وتمكن فى النهاية من القضاء عليها جميعا ، الطبرى : تاريخ جـ٢ ص : ٨٦ ، ١٧٨ ، وابن الأثير : الكامل فـــى التاريخ جـ٤ ص : ٢٦١ ، ٢٩٦ ـ وابن كثير البداية والنهاية جـ٩ ص : ٦١ ومـــا بعـــدها ، والبلاذرى : فتوح البلدان ص : ٢٣٠ ، ٢٣١ . عبد الشافى عبد اللطيـــف : العالم الإسلامى فى العصر الأموى ص : ١٤٨ ، ١٤٩ .

(١٠٨) البلاذرى : فتوح البلدان ص : ٢٤١ .

(١٠٩) الكندى : الولاة والقضاة ص : ٥٨ ، وابن الأثير : الكـــامل جـــ٤ ص : ٥٣ ، وأبو المحاسن النجوم جـ١ ص ٢١١ . أتمت الدولة الأموية هذا التحول فى التعريـــب فى فترة استمرت نحو عشرين سنة وكانت فترة حافلة بالتجارب وقـــد بـــدئ تطبيـــق التعريب فى الأردن سنة ٦٥هـ / ٦٨٤هـ ، وبعد نجاح التجربة نقلت إلى مصر عام ٨٦هـ / ٧٠٥م فى عهد الوالى عبد الله بن عبد الملـــك (٨٤ - ٩٠هـــ / ٧٠٣ - ٧٠٨ م) يقول الكندى وأمر عبد الله بن عبد الملك بالدواوين فنسخت بالعربية وكـــانت قبل ذلك تكتب بالقبطية " ص٨٥ .

أبو المحاسن جـ ١ ص ١٧١ ، ١٨٣ . الكندى : الـــولاة والقضـــاة ص٥٨ . وابـــن الأثير: الكامل جـ٤ ص٥٣ .

(110) Nützel : P . 65 , 66 . , Walker : P . 40 , Lane Poole : P . 1 , 2 .
انظر الملاحق

(١١١) المقريزى : النقود ص ٩ ، ١٠ ، والبلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٤٢
وذكر ابن الأثير أيضا « فى هذه السنة ستة وسبعين ضرب عبد الملك بـــن مـــروان الدنانير والدراهم وهو أول مـــن أحـــدث ضربـــها فـــى الإســـلام فـــانتفع النـــاس بذلـــك »جـ٢ص٥٣.

(112) Wlaker . P . 40 . Nutzel : p. 5, 6. . وأرشيبالد لويس ، ص : ١٩٥

(١١٣) المقريزى النقود ص : ٧ ، والخطط جـ١ ص : ١٠٦ .
أرشيبالد لويس : القوى البحرية ص : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(١١٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ٤ص٥٣ ، والنجوم الزاهرة ط١ ص ١٣ .

(115) Lane Poole . p. 1,2 , Lavoix:p.16,17; Dorn: P.1,2; Nützel : P. 65.
وكذلك مجموعة العملات الذهبية فى متحف الفن الإسلامى برقـــم ٢١٨٨٢ ســـنة ٧٨ هـــ ورقم ٢٣٥٣٠ سنة ٧٩ .

(١١٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ٤ ص : ٥٦ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهـــرة جـ٢ ص : ١١٣ ، والمقريزى : النقود ص : ٣٥٠ والبلاذرى : الفتوح ص : ٢٤١.

(١١٧) المقريزى : النقود ص : ٣٥ والبلاذرى : الفتوح ص : ٢٤١ .

(١١٨) يقول ابن عذارى : « وفى سنة ٧٨هـ قدم حسان بن نعمان افريقية اختـــاره لـــها عبد الملك بن مروان على عسكر فيه أربعون ألفا أقام أولا فى مصر بالعسكر عدة لمـــا يحدث ، ثم كتب إليه يأمره بالنهوض إلى أفريقية ويقول له : إنى قد أطلقت يدك فـــى أموال مصر فاعط من معك ومن ورد عليك وأعط الناس وأخرج إلى بـــلاد أفريقيـــة

على بركة الله وعونه » ، ابن عذارى المراكشى : البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب جـ٢ ص:٣٤.
(١١٩) ابن عذارى فى : البيان جـ ١ ص : ٣٤ .
(120) Walker : p. 118, 119 , Lavoix , p. 16 , 17.
(١٢١) لأن الدولة البيزنطية كانت تستورد ورق البردى من مصر ، وفى مقابل ذلك كانت الدولة الإسلامية تحصل على الدنانير الذهبية من بيزنطة ، وكان الورق يصدر إلى بيزنطة مكتوبا عليه عبارات مسيحية مثل عبارة التثليث فقرر عبد الملك محو هذه العبارات لتنافى ذلك مع الإسلام مما أغضب الإمبراطور البيزنطى جستنيان الثانى وهدد عبد الملك إما بالعودة إلى كتابة العبارات المسيحية أو يكتبون على الدنانير ما يسئ إلى النبى صلى الله عليه وسلم .
البلاذرى : فتوح البلدان ص : ٤٥٤ .
(١٢٢) المقريزى : النقود الإسلامية ص : ٨ والبلاذرى فتوح البلدان ص : ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، وابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ١ ص : ١٩٣ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ١ ص : ١٩٣ .
(١٢٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص : ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، وابن الأثير : الكامل جـ ص : ١٩٣، والمقريزى : النقود الإسلامية ص : ٨ ، ابن عذارى : البيان جـ١ ص : ٣٤ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص : ١٩٣ .
(124) Jane Poole : P . 4 , 5, 6 , Nützel : P . 14 , 15 .
(125) Lane Poole : P . 4 , 5 Nützel : P . 14 , 15 .
(١٢٦) بلغ من التزام عبد الملك على إنجاح تعريب السكة الجديدة أنه هدد بالقتل كل من يتعامل بغير السكة الإسلامية الجديدة من الدنانير والدراهم وأمر بإبطال التعامل بالنقود الرومية والفارسية وردها إلى مواضع العمل حتى تعاد إلى دار السكك الإسلامى وسحبها من الأسواق وصهرها وأعاد ضربها برسم عبد الملك ولم يتم هذا الأمر دفعة واحدة وإنما تم تدريجيا .
أنستاس الكرملى : النقود الإسلامية ص : ٩٢ ، وعبد الرحمن فهمى : فجر السكة ص: ٢٨ ، ٢٩ .
(127)Lane Poole : P . 4 , Nützel : P . 66 , 67 .
(128)Lavoix : P . 13 , 15 , 59 , Nützel , P : . 66 , 67 .
(١٢٩) وقد نشرت مجموعة برلين Lane Poole : P . 4 , 5 , Nützel - P , 65 . 66 نقود ذهبية التى سكت فى عهد عبد الملك تحت أرقام ٢٩٥ ، سنة ٧٨ هـ وزنه ٤,٢٤ جرام وقطره ٢٠ ملم، ودينار رقم ٢٩٦ سنة ٧٩هـ وزنه ٤,٢٥ جرام قطر ٢٠ملم ، ورقم ٢٩٧، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ص : ٦٦ ، ٦٥.
(130) Lane Poole : P . 4 , 5 , 6 .
(131) N tzel : p. 14,17,66 . Lavaix : p.13,15. No - 1677.p. 485 walker : p.17 .
(132) N tzel : p. 14,17,66. Lavoix : p. 485 No. 1677 .

(133) Walker : p.17.
(134) Nützel : p. 14,17 Taf. I No-21,62,65,68,70 . Walker : p. 17,18 .
(135) Nützel : p. 17 No-65,68,70. Taf I .
(136) Nützel : p.9.No - 62 .
تذكر مجموعة برلين أن عبد الملك نقش صورته على الفلوس أولا بنصفه العلوى وبجانبه نقشت نجمة مثل الفلس النحاسى رقم ٤٩،٤٧ ثم نقش صورته على الدراهم الفضية وظهرت صورة عبد الملك وله ذقن ووصفت ملابسه أنها كانت على الكتف كسرات مستقيمة فى الصدر محلى بثلاث ريشات مثل درهم رقم ٦٢ ، ٦٣ ثم انتقلت هذه الصورة ونقشت على الدينار الذهبى فقد أزال القائم ونقش بدلا منه نجمة فى وسط الدينار وحول طوق الدينار بسم الله ضرب هذا الدينار فى سنة ٧٤ مثل دينار رقم ٧٦،٧٤ - لوحة رقم ١ فى مجموعة برلين .
(١٣٧) عقدت معاهدة بين عبد الملك بن مروان والإمبراطور جستنيان الثانى تنص على أن يدفع عبد الملك للبيزنطيين اتاوة تصل إلى ثلاثمائة وخمسة وستين ألف دينار وذلك نظير نقل الفدائيين الجراجمة أو المردة بعيدا عن حدود الدولة الإسلامية حتى يتفرغ عبد الملك للقضاء على حركة الخوارج وثورة عبد الله بن الزبير ، واتفقا أيضا على أن تتقاسم الدولة الأموية والرومية الجزية التى تجمع من قبرص وأرمينيا ومن الطريف أن عبد الملك بن مروان تولى العرش فى نفس العام الذى تولى فيه جستنيان الثانى . فلما علم جتنيان الثانى بمحاولة تعريب عبد الملك للدنانير البيزنطية نقض المعاهدة السابقة ، وتدخل فى قبرص ونقل بعض سكانها إلى مدينة كوزيكوس Cyzicus على البحر الأسود حيث كانت تلك المنطقة تعانى من النقص فى السكان نتيجة لحصار القسطنطينية ، وعلى أثر ذلك إندلعت الحرب بين الدولة الأموية ودولة الروم عام هـ /٦٩١-٦٩٢ ونظرا لأن الجنود الصقالبة غرروا بجستنيان الثانى بانحيازهم لعبد عبد الملك ، فقد لقى جيش الروم هزيمة ساحقة فى أرمينيا التى عادت إلى أحضان الدولة الأموية .
د.سيد الناصرى:الروم تاريخهم وحضارتهم وعلاقاتهم بالمشرق العربى ص٢٣٤ ، ٢٣٥.
د. محمد بن فهد الفعر : دراسة للكتابات العربية على نقود المشرق الإسلامى فى العصر الأموى ص٣٢٦ مقال بمجلة العصور - المجلد الثامن جـ٢ (٣٢١-٣٧٨) ١٩٩٣ م .
(138) Nützel : p. 66,67- Lane Poole : p. 4,5. Lavoix : p. 13,15,59,485 .
(139) Nützel : P . 66 , 67, 72, Lane Poole P:.4 , 5 , 6,7.Lavoix : P . 59 .
(١٤٠) كان عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك غرة فى جبين الدولة الأموية فعهده كان ثمرة طيبة لتلك الجهود الكبيرة التى بذلها عبد الملك على مدى عشرين سنة كاملة من عمره فى توحيد الدولة وتنظيمها وضبطها حتى سلمها لابنه الوليد وهى أعظم ما تكون قوة وازدهار فقام بإصلاحات اجتماعية وعمرانية واقتصادية ، يقول الطبرى : « كان الوليد بن عبد الملك من أهل الشام أفضل خلائفهم بنى المساجد : مسجد دمشق ، مسجد المدينة ووضع المنابر وأعطى الناس وأعطى المجذوبين وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدا وفتح فى ولايته فتوح عظام » . فاتسعت

رقعة الدولة الإسلامية شرقا بلاد ما وراء النهر والهند والسند حتى وصلت حدودها إلى الصين أما غربا فوصلت إلى الأندلس بل إلى جنوب فرنسا .
الطبرى : تاريخ الرسل جـ٦ ص : ٤٩٦ ، وابن الأثير : الكامل جـ٥ ص : ٩ ، وابن كثير : البداية والنهاية جـ٩ ص : ١٦٤ ، والبلاذرى: فتوح البلدان ص:٢٣٢ .

(141) Nützel : P.72 .

(142) Ibid .

(143) Ibid .

(144) Ibid .

(١٤٥) أوزان مجموعات النقود الذهبية الموجودة بمتحف الفن الإسلامى (حفائر تل زينهم) تؤكد هذا القول فأوزانها تتراوح ما بين ٤,٤٧٠ جرام وأقلهم ٤,١٩٠ جرام .

(146) Lane Poole : P . 6 , 7 , Nützel : P . 72 , 73 .

(147) Lane Poole : p. 6 .

(148) Nützel : P . 73 , Miles : Pare Isllmic Coins . P . 19 .

(149) Nützel : P . 105 .

(150) Ibide .

(151) Ibide .

(152) Nüutzel P : 72 , 73 , 92 , 95 , 103 , 105 .
Lane Poole : P . 17, , 18 , 20 , 24 , 25 , 27 , 30 , 32 . Miles : P . 19 .
Dorn : Inventaire Des Monnaies Des Khalifes Orientaux et de Plusieurs Autres Dynasties Classes I-IX - P . 2 , 3 , 4 , Saint - Petersbourg - 1877 .

(١٥٣) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، وابن قتيبة : الإمامة ص ٤٤ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص : ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، وابن خلدون جـ ٣ ص: ١٢٦ ، ١٢٧ .

(١٥٤) يقول أرشيبالد لويس أن الرخاء الذى عم وادى النيل سنة ٨١هـ ٧٠٠م جعل واليها - ويقصد به عبد العزيز بن مروان - يبعث إلى دمشق يبلغه أن خزانته لم تعد تتسع لقبول موارد جديدة ويطلب من الخليفة أن يدله على ما يفعل فجاءه الرد بأنه ينفق الفائض فى بناء المساجد وإن دل هذا على شىء دل على مدى الرخاء والثراء الذى ساد مصر فى عهد بنى أمية- أرشيبالد لويس:القوى البحرية ص:١٢٦ ، ١٢٧ .

(١٥٥) والحقيقة أن سحب العملة القديمة وإقرار العملة الجديدةوتقرير ذلك فى الأموال والضرائب أدى إلى بعض الأزمات فى مصر فى عهد الوالى عبد العزيز بن مروان فقد أدت هذه الإصلاحات الاقتصادية إلى تغير طفيف فى سياسة الدولة الأموية فى جباية الأموال فى مصر فلجأت إلى فرض الجزية على الرهبان ورجال الدين وخاصة الأثرياء فى عهد عبد العزيز بن مروان لأن مصر شهدت فى عهده نقصان فى مياه النيل ومن المعروف أن تقدير الضرائب فى مصر كان مرتبطا بصفة أساسية بحالة النيل كل عام ، ففى سنة ٧٦هـ ، ٦٩٥ م غاض نيل مصر وحدث بها وباء حتى سنة

٧٧هـ مما أدى إلى حدوث الجدب والقحط الذى أدى إلى غلاء الأسعار فاضطر عبد العزيز أن يلجأ إلى الأديرة التى أصبحت تمتلك ثروات ضخمة ، وبمجرد انتهاء هذا الوباء وهذه الأزمة الاقتصادية انتشعت أحوال مصر مرة ثانية فى عهده .

الكندى : الولاة والقضاة ص : ١٤٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ١ ص ١٧١ - ١٨٣ ، والمقريزى الخطط جـ١ ص ١٣٩ .

(١٥٦) مجموعة النقود الذهبية الخاصة بالعصر الأموى بمتحف الفن الإسلامى ، انظر الملاحق .

(١٥٧) عبد الرحمن فهمى : فجر السكة الإسلامية ص : ٣٠ ، ٣١ .

(١٥٨) أشار الكندى إلى ذلك بقوله : « ترك عبد العزيز من الأموال والأثاث والدواب من الخيل والبغال وغير ذلك ما يعجز عن الوصف وأنه كان أعطى الناس للجزيل والعطاء وأنه أثناء ولايته على مصر قد اشترى أرض حلوان من القبط بعشرة آلاف دينار واتخذها سكنا خاصا له وغرس كرمها ونخيلها » .

(١٥٩) تعتبر فترة حكم قرة بن شريك (٩٠-٩٦هـ) فى مصر بحق من أنجح الفترات لأنه كان إداريا بارعا ، من الدرجة الأولى فقد نظم الأمور المالية التى وجدها وغير منظمة من عهد الوالى السابق عبد الله بن عبد الملك (٨٤- ٩٠هـ) فأصلح هذه الأوضاع عن طريق عدم تهاونه فى الضرائب المتأخرة سواء فى عهده أو فى عهد من سبقه وكان حريصا على إيرادات الدولة الأموية من تحصيل الموارد الشوعية لأن الدولة فى هذه الفترة كانت تستوفى أموالها وإيراداتها لتمكنها من حكم الإمبراطورية المطردة الاتساع شرقا وغربا - وقد أكدت أوراق البردى التى نشرها جروهمان على هذا التنظيم المالىالدقيق وأيضا أكد هذا ساويرس بن المقفع:سير الآباء البطاركة ص١٤٩.

الكندى : الولاة والقضاة ص : ٥٩ ، وأبو المحاسن : جـ ١ ص : ٢١١ ، وأدولف جروهمان: أوراق البردى المصرية جـ ٣ ص : ١٥ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٣٨ .

(١٦٠) محمد بن فهد : دراسة للكتابات العربية على نقود المشرق الإسلامى فى العصر الأموى ص٢٢٦مقال بمجلة العصور المجلد الثامن-الجزء الثانى٣٢١-٣٧٨ سنة١٩٩٣ .

(161) Lane Poole : p. 112, 113.

(١٦٢) انستاس الكرملى : النقود العربية ص٩٢،٩٣ ، Dorn : p. 2, 3, 4, Nützel : p. 16, 64

(163)Lane Poole : p. 107, 108, 109, 123; Nützel : p. 14, 15; Walker : p. 118, 119.

(164) Nützel: p. 72 . No. 305, 310, 311, 312, 313, 324, 325, 327, 328, 332, 343, 344, 356, 368, 393, 471, 476,

أرقام العملات فى هذه الصفحات التالية : 67, 68,69,70,71,73,76,90,91.

(165) Nützel : p. 73 - 74 ; Walker : p. 118 , 119 .

(166) Nützel : p. 74, 75 .

(١٦٧) ابن عذارى:البيان جـ١ ص:٣٨ ، وأبو المحاسن:النجوم الزاهرة جـ١ : ١٧٤.
(168) Nützel : p. 92.
(169) Nützel : p. 93 . ارشيبالد لويس : القوى البحرية ص : ١٩٥،
(170) Ibid : p. 92 .
(171) Ibid : p. 96 .
(172) Ibid : p. 96.
(173) Ibid : p. 96 ; Lane Poole : No. 77. p. 13
(١٧٤) وليها بشر بن صفوان الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها بيع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى ومائة وجعل بشر أخاه منظلة بن صفوان على الشرطة ثم ورد كتاب يزيد بن عبد الملك على بشر بن صفوان بتأميره . فخرج إليها من شوال سنة اثنين ومائة واستخلف أخاه حنظلة بين صفوان على مصر، وكان حنظلة حسن السيرة فى سلطانه وحنظلة هذا من بنى كلب ولما ولى مصر مهد أمورها ودام بها إلى سنة ثلاث ومائة ثم خرج إلى الإسكندرية مرابطا .
الكندى : الولاة والقضاة ص ٧٠ ، ٧١ ، ٨١ ، ٨٢
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ص ٢٥٠ ، ٢٨٠ ، ٢٩٢
وابن عذارى البيان المغرب جـ١ ص ٣٨ .
(175) Nützel;p. 96.
(176) Lane Poole : No - 843 - 844. p. 114, 115.
(١٧٧) يقول الكندى " وليها عبد الملك بن مروان النصيرى من قبل مروان وجمع له صلاتها وخراجها وكان واليا على خراجها قبل أن يولى الصلاة فجعل أخاه معاوية بن مروان على الشرط ، وليها فى جمادى الآخرة سنة اثنين وثلاثين ومائة : " الكندى ص ٩٣ ، وأبو المحاسن النجوم جـ١ ص ٣١٦ ص ٣١٧ .
(١٧٨) يقول المقريزى : " فلما استخلف مروان بن محمد الجعدى آخر خلائف بنى أمية ضرب الدراهم بالجزيرة على السكة بحران إلى أن قتل " ص ١٧ .
(179) Lane Poole : No - 843 - 844. p.114, 115.
(180) Ibid .
(١٨١) الكندى : الولاة والقضاة ص : ٩٣ ، ٩٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ١ ص: ٣١٦ ، ٣١٧ .
(١٨٢) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك جـ٧ ص : ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، وابن الأثير : الكامل جـ٤ ص:٣٢٤ ، المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ص : ٢٧٩ .
(١٨٣) د. حسن محمود : العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص : ١٥٩ ، ١٦٧ ، ١٩٤ ود. أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى والفاطمى ص : ٤٨ ، ٤٩ .
(١٨٤) لم تكن أوضاع المغرب الإسلامى عند قيام الدولة العباسية مستقرة وذلك لأن مذهب الخوارج انتشر فى المغرب منذ أيام الأمويين ولقى نجاحا كبيرا بين البربر لأنه يقوم على مبدأ عام وهو "عدم حصر الخلافة فى بيت معين" أو جنس معين ويرى تركها لإختيار الأمة لهذا وجد البربر أن مذهب الخوارج يناسب وضعهم الإجتماعى

والسياسى فاتخذوه عنوانا للمعارضة القومية ضد أى سيادة تفرض عليهم وكانت الصفرية والأباضية أكثر مذاهب الخوارج رواجا فى المغرب وصادف ذلك عهد الخليفة المنصور ففى عهده قامت فى المغرب دولتان خارجتان احداهما تدين بالمذهب الصفرى وهى دولة بنى مدرار أو بنى واسول سنة ١٤٠هـ والدولة الخارجية الثانية هى الدولة الرستمية الأباضية بالمغرب الأوسط ١٤٤هـ أما الأندلس التى فر إليها عقب سقوط الدولة الأموية أمير أموى وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك الذى لقب بالداخل سنة ١٣٨هـ واستقل بالأندلس وكون امارة أموية بها بعيدا عن العباسيين.

ابن عذارى البيان المغرب جـ١ ص١٥٦ ، ١٥٧ الناصرى السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى جـ١ ص١١١ ، مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ص٢٠١ ، ابن خلدون : العبر جـ٦ ص :٢٦٧ ، ٢٦٩ ، النويرى : نهاية الأرب جـ٢٤ ص :١٤٦، ١٥٣ ، ابن أبى دينار المؤنس فى أخبار إفريقيا وتونس ص: ٥٦ ، د. حسن محمود : العالم الإسلامى ص: ١٩٤ ، أحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى ص: ٦٢، ٦٣ و د. رشيد عبد الله الجبيلى : دراسات فى تاريخ الخلافة العباسية ص :٣٧٥ ، ٣٧٦.

(١٨٥) ابن خلدون : العبر جـ٣ ص :١١٧ ص١٢٩ والسيوطى : تاريخ الخلفا ص: ٢٠٨، ود. حسن محمود : العالم الاسلامى ص : ١٦٧ ، ١٩٤ ، والسيد عبد العزيز سالم: دراسات فى تاريخ العرب فى العصر العباسى جـ٣ ص٣٠ ، ص٣١ .

(١٨٦) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص: ١٨ ، ١٩ ، ٦٠ ، ٦١ .

(١٨٧) اليعقوبى : البلدان ص٢٣٢ ، ٢٣٣ . كانت بغداد سوق الامبراطورية الكبير تلتقى فيه جميع التجارات والمنتجات ويمسك بزمام ويتحكم صيارفة الحاضرة فى ملايين الدنانير والدراهم لأن الدولة العباسية قامت بتوحيد النظم المالية وإصدار العملة الموثوق بعيارها والتى نالت التقدير فى جميع الأسواق الداخلية والخارجية .

(188) Lane Poole : p.31,33,40,47.49.50 Nützel : p.111, 114, 143, 147, 184, 193, 213, 214, 226 Dorn : Monnaies Des Rhalifes Onientaux p. 5, 10, 11, 14, 15, 16, 17, 18, 22, 23, 32 .

ومجموعة الدنانير بالمتحف الفن الإسلامى بمصر ، انظر الملاحق .

(١٨٩) المقريزى : النقود الإسلامية ص : ١٧ .

(190) Lane Poole: p.31,33,40,48. Nützel : p.111 , Lavoix : p. 28,29.

(191) Nützel : p.147, 148,150,184, Lane Poole : p. 48, 50, 51, 62.

(192) Nützel: p.111, lane Poole: p.31,248 رقم الدينار Dorn : p.5.

(193) Nützel:p.114,115,621,622,629,633 Lane Poole:p. 33 no 255 .

(194) Lavoix : p.140 lane Poole : p.33 no 254, 256, 257, 258

(١٩٥) من أخطر الحركات التى قامت فى بلاد فارس حركة الراوندية سنة ١٤١هـ فى نيسابور وحركة أستاذ سيز الذى أدعى النبوة سنة ١٥٠ هـ وثورات العلويين والتى قادها فى هذه الفترة عبد الله بن الحسن وولاه محمد ذو النفس الذكية وإبراهيم الثورة فكان عبد الله هذا ينتهز كل فرصة ليظهر للخليفة أبى العباس امتعاضه من الوضع

الجديد كما أن ولديه لم يبايعا وبقيا مختفيين ولما تولى المنصور الخلافة بلغه أن الحسينين أعلنوا الثورة فى المدينة سنة ١٤٥ بقيادة محمد ذى النفس الذكية وكان قد اتفق مع أخيه ابراهيم على أن يقوم بالثورة فى البصرة ولكنه توفى قبل إعلان الثورة بسبب مرضه ثم قتل محمد سنة ١٤٥هـ.

الطبرى : تاريخه الرسل جـ٩ ص٢١٩ ، ٣٧٦ اليعقوبى : جـ٢ ص٣٧٦ والمسعودى : مروج الذهب جـ٣ ص:٣٠٦،٢٢٢،٢٢٣ والسيوطى: تاريخ الخلفاء ص : ٢١٠ ، ٢١١

(١٩٦) السيوطى : تاريخ الخلفا ص : ٢١٠ ، ٢١١ .

(١٩٧) السيوطى : تاريخ الخلفا ص : ٢١٠ .

(198) Nützel : p.128,129 No 772 , 772, 775, 777,778 - Lavoix : p. 157 - No - 679,680.

فمجموعة الدنانير الذهبية الموجودة بالمتحف الفن الإسلامى والتى عثر عليها بحفائر تل زينهم بمصر والتى ضربت منذ سنة ١٣٨ حتى سنة ١٦٨ هـ تتراوح أغلب أوزانها من ٣,٠٢٠ إلى ٤,١٩٠ جرام – انظر الملاحق .

(١٩٩) يقول السيوطى " المهدى أبو عبد الله بن محمد بن المنصور كان جوادا ممدحا مليح الشكل محببا إلى الرعية حسن الاعتقاد تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقا كثيرا ، ولما حصلت الخزائن فى يد المهدى أخذ فى رد المظالم فأخرج أكثر الذخائر ففرقها وبر أهله ومواليه" السيوطى : ٢١٨ ، ٢١٩.

ويضيف المسعودى " وكان أول ما فعله المهدى حين بويع انه أطلق من كان فى حبس المنصور إلا من كان فى دم أو مال أو ممن يسعى بالفساد) المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ص: ٣١٩.

(200) Nützel : p.128 ,129 .

(201) Ibid :

(202) Ibid :

(203) Lane Poole : p.51.No. 431,436,487.

(204) Ibid : p. 62. No.521,522,523 .

(205) Nützel : p. 147,184 .

(206) Lane Poole : p.49,50,57, Nützel : p. 147 - 148, 14.

(207) Nützel : p.129 , Lavoix : . 177. No 767 .

بلغت مجموعة لين بول حوالى ثمان وعشرين دينارا ومجموعة برلين أتت بحوالى واحد وعشرون دينارا وصل عدد الدنانير الذهبية التى أستكت فى عهد هارون حوالى ثمانية وعشرين دينارا ذهبيا فى مجموعة لين بول ومجموعة برلين واحد وعشرين دينارا .

(٢٠٨) ابن خلدون : العبر جـ٣ ص٢٢٤ ، البلاذرى : فتوح البلدان ص : ١٩٥ .

الدينورى : الإمامة والسياسة ص١٥٤ .

ويضيف السيوطى " كان الرشيد يقتفى آثار جده أبو جعفر ، إلا فى الحرص فإنه لم ير خليفة قبله أعطى منه " أعطى مرة سفيان بن عينية مائة ألف وأجاز إسحاق

الموصلى مرة بمائتى ألف وأجاز مروان بن أبى حفصة مرة على قصيدة خمسة آلاف دينار وخلعة وفرسا من مراكبه وعشرة من رقيق الروم وكانت أيام الرشيد كلها خير كأنها من حسنها أعراس " السيوطى : الخلفا ص ٢٢٩ .

(٢٠٩) المقريزى : النقود ص ١٩ ، ٢٠

(210) Nützel : p. 184 , Dorn : p.33 , Milles : p. 1-10 , Lavoix : p.202 , 203 No-852 , 853.

(211) Nützel : p.194.

(212) Lavoix:p.215; Nützel:p. 194; عبدالرحمن فهمى: السكة ص٢٨٨-٢٩٠

(213) Nützel : p. 194 , 195.

(214) Lane Poole : p.69 Lavoix : p.215 .

(٢١٥) المقريزى : النقود ص ١٨ ، ١٩ .

(٢١٦) يقول السيوطى " كان ذا شجاعة وقوة وهمة ومن أعظم الخلفاء وأهيبهم .. وكان من أشد الناس بطشا كان يجعل زند الرجل بين أصبيعه فيكسره ، وأنه إذ غضب لا يبالى من قتل ، وكان يقال له المثمن ، لأنه ثامن الخلفاء من بن العباسى ، والثامن من ولد العباسى وثامن أولاد الرشيد وملك سنة ثمان عشرة وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية ايام ومولده سنة ثمان وسبعين ، وعاش ثمانيا وأربعين سنة وطالعة العقرب وهو ثامن برج وفتح كذلك ثمان فتوح ومات لثمان بقين من ربيع الأول " ص٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(217) Nützel : p. 213 , Lavoix : p. 220 .

(218) Nützel : p. 213

(219) Ibid .

(220) Ibid : p. 214

(٢٢١) السيوطى : تاريخ الخلفا ص ٢٦٧ ، ٢٦٨. اعتمد المعتصم اعتمادا كليا على الأتراك وأهمل العنصر العربى والفارسى معا وأسند إلى الأتراك مناصب الدولة وخلع عليهم الهبات والأرزاق وآثرهم على الفرس والعرب فيكل شيء . مجموعة النقود بالمتحف الإسلامى كلها باسم المعتصم ولم ينقش على العملة الذهبية أى اسم لوالى أو وزير .

(222) Nützel : p. 213,214 , lane Poole : p. 74.No. 581.582

(223) Lane Poole : p. 76,78,81,82 .

(224) Nützel : p. 213,214.

(225) Lane Poole : p.72,

وهناك عدد من الدنانير ضربت فى مصر فى عهد الواثق أتت بها مجموعة لين بول دينار رقم ٥٨٧ سنة ٢٢٧ هـ ضرب بمصر ورقم ٥٨٨ سنة ٢٣٢ هـ بمصر .

(226) Nützel : p.214, Lane Poole : p.76 .

(٢٢٧) المقريزى : النقود ص ٢٠ .

(228) Ibid : p.219.

(٢٢٩) خلفاء هذا العصر والذى يعرف « عصر نفوذ الأتراك يبدأ بـالمتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ) والمنتصر بالله (٢٤٧-٢٤٨هـ) والمستعين (٢٤٨-٢٥٢ هـ) والمعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥هـ) والمهتدى بالله (٢٥٥-٢٥٦هـ) والمعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ) والمعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ) والمكتفى(٢٨٩-٢٩٥هـ) والمقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ) والقاهر (٣٢٠- ٣٢٢هـ) والراضى (٣٢٢ -٣٢٩هـ) والمتقى (٣٢٩-٣٣هـ)والمستكفى (٣٣-٣٣٤هـ) ففى عهد الخلفاء الخمسة الأوائل منهم كان عهد النفوذ التركى على الخلفاء وكان عهد الثلاثة الذين جاءوا من بعدهم عهدا انتعشت فيه الخلافة واستطاعت أن تسترد نفوذها ثم عادت إلى الانتكاس فى عهد المقتدر القاهر وكثرت الفتن حتى عهد الراضى ظهر منصب أمير الأمراء ولم يبق للخليفة من منصب إلا الاسم فقط .

زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة .

(٢٣٠) المقريزى : النقود ص٥٠.

(٢٣١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٨٦ ، وابن دحية : النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ص ٨٥ .

(232) Nützel : p. 226, 227.

(233) Lane Poole : p. 80

(234) Ibid : p , Lavoix : p. 339

(235) Nützel : p. 228.

(236) Nützel : p. 232.

(237) Ibid .

(238) Ibid.

(239) Lane Poole : p. 49.N 420, Dorn : P.24,26

(٢٤٠) الطبرى : تاريخ الرسل جـ١ ص٢٧٥ وابن الاثير : الكامل جـ٥ ص١٠٧

(٢٤١) الطبرى : تاريخ الرسل جـ٨ ص٢٧٥

(٧) الطبرى : جـ٨ ص٢٧٥

(٢٤٣) الطبرى : تاريخ الرسل جـ٨ ص٢٧٦ ، ص٢٧٧ ص٢٧٨

(٢٤٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٢٣٩

(245)Lane Poole : P.65

(246) Lan:e Poole : p. 65.

(247)Ibide .

(٢٤٨) الطبرى : تاريخ الرسل جـ٨ ص٥٢٧ ، والسيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٨٠ ، والنبراس : ص ٨٠ .

(249) Lan'e Poole : P. 76, Nützel : p.228

(٢٥٠) وكانت العادة أن يعهد المغرب لولى العهد الأول ، وأن يعهد بالمشرق لولى العهد الثانى فعهد بولاية المغرب للمنتصر والمشرق كله للمعتز أما المؤيد فاقطعه جند حمص

وجند دمشق وجند فلسطين،ابن الأثير الكامل فيالتاريخ جـــ٧ ص:١٦،١٧، والسـيوطى: ص٢٨٠.

(٢٥١) يقول السيوطى : « كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه المنتصر ثم المعـتز ثـم المؤيد، ثم إنه أراد تقديم المعتز لمحبته لأمه ، فسأل المنتصر أن ينزل عـن العـهد ، فأبى فكان يحضره مجلس العامة ويحط منزلته ويتهدده ويشتمه ويتوعده ، واتفـق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيـه فدخـل عليه خمسة وهو فى جوف الليل فى مجلس لهوه ، فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقـان وذلك فى خامس شوال سنة سبع وأربعين ومائتين » ص ٢٨٠ .

(252) Nützel : . P . 220 .

(253) Ibid : P . 219 , Lane Poole : P . 780 No 593 .

(٢٥٤) السيوطى : تاريخ الخلفا ص ٢٨٦ ، ابن دحية : النبراس ص ٨٥ .

(255) Nützel : p . 225 , Lane Poole :p. 32 .

ضرب فى عهده دراهم فضية درهم رقم ١٤٩٧ سنة ٢٤٨ هـ

(٢٥٦) د. حسن محمود : العالم الإسلامى ص : ٣٣٥

(257)Walker: P. 167 , Lane Poole: P. 35,37, Dorn: P. 6 , 7 . المقريزى : النقود ص

(258)Walker : P . 168 , Lane Poole : P . 42 , 43 , 45 ,

(259) Lane Poole : P . 47 , Dorn : P . 15 , Lavoix : p. 170.

(260) Nützel : P . 145 , 146 No 926 - 928 .

(261) Ibid : P . 143 No 914.

(262) Nützel : P . 186 , Dorn P : 20.

(٢٦٣) المقريزى : النقود ص : ٤٨ ، ٤٩ .

(264) Nützel : P . 187 , Dorn : P . 21 .

(265) Nützel : p . 217 .

(266) Ibid : p . 220.

(267) Ibid : P . 237.

(268).Ibid : P . 249 .

(269) Ibid : P . 239

(270) Lane Poole : 35637 , 54,55 61,63, Walker : - p.28,30,42, .
Nützel : P . 150 , 153 , 185 , 184 ,217,220,237,244 .

(٢٧١) المقريزى : شذور العقود ص : ١٨ يضيف المقريزى " أن هارون الرشـيد أول خليفة ترفع عن مباشرة العيار بنفسه وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر فـى عيـار الدراهم والدنانير بأنفسهم وكان هذا مما نوه اسم جعفر بين يحيـى إذ هـو شـئ لـم يتشرف به أحد من قبله واستمر الأمر إلى شهر رمضان سنة أربع وثمانين ومائـة " : ص : ١٨ .

Lane Poole : p. 49-No. 412, 414, 416, 417.

أرقام دنانير ذهبية نقش عليها اسم جعفر بن يحيى البرمكى

(272) Nützel : p. 153. No .966 .

(273) Nützel : P. 155.

(274) Nützel : P. 151- n. 957 .

(٢٧٥) يقول السيوطى: " ووقعت الوحشة بينه وبين أخيه المأمون وقيل إن الفضل بن الربيع علم أن الخلافة إذا أفضت إلى المأمون لم يبق عليه ، فأغرى الأمين به وحثه على خلعه " ص : ٢٣٩ .

(276) Nützel : P . 185 , Dorn P : . 33

(277) Ibid : P . 186.

(278) Ibid : P . 189.

(٢٧٩) عملة ذهبية سنة ٢٠٠ هـ بهذا الشكل Lane Poole : p. 66 .

لله

محمد

رسول

الله

ذو الرياستين

وزن هذا الدينار ٤,١٢ . ضرب في سنة ٢٠١ هـ

(280) Lane Poole : p. 66, 67.

(281) Ibid : P . 67 .

(282) Ibid : P . 68 .

(283) Ibid : P . 69 .

(٢٨٤) بعد تولى المأمون الخلافة لم ينتقل إلى أقاليم الدولة العباسية الغربية فى الشام والعراق بل فى مرو عاصمة خراسان ملتفتا إلى المسائل الفلسفية والعلمية دون الأمور السياسية والإدارية التى عهد بها إلى وزيره الفضل بن سهل ذى الرياستين، وهذا أناب عنه فى العراق والشام أخاه الحسن بن سهل وهذان أدارا شئون الدولة حسب نزعتهما الفارسية مما أشعل ثورات العرب ضد العباسيين لإهدارهم حقوقهم وإيثار الفرس عليهم .

الطبرى : تاريخ الرسل جـ٩ ص٦٠ وابن خلدون : تاريخ جـ٣ ص٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٢٨٥) الكندى : الولاة والقضاة ص ٩٢ ،٩٣ ، والمقريزى : النقود ص ١٧ ، والسيوطى : تاريخ الخلفاء ص٢٠٨ ، ابن دحية : النبراس : ص ٢١ .

(٢٨٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ١ ص : ٣١٦ .

(287) Lane Poole: P. 13,33,40,- Nützel: p. III, Lavoix : p 28,29 , Dorn : p5,10,14 .

(288) Lane Poole : p. 117 .

(289) Ibid : p.117 لا إله إلا الله وحده مما أمر به الأمير عبد الملك بن يزيد محمد رسول الله ضرب هذا الفلس فى سنة ١٣٢ .

(290) Lane Poole : p. 43 .
(291) Ibid : p. 120 .
(292) Lane Poole : No: 398, 546, 547, 548, 549, 550, 551. 562. 587. 588. 588. 592. 595. 596. 850. 851. Nützel : No, 1313, 131, 1316, 1385, 1413, 1416, 1438, 1439, 1461,1465,1466,1515, p. 127, 208, 218, 220, 226, 229, 233, 253, 271, 279, 287.

(٢٩٣) ابن عبد الحكم ص ٩٤ ، ١١٠ .
وابن عذارى : البيان جـ١ ص٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، والكندى : الولاة ص١٠٣ .

(٢٩٤) عبد الرحمن فهمى : فجر السكة ص٣٩ ، ٤٠ .

(295) Nützel : p. 147,148,150,184, Lane Poole : P. 48, 50,51,62.

(٢٩٦) انستاس الكرملى : النقود الإسلامية ص ١٢٢ ، وموسى الحسينى المازندرانى : تاريخ النقود الإسلامية ص ٦٥ .

(297) Lane Poole: P. 31,33, 40, Nützel:p.111,114,143, Dorn: p.5, 10 .

(٢٩٨) تحمل أرقام من ٢١٨٨٩٥ ، ٢١٨٨٩٦ ، ٢٣٠٦١ حتى ٢٣٠٦٩ انظر الملاحق.

(299) Lane Poole : p. 48,50.

(٣٠٠) الكندى : الولاة والقضاة ص ١٣١.

(٣٠١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٢٩ ، وابن دحية : النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ص ٣٦ .

(302) Nützel : p. 147.
(303) Lane Poole : p. 48.

(٣٠٤) الكندى : ص ١٣٣ .
(٣٠٥) الكندى : ص ١٣١.
(٣٠٦) الكندى : ص ١٣٤ .

(307) Lane Poole : p. 49 .

(٣٠٨) الكندى : الولاة ص ١٣٤ .

(309) Lane Poole : p. 49, Nützel : p. 147 No. 931,934.

(٣١٠) الكندى : الولاة ص١٣٥ .

(٣١١) ابن عذارى : البيان جـ١ ص١٥٩ ، ١٦٠ وخصوصاً بعد نجاح أدريس بن عبد الله من الفرار من وجه العباسيين وأقام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ.

(٣١٢) د. حسن محمود : العالم الإسلامى ص١٩٤ ، وأحمد مختار العبادى : فى التاريخ العباسى ص٤٩.

(٣١٣) الكندى : ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، يقول الكندى : « وكتب المامون إلى أشراف أهل مصر يدعوهم إلى القيام بدعوته .. وخلع محمد الأمين .. فأجابه عظيم الناس إلى ذلك .. وكان خلع محمد بمصر ٨ جمادى سنة ١٩٦هـ ، وبويع عباد بن محمد للمامون

بيعة عامة ٨ رجب سنة ١٩٦هـ ووثب الجند بجابر بن الأشعس عامل الأمين فأخرجوه » .

(٣١٤) الكندى : الولاة ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٧٣ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ١ ص ، د. سيدة الكاشف : مصر فى فجر الإسلام ص ١٥٧ .

(315) Nützel : p. 193, Lane Poole : p. 65.

(٣١٦) الكندى : الولاه والقضاة ص ١٤٩ .

(317) Lane Poole : p.65 K Nutzel :p. 193

(٣١٨) الكندى : الولاه ص ١٤٩ ص ١٥٠ .

(٣١٩) المصدر السابق ص ١٥٢

(320) Lane Poole : p. 65 .

(٣٢١) الكندى : ص ١٥٣ .

(322) Lane Poole : p. 66 .

(323) Ibid :.P.66.67 Lane Poole : p. 66 .

(324) Lane Poole : p. 66 .

(٣٢٥) يقول أبو المحاسن « هو السرىّ بن الحكم بن يوسف بن المقوم مولى من بنى خبة ، وأصله من بلخ من قوم يقال لهم (الزُط) أمير مصر وليها باجماع الجند وأهل مصر على الصلاة والخراج معا فى مستهل رمضان سنة مائتين بعد عزل المطلب وسكن المعسكر على عادة أمراء مصر » وقد أتى السرىّ إلى مصر زمن الرشيد وكان خامل الذكر ولم يرتفع شأنه إلا بقيامه فى خلع الأمين ، وقد شجع السرى بن الحكم على القيام بالاستقلال بأمور مصر ما بلغه من انتصار طاهر بن الحسين على جيوش الأمين واضطراب الأمور بمصر بعد أن انتقلت إليها عدوى الخلافات بين الأمين والمأمون ، فاستغل هذه الظروف لصالحه فقد كان له أتباع كثير ودور فى خلع طاعة الأمين بمصر واستطاع هو وأولاده أن يستغلوا هذه الأحداث لحسابهم الخاص ويضربوا فريقا بآخر بغية الاستقلال بمصر ، ويظهر أن اضطراب الحال فى الدولة الإسلامية فى هذه الفترة دعا المأمون إلى التسليم بالأمر الواقع فى مصر ريثما تهدأ الأمور لذلك ولى السرىّ بن الحكم أمر مصر واستطاع السرىّ أن يكون لنفسه ولأسرته من بعده ملكا شبه مستقل دام نحو عشر سنوات وكانت هذه الأسرة دائما تستقر فى العاصمة وفى الوجه القبلى فى الغالب ، وتعتبر أسرة السرىّ أول أسرة شبه مستقلة فى مصر الإسلامية ومقدمة لظهور أسرة بنى طولون فيما بعد والتى استقلت بمصر استقلالا فعليا عن الخلافة العباسية .

أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٢ ص١٦٣ إلى ١٧٢ ، الكندى الولاة ص ١٤٨ ، ١٥٤، ١٦١، ١٦٧، ١٧٢ ابن دحية : النبراس ص ٤٧ .

(326) Lane Poole : p. 68, Nützel : p.194 .

(٣٢٧) اليعقوبى : تاريخ جـ٣ ص ١٨٣ ، ص١٨٤.

(328) Lane Poole : p. 69.

(329) Ibid : .

(330) Ibid :

(٣٣١) أبو المحاسن : النجوم جـ٢ ص ١٧٨، ١٧٩ .

(332) Lane Poole : p. 70 .

(٣٣٣) أبو المحاسن : النجوم جـ٢ ص ١٨١ .

(334) Lane Poole : p. 69 .

(٣٣٥) أثناء اضطراب الأمور فى مصر بسبب النزاع بين الأمين والمأمون وصل الإسكندرية أعداد كثيرة من الأندلسيين خرجوا من الأندلس بعد اشتراكهم فى ثورة الربض بقرطبة فى إمارة الحكم بن هشام الأموى وطردهم خارج الأندلس فلما وصلوا إلى الإسكندرية استطاعوا أن يستقروا بها فترة من الزمن بلغت عشر سنوات شاركوا فى الأحداث السائدة فى مصر إذ ذاك إلى أن أخرجهم الأمير عبد الله بن طاهر من مصر إلى جزيرة إقريطيش- الكندى : الولاة ص ١٥٢ ، أبو المحاسن : جـ٢ ص ١٩١ ، الطبرى : جـ٨ ص ٦١٣ .

(٣٣٦) نفس المصادر السابقة والصفحات .

(٣٣٧) الكندى : الولاة ص١٧٣ إلى ص١٨٠ تولى عبيد اله بن السرى ولاية مصر بعد ان بايعه الجند سنة٢٠٦ هـ وكان الخليفة المأمون قد عقد لخالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى على مصر فإمتنع عن التسليم له واحتج عبيد أن كتاب أمير المؤمنين ورد عليه بولايته وبعث عبيد بأخيه أحمد بن السرى يمانع خالد بن يزيد والى المأمون ودار قتال عنيف بين الطرفين انتهى بهزيمة خالد بن يزيد الذى خرج من مصر إلى مكة سنة٢٠٧ هـ فلما وصل عبد الله بن طاهر الى مصر كتب لعبيد بن عبد الله كتاب أمان وأشهد فيه شهود من الجند والفقهاء وخلع عليه ابن طاهر واجازه بعشر آلاف دينار وأمره بالخروج إلى المأمون وذلك سنة٢١٠ هـ .

(٣٣٨) الكندى : الولاة ص١٨٠ ، ١٨١ .

(339) Lane Poole : p. 74, Nutzel : p.213, 214 .

غير أن الأوضاع فى مصر لم تستقر بعد حملة عبد الله بن طاهر على مصر بسبب تعسف الولاة وكثرة الأعباء الملقاة على كاهل المصريين حتى اضطر الخليفة المأمون أن يذهب إلى‌مصر بنفسه لتهدئة الحال سنة ٢١٧ هـ .

(٣٤٠) مجموعة العملات الذهبية ، متحف الفن الإسلامى بمصر وهذه المجموعة حصلوا عليها من حفائر تل زينهم بمصر . انظر باقى الملاحق .

(341) Nutzel : p.219. N1438,

وذلك فى سنتى ٢١٩ هـ و سنة٢٢٠ هـ

(342) Nutzel : p.220 - N-1464 ,1465,1466

وذلك فى عهد المتوكل فى سنتى٢٣٨ هـ ، سنة٢٤٢ هـ وسنة٢٤٣ هـ والمهتدى بالله عملة رقم ١٥٢٩ سنة٢٥٥هـ

(٣٤٣) الكندى : ص ١٠٣ وابن عبد الحكم ص : ٩٤ ، ١١٠ .

(344) Lane Poole : P . 361 .

(٣٤٥) الكندى : الولاة والقضاة ص : ١٠٣ .

(346) Nutzel : p. 132.

(347)Nützel : p. 132.

على بن سليمان ابن على العباسى تولى أمر مصر من ١٦٩-١٧١ هـ كان عامل الخراج على مصر منذ عهد الخليفة الهادى ثم فى عهد الرشيد . الكندى:الولاة ص١٣١.

(348)Nützel : P . 170 .

تولى روح بن حاتم إفريقية من قبل هارون سنة ١٧١ وظل بها حتى سنة ١٧٤ هـ. ابن عذارى جـ١ ص ٨٤ ، ٨٥.

(349) Nützel : P . 153 .

تولى نصر بن حبيب المهلبى ولاية أفريقية ١٧٤ هـ وكان قبل ذلك على شرطه يزيد بن حاتم بمصر وإفريقية – ابن عذارى – جـ١ ص ٨٥ .

(350) Nützel P : . 155

(351) Ibid P : . 155 .

(352) Lane Poole : No . 630 . p. 69.

(353) Nutzel : p. 172.

(354) Ibid.

(355) الكندى : الولاة والقضاة ص : ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٧٢ .

(356) Lane Poole : No : 630 .

(357) Nutzel : p. 203.

(٣٥٨) الكندى : ١٧٢ . أبو المحاسن : جـ ٢ ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١.

(359) Lane Poole : p. 135.

قائمة بأسماء الخلفاء الأمويين

	هجرية	ميلادية
معاوية بن أبى سفيان	٤١ - ٦٠	/ ٦٦١ - ٦٧٩
يزيد بن معاوية بن أبى سفيان	٦٠ - ٦٤	/ ٦٧٩ - ٦٨٣
معاوية بن يزيد بن معاوية	٦٤	/ ٦٨٣
مروان بن الحكم	٦٤ - ٦٥	/ ٦٨٣ - ٦٨٤
عبد الملك بن مروان بن الحكم	٦٥ - ٨٦	/ ٦٨٤ - ٧٠٥
الوليد بن عبد الملك بن مروان	٨٦ - ٩٦	/ ٧٠٥ - ٧١٤
سليمان بن عبد الملك	٩٦ - ٩٩	/ ٧١٤ - ٧١٧
عمر بن عبد العزيز بن مروان	٩٩ - ١٠١	/ ٧١٩ - ٧٢٣
يزيد بن عبد الملك	١٠١ - ١٠٥	/ ٧١٩ - ٧٢٣
هشام بن عبد الملك	١٠٥ - ١٢٥	/ ٧٢٣ - ٧٤٢
الوليد بن يزيد بن عبد الملك	١٢٦	/ ٧٤٣
إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك	١٢٧	/ ٧٤٤
مروان بن محمد بن مروان بن الحكم	١٢٧ - ١٣٢	/ ٧٤٤ - ٧٤٩

ثبت بأسماء الخلفاء الأمويين

كما وردت فى السكة من خلال (مجموعة برلين)

إسم الخليفة	رقم العملة	السنة الهجرية	الوزن بالجرام	القطر بالمليمتر	
عبد الملك بن مروان	١	٧٧	٤,٢٧	–	Lane Poole
٦٥-٨٦هـ	٢٩٥	٧٨	٤,٢٤	٢٠	
	٢٩٦	٧٩	٤,٢٥	٢٠	
	٢٩٧	٨٠	٤,٢٤	٢٠	
	٢٩٨	٨١	٤,٢٥	١٩	
	٢٩٩	٨٢	٤,٢٥	١٩	
	٣٠٠	٨٣	٤,٢٣	١٩	
	٣٠١	٨٤	٤,٢٧	١٩	
	٣٠٢	٨٥	٤,٢١	١٩	
	٣٠٣	٨٦	٤,١٣	١٩	
الوليد بن عبد الملك	٣٣٣	٨٨	٤,٢٥	١٩	
٨٦-٩٦	٣٣٤	٨٩	٤,٢٥	٢٠	
	٣٣٥	٩١	٤,٢٦	٤٩,٥	
	٣٣٦	٩٢	٤.٢٨	١٩	
	٣٣٧	٩٤	٤,٢٠	١٩	
نصف دينار	١٨،١٧	٩٤	٢,١٣	–	Lane Poole
	٣٣٩	٩٥			
	٣٤٠	٩٦			
ثلث دينار	٢٥	٩٦	١,٥٢	–	Lane Poole
سليمان بن عبد الملك	٤٤٠	٩٧	٤,٢٦	٢٠	
٩٦-٩٩هـ	٤٤١	٩٨	٤,٢٩	٢٠	
	٤٤٢	٩٩	٤,٢٧	٢٠	

اسم الخليفة	رقم العملة	السنة الهجرية	الوزن بالجرام	القطر بالمليمتر	
عمر بن عبد العزيز	٤٦٨	١٠٠	٤,٢٥	٢٠	
٩٩-١٠١هـ	٤٦٩	١٠١	٤,٢٦	١٩,٥	
نصف دينار	٣٢	١٠٠	٢,١٤	-	Lane Poole
ثلث دينار	٣٣	١٠٠	١,٤٥		
يزيد الثانى بن عبد الملك	٤٧٨	١٠٢	٤,٢٨	١٩,٥	
١٠١-١٠٥هـ	٤٧٩	١٠٣	٤,٢٧	١٩	
	٤٨٠	١٠٤	٤,٢٤	٢٠	
	٤٨١	١٠٥	٤,٢٦	١٩,٥	
هشام بن عبد الملك	٤٩٧	١٠٦	٤,٢٠	١٩,٥	
١٠٥-١٢٥هـ	٤٩٨	١٠٩	٣,٩٨	١٩,٥	
	٤٩٩	١١١	٤,٢٠	٢٠	
	٥٠٠	١١٢	٤,٢٠	١٩,٥	
	٥٠١	١١٦	٤,٨٤	٢٠	
	٥٠٢	١١٨	٤,١٠	١٩	
	٥٠٣	١٢٠	٤,٢٦	١٩,٥	
	٥٠٤	١٢١	٤,٠٩	١٩,٥	
	٥٠٥	١٢٢	٤,٢٦	١٩	
	٥٠٦	١٢٣	٤,٢٤	٢٠	
	٥٠٧	١٢٤	٤,٢٤	٢٠	
الوليد الثانى بن عبد الملك	٥٧٢	١٢٦	٤,٢٤	١٩,٥	
١٢٥-١٢٦هـ					
يزيد بن الوليد بن عبد الملك	-	-	-	-	
١٢٦هـ					
إبراهيم بن الوليد	-	-	-	-	
١٢٧هـ					
مروان بن محمد بن مروان	٥٧٧	١٣٠	٤,٢٥	٢٠	
	٥٧٨	١٣١	٤,٢٦	٢٠	
	٥٧٩	٣٢	٤,٢١	١٩	

يلاحظ ثبات وزن العملة الذهبية في عهد خلفاء بني امية

قائمة بأسماء الولاة على مصر فى العصر الأموى

	هجرية	ميلادية
عمرو بن العاص	٣٨-٤٣ /	٦٤٨-٦٦٣
عتبة بى أبى سفيان	٤٣-٤٤ /	٦٦٣-٦٦٤
عقبة بن عامر بن عبس	٤٤-٤٧/	٦٦٤-٦٦٧
مسلمة بن مخلد بن صامت	٤٧-٦٢/	٦٦٧-٦٨١
سعيد بن يزيد بن علقمة بن عوف	٦٢-٦٤/	٦٨١-٦٨٣
عبد الرحمن بن عتيبة بن اياس	٦٤-٦٥/	٦٨٣-٦٨٤
ابن الحارث من قبل عبد الله بن الزبير	+	
عبد العزيز بن مروان بن الحكم	٦٥-٨٤/	٦٨٤-٧٠٣
عبد الله بن عبد الملك بن مروان	٨٤-٩٠/	٧٠٣-٧٠٨
قرة بن شريك بن مرثد بن الحارثة	٩٠-٩٦/	٧٠٨-٧١٤
عبد الملك بن رفاعة بن خالد	٩٦-٩٩/	٧١٤-٧١٧
أيوب بن شرحبيل	٩٩-١٠١/	٧١٧-٧١٩
بشر بن صفوان بن تويل بن حنظلة ابن علقمة ابن شرحبيل	١٠١-١٠٢/	٧١٩-٧٢٠
حنظلة بن صفوان بن تويل بن حنظلة بن علقمة	١٠٢-١٠٥/	٧٢٠-٧٢٣
محمد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم لم يمكث إلا عدة أشهر تولى ١١ شوال سنة١٠٥هـ وخرج عن مصر لم يلها الا نحوا من شهر.	١٠٥/	٧٢٣

الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم ابن أبى العاص بن أمية	١٠٥-١٠٨	٧٢٣-٧٢٦
حفص بن الوليد بن يوسف بن عبد الله بن « الاولى » بن جبل بن كليب	١٠٨-١٠٩	٧٢٦-٧٢٧
عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت ابن ظاعن الثانية	١٠٩	٧٢٧
الوليد بن رفاعة بن خالد بن ثابت	١٠٩-١١٧	٧٢٧-٧٣٥
عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ابن خالد بن ثابت	١١٧-١١٩	٧٣٥-٧٣٧
حنظلة بن صفوان بن توبل بن بشر « الثانية »	١١٩-١٢٤	٧٣٧-٧٤١
حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمى « الثانية »	١٢٤-١٢٧	٧٤١-٧٤٤
حسان بن عتاهية بن عبد الرحمن	١٢٧	٧٤٤
حفص بن الوليد بن يوسف (الثالثة)	١٢٧-١٢٨	٧٤٤-٧٤٥
الحوثرة بن سهيل بن كعب بن عامر	١٢٨-١٣١	٧٤٥-٧٤٨
المغيرة بن عبيد الله بن المغيرة بن عبدالله تولىعشرةأشهر وتوفىبمصر	١٣١	٧٤٨
عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير	١٣١-١٣٢	٧٤٨-٧٤٩

مجموعة الدنانير الأموية المتداولة فى مصر

(متحف الفن الإسلامى)

رقم العملة	السنة الهجرية	العدد	الوزن بالجرام	اسم الوالى من كتب التاريخ
٢٣٥٢٩	٧٨	٣ دنانير	١٢,٨٥	عبد العزيز بن مروان بن الحكم
٢١٨٨٢	٧٨	ديناران	٨,٥٤٠	(٦٥-٨٤هـ)
٢٣٥٣٠	٧٩	دينار	٤,٢٧٠	» » » » »
٢٣٥٣١	٨٠	دينار	٤,٢٥٠	» » » » »
٢٣٥٣٢	٨٧	»	٤,٢٢٠	عبد الله بن عبد الملك بن مروان
٢١٨٨٣	٨٨	»	٤,٢٧٠	٨٤-٩٠هـ
٢١٨٨٤	٨٩	»	٤,٢٠	
١٧٥٤٤	٨٩	ديناران	٨,٤٧٠	» » » » »
٢١٨٨٥	٩٠	دينار	٤,١٩٠	» » » » »
١٧٥٤٥	٩٢	»	٤,٤٤٠	قرة بن شريك بن مرشد فى الحارثة
١٧٥٤٦	٩٣	»	٤,١٩٠	٩٠-٩٦هـ
١٧٥٤٧	٩٤	ديناران	٨,٤٥٠	
٢١٨٨٦	٩٦	دينار	٤,١٩٠	» » » » »
١٧٥٤٨	٩٧	ديناران	٨,٤٥٠	عبد الملك بن رفاعة بن خالد
٢٣٥٣٣	٩٧	دينار	٤,٢٥٠	٩٦-٩٩هـ
٢١٨٨٧	٩٩	»	٤,٢٥٠	» » » » »
١٧٥٤٩	١٠٠	١٥دينار	٦٣,٥٤	٩٩-١٠٠هـ
١٧٥٥٠	١٠٢	دينار	٤,٢٤٠	بشر بن صفوان بن تويل ١٠١-١٠٢هـ
١٧٥٥١	١٠٣	٥ دنانير	٢١,٢٣٠	حنظلة بنو صفوان بن تويل
٢٣٥٣٤	١٠٤	دينار	٤,٢٥٠	١٠٢-١٠٥
٢١٨٨٨	١٠٤	دينار	٤,٢٤٠	» » » » »
١٧٥٥٢	١٠٤	٤دينار	٤,٢٤٠	» » » » »
١٧٥٥٣	١٠٥	ديناران	٨,٤٥	» » » » »

رقم العملة	السنة الهجرية	العدد	الوزن بالجرام	اسم الوالى من كتب التاريخ
رقم العملة	السنة	العدد	الوزن	اسم الوالى من كتب التاريخ
٢٣٥٣٥	١٠٥	دينار	٤,٢٥٠	» » » » »
١٧٥٥٤	١٠٦	٤ دينار	١٦,٩٩٠	الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم
٢١٨٨٩	١٠٦	١ دينار	٤,٢٢٠	١٠٥-١٠٨هـ
١٧٥٥٥	١٠٧	٣ دينار	١٦,٩٥	» » » » »
١٧٥٥٦	١٠٨	١دينار	٤,٢٤٠	» » » » »
١٧٥٥٦	١٠٩	٨ دينار	٣٣,٣٦٠	حفص بن الوليد بن يوسف بن عبد الله
				١٠٨-١٠٩هـ
١٧٥٥٨	١١٠	١ دينار	٤,٢٠	الوليد بن رفاعة بن خالد
٢١٨٩٠	١١١	١ دينار	٣,٩٧٠	(١٠٩-١١٧)
٢٣٥٣٦	١١٦	دينار	٤,٢٢٠	
-	١١٧	»	٤,٢٢٠	» » » » »
٢١٨٩١	١٢١	»	٤,٢٠٠	حنظلة بن صفوان بن تويل للمرة الثانية
٢١٨٩٢	١٢٤	»	٤,٢٢٥	» » » » »
٢١٨٩٣	١٢٧	٣دنانير	١٦,٨٤٠	حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمى
				للمرة الثانية

لم ينقش أسماء الولاة علي الدنانير في العصر الأموي وإنما هي محاولة من الباحثة توفيق السنوات التي علي السكة مع الولاة المعاصرين لهذه السنوات .

الخلفاء العباسيون

السفاح * أبو العباس عبد الله بن محمد * (١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م).

أبو جعفر المنصور بن محمد (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م).

المهدى بن المنصور (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٤-٧٨٥م).

الهادى بن المهدى بن المنصور (١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م).

أبو جعفر هارون بن المهدى (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٨م).

الأمين بن هارون (١٩٣-١٩٨هـ/٨٠٨-٨١٣م).

المأمون بن هارون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م).

المعتصم بالله بن هارون (٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤١م).

الواثق بالله بن المعتصم (٢٢٧-٢٣٢هـ/٨٤١-٨٤٦م).

المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ)

المنتصر بالله (٢٤٧-٢٤٨هـ)

المستعين بالله (٢٤٨-٢٥٢ هـ)

المعتز بالله (٢٥٢-٢٥٥ هـ)

المهتدى بالله (٢٥٥-٢٥٦ هـ)

المعتمد على الله (٢٥٦-٢٧٩هـ)

ثبت بأسماء الخلفاء العباسيين

كما وردة في السكة من خلال (مجموعة برلين - ولين بول)

اسم الخليفة	رقم العملة	السنة الهجرية	الوزن بالجرام	القطر
أبو عبد الله السفاح	٦٠٣	١٣٣	٤,١٦	١٩
١٣٢-١٣٦	٢٤٧	١٣٣	٤,٢٧	-
نقش فى وسط الدينار	٢٤٨	١٣٤	٤,١٥	-
محمد رسول الله	٦٠٤	١٣٥	٤,١٤	١٨,٥
	٢٤٩	١٣٥	٤,١٩	-
	٦٠٥	١٣٦	٤,٢٦	١٩
أبو جعفر المنصور	٢٥٤	١٣٧	٤,١٥	-
١٣٦-١٥٨هـ	٢٥٥	١٣٨	٤,٢٠	-
	٦١٩	١٣٩	٤,٢٥	١٩
	٢٥٧	١٣٩	٤,٢٣	-
	٦٢٠	١٤٠	٤,٠٦	١٩
	٦٢١	١٤٣	٣,٩٤	١٧,٥
	٢٦٠	١٤٤	٤,٢٥	-
	٦٢٢	١٤٥	٤,٢٦	١٩
	٢٦١	١٤٥	٤,٢٨	-
	٦٢٣	١٤٦	٤,٢٦	١٩
	٢٦٢	١٤٦		-
	٦٢٤	١٤٧	٤,٠٨	١٨,٥
	٦,٢٥	١٤٨	٤,٢٥	١٨,٥
	٢٦٦	١٥٠	٤,٢٠	-
	٦٢٦	١٥١	٤,٢٤	١٨
	٦٢٧	١٥٢	٤,٠٣	١٨,٥
	٦٢٨	١٥٣	٤,٠٧	١٨
	٦٢٩	١٥٤	٣,٩٨	١٨

اسم الخليفة	رقم العملة	السنة الهجرية	الوزن بالجرام	القطر
	٦٣٠	١٥٥	٤,٢٣	-
	٦٣١	١٥٦	٤,١٩	١٩
	٦٣٢	١٥٧	٤,٢٢	١٨,٥
	٦٣٣	١٥٧	٣,٨٢	١٩
	٦٣٤	١٥٨	٤٢٢	١٩
أبو عبد الله محمد المهدى	٣٣٥	١٥٨	٤,٢٣	-
	٣٣٦	١٥٩	٤,٢٦	-
	٣٣٨	١٦٠	٤,١٣	-
	٧٦٨	١٦١	٣,٩٩	١٨
	٧٦٩	١٦٢	١,٦٥	١٦
	٧٧٠	١٦٣	٣,٩٠	١٨
	٧٧١	١٦٣	٤,٠٤	١٨
	٧٧٢	١٦٥	٤,٠٨	١٨
	٧٧٣	١٦٦	٣,٨٩	١٨
	٧٧٤	١٦٦	٤,٠٢	١٨,٥
	٧٧٥	١٦٧	٤,١٤	١٩
	٧٧٦	١٦٧	٤,٠٥	١٩
	٧٧٧	١٦٧	٤,٢٥	١٨.٥
	٧٧٨	١٦٨	٤,٢٠	٢٠
	٧٧٩	١٦٩	٤,١٤	٢٠
أبو محمد موسى الهادى				
١٦٩-١٧٠	٣٩٥	١٦٩	٤,١١	-
	٩١٣	١٧٠	٣,٩٧	١٨
أبو جعفر هارون الرشيد	٩٣٠	١٧٠	٤,٢١	١٨,٥
	٩٣١	١٧١	٤,٠٧	١٨
	٤٠١	١٧٢	٤,٠٥	-

اسم الخليفة	رقم العملة	السنة الهجرية	الوزن بالجرام	القطر
هارون الرشيد	٩٣٢	١٧٣	٤,٢٣	١٩
أول من نقش	٩٣٣	١٧٤	٤,٢٣	١٩
لقب أمير المؤمنين	٩٣٤	١٧٥	٤,٢٥	١٨
على الدينار	٤١١	١٧٦	٤,٢٠	-
	٤١٢	١٧٦	٤,٢٠	-
	٤١٣	١٧٧	٤,١٥	-
	٤١٤	١٧٧	٤,٢١	-
	٤١٥	١٧٨	٤,١٢	-
	٩٣٥	١٧٩	٣,٧٦	١٨
	٩٣٦	١٨٠	٤,٠٥	١٨
	٩٣٧	١٨١	٤,٢٥	١٨
	٩٣٨	١٨٢	٤,٢٤	١٨
كتب اسم ابنه الأمين	٩٣٩	١٨٣	٤,٠٤	١٩
على الدينار	٤٢٢	١٨٤	٤٠٦	-
	٤٢٣	١٨٤	٤,٢٠	-
	٤٢٤	»	»	-
	٩٤٠	١٨٥	٤,٠٩	١٩
	٩٤١	١٨٥	٤,٢١	١٨
	٩٤٢	١٨٦	٣,٨٦	١٧,٥
	٩٤٣	١٨٦	٤,٣١	١٨,٥
	٩٤٤	١٨٨	٤,١٤	١٩
	٩٤٥	١٨٩	٤,١٩	١٨
	٩٤٦	١٩٠	٤,١٥	١٧
	٩٤٧	١٩٠	٤,١٧	١٨
	٩٤٨	١٩١	٤,١٧	١٨
	٩٤٩	١٩١	٤,١٠	١٨

اسم الخليفة	رقم العملة	السنة الهجرية	الوزن بالجرام	القطر
	٩٥٠	١٩٢	٤,١٢	١٨
	٤٣٩	١٩٣	٤,١٧	–
	٤٤٠	١٩٣	٤,٢٠	–
أبو موسى محمد الأمين	١٢٤٤	١٩٤	٤,١١	١٨,٥
١٩٣-١٩٨	١٢٤٥	١٩٥	٤,٢٣	١٩
أضاف نقش ربى الله	١٢٤٦	١٩٦	٤,٠٤	١٨
بجانب النقوش السابقة	٥٢٢	١٩٧	٤,١٥	–
	٥٢٣	١٩٨	٤,١٩	–
أبو جعفر عبد الله المأمون	٥٣٤	١٩٦	٤,٢٢	
١٩٨-٢١٨هـ	٥٣٥	١٩٧	٤,٢٥	
	١٣٠٨	١٩٧	٤,١٨	١٧,٥
	٥٣٦	١٩٨	٤,٢٣	–
نقش عليها اسم العباس	٥٣٧	١٩٧	٤.٣٣	–
ابن المأمون	٥٣٨	١٩٨	٤,٢٨	
	٥٣٩	١٩٨	»	
	١٣١٠	٢٠٠	٤,٢٨	١٨,٥
أضاف لله الأمر من قبل	٥٤١	٢٠١	٤,١٢	–
ومن بعد ويومئذ يفرح	١٣١٠	٢٠٢	٤,٢٨	١٨,٥
المؤمنون بنصر الله	٥٤١	٢٠٣	٤,٢٢	–
	٥٤٢	»	»	–
	١٣١١	٢٠٤	٤,٢٤	١٩
	٥٤٥	٢٠٥	٣,١٥	–
	٥٤٦	٢٠٦	٤,٢٥	–
	٥٤٧	٢٠٧	٤,٢٥	–
	١٣١٢	٢٠٨	٤,١٥	١٩
	١٣١٥	٢٠٩	٤,١٣	١٩

اسم الخليفة	رقم العملة	السنة الهجرية	الوزن بالجرام	القطر
	٥٥١	٢١٠	٤,٠١	-
	٢٢٢٧٠	٢١٣	٤,١٥٠	-
	١٣١٦	٢١٤	٤,٠٩	٢٠
	٥٥٤	٢١٥	٤,٢٣	-
	٢٢٢٧٥	٢١٨	٤,٢٠	-
أبو اسحاق محمد	١٤٣٨	٢١٩	٤,١٣	٢١
المعتصم بالله	٢٢٢٧٦	٢٢٠	٣,٨٥٠	-
٢١٨-٢٢٧	٢٢٢٧٧	٢٢٣	٤,١٠٠	-
	١٤٣٧	٢٢٤	٤,٠٦	٢١
	٢٢٢٧٩	٢٢٥	٤,١٢٠	-
	٢٢٢٩٦	٢٢٥	٤,١٥٠	-
	١٤٣٦	٢٢٥	٤,٠٧	٢٠,٥
	٥٨٣	٢٢٦	٤,٢١	-
أبوجعفر هارون	٢٢٢٨١	٢٢٧	٤,١١	عليها اسم
الواثق بالله	٢٢٢٩٧	٢٢٨	٣,٩٣٠	الواثق
٢٢٧-٢٣٢ هـ	٢٢٢٨٣	٢٢٨	٤,٠٧	-
	٢٢٢٨٥	٢٣٠	٤,١١	-
	١٤٣٦	٢٣١	٤,١٤	٢١
	٥٨٧	٢٣٢	٤,٠٧	-
المتوكل على الله	٢٢٢٨٩	٢٣٢	٥١,٢٧٠	١٤ دينار
٢٣٢-٢٤٧ هـ	٢٢٢٨٨	٢٣٢	٤,٩٥	المتوكل
كل هذه الدنانير	٢٢٢٦٢	٢٣٣٠	٤,٢٠٠	»
ضربت فى مصر	٢٢٢٩٤	٢٣٤	٨,١٠٠	ديناران
عدد الدنانير ٤٩ ديناراً	٢٢٢٩٥	٢٣٥	٢٠٠,٢٠٠	المتوكل
	١٤٦١	٢٣٦	٤,١٦	١٧ دينار
	٥٩٤	٢٣٨	٣,٩٨	المتوكل

اسم الخليفة	رقم العملة	السنة الهجرية	الوزن بالجرام	القطر
	٥٩٥	٢٤٠	.٤	-
	٥٩٦	٢٤٢	٤,٢٦	
	٥٩٧	٢٤٣	٣,٩٣	
	٥٩٨	٢٤٥	٤,٢٣	
	٥٩٣	٢٤٦	٤,١٨	
المنتصر بالله بن المتوكل	-	-	-	
٢٤٧-٢٤٨ هـ	-	-	-	
المستعين بالله بن المتوكل	١٥٠١	٢٤٩	٤,١٧	٢١
٢٤٨-٢٥١ هـ	١٥٠٠	٢٥٠	٤,١٣	٢٢,٥
	١٥٠٢	٢٥٠	٤,١٠	٢١
	١٥٠٣	٢٥٠	٤,٢٢	٢٢
المعتز بالله	١٥١٠	٢٥٢	٣,٩٤	٢٠,٥
٢٥١-٢٥٥ هـ	١٥١١	٢٥٢	٤,١٣	٢١
	١٥١٢	٢٥٤	٤,٠٨	٢٢
المهتدي بالله ٢٥٥-٢٥٦هـ	١٥٢٧	٢٥٦	٢,٩٥	١٧,٥

مجموعة الدنانير العباسية المتداولة فى مصر
(متحف الفن الإسلامى)

رقم العملة	العدد	الوزن	سنة السك	
٢٢٢٤٠	١	٣,٥٢٥	١٣٨	حفائر تل زينهم
٢٢٢٤١	١	٣,٧٠٠	١٥٠	»
٢٢٢٤٢	١	٣,٧٠٠	١٥١	»
٢٢٢٤٣	١	٣,٧٣٠	١٥٣	»
٢٢٢٤٤	٢	٧,٨٨٠	١٥٦	»
٢٢٢٤٥	٢	٧,٦٧٠	١٦٠	»
٢٢٢٤٦	١	٤,١٩٠	١٦٣	»
٢٢٢٤٧	١	٣,٨٧٠	١٦٦	»
٢٢٢٤٨	٣	١١,٤٥٠	١٦٧	»
٢٢٢٤٩	٣	١٠,٨٢٠	١٦٨	»
٢٢٢٥٠	٢	٧,٥٧٠	١٧٨	»
٢٢٢٥١	١	٣,٩٧٠	١٧٧	»
٢٢٢٥٢	١	٤,١٨٠	١٨٣	»
٢٢٢٥٣	٢	٨,١٠٠	١٨٥	»
٢٢٢٥٤	١	٤,١٢٠	١٨٥	»
٢٢٢٥٥	٢	٧,٩٦٠	١٨٦	»
٢٢٢٥٦	١	٤,٢٥٠	١٨٧	»
٢٢٢٥٧	١	٣,٨٠٠	١٨٩	»
٢٢٢٤٧	١	٣,٨٧٠	١٦٦	»
٢٢٢٤٨	٣	١١,٤٥٠	١٦٧	»
٢٢٢٤٩	٣	١٠,٨٢٠	١٦٨	»

	سنة السك	الوزن	العدد	رقم العملة
»	١٧٨	٧,٧٥٠	٢	٢٢٢٥٠
»	١٧٧	٣,٩٧٠	١	٢٢٢٥١
»	١٨٣	٤,١٨٠	١	٢٢٢٥٢
»	١٨٥	٨,١٠٠	٢	٢٢٢٥٣
»	١٨٥	٤,٨٢٠	١	٢٢٢٥٤
»	١٨٦	٧,٩٦	٢	٢٢٢٥٥
»	١٨٧	٤,٢٥٠	١	٢٢٢٥٦
»	١٨٩	٣,٨٠٠	١	٢٢٢٥٧
»	١٩٠	٣,٨٣٠	١	٢٢٢٥٨
»	١٩٠	٣,٨٣٠	١	٢٢٢٥٨
»	١٩١	٣,٨٥٠	١	٢٢٢٥٩
»	١٩٢	٣,٩٠٠	١	٢٢٢٦٠
»	١٩٤	٣,٧٥٥	١	٢٢٢٦١
»	١٩٥	٤,٠٠	١	٢٢٢٦٢
»	١٩٦	٣,٦٠٠	١	٢٢٢٦٣
»	١٩٨	٤,-	١	٢٢٢٦٤
»	١٩٩	٨,١٥٠	٢	٢٢٢٦٥
الفضل بن سهل	٢٠٠	٧,١٢٠	٢	٢٢٢٦٦
»	٢٠١	٤,١٦٠	١	٢٢٢٦٧
السرى وطاهر (مصر)	٢٠٢	٤,٠٥٠	١	٢٢٢٦٨
»	٢٠٤	١١,٧٠٠	٣	٢٢٢٦٩
الخليفة المامون (مصر)	٢٠٦	٤,٢٠٠	١	٢٢٢٧٠
»	٢١٣	٤,١٥٠	١	٢٢٢٧٢
»	٢١٤	١٢,٤٥٠	٣	٢٢٢٧٣

رقم العملة	العدد	الوزن	سنة السك	
٢٢٢٧٤		٤,١٠٠	٢١٥	»
٢٢٢٧٥	١	٤,٢٠٠	٢١٨	»
٢٢٢٧٦	١	٣,٨٥٠	٢٢٠	المعتصم بالله (مصر)
٢٢٢٧٧	٢	٨,٢٠٠	٢٢٣	»
٢٢٢٧٨	٣	١٢,٢٥٠	٢٢٥	»
٢٢٢٧٩	١	٤,١٢٠	٢٢٥	المعتصم بالله (مدينةالسلام)
٢٢٢٩٦	١	٤,١٥٠	٢٢٥	المعتصم بالله (مصر)
٢٢٢٨٠	١	٤,١٢٥	٢٢٦	»
٢٢٢٨١	١٣	٥٢,٢٠٠	٢٢٧	»
٢٢٢٨٢	١	٤,١١	٢٢٧	»
٢٢٢٩٧	١	٣,٩٣٠	٢٢٨	»
٢٢٢٨٣	١	٤,٠٧٠	٢٢٨	الواثق بالله (مصر)
٢٢٢٨٥	٧	٢٨,٦٠	٢٣٠	»
٢٢٢٨٦	١٣	٥٢,٣٣٠	٢٣١	»
٢٢٢٨٧	١	٤,٦٥	٢٣١	الواثق بالله (دمشق)
٢٢٢٧١	١	٣,٩٠٠	٢٣١	الواثق بالله (مصر)
٢٢٢٦٢	١	٤,٢٠٠	٢٣٣	المتوكل (مدينة السلام)
٢٢٢٩٣	٣٢	١٣٠,١٢٠	٢٣٤	المتوكل (مصر)
٢٢٢٩٤	٢	٨,١٠٠	٢٣٤	»
٢٢٢٩٥	٤٩	٢٠٠.٢٠٠	٢٣٥	»
٢٢٢٨٩	١٤	٥١,٢٧٠	٢٣٢	»
٢٢٢٨٨	١	٤,٩٥	٢٣٢	»
٢٢٢٩٠	٢	٨,٥٠	٢٣٢	»
٢٢٢٩١	٣٤	١٣٧,٤٢٠	٢٣٣	»

ثبت بأسماء ولاة مصر في العصر العباسي كما وردت في السكة (مجموعة برگين ولين بول)

اسم الخليفة	اسم الوالى من السكة	تاريخ السكة	اسم الوالى من كتب التاريخ	دار الضرب	رقم العملة والنوع
السفاح	أبوعون عبدالملك بن يزيد	١٣٣	أبوعون عبد الملك بن يزيد ١٣٣-١٤١هـ	مصر	فلس نحاسى ٨٥٠
المهدى	إبراهيم بن صالح	١٦٧	تولى من ١٦٥-١٦٨	مصر	فلس نحاسى ٨٦٣
الرشيد	على بن سليمان	١٧٠	تولى من ١٧٠-١٧١	مصر	دينار ٣٤٨
المأمون	المطلب	١٩٩	المطلب بن عبد الله	مصر	درهم فضى ١٤١
المأمون	–	٢٠٠	السرى بن الحكم	مصر	دينار ٥٥٦
المأمون	سليمان	٢٠٠	سليمان بن غالب	مصر	دينار ١٣١٣
المأمون	–	٢٠١	السرى بن الحكم	مصر	دينار ٥٥٨
المأمون	السرى	٢١٠	السرى بن الحكم	مصر	دينار ١٣١٤
المأمون	–	٢٠٢	السرى بن الحكم	مصر	دينار ٥٥٩
المأمون	–	٢٠٤	السرى بن الحكم	مصر	دينار ٥٦١
المأمون	السرى	٢٠٤	السرى بن الحكم	بالفسطاط	دينار ٥٥٤
		٢٠٥	محمد بن السرى	»	دينار ٥٥٤

اسم الخليفة	اسم الوالى من السكة	تاريخ السكة	اسم الوالى من كتب التاريخ	دار الضرب	رقم العملة والنوع
المأمون	عبيد الله بن السرى	٢٠٦،٢٠٧،٢٠٨،٢٠٩،٢١٠	عبيد الله بن السرى	مصر	دنانير ٥٤٦-٥٥١
المأمون	أبو إسحق	٢١٤	أبو إسحاق بن هرون	مصر	دينار ١٣١٦
المعتصم	-	٢١٩،٢٢٠	المظفر بن كيدر (واشناس)	مصر	دينار ١٤٣٨
الواثق	-	٢٢٦	على بن يحيى	مصر	درهم فضى ٥٩٢
الواثق	-	٢٢٧	عيسى بن منصور	مصر	درهم فضى ٥٨٧
الواثق	-	٢٣٢	ايتاخ	مصر	دينار ٥٨٨
الواثق	-	٢٢٩	ايتاخ	مصر	دينار ١٤٥١
المتوكل	-	٢٣٨	عنبسة بن إسحق	مصر	دينار ١٤٦٤
المتوكل	-	٢٤٢	يزيد بن عبد الله	مصر	دينار ١٤٦٥
المتوكل	-	٢٤٣	يزيد بن عبد الله	مصر	دينار ١٤٦٦
المتوكل	-	٢٤٢	يزيد بن عبد الله	مصر	دينار ٥٩٦
المتوكل	-	٢٤٣	يزيد بن عبد الله	مصر	دينار ٥٩٧

اسم الخليفة	اسم الوالى من السكة	تاريخ السكة	اسم الوالى من كتب التاريخ	دار الضرب	رقم العملة والنوع
المتوكل	-	٢٤٥	يزيد بن عبد الله	مصر	دينار ٥٩٨
المتوكل	-	٢٤١	عنبسة بن إسحق.	مصر	دينار ٢٢٥٦
المستعين	-	٢٤٩	يزيد بن عبد الله	مصر	دينار ٦٠٣
المستعين	-	٢٤٩	يزيد بن عبد الله	مصر	دينار ٥٠١
المستعين	-	٢٥٠	يزيد بن عبد الله	مصر	دينار ١٥٠٢
المعتز بالله	-	٢٥٢	يزيد بن عبد الله	مصر	دينار ١٥١١
المعتز بالله	-	٢٥٤	أحمد بن مزاحم	مصر	دينار ١٥١٢

منذ عهد الخليفة المعتصم لم ينقش اسم والى أو وزير على العملة الذهبية

ثبت المصادر و المراجع

أولاً : المصادر الأولية :

١ - **ابن الأثير** : أبو الحسن علىّ بن محمد الجزرى (ت٦٣٠هـ-١٢٣٢م) .

• أسد الغابة فى معرفة الصحابة ٦ أجزاء بيروت دار الفكر سنة ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م.

• الكامل فى التاريخ : ٩ أجزاء ، ط٦ ، بيروت الكتاب العربى.

٢ - **ابن بكار** : الزبير (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م).

• جمهرة أنساب قريش وأخبارها . تحقيق محمود شاكر بيروت ، مكتبة خياط د.ت.

٣ - ابن تغرى بروى ، جمال الدين أبو المحاسن (٨٧٤هـ /١٤٤٣م).

• النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزء القاهرة المؤسسة المصرية العامة د.ت.

٤ - ابن الجوزى : عبد الرحمن علىّ (٥٩٧هـ - ١٢٠٠م).

• صفة الصفة ٤ أجزاء ، بيروت ، ودار الفكر ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

• المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك ١٨ جزء تحقيق محمد عطا ومصطفى عطا ، بيروت، ودار الكتب العلمية سنة ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٥ - ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادى (ت٢٤٥ هـ/٨٥٩م).

• المُحبر - بيروت . المكتب التجارى للطباعة والنشر ٢٠٠٠ .

• المنمق فى أخبار قريش تحقيق خورشيد أحد فاروق بيروت عالم لكتب ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٦ - ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (٨٠٨هـ /١٤٠٥م).

• مقدمة بن خلدون بيروت دار الفكر ١٩٨٤م.

• العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والمعجم والبربر ٧ أجزاء بيروت مؤسسة العلمى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٧ - ابن أبى دينار : أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى كان حياً بمدينة تونس فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى ، السابع عشر الميلادى .

• المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس الطبعة الثانية سنة ١٩٦٧ م .

٨ - ابن وجيه الكلبى : أبو الخطاب عمر بن على حسن بن على المعروف بذى النسبين وجيه والحسين :

• النبراس فى تاريخ خلفاء بن العباس ، صحح وعلق عليه عباس الغراوى - المعارف ١٣٦٥ - ١٩٤٦م بغداد .

٩ - سايروس بن المقفع :

• سير الآباء البطاركة - باريس سنة ١٩٠٧م.

١٠ - ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م.

• الطبقات الكبرى بيروت ١٩٠٨م .

١١ - ابن سعيد الأندلسى : علىّ بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م).

• المغرب فى حُلى المغرب الجزء الأول من القسم الخاص بمصر. تحقيق د. زكى محمد حسن د. شوقى ضيف ، د. سيدة الكاشف مطبعة جامعة فؤاد الأول - ١٩٥٣م.

١٢ - ابن عبد ربه :

١٣- ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله (ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م).

• فتوح مصر وأخبارها - مكتبة المثنى ببغداد . تحقيق هنرى ماسيه بمطبعة مجلس المعارف الفرنساوى الخاص بالعادات الشرقية سنة ١٩١٣م.

١٤ - ابن عذارى : أبو العباس أحمد كان حياً ٧١٢هـ/١٣١٢م.

• البيان المغرب فى أخبار المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب أربعة أجزاء.تحقيق ومراجعة ج.س كولان- أ. ليفى بروفنسال - بيروت - لبنان.

١٥- ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينورى(ت ٢٧٦هـ /٢٧٠هـ) (المنسوب إليه).
• الإمامة والسياسة جزءان مطبعة الأمة – الدرب الأحمر مصر سنة ١٣٢٨هـ .
• عيون المعارف والأخبار ٤ أجزاء بيروت ودار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
١٦ – ابن هشام : عبد الملك بن هشام المعافرى (ت٢١٨هـ – ٨٣٣م) .
• السيرة النبوية ٤ أجزاء فى مجلدتين تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شعبى ، بيروت دار المعرفة د.ت.
١٧ – الأزرقى : أبو الوليد محمد عبد الله بن أحمد (٢١٢هـ/٨٢٧م) .
• أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار جزءان ط٦، تحقيق رشدى ملحس، مكة دار الثقافة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .
١٨ – الأصطخرى : ابراهيم بن محمد الفارسى (ت٣٣٠هـ -٩٤١م).
• المسالك والممالك تحقيق د. محمد جابر الحسين ومراجعة محمد شفيق – القاهرة – ليديه سنة ١٣٨١هـ سنة١٩٦١م.
١٩ – الألوسى : محمود شكرى (ت ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) .
• بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ٣ أجزاء ، بيروت دار الكتب العلمية د.ت .
٢٠ – البلاذرى : أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).
• أنساب الأشراف ط ، تحقيق محمد حميد الله ط٣ القاهرة. دار المعارف ، د.ت.
• فتوح البلدان : بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٢١ – الثعالبى : أبو منصور عبد الملك (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧)
• ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب–مطبعة الظاهر سنة١٣٢٦هـ – ١٩٠٨م.

٢٢ - **الزبيرى** : مصعب بن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م) .
• نسب قريش تحقيق ليفى بروفنسال ط ٣ القاهرة دار المعارف سنة ١٩٧٦م.
٢٣ - **السيوطى** : جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١هـ - ١٥٠٥م).
• تاريخ الخلفاء - الطبعة الأولى - ١٤٠٨-١٩٨٨م - دار الكتب .
٢٤ - **الطبرى** : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ-٩٢٢م).
• تاريخ الأمم والملوك ٥ أجزاء ، بيروت ، دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٢٥ - **ابن كثير** : عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى ت : ٥٧٤هـ
• البداية والنهاية ٤ أجزاء مطبعة السعادة - مصر ١٩٣٢م.
٢٦ - **الكندى** : أبو عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى - (٣٥٠هـ/٩٦١م).
• الولاة وكتاب القضاة صححه رفن جست وطبع بمطابع الآباء اليسوعيين - بيروت ١٩٠٨م.
٢٧ - **الماوردى** : علىّ بن محمد بن حبيب البصرى (ت ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م).
• الأحكام السلطانية والولايات الدينية ط٣ القاهرة مطبعة البابى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
٢٨ - **المقدسى** : شمس الدين محمد بن أبى بكر (٣٠٩هـ/٩٢١م).
• أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. بيروت مكتبة خياط د.ت.
٢٩ - **المقريزى** : أبو العباس تقى الدين أحمد بن علىّ (٨٤٥هـ/١٤٤١م) .
• المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثارات ، جزءان - بيروت دار صادر - د.ت.
• النقود الاسلامية المسمى "بشذور العقود فى ذكر النقود تحقيق وإضافات محمد السيد على بحر العلوم. الطبعة الخامسة - منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها فى النجف ت(٣٦٨)سنة ١٣٨٧هـ سنة ١٩٦٧م.

٣٠ - **الواقدى** : أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٢٠٧هـ/٨٢٢م).

•فتوح الشام جزءان فى مجلد بيروت - دار الجيل (د.ت).

٣١ - **اليعقوبى** : أحمد بن أبى يعقوب بن وهب (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م).

•تاريخ اليعقوبى جزءان بيروت - دار بيروت (د.ت).

٣٢ - **يوحنا النقيوسى** :

•مخطوط محقق باسم " مصر فى مخطوطة يوُحنا النقيوسى ترجمة ودراسة لغوية : عمر صابر أحمد عبد الجليل - المجلد الأول ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

ثانياً : المراجع العربية الحديثة :

١ - **إبراهيم القاسم رحاحلة** : النقود ودور الضرب فى الاسلام فى القرنين الأولين ١٣٢-٣٦٥هـ ٧٤٩-٩٧٥م مكتبة مدبولى سنة ١٩٩٩م.

٢ - **أحمد مختار العبادى** : دراسات فى التاريخ العباسى والفاطمى - دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

٣ - **أحمد إبراهيم الشريف** : مكة والمدينة (فى الجاهلية وعهد الرسول) الطبعة الثانية - دار الفكر العربى.

٤ - **د. أسمت غنيم** : إمبراطورة جستيان - دار المجمع العلمى بجدة سنة ١٣٩٧هـ سنة١٩٧٧م .

٥ - **انستاس الكرملى (الأب)** : النقود العربية وعلم النميات القاهرة ١٩٣٩.

٦ - **السيد عبد العزيز سالم** : الدولة العربية بيروت دار النهضة ١٤٠٦هـ١٩٨٩ الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م .

٧ - السيد موسى الحسينى: تاريخ النقود الإسلامية الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م دار العلوم - بيروت لبنان .

٨ - **أدولف جروهمان** : أوراق البردى العربية ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وراجعه عبد الحميد حسن مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥م .
٩ - **أرشيبالد ر. لويس** : تاريخ القوى البحرية التجارية فى حوض البحر المتوسط ترجمة أحمد محمد عيسى مراجعة محمد شفيق غربال مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.
١٠ - **جرجى زيدان** : تاريخ التمدن الاسلامى - الجزء الثالث - مطبعة الهلال بالفجالة بمصر - سنة ١٩٠٢م .
١١ - **جواد على** : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ١٠ أجزاء ط٢ - بيروت-دار العلم سنة ١٩٧٨م .
١٢ - **جوستاف لوبون** : حضارة العرب - نقله إلى العربية عادل زعتير مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه سنة ١٩٦٩م.
١٣ - **حسن أحمد محمود** : العالم الاسلامى فى العصر العباسى الطبعة الخامسة - دار الفكر العربى.
- حضارة مصر الاسلامية فى العصر الطولونى دار الفكر العربى.
- الدولة العربية الاسلامية دار الفكر العربى.
١٤ - **د. رشيد عبد الله الجميلى** : دراسات فى تاريخ الخلافة العباسية - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ ، مكتبة المعارف ، الرباط .
١٥ - **د. سيدة إسماعيل الكاشف** : مصر فجر الاسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية. الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠م القاهرة .
١٦- **د. سيد أحمد الناصرى** : الروم تاريخهم وحضارتهم وعلاقاتهم بالمشرق العربى - مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى سنة ١٩٩٣م .
١٧ - **ستيفن رنسيمان** : الحضارة البيزنطية ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد وراجعه زكى على - مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦١م .

١٨ - **عبد الرحمن فهمى محمد** : "موسوعة النقود العربية وعلم النميات" ط فجر السكة العربية مطبعة دار الكتب سنة ١٩٦٥م .
- النقود العربية ما فيها وحاضرها - القاهرة سنة ١٩٦٤م .

١٩ - **عبد الشافى محمد عبد اللطيف** : العالم الإسلامى فى العصر الأموى (٤١-١٣٢هـ ، ٦٦١-٧٥٠م) دراسة سياسية ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

٢٠- **محمد عبد الله عنان** : مصر الإسلامية وتاريخ الخُطط المصرية الطبعة الثانية . مكتبة الخانجى القاهرة سنة ١٩٦٩م .

٢١- **موريس جودفروا** : النظم الإسلامية نقله إلى العربية د. فيصل السامر د.صالح الشماع .

٢٢- **نورمان بينز** : الإمبراطورية البيزنطية تاريخها وحضارتها وعلاقاتها بالاسلام ترجمة د.حسين مؤنس د.محمد مصطفى زيادة - لندن سنة ١٩٤٦م.

٢٣ - **وليم لانجر** : موسوعة تاريخ العالم ترجمة د.محمد مصطفى زيادة . الجزء الثانى - مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٩م .

ثالثاً : المجلات والدوريات :

١ - **سميرة نورى الرداف** : النقود الذهبية البيزنطية فى المتحف العراقى ، مقال بمجلة المسكوكات : مجلة علمية تبحث فى المسكوكات ، العددان ٨-٩ سنة ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ ، تصدرها المؤسسة العامة الآثار والتراث .

٢ - **عبد الرحمن فهمى محمد** : دراسة لبعض التحف الإسلامية ، مجلة كلية الأداب ، العدد الثانى والعشرون ، العدد الأول ١٩٦٠.

٣ - **كتالوج** : النقود والصنج الزجاجية والقوالب والميدليات الإسلامية المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

معهد السميسونيان - واشنطن - جامعة واشنطن سياتل - وغيرها من الجهات الأمريكية التى ساهمت فى تنفيذ المشروع - أنديانا - ١٩٨٢م .

٤ - د. محمد بن فهد الفعر : دراسة الكتابات العربية على نقـــود المشـــرق الإسلامى فى العصر الأموى ، مجلة العصور - المجلد الثـــامن الجـــزء الثانى ، ٣٢١ - ٣٧٨ هـ (١٩٩٣ م) .

٥ - وداد القزاز : « أمين متحف »

المسكوكات المكتشفة فى موقع الحبيبة الأثرى مـــا بيـــن ســـنة ١٩٨٧- ١٩٨١ م فى تل الغريرى وتل الـنص ، مجلة المســـكوكات : العـــددان ١٠-١١ سنة ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ .

ثالثا المصادر و المراجع الأجنبية :

1 – **David William MacDowall:**
Coin Collections their preservation classification and presentation
Unesco – 1978 – Printed in France.

2 – **George. C. Miles:**
A: - Rare Islamic Coins, The American Numismatic Society –New York – 1950.
B: - The Umayyads of Spain part – one – New York.

3 – **Heinrich: Nützel:** "Direhtorialassistent konigliche Museen zu Berlin".
:- A Katalog Der Orientalischen Munzen-Erster Band-Mit Tafeln Berlin W. Spemann – 1898

4 – **John Walker, M.A.:** (Assistant Kepper in the Department of Coins).
:- A Catalogue of the Muhammadan Coins in the British Museum.
:- A Catalogue of the Arab-Sassnian Coins, Umaiyed Governors in the East, Arab Ephthalites, Abbasid Governors in Tabaristan and Bukhara with 40 Plates London- 1941.

5 – **John Porteous:**
Coins in history – A Survey of Coinage from the Reform of Diocletian – to the latin Monetary Union – Weidenfeld and Nicolson 5 Winsley Street London – W1.

6 – **M. Henri Lavoix:** (Conservateur du Départment des Médailles Et Antigues).
:-Catalague des Monnaies Musulmanes De La BiBliothéque Nationale 1887.
:-KHALIFES-ORIENTAUX-Paris Imprimerie-Nationale 1887 Egypte Et Syrie. Paris 1896.

7 – **R.A.G Carson:** (Assistant Keeper in the Department of Coins and Medals at the British Museum).
:- Coins Ancient-Mediaeval and modern.
Hutchinson of London First Published. 1962.

8 – **Stanley Lane. Poole, M.A:**
:- Catalogue of the collection of Arabic Coins-Preserved in the Khedivial. Library at Cairo – London 1897.
:- Arabic–Glass–Worthing – July 12th - 1872 Numismatic-Chronicle and Jurnal of the Numismatic Society.
Edited By : W.S.W Vaux, M.A., F.R.S, John Evans, F.R.S,F.G.S, and Barcly.v. Head. New Series Vol. XII London. 1872.

9 – **Vom Frelherrn Hammer. Purgstall:**
Abhandlung unber die Siegel der Araber, Perser unb Turken. (Vergetragen in der Historisch-Philolagischen, 9.marz 1848).

النساء ومهنة الطب في المجتمع الإسلامي

د. هدي مفتاح السعدي
كلية الآداب – جامعة القاهرة
فرع بني سويف

كان للعلوم الطبية مكانة خاصة فى الإسلام حيث أن الرسول كان دائما يحث الصحابة على البحث عن الشفاء بوسائل العلاج والتطبيب المعروفة ، مما شجع المسلمين على وضع علم الأبدان فى مصاف واحد فى أهميته مع علم الأديان [١] ، وهكذا أهتم المسلمون بصناعة الطب اهتماما كبيرا فتسابقوا لدراسة الطب بكل نظرياته وقوانينه وأصوله العملية والنظرية ومنذ بداية الإسلام نجد أن تاريخ الدولة الإسلامية حافل بأسماء أطباء عظام خدموا دولتهم والعالم أجمع أسمائهم ما زالت تتردد حتى اليوم فى الأوساط الطبية فى الشرق والغرب . ولكن مثلما كان هناك عدد كبير من الأطباء المشهورين كانت هناك أيضاً طبيبات مسلمات شاركن فى مهنة الطب منذ بداية الإسلام وكن جزءاً من تطورها وتدرج أطوارها . غير أن هؤلاء الطبيبات لم ينصفهن التاريخ بل تجاهل دورهن ووجودهن ولذلك رأينا أنه لزاماً علينا أن نظهر دور هؤلاء الطبيبات ونوضح مدى مشاركتهن فى الحياة الطبية فى الدولة الإسلامية .

واعتمدنا فى اعداد هذا البحث على عدد من المصادر والمراجع والدوريات العربية والأجنبية. وسوف نقصر حديثنا على عرض لأهم المصادر الأساسية والمراجع. وتأتى فى المقدمة كتب الطبقات وأقدم ما بين

أيدينا منها كتاب "الطبقات الكبرى" لابن سعد (المتوفى سنة ٢٣٠ هـ/٨١٥م) والذى عالج فيه الارستقراطية العربية وقسمهم إلى مجموعات تبعا لطبقة كل فرد منهم فى الدولة الاسلامية سواء كان من الصحابة أو التابعين. وترجع أهمية هذا العمل بالنسبة لبحثنا الى أن ابن سعد افرد جزءا كاملا خصصه لمشاهير النساء ممن كن مقربات من الرسول والخلفاء الراشدين. وقد استطعنا أن نستخلص عدد لا بأس به من النساء اللاتى شاركن فى مجال الطب من هذا الجزء الخاص بالنساء غير أن ذلك لم يكن بالأمر اليسير حيث ان المعلومات التى تناولت النساء والعمل الطبى جاءت متناثرة متفرقة عبر صفحات هذا الجزء من كتاب ابن سعد هذا فضلا عن أن العمل توقف عند بداية القرن الثالث الهجرى/ الثامن الميلادى حينما توفى المؤلف، ولذا كان علينا البحث عن مصادر أخرى لسد النقص فى الفترات الزمنية اللاحقة.

وإلى جانب كتاب ابن سعد هناك كتب طبقات أخرى أفادتنا افادة كبيرة فى بحثنا هذا، مثل كتاب "أسد الغابة فى معرفة الصحابة" لابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ /١٢٣٢م) وكتاب الإصابة فى معرفة الصحابة" لابن حجر العسقلانى (المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) وقد سار هذان العملان على نفس نهج كتاب ابن سعد حيث أفرد كل واحد منهما جزءا خاصا من العمل لمشاهير النساء من الصحابيات والتابعيات. ولابن حجر عمل آخر وهو كتاب "الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة" ويعتبر هذا الكتاب من أشهر كتب التراجم التى ظهرت فى القرن التاسع الهجري/ الرابع عشر الميلادى. وكتب التراجم بوجه عام تتناول شخصيات متنوعة من ملوك وسلاطين ووزراء وكتاب وقواد جيوش وعلماء وفلاسفة وشعراء وفقهاء

وأبناء وغيرهم ممن كان لهم آثار واضحة على مجتمعاتهم حيث أن المؤرخ غالبا ما يترجم للشخصيات البارزة فى بلد معين أو فى قرن محدد. وابن حجر فى عمله هذا اختار مشاهير المائة الثامنة للهجرة ليترجم لهم فترجم لخمسة آلاف ومائتين وأربعة ممن عاشوا فى هذا القرن ، من ضمنهم عدد من التراجم لمشاهير النساء غير اننا لم نجد فى تراجم النساء هذه أى شئ يشير إلى ان واحدة منهن مارست مهنة الطب ولكن وجدنا احيانا ذكر لدور طبيبه فى معرض ترجمه لشخص آخر مثل أن تكون أمه أو أخته أو ابنته.

ولكى نقوم بتغطية شاملة لكتب الطبقات والتراجم التى تناولت النساء بالدراسة كان لزاما علينا أن نبحث فى كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادى (المتوفى ٤٦٣هـ/١٠٧٣م) والذى أفرد فيه جزءا خاصا بنساء بغداد. وقد كان يحدونا الأمل عندما بحثنا فى هذا الكتاب أن نجد احدى نساء بغداد تكون قد شاركت فى مهنة الطب ولكن الخطيب البغدادى أهمل دور النساء فى هذا المجال وركز فقط على دورهن فى الحياة السياسية والدينية وأعمال الخير.

ولتغطية أخبار النساء فى المجتمع الإسلامى كان لابد أن نتطرق إلى نساء المغرب العربى ونحاول معرفة دورهن فى مجال الطب. وهناك عدد كبير من كتب التراجم الخاصة بهذه المنطقة حيث أن كتاب المغرب العربى اهتموا اهتماما كبيرا بتجميع تراجم وسير أشرافهم ومشاهيرهم مهتمين بإثبات نسبهم العربى بسبب اصطدام العنصرية العربية بعناصر بربرية وصقلية. ويعتبر كتاب "الاستيعاب" فى معرفة الأصحاب" لابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٣م ، من أشهر كتب تراجم هذا الاقليم. غير أن هذا الكتاب لم يفرد جزء خاص بمشاهير النساء ولكن جاءت تراجم النساء فيه متداخلة

مع تراجم الرجال فضلا عن كونها قليلة جدا فى العدد. وبفحص تراجم النساء هذه لم نجد أى معلومة عن كون أى واحده منهن طبيبه ولكن وجدنا فى تراجم الرجال ذكر لاثنتين من النساء عملن فى مجال الطب ونلن شهرة واسعة فى بلاد الأندلس والمغرب العربى.

والى جانب كتب الطبقات والتراجم العامة هناك كتب طبقات متخصصة اهتمت بتدوين تاريخ أعضاء مهنة معينة أو صنعه معينه مثال على ذلك الكتب التى تخصصت فى طبقات الأطباء والتى من أشهرها كتاب "عيون الأبناء فى طبقات الأطباء" لابن أبى أصيبعه (المتوفى سنة ٦٦٨ هـ/ ١٢٧٠ م) وكتاب "طبقات الأطباء والحكماء" لابن جلجل (المتوفى أواخر القرن الرابع الهجرى/ التاسع الميلادي) وكتاب "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" للقفطى (المتوفى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) وهذه الكتب الثلاثة على الرغم من أهميتها للباحث فى مجال الطب والأطباء فى العالم الاسلامى إلا إنها تجاهلت تماما دور المرأة فى هذا المجال فلم يأت فى هذه الكتب الثلاثة سوى ذكر لامرأة واحدة مارست مهنة الطب ضمنها ابن أبى أصيبعه ضمن تراجم أطبائه. وهذا العزوف عن التأريخ الوافى للنساء يجب الوقوف عنده ومعرفة أسبابه. هل هو اهمال عن غير قصد أم تجاهل عن عمد ومحاولة لتصغير دور المرأة وشأنها فى المجتمع؟ بوجه عام التأريخ للأطباء فى المجتمع الاسلامى لم يبدأ إلا فى العصور الوسطى خاصة الفترة التى ساءت فيها أحوال الأمه الاسلامية وتفشى فيها الفساد وقد أنعكس هذا الفساد على وضع المرأة حيث أن الرجل قام بوضع المحاذير حول المرأة وعمل على عزلتها خوفا من الفتنه وأيضا كرد فعل لهذا الفساد والتسيب الاخلاقى

المتزايد فى المجتمع ولذا جاء دورها فى كتابات الرجال فى هذه الفترة محدودا للغاية إن لم يكن نادرا [٢] هناك تفسير آخر تذكره الكاتبة روث روديد فى كتابها "المرأة فى كتب الطبقات الاسلامية" ، عن هذا الموضوع حيث قالت أن المرأة فى العصور الاسلامية الوسطى ظهرت بصورة جليه على مسرح الأحداث السياسية وتدخلت فى شئون الحكم بل أن بعضهن حكمن بالفعل وقد كان حصول المرأة على هذه السلطة السياسية وسيطرتها على مقاليد الحكم مستفزا لبعض الحكام والمؤرخين الذين قاموا بعزل المرأة من كتاباتهم أو بتقليص دورها فى مختلف المجالات كرد فعل لهذا الوضع الجديد الذى رأوا أنه مخالف لتقاليد الاسلام وتعاليمه[٣] .

بالإضافة إلي الطبقات المتخصصة وغير المتخصصة هناك كتب التاريخ العامة التى من أهمها "كتاب تاريخ الرسل والملوك" للطبرى (المتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢ م). وفى هذا الكتاب يتناول الطبرى أخبار البشر من عهد آدم حتى عصره، القرن الثانى هجرى/ السابع ميلادى، ومرتبه ترتيبا زمنيا. لقد قدم لنا هذا الكتاب مادة علميه واسعة عن أحداث القرن الأول والثانى للهجرة واستطعنا أن نتعرف من خلاله على وضع المرأة بوجه عام فى هذا المجتمع وهو الأمر الذى كان ضروريا للتعرف على تطور انخراط النساء فى حياة الجماعة والحياة المهنية العامة.

وتمثل كتب الحسبة اهمية خاصة فهي من أهم مصادر التراث الحضارى وتصور بدقه الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمهنية فى العصور الاسلامية مثل كتاب " نهاية الرتبة فى طلب الحسبة " لابن بسام المحتسب وكتاب " نهاية الرتبة فى طلب الحسبة " لأبن عبد الرحمن الشيرزى وكتاب

"الحسبة فى الإسلام " لابن تيمية وكلها كتب أمدتنا بمعلومات هامة جدا وقيمه عن طبيعة مهنة الطب فى المجتمع الاسلامى وأصول ممارستها.

والى جانب كل هذه المصادر هناك كتاب "الأغانى" للأصفهانى وهذا الكتاب مثير للاهتمام فهو كتاب موسيقى وغناء وطرب وقد ترجم مؤلفه لأكثر المغنين والمغنيات المشهورين فى صدر الاسلام والدولتين الأموية والعباسية غير إننا وجدنا أن بعض المغنيات المشهورات عملن فى مجال الطب وخاصة الطب النسوى ، (الولادة والقبالة).

ومن كل ما سبق ذكره نلاحظ أنه على الرغم من كثرة المصادر عن الطب والأطباء إلا أن المعلومات الخاصة بدور المرأة فى مهنة الطب كانت قليلة ومتناثرة ولذا كان علينا بذل مجهود كبير لتجميع هذه المعلومات ومحاولة استنباط ما بين السطور من أجل الحصول على صورة حقيقية لدور النساء فى مهنة الطب ولكى نستشف بقدر الامكان وضعهن وظروفهن فى ظل هذا العمل وتصور المجتمع لهن.

مثلما كان الحال مع المصادر كان الحال أيضا مع المراجع فهناك مراجع كثيرة تناولت الطب الاسلامى وحياة الأطباء وطرق ممارستهم لمهنة الطب غير أن هذه المراجع لم تذكر دور المرأة فى هذا المجال سوى بطريقة عابرة وسطحية فى سطور قليلة ينقصها التحليل والتدقيق فى مسألة دور المرأة المطموس فى هذا التاريخ ومسألة التوزيع غير المتكافئ فى إتاحة الفرص التعليمية والمهنية. وأملنا أن نسد هذه الثغرة أو نفتح الباب تجاه هذا السبيل ونحقق الفائدة المرجوة التى تحتاجها المكتبة التاريخية الإسلامية.

نشأة الطب الإسلامى :

الطـــب ، علـــم الأبدان ، " العلم الحافظ للصحة الموجـــودة والـــراد للصحةُ المفقودة " [٤] يعتبر من أكثر العلوم التى أولاها المســـلمون رعايتـــهم واهتمامهم . وقد بدأ اهتمـــام المسلميـــن بهـــذا العلم منـــذ بداية عهد الإسلام حينما كان الرسول ، كما ذكرنا ســـابقا ، يحث المسلمين على دراسة الطـــب والتخصص فيه . ومن أجل دراسة الطب دراســـة مستفيضة اتجه المســـلمون الأوائل الى قراءة التراث الطبى اليونانى والفرعونى والهندى والبـــابلى وقـــد كان لتراث الطب اليونانى أكبر الأثر على الأطباء المسلميـــــن حيـــــث أن حضـــارة اليونان تعتبر من أكثر حضارات العالم ثراءا فى الإنتاج الطبـــى [٥] ، عكف الأطباء المسلمون على دراسة التراث الطبى اليونانى باجتهاد فقـــاموا بقراءته كله وترجمته ترجمة تفصيلية ثم اضـــافوا اليـــه خلاصـــة تجاربـــهم وملاحظاتهم العلمية الدقيقة وأخرجوا نظريات طبية جديـــدة مـــا زال العـــالم يتحدث عن عظمتها حتى اليوم [٦] .

وبسبـــب أهمية كتب التراث الطبى اليونانى كان واجب على طـــالب الطب أن يبـــدأ دراستـــه بقراءة أشهر كتبها مثل كتب أبقراط وجـــالينوس . ثم بعد ذلك كان الطـــالب ينتـــقل الى كتـــب مشـــاهير الأطباء العرب ولقـــد كان الطالب يعتمد أساسا علـــى أسلوب الحفظ ، الحفظ عـــن ظـــهر قلـــب ، وكانت فكرتهم فى ذلك تقوم على أساس أن الحفـــظ يحفظ المادة العلمية عـــبر السنين فى حالات ضياع أو تلف الكتاب أو المصـــدر [٧] . ولـــــم يكـــــن هنـــاك منهج محدد أو كتب معينة يجب أن ينتهى الطالب مـــــن دراستهـــــا حتى ينال الإجازة ولكن كان كل أستاذ يعطى الطالب الإجازة وفقـــا لتقديـــره

وبوجه عام لم تتطلب دراسة الطب السفر والترحال الكثير مثلما كانت تقتضى دراسة العلوم الدينية . وربما كان هذا من العوامل التى يسرت هذا المجال للمرأة فى المجتمع المسلم .

كانت هناك ثلاثة طرق رئيسية يستطيع من خلالها طالب الطب أن يحصل على الإجازة ويصبح طبيبا ممارسا للمهنة :

أ - دراسة الطب فى المستشفيات حيث كان الطالب يتدرب على مهنة الطب تدريبا عمليا فيقضى وقته مع المرضى يتابع حالاتهم المختلفة وتطورات أمراضهم . والى جانب الدراسة العملية كان هناك جانب نظرى لدراسة الطب فى المستشفيات حيث أن معظم المستشفيات فى العالم الاسلامى كانت تحتوى على قاعات للمحاضرات ومكتبات كبيرة.

ب- دراسة الطب فى مدارس خاصة متخصصة : غالبا ما كان يقوم أطباء مشهورين بإدارة مثل هذه المستشفيات .

ج- طريقة التدريس الخصوصى : وهى حينما يلازم طالب واحد أو طالبان على الأكثر طبيب مشهور للتعلم منه وغالبا ما يلازم الطالب أستاذه فى العيادة والمستشفى والزيارات المنزلية ، يتعلم منه طريقة فحص المريض وتشخيص الأمراض . وفى كثير من الأحيان يكون الأب هو الأستاذ أو المعلم الخصوصى لأبنه أو لأبنته حيث أن توارث مهنة الطب بين أبناء الأسرة الواحدة كان أمرا شائعا فى العصور الإسلامية الأولى والوسطى [٨] .

والى جانب هذه الطرق الرئيسية فى تعلم الطب كانت هناك طريقة تعلم الطب بالممارسة والخبرة العملية بدون دراسة رسمية أو منهجية وقد ذكر " جواتيين " فى كتابه مجتمع البحر المتوسط أن عددا كبيرا من نساء اليهود مارسن هذا النوع من الطب العملى فلم يدرسن فى مدارس أو يتعلمن فى مستشفيات إنما اكتسبن الخبرة فى هذا المجال بالممارسة . وهذا النوع من الطبيبات كن ينتمين للطبقة الفقيرة والمتوسطة بأعداد غير قليلة (٩) . ومن الممكن لهذه الظاهرة أن تنسحب على بقية أفراد المجتمع العربى المسلم فى ذلك الوقت حيث أن اليهود عاشوا وعملوا داخل الدولة العربية الإسلامية وتحت رايتها وفى ظل نظامها الإجتماعى والمهنى العام إلا أنه رغم وجود عدد كبير من النساء المسلمات الممارسات لطب العامة فى هذه الطبقات ، هناك أدلة على وجود عدد لا باس به من الطبيبات اللاتى درسن من خلال القنوات الرسمية وفى سياق مجتمع الصفوة وتعلمن على أيدى كبار الأطباء مثل القوابل اللاتى تعلمن الطب من الطبيب الأندلسي المعروف الزهراوى وعملن مساعدات له (١٠) .

وبعد أن ينتهى الطالب من دراسة الطب بأى من الطرق السابقة الذكر يبدأ فى ممارسة المهنة مباشرة فى المستشفيات والعيادات أو فى بيوت المرضى . ويزور الطبيب المريض الغنى فى بيته حيث أن الأغنياء فقط كانوا قادرين على جلب الأطباء لعلاجهم فى بيوتهم بينما يذهب أبناء الطبقة المتوسطة والفقيرة للمستشفيات للعلاج حيث كان العلاج بالمجان . ويعتبر المؤرخون أن " خيمه رفيده " – إحدى المسلمات الأوليات– أول مستشفى فى الإسلام حيث كان يتم فيها تضميد جروح المسلمين وعلاجهم فى

الحروب. وبعد هذه البداية التى وضعت أساسها امرأة فى المجتمع الإسلامي الأول بدأ المسلمون يهتمون بالمستشفيات وعملوا على تطويرها وازدهارها فى العصور التى تلت . وقد ذكر لنا المؤرخ أحمد عيسى فى كتابه تاريخ البيمارستانات أن طبيبة تعرف بأسم ابنة شهاب الدين الصائغ كانت تعمل بدار الشفاء المنصورى ، أكبر مستشفى فى مصر فى العصور الوسطى وكان لها دور بارز فيه[١١] . وسنتحدث فيما بعد عن هذه الطبيبة بالتفصيل .

والى جانب عمل المرأة فى المستشفيات عملت المرأة أيضا فى العيادات وقامت بزيارات منزلية لمداواة مرضاها مثلها مثل الرجال فقد ذكر الطبرى فى كتابه " تاريخ الرسل والملوك " أن " أبو الحسن المتطبب بباب المحول قال : جاءتنى امرأة ... فقالت لقد طفت لعلاج جرحى فوصفوا لى هذا المكان أريد أن تعالج شيئا في كتفي قلت لها : أنا كحال وهنا امرأة تعالج النساء وتعالج الجراحات فانتظري مجيئها فقعدت فقمت معها إلى المتطببة لما جاءت أوصيتها بها فعالجت جرحها وأعطتها مرهما [١٢]. " وهذا المكان " الذى يتحدث عنه الطبرى هنا هو مثل العيادة العامة بها تخصصات كثيرة من ضمنها هذه الطبيبة الجراحة التى تعمل فى نفس المكان مع الأطباء الرجال ويرشحها الرجال لمن يحتاج الى جراحة . أما عن زيارات المرأة الطبيبة لمرضاها فى البيوت فقد كانت كثيرة حيث أن القوابل والعاملات فى مجال النساء والولادة كن يقمن بعملهن هذا فى البيوت . وقد تحدث أبن الحاج فى كتابه " المدخل " ، الذى جاء فيه تسجيل لبعض جوانب حياة النساء فى القاهرة المملوكية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلادى ، عن كيف كان الناس يستقبلون القوابل فى بيوتهم والترتيبات التى

كانت تقوم بها القابلة استعدادا لذهابها الى بيت الحـــامل والمــهام الخاصــة بالتوليد ورعاية الأم والطفل بعد الولادة [١٣] .

وبعد أن عرضنا الأماكن التى كان يمارس فيها الطبيــب أو الطبيبــة مهنة الطب نود أن نعرض للقارئ أساليب العلاج وطرق المداواة التى كــانت متبعة فى هذه العصور. وقد لاحظنا أن المؤرخين لم يقدموا لنا وصفا دقيقــا لطرق علاج المرضى فى هذه الفترة المعنية وقد يكون السبب فـــى هــذا أن طرق العلاج نفسها لم تكن دقيقة فنجد مثلا أن ابن أبى أصيبعه اشــهر مــن أرخ للأطباء لم يعطينا وصفا دقيقا لكيفية تشخيص الأمــراض ومداواتــها أو اى تفاصيل للأدوية المركبة وطرق تركيبها ولكننا علمنا من كتــب الحســبة معلومات عن بعض الممارسات الجراحية التى مارسها الأطباء فى العصــور الإسلامية الأولى والوسطى والتى كان من أشهرها وأهمــها أسـلوب الكــى والفصد والحجامة [١٤] . والى جانب هذه الإجراءات الجراحية البسيطة عرف الأطباء فى هذه العصور العمليات الجراحية المعقدة مثل جراحــات البطــن والفتق والدوالى والبواسير والنواصير كذلك عرفوا جراحات المسالك البوليــة وجراحات النساء والجراحات الخاصة بالأطفال هذا كله فضلا عن جراحــات الأورام والعظام وجراحات الحروب [١٥] ولكن على الرغم من تطور أسـاليب الجراحة وتنوعها إلا أن الأطباء فى هذه العصور كــانوا يفضلـون تجنـب التدخل الجراحى ويحاولون معالجة المرضى بالأدوية والعقاقير . وقــد كــان للمرأة نصيب كبير فى مجال الجراحة وسنرى فيما بعد كيف أن الجراحــات بوجه عام – وعلى غير ما نتوقع أو نعرف – كانت مـــن المجــالات التــى

اشتغلت فيها أيضا المرأة الطبيبة ، الى جانب القبالة والتوليد والكحالة والعيون .

أما بالنسبة للأدوية والعقاقير كان الأطباء فى هذه العصور يهتمون بدراسة أنواع العقاقير المختلفة ويحاولون إعداد وتجهيز أنواع مختلفة من الترياق والدواء . وفعلا نجح الأطباء المسلمون فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر ميلادى فى اكتشاف وأعداد ثلاثة آلاف نوع من الدواء لم تكن معروفة لغيرهم من الأطباء فى البلدان الأخرى [١٦] .

ولقد كانت هناك ثلاثة فئات فى المجتمع مرتبطة بأعداد الأدوية والعقاقير :

١- الشرابين : يبيعون عقاقير عبارة عن سوائل غالبا ما تصنع من العسل .

٢- العطارين : يبيعون الأعشاب الطبية المختلفة والى جانبها يبيعون العطور والبهارات.

٣- الصيادلة المتخصصين : على علم كبير بصناعة وحفظ الأدوية والعقاقير البسيطة والمركبة [١٧] .

ومن المؤكد أن النساء عملن فى مجال تركيب الأدوية ، حيث تقابلنا تفاصيل عارضة عن استخدام النساء لقطرات أو مراهم قمن بتركيبها مثل الطبيبة السالفة الذكر فى الطبرى وزينب بنت بنى أود (ستأتي لاحقا) والتى كانت تكحل من به رمد فتعالجه كذلك ذكرت لنا المصادر أن أبن سينا كان يستخدم قطرة بطب العيون ركبتها امرأة خبيرة بصناعة الطب [١٨] . كما نقرأ أيضا عن ست الشام خاتون وهى شقيقة توران شاه (من ملوك بنى ايوب) ، المتوفية سنة ٦١٦هـ ، كانت تتبنى وتشرف على " تصنيع بدارها أشربه وسفوفات وعقاقير بمبلغ عظيم ليفرق على الناس " [١٩] .

وترتبط مهنة الطب فى المجتمعات الإسلامية بوظيفة "المحتسب" وهو الموظف المختص بضبط الأخلاق العامة والأشراف عليها فى الدولة الإسلامية ، "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر" (٢٠) . وكان المحتسب يشرف على جميع المهن فى المجتمع بما فيها مهنة الطب والصيدلة ، وكان يشترط على الطبيب أن يأخذ قسما قبل الحصول على الإجازة لممارسة المهنة ويتأكد من قدرة الطبيب على تشخيص المرض والعلاج " يطلب سائر الأطباء بما شرحه يوحنا بن ماسويه المتطبب فى كتابه المعروف (بـ محنة الطبيب) فمن وجده قيما بجميع ما حوته شروطه فصلا آمره فى معيشته ومن كان بصدد ذلك صرفه عن هذه المعيشة ويمضى فى الدروس فيلزم قراءة الكتب قبل انتصابه لمداواة الناس لما فى ذلك من الضرر الواقع بالمرضى " (٢١) وقد دون المحتسبون فى كتاباتهم أصول مهنة الطب وشروط ممارستها وعلاقاتهم المباشرة بالأطباء وعلى رأسهم شيخ الأطباء أو – رئيس الأطباء – الذى كان يتولى هذا المنصب بتعيين من المحتسب (٢٢) .

وعلى الرغم من أن المحتسب ذكر تفاصيل دقيقة عن مهنة الطب إلا أنه لم يذكر شيئا عن المرأة الطبيبة ولكن فى أغلب الظن أن المحتسب حينما تحدث عن الطبيب كان يقصد أى شخص يمارس مهنة الطب رجلا كان أو امرأة فمن المؤكد أنه كانت هناك علاقة مباشرة بين المحتسب والمرأة الطبيبة حيث أن المحتسب كان يشرف على مهنة الطب بكل تخصصاتها بما فيها مجال النسا والولادة الذى كان مليئا بالنساء طبيبات ، وقوابل وممرضات .

النساء الطبيبات فى التاريخ الإسلامى :

بعد رصد الطبيبات التى جاء ذكرهن فى المصادر التاريخية المختلفة فى كتب الطبقات والتراجم والسير والتاريخ العام تمكنا من حصر أربعة وعشرون اسما لنساء ساهمن فى مجال الطب والعلاج وتم إدراجهن فى السجلات التاريخية على اعتبار أنهن طبيبات أو لهن إسهامات تستحق الذكر وعند ترتيب البيانات الخاصة بهن فى شكل جداول ، حصلنا على صورة عامة ولكن أيضا مركزه لطبيعة وظروف هذه الفئة من نساء المجتمعات الإسلامية المبكرة .

والجدول التالى يعرض أسماء هؤلاء الطبيبات والمصادر التى تحدثت عنهن :

جدول رقم (١)

م	الطبيبات	المصادر
١	رفيدة الإسلامية	أسد الغابة لأبن الأثير الأصابة فى تمييز الصحابة لأبن حجر
٢	الربيع بنت معوذ الأنصارية	الأصابة فى تمييز الصحابة لأبن حجر
٣	أمية بنت قيس الغفارية	الأصابة فى تمييز الصحابة لأبن حجر
٤	سلمى أم رافع	الأصابة فى تمييز الصحابة لأبن حجر
٥	معاذة الغفارية	كتاب الطبقات الكبير لأبن سعد
٦	كعيبة الإسلامية	كتاب الطبقات الكبير لأبن سعد
٧	ليلى الغفارية	الإصابة فى تمييز الصحابة لأبن حجر
٨	أم العلا الإنصارية	أسد الغابة لأبن الأثير
٩	أم عطية الإنصارية	أسد الغابة لأبن الأثير كتاب الطبقات الكبير لأبن سعد
١٠	فريدة الكبري	الأغاني للأصفهاني

تابع جدول رقم (١)

م	الطبيبات	المصادر
١١	زينب طبيبة بني أود	طبقات الأطباء لإبن أبي أصيبعة
١٢	خرقاء العامرية	الأغاني للأصفهاني
١٣	سلامة القس	الأغاني للأصفهاني
١٤	حبابة	الأغاني للأصفهاني
١٥	متيم الهامشية	الأغاني للأصفهاني
١٦	رحاص	الأغاني للأصفهاني
١٧	محبوبة	الأغاني للأصفهاني
١٨	فضل جارية المتوكل	الأغاني للأصفهاني
١٩	أم أسية القابلة	حسن العقبي لأبن الداية
٢٠	أم أحمد القابلة	تحفة الأحباب للسخاوي
٢١	أخت أبو بكر بنت زهر وأبنتها	الأستيعاب لإبن عبد البر

تابع جدول رقم (١)

م	الطبيبات	المصادر
٢٢	جارية ابى عبدالله الكنان	البيان المغربى لأبن عذاري
٢٣	أم الحسن بنت القاضي	الدرر الكامنة لأبن حجر
٢٤	أبنة شهاب الدين الصائغ	خلاصة الأثر للمحبى

جدول رقم (٢)

العصر الذى عاشت فيه الطبيبات ومكان إقامتهن :

م	الاسم	تاريخ الميلاد / الوفاة	مكان الميلاد أو الاقامة
١	رفيدة الإسلامية	عصر الرسول	المدينة
٢	الربيع بنت معوذ الأنصارية	عصر الرسول	المدينة
٣	امية بنت قيس الغفارية	عصر الرسول	المدينة
٤	سلمى أم رافع مولاه الرسول	عصر الرسول	المدينة
٥	معاذة الغفارية	عصر الرسول	المدينة
٦	كعيبة الإسلامية	عصر الرسول	المدينة
٧	ليلى الغفارية	عصر الرسول	المدينة
٨	أم العلاء الانصارية	عصر الرسول	المدينة
٩	أم عطية الانصارية	عصر الرسول	المدينة
١٠	فريدة الكبرى	العصر الأموى	الحجاز ثم الشام
١١	زينب طبيبة بنى أود	العصر الأموى	الشام

١٢	خرقاء العامرية	العصر الأموى	الجزيرة العربية
١٣	سلامه القس	العصر الأموى	المدينة – الشام
١٤	حبابة	توفيت سنة ١٠٥ هـ	البصرة
١٥	متيم الهامشية	توفيت سنة ٢٢٤ هـ	البصرة
١٦	رحاص	توفيت سنة ٢٤٥ هـ	بغداد
١٧	محبوبة	توفيت سنة ٢٤٧ هـ	العراق
١٨	فضل جارية المتوكل	توفيت سنة ٢٥٧ هـ	بغداد
١٩	أم آسيه القابلة	الدولة الطولونية	مصر
٢٠	أم أحمد القابلة	العصر المملوكى	مصر
٢١	أخت ابو بكر بنت زهر وابنتها	الدولة الموحدية	الأندلس
٢٢	جارية ابى عبد الله الكنان	توفيت فى القرن ٥ هـ	المغرب العربى
٢٣	أم الحسن بنت القاضى	كانت موجودة سنة ٧٥٠هـ	الأندلس
٢٤	أبنة شهاب الدين الصائغ	كانت موجودة سنة ١٠٣٦هـ	مصر

من عرض العصر الذى عاشت فيه الطبيبات ومكان ميلادهن أو اقامتهن نجد أن معظم الطبيبات كن ينتمين للعصر الأسلامى الأول - عصر الرسول والصحابة - فثمان نساء من أربع وعشرين عشن فى عصر الرسول والصحابة . أما الباقيات عشن فى عصور متفرقة مثل العصر الأموى والعباسى والطولونى والمملوكى والموحدين فى المغرب والأندلس . ونلاحظ أيضا من هذا الجدول أنه بإستثناء المدينة مقر اقامة الطبيبات الأوليات ليس هناك بلد واحد أو مدينة واحدة اشتهرت بظهور الطبيبات بين أهلها أكثر من غيرها فتوزيع الطبيبات - بالجدول - على الدول الاسلامية جاء بنسب متساوية تقريبا . ويعد وجود معظم الطبيبات فى الفترة الإسلامية الأولى دليل على تشجيع الرسول والمسلمين الأوائل للمرأة على العمل فى هذا المجال فأبلت المرأة بلاءا حسنا فى صناعة الطب ومداواة الجرحى الأمر الذى أخذ فى التقلص مع مرور الزمن حتى أننا كما هو واضح من الجدول لم نستطع حصر أكثر من أسم أو أسمين لطبيبات مشهورات فى كل عصر من العصور التى تلت ولكن يمكن القول أن دور المرأة لم يختفى اختفاء حقيقيا بقدر ما تقلصت كتابات المؤرخين عن المرأة وتسجيلهم لدورها وحياتها ، فلا نعتقد أن نمط التأريخ المتناقص كما هو واضح فى نموذج الجدول يتطابق تطابقا تاما مع الواقع . أبدى المؤرخون الأوائل استعدادا كبيرا لتسجيل عدد كبير من النساء وأعمالهن وكل جوانب حياتهن ليكن مثالا تحتذى به النساء فى العصور التى تلت بينما لم تحظى النساء المتأخرات بنصيب عادل فى التأريخ بسبب التباين حيث كان الاتجاه العام للمجتمع هو عزلهن وتجنب الحديث عن أعمالهن كرد فعل للفساد الأخلاقى الذى أخذ يتفشى فى المجتمع الإسلامى والذى تحدثنا عنه من قبل .

جدول رقم (٣)

التخصص الطبى والمكانة الإجتماعية للطبيبات :

م	الطبيبات	التخصص	المكانة الاجتماعية
١	رفيدة الإسلامية	جراحة حروب	من المسلمات الأوائل وصاحبة أول مستشفى فى الإسلام
٢	الربيع بنت معوذ الأنصارية	جراحة حروب	من المسلمات الأوائل المبايعات للرسول عند الشجرة
٣	امية بنت قيس الغفارية	جراحة حروب	من المسلمات الأوائل
٤	سلمى أم رافع مولاه الرسول	جراحة حروب	مولاه رسول الله ص
٥	معاذة الغفارية	جراحة حروب	من المسلمات الأوائل
٦	كعيبة الإسلامية	جراحة حروب	من المسلمات الأوائل
٧	ليلى الغفارية	جراحة حروب	من المسلمات الأوائل
٨	أم العلاء الانصارية	تمرض المرضى (غير محدد)	من المسلمات الأوائل المبايعات للرسول

تابع جدول رقم (٣)

م	الطبيبات	التخصص	المكانة الاجتماعية
٩	أم عطية الأنصارية	مولدة - أمراض نساء	من المسلمات الأوائل
١٠	فريدة الكبرى	مولدة أمراض نساء	جارية
١١	زينب طبيبة بنى أود	الكحالة	كانت طبيبة مشهورة وذائعة الصيت بين العرب
١٢	خرقاء العامرية	كحالة	إحدى نساء بنى عامر بن ربيعه، شاعرة وعارفة بالأدب والغناء
١٣	سلامة القس	مولدة - أمراض نساء	جارية وشاعرة ومغنية
١٤	حبابة	مولدة - أمراض نساء	جارية من جوارى الخليفة
١٥	متيم الهامشية	مولدة - أمراض نساء	جارية وشاعرة وعارفة بـــالأدب والغناء
١٦	رحاص	مولدة أمراض نساء	جارية ومغنية

تابع جدول رقم (٣)

م	الطبيبات	التخصص	المكانة الاجتماعية
١٧	محبوبة	مولدة – أمراض نساء	جارية وشاعرة
١٨	فضل جاريةالمتوكل	أمراض نساء	جارية الخليفة المتوكل وشاعرة
١٩	أم آسيه القابلة	قابلة – أمراض نساء	قابلة أولاد السلطان خمارويه
٢٠	أم أحمد القابلة	قابلة أمراض نساء	أشتهرت لأنها كانت تقبل لوجه الله
٢١	أخت أبوبكر بنت زهر وأبنتها	أمراض نساء	أخت طبيب مشهور وكانت تعالج نساء الخليفة الموحدي
٢٢	جارية أبي عبد الله الكناني	علم الطبائع والتشريح	جارية
٢٣	أم الحسن بنت القاضي	فنون من الطب غير محددة	ابنة قاضي مشهور
٢٤	أبنة شهاب الدين الصائغ	لم يحدد تخصصها	تولت مشيخة الطب

نلاحظ من الجدول السابق أن النساء بصفة عامة تخصص فى ثــلاث مجالات : جراحة الحروب ، القبالة وأمراض النساء ؛ الكحالـــة وأمــراض العيون . فهناك سبعة طبيبات من أربعة وعشرين تخصصـــن فـــى جراحـــة الحروب بينما أحدى عشر أشتغلن بأمراض النسا والولادة فى حين أن أثنتيــن فقط عملتا فى مجال العيون وأربعة طبيبات لم تحدد تخصصاتهن . وفى كــل واحد من هذه التخصصات كان يعتمد على المــرأة لكــى تشــفى مرضاهــا وتخفف عنهم آلامهم . فمن أهم الممارسات التى قامت بها النساء فى جراحــة الحروب كان تطهير الجروح والمحافظة على نظافتها ووقف النزيف . وقــد كانت هناك عدة اساليب تلجأ اليها المرأة الطبيبة لوقف النزيف مثل اســتخدام الصوف المحروق والضغط به كرباط على الجرح كما كـــن يلجــأن أيضــا لأسلوب الكى لوقف النزيف [٢٣] . هذا كله فضلا عن قيام النســـاء بــإخراج السهام من جرحى الحرب وهو أمر شاق للغاية غير أن المرأة أثبتــت وعيــا وحسن تصرف فى عمليات إخراج السهام هذه فقد ذكرت لنا المصادر كيـــف أن رفيدة الأسلمية عندما رأت سعد بن معاذ قد اصابــه ســـهم فـــى صـــدره تصرفت بحكمة ووعى فأسرعت بإيقاف النزيف ولكنها أبقـــت الســـهم فـــى صدره لأنها كانت تعلم أنها اذا سحبت أو أخرجت السهم ســيحدث نزيــف لا يتوقف فى الجزء المقطوع [٢٤] .

أما بالنسبة لأمراض النسا والقبالة فقد ذكرت لنـــا بعــض المصـــادر وصفا للممارسات التى كانت تقوم بها المرأة الطبيبة المتخصصة فـــى هــذا المجال فوصف لنا ابن الداية فى كتابه المكافأة وحسن العقبى كيف أن قابلـــه أولاد خمارويه كانت تمسح جوف الحامل وتنتظر حتـــى يأتيــها المخــاض

فتجلسها على كرسى الولادة التى كانت تتم عليه الولادة بسهولة [٢٥] هذا كلـه فضلا عن العمليات المعقدة التى كانت تقوم بها القوابل والتى سنتحدث عنـها بالتفصيل فيما بعد مثل عملية إخراج الحصاه مـن النسـاء . وقـد تدربـت القابلات تدريبا جيدا على أيدى كبار رجال الطب مثل الزهـراوى وتعلمـن استخدام الآلات الجراحية مثل المشداخ الذى يشد به راس الجنين أو المدفـع الذى يدفع به الجنين وكذلك اللولب الذى يفتح به فم الرحم [٢٦] . أمـا عـن الكحالة وطب العيون فالطبيبتان المذكورتان فى الجدول لم تذكر لنا المصـادر أن أى واحدة منهما قامت بجراحات فى العيون ولكنهما عالجتـا مرضاهمـا بالقطرات التى اشتهرتا بتركيبها [٢٧] .

اذا انتقلنا بعد ذلك للجزء الثانى من الجدول الخاص بمكانة الطبيبـة الاجتماعية سنجد أن معظم الطبيبات اللاتى تم حصرهن كن ينتمين بطريقـة أو بأخرى الى الحكام أو الصفوة . وهذا الأمر يثبت أن المؤرخيـن اهتمـوا فقط بأخبار هؤلاء المشهورات من النساء مما يجعلنا نقول أنـه كـان هنـاك بالطبع عدد أكبر من الطبيبات اللاتى لم تنلن حظ إدراج أسمائهن فـى كتـب التاريخ بسبب بعدهن عن " الخاصة " وارتباطهن " بالعامة " والدليـل علـى ذلك وجود ثلاثة طبيبات فقط من الأربع والعشرون طبيبـة المعنيـات ، لـم يرتبطن بالسلطة أو الصفوة . ولكن نلن شهرة بسبب براعتهن فى المهنـة : زينب الأودية وخرقاء العامرية وأم أحمد القابلة .

كذلك ومن اللافت للنظر فى الجدول السابق وجود عدد كبـير مـن الجوارى اللاتى تخصصن فى مجال أمراض النسا وكن مولدات مما يغير فى أذهاننا الصورة النمطية للجارية كرمز للمتعة واللهو فقط . حيث ان معظـم

هؤلاء المولدات كن أيضا عارفات بالأدب والفنون . وخير مثال علـــى ذلــك جارية الطبيب أبى عبد الله الكنانى التى وصفها ابن عذارى بقوله : " .. لـــم ير فى زمانها أخف منها روحا ولا أسرع حركة ولا ألين عطافا ولا أطيـــب صوتا ولا أحسن غناء ولا أجود كتابة ولا أجود خطـــا ولا ابـــدع أدبـــا ولا أحضر شاهدا مع السلامة فى اللحن فى كتبها وغنائها لمعرفتها بالنحو واللغـة والعروض الى المعرفة بالطب وعلم الطبائع ومعرفة التشريح وغير ذلك ممـا يقصر عنه علماء الزمان" [٢٨] . ومعنى ذلك أنها نبغت فى علوم اللغة والأدب والشعر الى جانب العلوم الطبية والتشريح .

وفى النهاية وبعد عرض تفاصيل حياة هـــؤلاء الطبيبـــات وتحليـل البيانات الخاصة بهن نستطيع أن نقول أنه كان هناك طبيبات احترفن بـــالفعل مهنة الطب فى المجتمع الإسلامى على مر العصور وأشـــتغلن فـــى فـــروع الطب المختلفة مثل جراحة الحروب ، القبالة وأمراض نسا والكحالة وطـــب العيون والتشريح بل أن الكثير منهن أشتهرن فى مجال تخصصاتـــهن وكـــن ذائعات الصيت بتطبيب الرجال والنساء دون استنكار أو حرج فرأينـــا كيـــف كانت الصحابيات اثناء عهد الرسول يقمن بتمريض وتطبيـــب الرجـــال فـــى ميادين القتال والغزوات وكيف كن يقمن بمداواة الجرحى ونزع السهام ومـــا يتبع ذلك من تضميد للجروح ووقف نزيف وأحيانا بتر وكى .

كذلك ذكرت لنا المصادر أن زينب طبيبة بنى أود المشهورة وخرقـاء العامرية كانتا تداويان عيون الرجال والنساء فى مجتمعاتـــهما ، ومـــن ذلـــك يمكن القول أن المجتمع الإسلامى كان متقبلا للمرأة الطبيبة واثقا فى قدراتـــها وكفاءاتها وقد أبلت المرأة بلاءا حسنا فى هذا المجال وعملت جنبا الى جنـــب

مع الرجل فى أعمال الطب ، بل رأيناها تسبقه وتترأس عليه مثلما حدث مع الطبيبة سالفة الذكر ابنة شهاب الدين الصائغ التى تولت مشيخة الطب بدار الشفاء المنصورى بعد والدها وهو منصب يتطلب منها رئاسة أطباء عصرها والإشراف عليهم وتحمل المسئولية أمام المحتسب الذى كان من عمله مراقبة المهنيين ، كما ذكرنا سابقا فى الحديث عن مهام المحتسب . ومن ذلك يمكن القول أن هذه المرأة تولت منصب علمى قيادى يستلزم المعرفة التامة بمهنة الطب وأصول وأخلاقيات ممارستها .

وعلى الرغم من أن العدد الذى تم حصره فى هذه الدراسة للنساء الطبيبات ليس بالعدد الكبير إلا أنها كلها أمثلة واضحة لطبيبات بارعات برزن فى مهنة الطب وكان لهن الفضل فى تطورها . هذا فضلا عن أن وجود هذه الأمثلة يؤكد وجود كثيرات من النساء عملن أيضا فى هذا المجال وبرعن فيه ولكن بسبب عزوف المؤرخين عن التأريخ الوافى للنساء - والذى تحدثنا عن أسبابه فيما سبق - لم نعرف عن أخبارهن شئ . حيث أن رصد الأربع وعشرون طبيبة هؤلاء ليس معناه أنهن ظهرن فجأة ودون سابقة ولكن من المؤكد أن هذه علامة تدل على وجود تراث سابق أو سياق معين : أى سلسلة متواصلة من التطور سمح لهؤلاء الطبيبات المعنيات بالتواجد والممارسة المهنية ولذا نعود فنقول أن المشكلة لا تكمن فى النساء ولكن فى التوثيق التأريخى والتقصير فيه .

هوامش البحث

(1) ابن القيم الجوزيه ، الطب النبوى ، تحقيق محمد فتحـــى أبــو بكــر ، (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٤) ، ط٢ .

(2) Huda. Lutfi," Al-Sakhawi Kitab al-Nisa as a source for the Social and Economic History of Muslim Women During the Fifteenth Century A.D." The Muslim World, LXX! (1981), p. 105.

(3) Ruth Roded, " Women in Islamic Biographical Collections from Ibn Sa'd to Who's who." (Boulder + London : Lynne Riennér Publishers, 1994) p. 121.

(4) موفق الدين بن أبى أصيبعه أبو العباس أحمد بن القاسم بــن خليفــة بــن يونس السعدى الخزرجى ، عيــون الأبنــاء فى طبقات الأطباء ، شـــرح وتحقيق د. نزار رضا ، (بيروت : دار مكتبة الحياة، سنة ؟)،ص٧ .

(5) Muhamed Zubayr, Siddiqi, Studies in Arabic and Persian Medical literature, (Calcutta, 1959), see the Introduction.

(6) Micheal, Dols, Medieval Islamic Medicine , (California: University of California Press, 1984) - the Introduction.

(7) Ibid, p. 30.

(8) Ibid, I pp. 36-38.

(9) S.D., Goitien A Mediterranean Society, vol 1 , (California : University of California Press, 1971), p. 128.

تحدث جواتيين بالتفصيل عن الطبيبات بالممارسة وأوضح كيف أنـها كانت شخصية محترمة محبوبة فى المجتمع لها تـأثير إيجـابى علـى الطبقات الفقيرة التى كانت تنتمى اليها وتخدمها . وكان يطلـق عليـها لقب " طُبيبة " وهو صيغة تصغير ، يوحى بالحب والتدليل ويدل علـى مكانتها الخاصة بين أفراد المجتمع .

(١٠) عبد العزيز ، اللبيدى ، تاريخ الجراحة عنـد العـرب ، (عمـان : دار الكرمل للنشر والتوزيع ، ١٩٩٢) ، ص ١٨٢ .

(11) Ahmad Issa Histoire des Bimaristans a l'epoque Islamique, (Cairo : Imprimerie Paul Barbey, 1928) p.165.

قام أحمد عيسى فى كتابة هذا بتغطية شـاملة لتـاريخ المستشـفيات فـى الإسلام – ظهورها وتطورها ونظام العمل بها وأهميتها كمكـان تعليمـى وعلاجى .

(١٢) أبو جعفر محمد بن جرير، الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، (بـيروت مطبعة عز الدين ، ١٩٩٢)، جـ ١٠ ، ص ٣٨٣ – ٣٨٤ .

(١٣) ابـو عبـد الله محمـد بن محمـد بن محمد الصدرى الخامس المـالكى ابن الحاج ، المدخل ، (المطبعة المصرية بـالأزهر ، ١٩٢٩) ، ص ٢٨١ – ٢٩٦ – على الرغم من أن رؤية ابن الحاج الانتقادية لكثير مـن الممارسات فى عصره بما فيهم القوابل ، إلا أن الكتـاب يشـكل مصـدرا تاريخيا ثريا لتفاصيل وأسلوب الحياة فى المجتمع القاهرى المملوكى .

(١٤) محمد بن أحمد بن بسام ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق حسـلم الدين السامرائى ، (بغداد، مطبعـة العـارف ، ١٩٦٨) ، ص ١٠٨ – ١١٨ .

(١٥) اللبيدى ، تاريخ الجراحة عند العرب ، ص ١٥٥ – ٢٣٤ .

(16) Amin A. Khayrallah, Outline of Arabic Contribution to Medicine., (Beriut : American Press, 1946), P.150.

(17) Sami khalaf Hamarnah, Health Science in Early Islam, (Texas: Zahra Publication, 1984), vol I. p.p 119-120

(١٨) اسعد داغر ، حضارة العرب ، (مصر ، ١٩١٨) ، ص ١٩٢ .

(١٩) صلاح الدين خليل بن أيبك ، الصفدى ، الوافى بالوفيات ، (أستانبول : مطبعة الدولة ١٩٣١) ، جـ١٥ ، ص ١١٩ .

(٢٠) أبو العباس أحمد بن تيمية ، الحسبة فى الإسلام ، (مطبعة المؤيد ، ١٩٠٠) .

(٢١) ابن بسام ، كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ١٠٨ .

(22) Hamarnah, Health Sciences , vol I, pp. 119-120 .

(٢٣) اللبيدى ، تاريخ الجراحة عند العرب ، ص ٢٢٨ .

(٢٤) أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، الأصابة في تميز الصحابة ، تحقيق على محمد البجاوى ، (مصر : مكتبة نهضة مصر ، سنة ؟) ، ق ٤ ، ص ١٨٣٨ .

(٢٥) احمد بن يوسف الكاتب ابن الداية ، كتاب المكافأة وحسن العقبى ، تحقيق محمود شاكر ، (طبعة ؟ ، ١٩٤٠) ، ص ١٣٧ – ١٤٠.
وصف ابن الداية فى كتابه هذا كرسى الولادة وذكر أنه كان من أهم مستلزمات الولادة فى العصور الإسلامية الأولى والوسيطة أن كل داية أو قابلة كانت تملك مثل هذا الكرسى ترسله الى بيت المرأة الحامل قبل أن تذهب هى .

(26) Sami Khalaf Hamarnah and Glenn Sonnedecker , A Pharmaceutical view of Abulcasis al - Zahrawi in Moorish Spain, (Leiden : Brill, 1963), pp. 52-54.

(٢٧) ابن ابى أصبعيه ، عيون الأبناء ، ص ١٨١ .

أبـو الفرج الاصفهانى ، الأغاني ، شرحه وكتب هوامشه عبد على مـهنا وسـمير رجـب ، (بـيروت : دار الكتـب العلميـة ، ١٩٩٢) ، ط٢ ، ص ٤١ – ٤٧ .

(٢٨) أبو العباس ابن عذارى ، البيان المغرب فـي أخبـار ملـوك الأندلـس والمغرب ، أعتني بنشره لافي بروفنسال (باريس ١٩٣٠م) ص ٣٠٨.

هذه الجارية اشتراها هذيل أحد ملوك دولة بنى رزيـن بسـنتمريه شـرق الأندلس وقد توفى سنة ٤٣٦ هـ .

المصادر والمراجع

المصادر العربية :

أبن أبى أصيبعه موفق الدين أبو العباسى أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخرزجى (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ م)

" عيون الأبناء فى طبقات الأطباء " ، تحقيق د. نزار رضا ، دار مكتبة الحياة بيروت ، سنة ؟

أبن الأثير أبو الحسن على بن محمد الجرزى (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م)

" اسد الغابة " تحقيق محمد ابراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور، كتاب الشعب مصر ، ١٩٧٠

أبن بسام محمد بن أحمد

" نهاية الرتبة فى طلب الحسبة " ، تحقيق حسام الدين السامرائى ، مطبعة العارف بغداد ١٩٦٨

ابن تيمية أبو العباس أحمد (ت ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨ م)

" الحسبة فى الإسلام " ، مطبعة المؤيد ١٩٠٠

ابن جلجل أبو داود سليمان بن حسان الأندلسى (ت أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى)

" طبقات الأطباء والحكماء " ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للأثار الشرقية بالقاهرة ، ١٩٥٥

ابن الحاج أبو عبد الله بن محمد بن محمد الصدرى الخامس المالكى (ت ٧٣٧هـ /١٣٣٦م)

" المدخل " ، المطبعة المصرية بالأزهر ١٩٢٩

ابن حجر العسقلانى احمد بن على (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)

" الأصابة فى تمييز الصحابة " ، تحقيق على محمد البجاوى ، مصر : دار نهضة مصر سنة ؟

" الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة " ، تحقيق سالم الكرنكوى، الناشر : دار الجيل ، بيروت ١٩٩٣ .

ابن الداية احمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٤٠هـ/٩٥١م)

" كتاب المكافأة وحسن العقبى " ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة ؟ ١٦٤٠ .

ابن سعد محمد (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥ م)

" كتاب الطبقات الكبير " ، تحقيق أدوارد سخو ، ليدن : مطبعة بريل ١٣٢١ هـ

المراجع العربية :

داغر : أسعد " حضارة العرب " ، مطبعة هندية بالموسكى بمصر ، ١٩١٨

كامل : محمد حسين " الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب " ، طبع على نفقة حكومة الجمهورية العربية الليبية

الليدى : عبد العزيز " تاريخ الجراحة عند العرب " ، دار الكرمل للنشر والتوزيع بعمان ١٩٩٢ .

العربى : مرسى محمد " لمحات عن التراث الطبى العربى " ، الإسكندرية ١٩٧٥

شريف : يحيى "تاريخ الطب العربى "، مطبعة سجل العرب بالقاهرة سنة ؟

المراجع الأجنبية :

1- Dols, Micheal. Medieval Islamic Medicine, University of California press, California , 1984.

2- Goitein, S.D. A Mediteranean Society, vol.1, University of California press, California, 1971.

3- Ahmed, Leila, Women and Gender in Islam : Historical Roots of a Modern Debate, Cairo , AUC Press, 1993

4- Hamarnah, Sami Khalaf and Sonnedecker, Glenn, A

Pharmaceutical view of Abulcasis al-Zahrawi in Moorish Spain, Brill, Lieden, 1963.

5- Hamarnah, Sami Khalaf. Health Sciences in Early Islam, vol I + II, Zahra Publication, Texas, 1984

6- Issa, Ahmad. Histoire des Biramistans a l'epoque Islamique, Imprimerie Paul Barbey press, Cairo, 1928.

7- Kharyallah, Amin. Outline of Arabic Contribution to Medicine, American Press, Beirut, 1946.

8 - Roded, Ruth. Women in Islamic Biographical Collections from Ibn Sa'd to Who's Who, Lynne Rienner Publishers, Boulder + London, 1994.

9 - Siddiqi, Mohamed Zubayr. Studies in Arabic and Persian Medical Literature, Calcutte, 1955.

المقالات الأجنبية :

Lutfi, Huda. " Al-Sakhawi Kitab al-Nisa as a source for the Social and Economic History of Muslim women During the Fifteenth Century A.D." The Muslim World, LXX! (1981), p.p 104 - 124

All Correspondence to be directed to:
Editor – in Chief: Prof. Hamid Zayyan
Cairo University, Faculty of Arts,
Orman, Giza, A. R. E.

رقم الإيداع: ٨٨/٧١٣٧

الترقيم الدولي ٩ – ٢٦. – ٢٣٨ – ٩٧٧

CAIRO UNIVERSITY
FACULTY OF ARTS



THE EGYPTIAN HISTORIAN

STUDIES & RESEARCHES IN HISTORY & CIVILIZATION
A BIANNUAL PUBLICATION OF THE DEPARTMENT OF HISTORY

Volume 22 (July 1999)

al-Muarrikh al-Misr.

المؤرخ المصري

دراسات و بحوث في التاريخ والحضارة



يصدرها قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة القاهرة

العدد الثاني والعشرون يوليو ١٩٩٩

جامعة القاهرة – كلية الآداب

يصدرها
قسم التاريخ

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث تاريخية محكّمة

العدد
الثاني والعشرون
يوليو ١٩٩٩

محتوى العدد